



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا  
عليكم يا صابغ  
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# قراءة جديدة في الفتوحات الإسلامية

عبد الرحمن بن عبد الوهاب

المجلد الثاني

الطبعة الأولى ١٤٢٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية

كاتب:

علي الكوراني العاملي

نشرت في الطباعة:

مركز الابحاث العقائديه

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
7	قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية المجلد 2
7	هوية الكتاب
7	إشارة
9	الفصل الرابع: أصحاب الأدوار المدعاة في الفتوحات
9	كثرة القادة الحقيقيين والمدعى لهم
10	هل اخترع رواة السلطة أبطالاً من خيالهم؟
12	خالد بن الوليد، والغدر ونبل الفروسية!
56	سعد بن أبي وقاص قائد عيرته زوجته بالجبن
85	نسبوا النصر الى سعد الهارب من قيادة جيشه!
93	جرير بن عبد الله البجلي مقاول حرب في سبيل الله
133	عمرو بن العاص.. لا نبيل ولا شجاعة!
199	الفصل الخامس: الأبطال الشيعة قادة الفتوحات
199	فاتح العراق المثنى بن حارثة رضي الله عنه
212	معركة بابل أول معركة مع الجيش الفارسي النظامي
217	المعركة الثانية مع الجيش الفارسي معركة النمارق
223	معركة الجسر
230	المثنى يقود معركة البويب بجدارة
243	عمر يعزل المثنى في أوج انتصاراته!
247	المثنى يموت فجأة بعد أن غضب عليه عمر!
254	هاشم المرقال نقيض أبيه وعكس عمه
276	حصار المسلمين للمدائن
294	سلمان الفارسي المحمدي رضي الله عنه

344 ..... حذيفة بن اليمان أمين سرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله).

387 ..... الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان.

395 ..... خالد بن سعيد بن العاص بطل فتح فلسطين.

467 ..... فهرس المجلد الثاني.

489 ..... تعريف مركز.

## قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية المجلد 2

### هوية الكتاب

قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية

بقلم

علي الكوراني العاملي

المجلد الثاني

الطبعة الأولى: 1432-2011

ص: 1

إشارة





## الفصل الرابع: أصحاب الأدوار المدعاة في الفتوحات

### كثرة القادة الحقيقيين والمدعى لهم

قد يبلغ عدد القادة والأبطال الذين شاركوا في معارك الفتوحات بشكل مؤثر وأولئك الذين ادعت لهم السلطة المشاركة المؤثرة.. ثلاث مئة شخصية .

وقد كتبنا ترجمات لنماذج منهم ، لنقدم بها صورة صحيحة للفتوحات ، لكن بعض الشيعة الذين لم نترجم لهم لا يقلون أهمية عنهم .  
ومن أمثلتهم:

المقداد بن الأسود الكندي ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وسعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وأبو ذر الغفاري ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وطليب بن عمير بن وهب ، وأبو الدرداء عويمر بن زيد الخزرجي ، وعبادة بن الصامت بن أخ أبي ذر ، وأبو أمامة الباهلي ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو أيوب الأنصاري ، ومذعور بن عدي ، ومجموعة الفرسان النخعيين في فتوح الشام ، ومثلهم في فتوح العراق وفارس .

ومن أمثلة غير الشيعة :

أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وضرار بن الأزور ، وضرار بن الخطاب ، وأبو موسى الأشعري ، والزبير بن العوام ، وأبو سفيان بن حرب ،

ص: 3

والقعقاع بن عمرو، وعاصم بن عمرو، وعياض بن غنم، وعكرمة بن أبي جهل، وعبد الرحمن بن خالد، وحبيب بن مسلمة، وصفوان بن أمية، وعمرو بن عبسة، والسمط بن الأسود، وذو الكلاع الحيري، ومعاوية بن حديج، ولقيط بن عبد القيس، وحوشب ذو ظليم، وعصمة بن عبد الله .

### هل اخترع رواة السلطة أبطالاً من خيالهم؟

وقد أثبتنا في ترجمة مالك الأشتر أن رواة السلطة أعطوا بعض بطولاته الى ضرار بن الأزور، مع أنه قتل قبل اليرموك بسنوات في حرب اليمامة! وكذلك فعلوا لضرار بن الخطاب، فجعلوه من أبطال اليرموك مع أنه قتل في أجنادين .

والسؤال: هل صحيح أن رواة السلطة لم يكتفوا بالمبالغة والتضخيم، وتحريف النصوص والأحداث، ومدح من لا يستحق والتنقيص من أصحاب البطولة.. حتى اخترعوا صحابة وأبطالاً لا وجود لهم، ونسبوا لهم البطولات والأفعال والأقوال، بل الأحاديث النبوية؟

أجاب العالم الباحث السيد مرتضى العسكري (رحمة الله) بالإيجاب فألف كتاباً باسم: خمسون ومئة صحابي مختلق! حاول فيه إثبات أن رواة السلطة اخترعوا عدداً من الصحابة من خيالهم، ولم يكن لهم وجود في الواقع، ومنهم قادة في الفتوح، وسياسيون، ومنهم رواة، وأولياء أصحاب كرامات .. الخ.

ومن هؤلاء المخترعين: القعقاع بن عمرو، وأخوه عاصم بن عمرو، والأسود بن قطبة، وابنه نافع بن الأسود، وعمرو بن العاص التميمي، وعمرو بن مالك

وعفيف بن المنذر ، وزياد بن حنظلة ، وحرملة بن مريطة التميمي ، وحرملة بن سلمى ، والربيع بن مطر بن ثلج ، وربيع بن الأفكل ، وأط بن أبي أط التميمي .

كما ألف السيد العسكري كتاباً باسم: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ، حاول فيه إثبات أن ابن سبأ أسطورة اخترعها الراوي سيف بن عمرو ، ولا وجود له .

ولا يتسع المجال لبسط القول في ذلك ، وقد تبعت النصوص المتعلقة بعبد الله بن سبأ فوجدت أنه لا يمكن موافقة الكاتب المصري طه حسين ، والسيد العسكري على أنه مختلق من أصله ، بل المختلق أدواره المدعاة في إيقاع الفتنة بين المسلمين وعثمان ، وبين علي (عليه السلام) وطلحة والزبير وعائشة .

وأميل الى ذلك في عدد من قادة الفتوحات ومنهم ضرار بن الأزور والقعقاع ، فقد ضخمهم رواة السلطة وكذبوا لهم ، ليغطوا بذلك على بطولة الأبطال الحقيقيين رضوان الله عليهم .

قال ابن حجر في ترجمة القعقاع في الإصابة: 5/342: « قال سيف: قالوا: كتب عمر إلى سعد: أي فارس كان أفرس في القادسية؟ قال: فكتب إليه إنني لم أر مثل القعقاع بن عمرو ، حمل في يوم ثلاثين حملة ، يقتل في كل حملة بطلاً» .

وقال السيد العسكري في خمسون ومائة صحابي مختلق: 1/134: « خلاصة البحث: القعقاع هو الذي أنشب القتال في اليرموك ، وفاز فيها كما فاز بأيام العراق ، واشترك في فتح اليرموك ، ودمشق ، وفحل ، ونظم فيها الأراجيز ، وأضيف إلى عدد القتلى في الفتوح عشرة آلاف ومائة ألف قتيل » !

1. أبوه الوليد بن المغيرة رئيس بني مخزوم ، وأشد المشركين على النبي (صلى الله عليه وآله) وفيه نزل قوله تعالى: دَرَبِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً. وَبَيَّنَّ شُهُوداً. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ. لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ. لَوْ آحَاةٌ لِلْبَشَرِ. عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ. (المدثر: 11-30).

والوليد هو ( العُتْلُ الزَّيْمِ ) الذي لم يتسع له حلم الله العظيم ، فأنزل فيه قوله: وَلَا تُطْعَمُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُدْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ. أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. وقد اتفق المؤرخون والمفسرون على نزول هذه الآيات في الوليد، ففي تفسير الجلالين/758: «دعي في قريش، وهو الوليد بن المغيرة. ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة». وابن إسحاق: 2/140، والقرطبي: 19/71. وعشرات المصادر .

وهو أول المستهزئين الذين قتلهم الله تعالى في السنة الثالثة من بعثة النبي (صلى الله عليه وآله). فقد اتفق المفسرون والمحدثون على أن آيات: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، نزلت عندهلاكه ورفقائه ، بعد ثلاث سنين من البعثة .

فقد روينا في السيرة ، ورواه الذهبي في تاريخه(1/224) وصححه قال: «المستهزئون: الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، وأبوزمعة الأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى ، والحارث بن عيطل السهمي ، والعاص بن وائل . فأتاه جبريل فشكاهم النبي (صلى الله عليه وآله) إليه فأراه الوليد وأوماً جبريل إلى أبجله(شريانه)فقال: ما صنعت؟ قال: كُفَيْتِهِ . ثم أراه الأسود ، فأوماً جبريل إلى

عينيه فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته . ثم أراه أبا زمعة فأوماً إلى رأسه فقال: ما صنعت؟ قال كفيته. ثم أراه الحارث فأوماً إلى رأسه أو بطنه وقال: كفيته. فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً فأصاب أبعجه فقطعها. وأما الأسود فعمي. وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها. وأما العاص فدخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت فمات . حديث صحيح». انتهى.

وفي رواية أن الوليد لما حضرته الوفاة: «دعا ولده هشاماً وخالداً والوليد والفاكه وأبا قيس وقيساً وعبد شمس وعماراً ، فقال لهم: يا بنيّ إني أوصيكم بثلاث فلا تضيعوهن: دمي في خزاعة فلا تُطْلَئُهُ ، والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكن أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم! ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعُقري عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتكم به ، وكان أبو أزيهر قد زوجه ابنة له ثم أمسكها عنه ، فلم يدخلها عليه حتى مات». «.

وسبب طلبه ديتة من خزاعة أنه « مرَّ بنبل لرجل من بني خزاعة قد راشه في الطريق فأصابته شظية منه فانقطع أكحله حتى أدماه ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد! (الخصال/279) ، فاعترف بأن رب محمد (صلى الله عليه وآله) قتله ، ومع ذلك أوصى بأخذ الدية من صاحب السهام! قال أبو طالب (رحمة الله) :

«رجال تمالوا حاسدين وبغضة \*\*\* لأهل العلى فيبينهم أبدأ وتر

وليدٌ أبوه كان عبداً لجدنا \*\*\* إلى علجة زرقاء جاش بها البحر

وتيممٌ ومخزومٌ وزهرةٌ منهم \*\*\* وكانوا لنا مولياً إذا ابتغى النصر

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم \*\*\* وكانوا كجفر بس ما صنعت جفر»

(ابن هشام: 1/173 وابن إسحاق: 2/133)

2. ونشأ خالد على يد أبيه الوليد في العداة للنبي (صلى الله عليه وآله)، وكان بارزاً بين إخوته، فنفذوا وصية أبيهم واغتالوا أبا أزيهر الدوسي! (المنمق/191، وابن هشام:2/278).

وكان خالد أحد الذين انتدبتهم قريش لقتل النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة الهجرة فبات عليّ (عليه السلام) في فراشه: «فلما بصر بهم عليّ (عليه السلام) قد انتصوا السيوف وأقبلوا عليه بها يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب به عليّ فختله وهمز يده، فجعل خالد يقمص قماص البكر». (أمالى الطوسي/467. والمعنى: يصرخ كالجمل البكر، الصغير السن).

وشارك خالد وإخوته مع المشركين في بدر، فنجأ خالد، وقُتل أخوه أبو قيس، وأسر أخوه الوليد بن الوليد. (شرح النهج: 14/203).

وكان خالد من قادة المشركين في أحد، وسبباً في هزيمة المسلمين بعد انتصارهم وانشغالهم بالغنائم، فقد اغتتم هو وعكرمة الفرصة وهاجموهم من خلفهم.

وبعد انهزام الأحزاب في حربهم على النبي (صلى الله عليه وآله) رأى خالد أن ميزان القوة قد تحول الى جانب النبي (صلى الله عليه وآله)، فجاء الى المدينة هو وعمر بن العاص، وأسلما.

وبعد فتح مكة شارك مع قريش الى جانب النبي (صلى الله عليه وآله) في حرب حنين، لكنه كان في أول المنهزمين بخيله من بني سليم.

وبعد فتح الطائف أخذ خالد يستوفي ربا أبيه الوليد من تقيف فمنعه النبي (صلى الله عليه وآله) (المنمق/203) ثم عاد وطالبهم به فشكوه الى النبي (صلى الله عليه وآله)، فنزلت الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. (عمدة القاري: 11/201).

ثم ادعى خالد أنه أسلم قبل خيبر، وأنه شارك فيها، فصدقه رواية السلطة، لكن علماءها استحووا من الكذب الصريح فردوا قوله!

فقد روى أحمد (4/89) عن خالد قال: « غزوت مع رسول الله غزوة خيبر، فأسرع الناس في حظائر يهود فقال: يا خالد ناد في الناس أن الصلاة جامعة! »

وقال في نصب الراية (6/58): «أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة عن بقية».

وقال ابن حزم إنه موضوع (عمدة القاري: 17/248. وراجع (الإستيعاب: 2/427).

وقال في مجمع الزوائد (9/351): «كان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة عند النجاشي، فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة». وبه قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية/259، وابن حجر في تهذيب التهذيب: 3/107، وابن تيمية في فتاويه: 4/397.

3. كان عمر بن الخطاب يبغض خالدًا ولا يطيقه، لأنه كسر ساقه في شبابه! فكان عمر يخوي ويفحج في مشيه كل عمره. (النهاية: 7/131، وتفسير الطبري: 2/79).

والسبب الآخر أن خالدًا يرى أنه ابن أكبر شخصية في قريش، ويرى عمر شخصاً مغموراً من قبيلة مغمورة، يعمل مُبْرِطِشاً، أي دلال كراية حمير وإبل. (نهاية ابن الأثير: 1/119، وتاج العروس: 9/58).

كما كان عمر خادماً لأخيه عمارة بن الوليد في سفره، فاتهمه عمارة أنه أراد أن يغدر به ويقتله. (المنمق/130). وكان خالد يسخر من أم عمر ولا يقبل أنها من مخزوم، ويسمي عمر: «الأعيسر ابن أم شملة»!

قال الطبري في خبر قتل خالد مالك بن نوية: 2/503: «فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر، وقال: عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته! وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدى الحديد، معتجراً بعمامة له، قد غرز في عمامته أسهماً، فلما أن

دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال: أرثاء! قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك! ولا يكلمه خالد بن الوليد ، ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتى دخل على أبي بكر ، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك! قال فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر وعمر جالس في المسجد فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة! قال: فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه ، فلم يكلمه ودخل بيته «!

ومعنى أم شملة: أم وزرة ، يعيّرُه بأن أمه كانت معدمة فرباها رجل من بني مخزوم!

وقد عارض عمر تأمير خالد فلم يطعه أبو بكر ، ثم طالبه عمر أن يقتله بمالك بن نويرة ، فلم يسمع كلامه ، وقال إن خالداً اجتهد فأخطأ .

ولما مات أبو بكر وتولى عمر ، كان أول عمل قام به عزل خالد ، وكتب لأبي عبيدة أن يهينه وينزعه عمامته ، ويطلب منه أن يكذب نفسه ويسحب طعنه في أم عمر ، وإن لم يفعل فليقاسمه ما يملك ، ويصادر نصف أمواله!

قال الطبري: 2/622: «عن صالح بن كيسان قال: كان أول كتاب كتبه عمر حين ولي إلى أبي عبيدة يوليه على جند خالد..وعزل خالد بن الوليد!

حدثنا سلمة عنه قال: إنما نزع عمر خالداً في كلام كان خالد تكلم به فيما يزعمون..فكتب عمر إلى أبي عبيدة إن خالداً أكذب نفسه فهو أمير على ماهو عليه ، وإن هو لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ماهو عليه ، ثم انزع عمامته عن رأسه ، وقاسمه ماله نصفين! فلما ذكر أبو عبيدة ذلك لخالد قال: أنظرني أستشر أختي في أمري ، ففعل أبو عبيدة ، فدخل خالد على أخته فاطمة بنت الوليد ،



وكانت عند الحارث بن هشام ، فذكر لها ذلك فقالت: والله لا يحبك عمر أبداً ، وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك ! فقبل رأسها وقال: صدقت والله . فتم على أمره وأبى أن يكذب نفسه..قال (أبو عبيدة) أُمرت أن أنزع عمامته وأقسامه ماله ، فقسامه ماله حتى بقيت نعلاه.. فأخذ نعلاً.. وأعطاه نعلاً.. فحسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم ، فناصره عمر ذلك ، فأعطاه أربعين ألف درهم وأخذ المال.. فكان عمر يرى أنه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك».

4. وكتب عمر الى خالد: «بلغني أنك تدلّكتَ بخمر.. فكتب إليه: إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: إني لأظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أمتكم الله عليه». (تاريخ دمشق: 16/264، والطبري: 3/166، والنهاية: 7/92).

5. وعاش خالد معزولاً ومات في حمص ، فمنع عمر أقاربه من البكاء عليه! «لما مات خالد بن الوليد اجتمع في بيت ميمونة نساء يبيكين ، فجاء عمر ومعه ابن عباس ومعه الدرّة ، فقال: يا عبدالله أدخل على أم المؤمنين فأمرها فتحتجب وأخرجهن عليّ ، فجعل يخرجهن عليه وهو يضربهن بالدرّة! فسقط خمار امرأة منهن فقالوا: يا أمير المؤمنين خمارها! فقال: دعوها فلا حرمة لها! وكان يُتعجب من قوله: لا حرمة لها». (عبد الرزاق: 3/557).

6. تقرأ الكثير عن فروسية خالد وبطولاته ، في مصادر الخلافة ، لكنك تفتش في المعارك فلا تجد له أي مباراة ، أو مشاركة حقيقية في معركة منها!

ثم تقرأ حديثه عن نفسه لتعرف نوع شخصيته وتفكيره وتصرفه، فتجد أنه يمدح نفسه مدحاً مفرطاً ، وأن بطولاته المدعاة من أقواله .

كما تجده يفتخر بأبيه الوليد بن المغيرة وبأجداده ، غير مكترث بدم القرآن له !

وتجده يعمل بمعادلات الربح والخسارة ، ويميل مع ميزان القوى ، ولا يدخل في حسابه القيم الإسلامية ، ولا القيم القرشية والعربية .

وقد وصف المعادلة التي دفعته الى الدخول في الإسلام فقال: «وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فليس موطن أشهده إلا وأنصرف وإني أرى في نفسي أنني مَوْضَعٌ في غير شيء ، وأن محمداً سيظهر !»

وقال: «فلما جاء (النبي (صلى الله عليه وآله) ) لعمرة القضاء تغيبت ولم أشهد دخوله ، فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه ، فطلبني فلم يجدني ، فكتب إليّ كتاباً فإذا فيه: فيأني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وقلّة عقلك ، قد سألتني عنك رسول الله، فقال: أين خالد...». (النهاية:4/272، وتاريخ دمشق:16/226 ، وكثير من المصادر) .

ومعنى: موضعٌ في غير شيء: رأيت نفسي أنني أقاومه بدون نتيجة! وكان زميله عمرو بن العاص مثله ، فقال كما رواه مجمع الزوائد ووثقه (9/350): «لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ويسمعون مني، فقلت لهم: تعملون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد! وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا: إن هذا الرأي ..

ثم وصف عمرو كيف وافقه خالد على رأيه . فقررنا بعد عمرة القضاء في السنة السابعة ، أن يسلمنا ، وجاءا الى المدينة وأسلمنا . وتاريخ الطبري: 2/313.

7. ويلفتك في شجاعة خالد ، ما كتبه له أبو بكر لما بعثه لحرب مسيلمة ، قال: «فإذا عزمتم على الحرب فباشروها بنفسك ، ولا تتكل على غيرك ، وصف صفوفك وأحكم تعبتك». (فتوح ابن الأعمش: 1/23).

ومعناه أن أبا بكر يعرف أن طريقة خالد أن يقاتل بغيره ، ولا يقاتل بنفسه ! لكن رغم تأكيد أبي بكر عليه ، جلس خالد في معركة اليمامة على سريره في خيمته ولم يقاتل ، لا في اليوم الأول ولا الثاني ! وعندما وصلت هزيمة المسلمين الى فسطاطه هرب تاركاً زوجته ، ودخل أعداؤه خيمته ورَعَبَلُوها بسيوفهم !

ثم رأينا شجاعته عندما ذهب الى الحديقة فجاءه فارس فاشتبك معه فوقعا عن فرسيهما وخالد فوقه ، فبذل جهده ليتخلص منه ويهرب فوجد فرسه قد هرب ، ثم نجا خالد وهو مرهق ووصل الى خيمته ، لكن لاسالماً ولا غانماً !

وظل جالساً في الخيمة حتى انتصر المسلمون ، وجاءه خبر قتل مسيلمة ، فجاءته الشجاعة وذهب الى الحديقة ، ومعه حراس ! وقد وثقنا ذلك كله في حرب اليمامة!

8. إذا تتبعنا تاريخ خالد العسكري ، من مشاركته مع المتأمرين البضعة عشر لقتل النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة الهجرة ، الى أن توفي في حمص بعد ثلاثين سنة ، لا تجد فيها حالة مبارزة واحدة ، ولا حملة حقيقية في حرب ، إلا ما كذّبوه له ولم يثبت ، أو كذّبه هو لنفسه وثبت عكسه !

ففي حروب المشركين كان على الخيل. قال ابن حجر في الإصابة (2/215): «كان أحد أشرف قريش في الجاهلية ، وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية ، وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية ، كما ثبت في الصحيح».

ولم يبرز خالد الى أحد من المسلمين ، ولا المشركين بعد إسلامه أبداً. وأشهر ما عرف به أنه في أحد بعد هزيمة قريش، اغتتم فرصة انشغال المسلمين بجمع الغنائم ، فالتفّ عليهم من ورائهم هو وعكرمة بخيلهم ، وقتلوا الرماة حرّاس المضيق ، وهاجموا المسلمين من خلفهم ، ورجع المشركون المنهزمون من أمامهم فأطبقوا على المسلمين فقتلوا حمزة وسبعين من المسلمين، وكانت هزيمة أحد ، التي قصها الله تعالى في القرآن . ولم يبارز فيها خالد أحدًا ولا قتل أحدًا .

وفي معركة الخندق ، لم يكن خالد مع فرسان المشركين الذين عبروا الخندق ، بل كمن خلف الخندق، واختار فرصة عبور شيخ هرم كبير السن في جانب المسلمين ، هو أنس بن أوس بن عتيك ، فرماه بسهم فقتله. (الإصابة:1/270).

وفي غزوة الحديبية كان خالد على خيل المشركين، ووقعت بينهم وبين المسلمين مناوشات ، ووقع فيها قتلى وأسرى أكثر من خمسين، لكن لم يرد فيها ذكر خالد .

وفي عمرة القضاء في السنة الثانية تقدم أن خالدًا قال إنه غيب نفسه عن مكة .

9. واشتهر غدر خالد ببني جذيمة رغم إعلانهم الإسلام! ففي فتح مكة أرسله النبي (صلى الله عليه وآله) في خيل الى بني جذيمة وهم على مسافة يوم من مكة ، ليدعوهم الى الإسلام ، فاحتال عليهم خالد حتى وضعوا أسلحتهم ، فكشفهم وغدر بهم وقتلهم ليثار لعنه الذي قتله رجل جذيمي في الجاهلية!

وقال مقاتل كما في تفسيره (3/158) إن عدد الذين قتلهم خالد سبعون رجلاً!

وتسمى منطقتهم الغميصاء و الرميضاء ، ويسمى مكان قتلهم: الخندمة .

وفي معجم البلدان (4/214): «الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة ، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، الذين أوقع بهم خالد بن الوليد عام الفتح ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ووداهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على يدي علي بن أبي طالب، وقالت امرأة منهم:

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا \*\*\* للاقى سليمٌ يوم ذلك ناطحا

لماصعهم بشرٌ وأصحاب جحدمٍ \*\*\* ومرةٌ حتى يتركوا الأمر صابحا

فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى \*\*\* أصيب ولم يُجرح وقد كان جارحا

ألظت بخطاب الأيامي وطلقت \*\*\* غداة نذ منهن من كان ناكحا».

وفي إعلام الوري: 1/228: «بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر ، وقد كانوا أصابوا في الجاهلية من بني المغيرة نسوة ، وقتلوا عم خالد ، فاستقبلوه وعليهم السلاح وقالوا: ياخالد إنا لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله ، ونحن مسلمون، فانظر فإن كان بعثك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساعياً فهذه إبنا وغنمنا فاغد عليها ، فقال: ضعوا السلاح ، قالوا: إنا نخاف منك أن تأخذنا يا حنة الجاهلية وقد أماتها الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) .. الخ.

وجاء رسولهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بما فعل خالد بهم ، فرفع يده إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد وبكى! ثم دعا علياً (عليه السلام) فقال: أخرج إليهم وانظر في أمرهم ، وأعطاه سلفاً من ذهب ، ففعل ما أمره وأرضاهم».

وفي أمالي الطوسي/498: «فأدى إليهم ديات رجالهم ، وما ذهب لهم من أموالهم وبقي معه من المال زعبة فقال لهم: هل تفقدون شيئاً من أموالكم وأمتعتكم؟

فقالوا: ما نفقد شيئاً إلا ميلغة كلابنا فدفع إليهم ما بقي من المال فقال: هذا لميلغة كلابكم وما أنسيتم من متاعكم .

وأقبل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: ما صنعت؟ فأخبره حتى أتى على حديثهم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : أرضيتني رضي الله عنك . يا عليُّ أنت هادي أمتي ، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقتك ، ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقك إلى يوم القيامة .»

وفي المنمق/216: «وقد كان القوم تأهبوا لحرب خالد بن الوليد ، فصاح بهم خالد أن ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا . فقال رجل منهم يقال له جحدم: يا بني جذيمة ! إنه خالد بن الوليد ، فوالله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، ولا بعد الإِسار إلا حُرُّ الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً !

فأخذه رجال من قومه وقالوا: يا جحدم ! أتريد أن تسفك دماءنا ، إن الناس قد أسلموا ووضعوا الحرب أوزارها وأمن الناس ، فلم يزالوا به حتى وضع سلاحه ووضع قومه السلاح ، ثم وضع خالد فيهم السيف فأكثر القتل !

فكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك كلام فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام !

فقال خالد: إنما ثارت بأبيك ! فقال عبد الرحمن: كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبي ، ولكنك ثارت بعمك الفاكه بن المغيرة !

وفي فتح الباري(8/45): «عن أبي جعفر يعني الباقر قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد حين افتتح مكة إلى بني جذيمة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً .»

أقول: روت مصادرهم فَعَلَة خالد في بني جذيمة ، لكن أكثرهم حذف تبرؤ النبي (صلى الله عليه وآله) من فعل خالد ، كما حذفوا مدحه لعلي (عليه السلام) ! وحاولوا تبرير فعل خالد بأنه لم يفهم كلام بني جذيمة ، فأخطأ وقتلهم ! واعترف بعض النواصب كالذهبي بأن النبي (صلى الله عليه وآله) تبرأ من فعل خالد ، لكنه خففه !

قال في ميزان الإعتدال (2/379): «كما تبرأ النبي مما صنع خالد لما أسرع في قتل بني جذيمة ، ومع ذلك فقال فيه: خالد سيف سله الله على المشركين . فالتبري من ذنب سيغفر لا يلزم منه البراءة من الشخص» .

فقد هَوَّن قتل خالد لسبعين مسلماً بالحيلة بأن ذنبه مغفور ، وصحح الحديث المكذوب على النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه مدح خالداً بأنه سيف سله الله تعالى ، فكأنه يقول حتى لو قتلهم ، فإن الله تعالى هو الذي سل سيف خالد عليهم !

10. وارتكب خالد جريمةً تصلح أن تُعَمَل فيلماً ! فقد روتها عامة مصادر السيرة والحديث والتاريخ ، مع شاب غريب عاشق ، ممن غدر بهم وقتلهم .

ففي سيرة ابن هشام: 4/886: « قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأَخَس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي ، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جذيمة وهو في سنى ، وقد جمعت يداه إلى عنقه برُمَّة (بضم الراء: الحبل) ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى ، فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة فقاندي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ، ثم تردني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟

قال: قلت: والله ليسيرٌ ما طلبت ، فأخذت برمته فقذته بها ، حتى وقف عليهن فقال: إسلامي حبيش ، على نغدٍ من العيش !

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم \*\*\* بحلية أو ألفيتكم بالخوانقِ

ألم يك أهلاً أن يُنَوَّلَ عاشقٌ \*\*\* تكلفَ إدلاجَ السرى والودائقِ

فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معاً \*\*\* أثيبي بود قبل إحدى الصفائقِ

أثيبي بود قبل أن تشحط النوى \*\*\* ويناى الأمير بالحبيب المفارقِ

قالت: وأنت فحييت سبعاً وعشراً وتراً، وثمانياً تترى . قال: ثم انصرفت به فضربت عنقه!

وفي المنمق لابن حبيب/216، عن الأسلمي قال: «كنت مع خالد يوم الغميصاء، فأسرت غلاماً منهم وجمعت يديه إلى عنقه.. وذكر القصة وفيها:

فأجابته وقالت: وأنت فحييت عشراً وتسعاً وتراً، وثمانياً تترى . ثم انصرفت فضربتُ عنقه. فلما رأته حبيش أقبلت فأكبت عليه ولم تزل تشهق حتى ماتت»!

وفي فتح الباري (8/46): «روى النسائي والبيهقي في الدلائل بإسناد صحيح، من حديث ابن عباس نحو هذه القصة وقال فيها: فقال: إني لست منهم، إني عشقت امرأة منهم، فدعوني أنظر إليها نظرة! وقال فيه: فضربوا عنقه، فجاءت المرأة فوفعت عليه، فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت! فذكروا ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله) فقال: أما كان فيكم رجل رحيم»! والطبري: 2/342، وعشرات المصادر .

11. جعلوا جبن خالد بن الوليد في معركة مؤتة بطولة! لأنه موالٍ للسلطة، وقصة مؤتة أن النبي (صلى الله عليه وآله) أرسل في السنة السادسة رسائل إلى ملوك العالم، ومنها إلى هرقل الروم، فأجابه هرقل جواباً ليناً، لكنه أخذ يستعد لغزو المدينة،



ويجمع قواته في دومة الجندل في الجزيرة وفي الشام . فكانت غزوة مؤتة عملية استشهادية لإثبات القوة النوعية للمسلمين، ليتراجع هرقل عن خطته .

واختار لها النبي (صلى الله عليه وآله) ثلاثة قادة أبطال: جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة . واختار لها مكاناً قريباً من القدس، حيث كان هرقل نذر أن يحج ماشياً شكراً للمسيح (عليه السلام) لأنه بزعمه نصره على كسرى !

وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف ، فاشتبكوا مع الروم في مؤتة ، وتقدم القادة الثلاثة وأظهروا بطولاً نادرة ، وقاتلوا حتى استشهدوا رضوان الله عليهم ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) على منبره في المدينة يصف معركتهم .

وبعد شهادتهم وقعت الهزيمة في المسلمين . قال ابن سعد: (2/129): «ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فطاعن حتى قتل . ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة» .

وقال أبو هريرة: «شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكرع والديباج والحريير والذهب ، فبرق بصري! فقال لي ثابت بن أرقم: مالك يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة! قلت: نعم» (تاريخ دمشق (2/13).

وفي فتح الباري (7/393): «عن عروة قال: ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فالتوى بها بعض الإلتواء ، ثم تقدم على فرسه ثم نزل فقاتل حتى قتل . ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاري فقال: إصطلحوا على رجل ، فقالوا: أنت لها . قال: لا . فاصطلحوا على خالد بن الوليد .

وروى الطبراني من حديث أبي اليسر الأنصاري قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أرقم لما أصيب عبد الله بن رواحة ، فدفعها إلى خالد بن الوليد» !

وفي تاريخ دمشق: 68/87 ، عن رجل من بني مرة ، قال: « لما قتل ابن رواحة نظرت إلى اللواء قد سقط ، واختلط المسلمون والمشركون ، فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً ، واتبعناه فكانت الهزيمة » !

وفي سيرة ابن هشام (3/836): « جعل الناس يَحْتُون على الجيش التراب ويقولون: يَأْفَرُّ ، فررتم في سبيل الله ! قال: فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ليسوا بالفرار ولكنهم الكُرَار إن شاء الله تعالى... قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص: مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج ، وكلما خرج صاح به الناس يَأْفَرُّ فررتم في سبيل الله ! حتى قعد في بيته فما يخرج » .

«قال الواقدي: وقد روي أن خالداً ثبت بالناس فلم ينهزموا ، والصحيح أن خالداً انهزم بالناس» . (شرح النهج: 15/68).

وفي إمتاع الأسماع للمقريزي (1/341): «إن خالداً انهزم بالناس، فَعَيَّرُوا بالفرار وتشاءم الناس به » .

فقد روت مصادرهم المعتمدة حقيقة فرار خالد وتشاؤم المسلمين به ، لكن أتباع بني أمية وبني مخزوم ، أنكروا انهزامه بالمسلمين بعين يابسة، بل حولوها الى منقبة وبطولة!

ثم كذبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأن الله فتح على يده في مؤتة، وسماه سيف الله المسلول !

ثم كذبوا فزعموا أن معركة مؤتة استمرت سبعة أيام ، وكان بطلها خالد !

ثم كذب هو وقال إنه كسّر سيفاً على رؤوس الروم ، ورووا كذبتة في أصح كتاب كما زعموا ! قال خالد : «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية» . (صحيح البخاري: 5/87).

وقال علماء بني أمية: «اقتتل المسلمون مع المشركين سبعة أيام . وروى الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وهذا الذي ذكره أبو عامر والزهري ، وعروة ، وابن عقبة ، وعطاف بن خالد ، وابن عائذ وغيرهم ، هو ظاهر قوله (صلى الله عليه وآله) في حديث أنس: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه (!) . وفي حديث أبي قتادة مرفوعاً كما سيأتي: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء ولم يكن من الأمراء ، هو أمر نفسه ، ثم رفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إصبه ثم قال: اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره . فمن يومئذ سمي خالد بن الوليد سيف الله ! رواه الإمام أحمد برجال ثقات . ويزيده قوة ويشهد له بالصحة ما رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والبرقاني» . (سبل الهدى: 6/150).

وتتعجب من جرأة الكذابين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قالوا كما في تاريخ دمشق: 16/238 وبغية الطلب: 7/3122 وكنز العمال: 10/386 ، أنه (صلى الله عليه وآله) وصف شهادة القادة الثلاثة فقال: « ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ، ثم قال: الآن حمي الوطيس .. نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين» .

ومعنى حمي الوطيس أنه جاء خالد البطل فحمي الوطيس ، لأنه أشجع من القادة الذين كانوا قبله! ثم مدحه بأنه نعم العبد لله ، وأخ العشيرة ، وأنه سيف الله .. الخ .

وقد كتب السيد جعفر مرتضى في الصحيح من السيرة (20/53) بحثاً وافياً في أكثر من خمسين صفحة في رد كذبهم على النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه سمي خالداً سيف الله المسلول ، وقال: «الحقيقة هي أن هذا اللقب من مختصات علي (عليه السلام) ، ولكنه سُرق في جملة كثيرة من فضائله ومناقبه (عليه السلام) ، في غارات شعواء من الشائنين والحاquدين والمبطلين والمزورين للحقائق» . انتهى.

وأعجب ما في هرب خالد من مؤتة جرأته على الكذب بأنه دق تسعة سيوف في قتاله مع الروم! لكن الذي يعرف مشابهته لأبيه الوليد لا يتعجب من فجوره هنا ، ولا من فجوره عندما انتقده عبد الرحمن بن عوف الزهري لغدره بسبعين مسلماً من بني جذيمة وقتلهم ، فقال له خالد: قتلتم ثأراً بأبيك الذي قتله بنو جذيمة! فقال له ابن عوف: «كذبت، قد قتل قاتل أبي ، ولكنك تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة» . (المنمق/216) .

ولو دامت معركة مؤتة سبعة أيام لما حث أهل المدينة التراب على وجه خالد وجيشه ، وسموهم الفرارين! ولوجدنا وصفاً للمعركة وقتلاها! لكننا لا نجد إلا رواية واحدة عن قتل مسلم يماني من بني مدد لجندي رومي غيلةً ، عندما كان المسلمون هارين، فأخذ منه خالد نصف سلبه، فشكى اليماني المددي الى النبي (صلى الله عليه وآله) فسأل خالداً: لماذا أخذه؟ قال إنه استكثره عليه!

ففي السيرة الحلبية: 2/793: «وقتل رجل من المسلمين رجلاً من الروم فأراد أخذ سلبه فمنعه خالد ، فلما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك قال لخالد: ما منعك أن تعطيه سلبه؟ قال: استكثرت عليه . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إدفعه له» .

12. واعترفوا بجن خالد في اليمن ستة أشهر! لكنهم أصرروا على مدحه رغم قتله عشرات المسلمين الأبرياء ، وافتخاره بعد إسلامه بأبيه الفرعون الذي وصفه الله تعالى بأنه: **عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنْبِي** . كذبوا له أن النبي (صلى الله عليه وآله) سماه سيف الله المسلول ، لكنهم اعترفوا بأنه بعثه النبي (صلى الله عليه وآله) الى اليمن يدعوهم الى الإسلام أو يقاتلهم ، فلم يستجيبوا له ، فخاف أن يقاتلهم وكان سيفه مشلولاً ، وبقي ستة أشهر يراوح مكانه في اليمن! فبعث النبي (صلى الله عليه وآله) سيف الله المسلول علياً (عليه السلام) ، وأمر خالداً أن يرجع ، لكنه بقي يراقب علياً (عليه السلام) لعله يجد خطأ يأخذه عليه !

وقد شهد الذهبي في تاريخه (2/690) بصحة حديث جين خالد وشجاعة علي (عليه السلام) : «عن البراء ، أن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث خالد بن الوليد إلى اليمن، يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه . ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث علياً فأمره أن يقفل خالداً إلى الرجل كان يمم مع خالد ، أحب أن يعقب مع علي (عليه السلام) فليعقب معه، فكنت فيمن عقب مع علي... هذا حديث صحيح أخرج البخاري بعضه بهذا الإسناد». انتهى.

ومعناه أن النبي (صلى الله عليه وآله) حلَّ جيش خالد ، لكن خالداً عصى وبقي مع بعض أصحابه للبحث عن خطأ لعلي (عليه السلام)! وتوغل علي (عليه السلام) في اليمن فأسلمت على يده همدان وغيرها ، وقاتل في بعض المناطق وغنم غنائم ووزعها ، وعزل منها الخمس لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واختار جارية فقوّم قيمتها وحسبها من سهمه من الخمس ، ولعله تزوجها . فرأى خالد في ذلك انتصاراً يُعوض به فشله لنصف سنة! فكتب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) مع بريدة وثلاثة أشخاص ، ووصل بريدة إلى المدينة ففرح مبغضوا علي (عليه السلام) وقالوا له عجل وأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) لتسقط مكانته عنده !

لكن النتيجة كانت معكوسة عليهم! فقد غضب النبي (صلى الله عليه وآله) غضباً شديداً، وأخرج من يكره علياً (عليه السلام) من الإسلام ، وقال لهم: إن حب علي إيمان وبغضه نفاق ، وإنه وليهم من بعده..الخ.

ويُعرف هذا الحديث بحديث بريدة ، وهو صحيح عندهم روته مصادرهم بصيغ عديدة، ومنها ما في مجمع الزوائد:9/127: «عن بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط! قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً! قال: فبعث ذلك الرجل على جيش فصحبتة ، ما صحبته إلا ببغضه علياً..وفي حديث: وأخذ عليٌّ جارية من الخمس ، فدعا خالد بن الوليد بريدة فقال: إغتنمها فأخبر النبي ما صنع! فقدمت المدينة ، ودخلت المسجد ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في منزله وناس من أصحابه على بابه فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين. فقالوا: ما أقدمك؟ قلت: جارية أخذها عليٌّ من الخمس فجئت لأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) فقالوا: فأخبر النبي فإنه يسقط من عينه، ورسول الله يسمع الكلام فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً! من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه ، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم ، وأنا أفضل من إبراهيم ، ذُرِّيَّةُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يابريدة: أما علمت أن لعليٍّ أكثر من الجارية التي أخذ، وأنه وليكم بعدي؟ فقلت: يا رسول الله ، بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً! قال: فما فارقتة حتى بايعته على الإسلام»!

ومنها ما رواه الحاكم (3/ 110) وفيه: «فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله إذا لقينا النبي (صلى الله عليه وآله) أخبرناه بما صنع علي! قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر

بدؤوا برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فنظروا إليه وسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال أحد الأربعة: يا رسول الله، ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا! فأعرض عنه! ثم قام الثاني فقال مثل ذلك فأعرض عنه! ثم قام الثالث فقال مثل ذلك فأعرض عنه! ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا! فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والغضب في وجهه فقال: ما تريدون من علي! إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.»

وفي رواية الطوسي في أماليه: 1/249: «فدعاني خالد فقال: يا بريدة قد عرفت الذي صنع، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره وكتب إليه. فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخذ الكتاب فأمسكه بشماله، وكان كما قال الله لا يكتب ولا يقرأ، وكنت رجلاً إذا تكلمت طأطأت رأسي حتى أفرغ من حاجتي، فطأطأت وتكلمت، فوقع في علي حتى فرغت، ثم رفعت رأسي فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قط إلا يوم قريظة والنضير! فنظر إلي فقال: يا بريدة إن علياً وليكم بعدي، فأحب علياً فإنما يفعل ما يؤمر! قال: فقمتم وما أحد من الناس أحب إلي منه. وقال عبد الله بن عطاء: حدثت بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة، فقال: كتمك عبد الله بن بريدة بعض الحديث، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال له: أنافقت بعدي يا بريدة؟!».

أما البخاري فعادته في مثل هذا الحديث أن يحذفه كلياً، أو يبتزه، أو يحرفه ويحوّله إلى ذم لعلي (عليه السلام)! قال في صحيحه (5/110): «عن بريدة قال: بعث النبي علياً إلى خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً وقد اغتسل، فقلت لخالد:

الأتري إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي ذكرت ذلك له ، فقال: يا بريدة أتبغض علياً؟ قلت: نعم. قال: لا تبغضه ، فإن له في الخمس أكثر من ذلك».

فقد تعمد البخاري التزوير ليوهم أن خالداً هو الذي قاتل وغنم ، وأن علياً (عليه السلام) ذهب جايباً للخمس! فانظر كيف مدح خالداً ، وطعن في علي (عليه السلام)!

وقصة بريدة حجة بالغة على إمامة علي (عليه السلام) وخلافته ، بحثناها في العقائد الإسلامية (4/91) ، لكن غرضنا هنا إثبات جبن خالد وحسده لعلي (عليه السلام)! ورد ما زعموه من بطولته ، فلا هو فارس ولا بطل ، لكنه يتفارس ويتباطل! نعم هو مناوئٌ حاسد!

13. بلغ كذبهم في بطولات خالد في فتح العراق ، أنهم اخترعوا له أبطالاً لاوجود لهم ، ومعارك لاوجود لها! من ذلك أنه قتل قائداً فارسياً اسمه هرمز في كاظمة قرب الكويت ، مع أنه لم يمر من هناك بل دخل العراق من جهة حائل وهي جهة مخالفة لكاظمة. كما أنه لم يكن في كاظمة جيش فارسي في أي وقت ، وحتى البصرة كانت فيها مسالح فارسية صغيرة ، ولم يكن فيها جيش .

والطريف أنهم جعلوا كذبتهم هذه حديثاً نبوياً طويلاً ، وصححوه وأشبعوه صحة! كما صحح البخاري تقطيع خالد تسعة أسياف على رؤوس الروم في مؤتة ، مع أنها مخالفة للواقع بنصهم الصحيح!

قال في مجمع الزوائد (6/223): «عن خريم بن أوس قال: سار خالد إلى مسيلمة فسرنا معه، فلما فرغنا من مسيلمة وأصحابه أقبلنا إلى ناحية البصرة فرأينا هرمز بكاطمة في جمع عظيم ، ولم يكن أحد أعدى للعرب من هرمز . قال أبو السكن: وبه يضرب المثل تقول العرب: أكفر من هرمز ، فبرز له خالد بن الوليد ودعا



إلى البراز فبرز له هرمز ، فقتله خالد بن الوليد ، وكتب بذلك إلى أبي بكر فنقله سلبه، فبلغت قنيسوته مائة ألف . ثم سرنا على طريق الطرف حتى دخلنا الحيرة فكان أول من تلقانا فيها الشيماء بنت ببيعة على بغلة شهباء بخمار أسود ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فدعاني خالد عليها البينة فأتيته بها ، فسلمها إليّ !

وبلغني في غير هذا الحديث أن الشاهدين كانا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر . رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم وقد تقدم معنى هذا الحديث من حديث عدى بن حاتم في باب قتال فارس والروم ورجاله رجال الصحيح».

ورواه الطبري وردّه (2/309) ، قال: «لما قدم كتاب خالد على هرمز ، كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى ، وإلى أردشير بن شيرى ، وجمع جموعه ثم تعجل إلى الكواظم في سرعان أصحابه ليتلقى خالدًا.. فلما أتى الخبر خالدًا بأن هرمز في الحفير أمال الناس إلى كاظمة ، وبلغ هرمز ذلك فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسير ، وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرج جواراً للعرب ، فكل العرب عليه مغيظ ، وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبيث حتى قالوا: أخبث من هرمز وأكفر من هرمز . وتعباً هرمز وأصحابه واقتربوا في السلاسل والماء في أيديهم ، وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء ، فقالوا له في ذلك فأمر مناديه فنادى: ألا انزلوا وخطوا أئقالكم ، ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين ، فحطت الأثقال والخيل وقوف ، وتقدم الرجل ثم زحف إليهم حتى لاقاهم ، فاقتتلوا وأرسل الله سحابة فأغررت ما وراء صف المسلمين فقواهم بها.. ثم خرج هرمز فنادى: رجل ورجل أين خالد؟ وقد عهد إلى

فرسانه عهده ، فلما نزل خالد نزل هرمز ودعاه إلى النزال، فنزل خالد فمشى إليه فالتقيا فاختلفا ضربتین واحتضنه خالد ، وحملت حامية هرمز وغدرت ، فاستلحموا خالداً فما شغله ذلك عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو واستلحم حماة هرمز فأناموهم ، وإذا خالد يماصعهم وانهزم أهل فارس ، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل . وجمع خالد الرثا (جرحاهم) وفيها السلاسل فكانت وقر بغير ألف رطل ، فسميت ذا السلاسل وأفلت قباذ وأنو شجان .. كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم .. فكان هرمز ممن تم شرفه فكانت قيمتها مائة ألف ، فنفلها أبو بكر خالداً وكانت مفصصة بالجواهر...

نادى منادي خالد بالرحيل وسار بالناس واتبعته الأتقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة ، وقد أفلت قباذ وأنو شجان . وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأحماس وبالفييل ، وقرأ الفتح على الناس . «

وقد بلغ من افتضاح قصة البطل هرمز أن المؤرخين غير الطبري ردوها أيضاً ، كالواقدي والبلاذري ، قال: (2/295): «والذي عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالداً قدم المدينة من اليمامة ، ثم خرج منها إلى العراق ، على فيد والثعلبية ، ثم أتى الحيرة». وقال الطبري: 2/556: «وهذه القصة في أمر الأبله وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير، وخلاف ماجاءت به الآثار الصحاح!»

14 . اخترعوا لخالد بطولات في معارك لا وجود لها ، فصرت تقرأ في تاريخ الطبري (2/557) مثلاً: وقعة المذار.. وقعة الولجة.. وقعة أليس.. وقعة أمغيشيا.. وقعة يوم المقر.. وقعة الأنبار وهي ذات العيون.. وقعة كلواذى..

وقعة عين التمر.. ووقعة دومة الجندل.. ووقعة حصيد.. ووقعة الخنافس.. ووقعة بني البرشاء.. ووقعة الثنى والزميل.. ووقعة الفرائض..

وتقرأ خوف الفرس من خالد وإرسالهم الرسل اليه ، وإرسالهم الجيوش بقيادة قادة كبار ، كالقائد قارن ، الذي برز اليه خالد لكن سبقه اليه شخص آخر وقتله قبله مع الأسف ، ولولا ذلك لقتله خالد وقطعه إرباً إرباً!

قالوا: «وخرج خالد سائراً حتى ينزل المذار على قارن في جموعه ، فالتقوا وخالد على تعبيته فاقتتلوا على حنق وحفيظة ، وخرج قارن يدعو للبراز فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النباش ، فابتدراه فسبقه إليه معقل فقتله.. وقُتلت فارس مقتلة عظيمة فضموا السفن ، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم وأقام خالد بالمذار ، وسلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت ، وقسم الفئ ونقل من الأخماس أهل البلاء ، وبعث ببقية الأخماس . عن أبي عثمان قال: قتل ليلة المذار ثلاثون ألفاً سوى من غرق! ولولا المياه لآتي على آخرهم ولم يفلت منهم من أفلت إلا عراة وأشباه العراة». (الطبري: 2/558).

وزاد ابن كثير على الطبري فقال في نهايته: 6/379: «وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار وهو على تعبيته ، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة ، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدراه الشجعان من الأمراء فقتل معقل بن الأعشى بن النباش قارناً ، وقتل عدي بن حاتم قباد ، وقتل عاصم أنوشجان ، وفرت الفرس وركبهم المسلمون في ظهورهم ، فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفاً ، وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه ، وأقام خالد بالمذار وسلم

الأسلاب إلى من قتل ، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس . وجمع بقية الغنيمة وحمَّسها وبعث بالخمسة والفتح والبشارة إلى الصديق ، مع سعيد بن النعمان أخي بني عدي بن كعب ، وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبى ذراري من حصره من المقاتلة .» .

وفي رواية للطبري: 2/562: «عن المغيرة قال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر ، قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ، ثلاثة أيام. وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلاً من بني عجل » .

«قدم خالد على المقدمة فأطاف بالخندق وأنشب القتال ، وكان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به . وتقدم إلى رماته فأوصاهم وقال: إني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب ، فارموا عيونهم ولا تَوَحَّوا غيرها ، فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا ففُقئ ألف عين يومئذ ، فسميت تلك الواقعة ذات العيون ! وتصايح القوم: ذهبت عيون أهل الأنبار ، فقال شيرزاد: ما يقولون؟ ففسر له فقال: آباذ ، آباذ ، فراسل خالداً في الصلح على أمر لم يرضه خالد ، فرد رسله ، وأتى خالد أضيح مكان في الخندق في برذايا الجيش (أي إبل النقل) فنحرها ، ثم رمى بها فيه فأفعمه (ملاًه) ، ثم اقتحم الخندق والرذايا جسورهم.. فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعلي أن لا أستبقي منهم من أقدر عليه ، حتى أُجري من دمائهم نهرهم ! فانهمزمت فارس فنأدى منادي خالد: الأسراء الأسراء ! ألا من امتنع فاقتلوه ، فأقبل بهم المسلمون أسراء ، ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوماً وليلة . فقال له القعقاع وغيره: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ، فأرسل عليها الماء تَبَرَّ يمينك ، ففعل . وسمي نهر الدم ! ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين: قد

نفلتكموه ، فتعشى به المسلمون وجعل من لم يرَ الرقاق (الخبز المرقوق) يقول: ما هذه الرقاق البيض ! وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً ، وكانت الوقعة (وقعة أليس) في صفر « ! (الكامل:2/389).

وتتعجب من جرأة هؤلاء الرواة ووقاحتهم! فلا خالد ذهب الى المذار وميسان والبصرة ، ولا كان يوجد جيش فارسي هناك ، وحتى أسماء القادة الفرس اخترعها الرواة من جيوبهم !

15. ورووا أن خالدًا خاض حرباً ، وأفطر رمضان ولم يصمه بسبب الجهاد ! قال الطبري:2/327: «ثم قصد خالد بعد الرضاب وتغلب إلى الفراض والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة ، فأفطر بها رمضان في تلك السفرة التي اتصلت له فيها الغزوات والأيام ، ونظمن نظاماً أكثر فيهن الرجاز ، إلى ما كان قبل ذلك منهن . قالوا فلما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم واغتازت واستعانوا بمن يليهم من مسالح أهل فارس ، وقد حموا واغتازوا واستمدوا تغلب وإياد والنمر فأمدوهم ، ثم ناهدوا خالدًا حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم؟ قال خالد: بل أعبروا إلينا قالوا فتنحوا حتى نعبر ، فقال خالد: لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا. وذلك للنصف من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة . فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض: إحتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل على دين وله عقل وعلم ، ووالله لينصرن ولنخذلن . ثم لم ينتفعوا بذلك فعبروا أسفل من خالد ، فلما تماموا قالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أيننا يجيئ ففعلوا ، فاقتتلوا قتالاً

شديداً طويلاً. ثم إن الله عز وجل هزمهم ، وقال خالد للمسلمين: ألحوا عليهم ولا ترفهوا عنهم ، فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزمرة برماح أصحابه ، فإذا جمعوهم قتلوهم ، فقتل يوم الفراض في المعركة وفي الطلب مائة ألف! وأقام خالد على الفراض بعد الوقعة عشراً ، ثم أذن في القفل إلى الحيرة لخمسة بقين من ذي القعدة ، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ، وأمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم ، وأظهر خالد أنه في الساقة» !

فانظر الى هذه المعركة الضخمة المزعومة ، واجه فيها خالد قوات دولتين هما الفرس والروم ، واستمدوا بثلاث قبائل عربية هي تغلب وإياد والنمر بن قاسط ، ولم يقتل فيها أحد من جيش خالد ، وقتل هو من أعدائه وفي الطلب أي الغارات التي كان يرسل فيها خيله ، مئة ألف !

لكن لا- يوجد إسم قتيل واحد منهم ، ولا- يوجد وصف للمعركة ، لا- من بدأها ولا من بارز فيها ، ومن قاد اليمين واليسار والقلب والجناحين ، ولا وصف شئ من قتالها ولا وصف بطولة واحدة لخالد بارز فيها أحداً ، أو حمل فيها !

مع أنك تجد في حملته الآتية على بني تغلب أسماء بعض الذين قتلهم وهم نائمون ! وإسمي الشخصين المسلمين اللذين قتلتهما وهما يتشهدان ودفع ديتهما أبو بكر ، وهما: « عبد العزى بن أبي رهم أخو أوس مناة ، وليد بن جرير » .

إنه لاسبب لإبهام الرواة الشديد ، إلا أن أصل المعركة مكذوبة من أجل خالد !

16. خالد متخصص في شن الغارات على العرب وليس على الروم والفرس وكل عمله في العراق كان من هذا النوع ، فلم يواجه قوات الفرس أبداً ، وأغار

على قبيلة تغلب وغدر بهم ، زاعماً أنهم ارتدوا ، فباغتهم ليلاً وقتل منهم وسبى نساءً ، كما فعل بمالك بن نويرة وحيه ، حيث آمنهم ثم غدر بهم !

قال ابن سعد في الطبقات: 1/ 316: «قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفد بني تغلب ستة عشر رجلاً، مسلمين ونصارى عليهم صلُّبُ الذهب ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث ، فصالح رسول الله (صلى الله عليه وآله) النصارى على أن يقرهم على دينهم ، على أن لا يصبغوا (يُعمّدوا) أولادهم في النصرانية ، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.

ووصف الطبري: 2/ 398، كيف احتال عليهم خالد عندما أراد أن يغدر بهم: «وعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ ، وخرج خالد من العين قاصداً إليهم ، فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمصيخ ، فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون ، من ثلاثة أوجه فقتلوهم ، وأفلت الهذيل في ناس قليل ، وكثر فيهم القتل ، وكان مع الهذيل عبد العزى بن أبي رهم أخو أوس مناة ، وليد بن جرير ، وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما ، فقتلا في المعركة ! فبلغ أبا بكر قول عبد العزى:

أقول إذ طرق الصباح بغارة \*\*\* سبحانك اللهم رب محمد

سبحان ربي لا إله غيره \*\*\* رب البلاد ورب من يتورد

فوداهما (أعطى ديتهما لأولياء الدم) وأوصى بأولادهما . فكان عمر يعتد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد! أي كان عمر يدين خالداً بذلك ، ويرى وجوب قتله قصاصاً لغدره بهؤلاء المسلمين .

هذا، وقد يكون التغلبون اعترضوا على خلافة أبي بكر كما فعلت قبائل كندة في حصر موت ، وكما فعل بنو يربوع ، فاتهمهم خالد بالارتداد ليسيهم !

وهكذا كانت معارك خالد في العراق غارات غدر على مواطنين ومزارعين عرب وغير عرب ، ولم يكن فيها معركة مع الفرس ! وكذلك في طريقه الى الشام شن غارات مباغنة على غير الروم !

لاحظ نص البلاذري: 1/130 و132: «لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة خلف المثنى بن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة ، وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمان مئة ، ويقال في ست مئة ويقال في خمس مئة . فأتى عين التمر ففتحها عنوة ، ويقال إن كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التمر فأتى صندودآء وبها قوم من كندة وإياد والعجم فقاتله أهلها فظفر ، وخلف بها سعد بن حرام الأنصاري فولده اليوم بها . وبلغ خالد أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمضيق والحصيد مرتدين عليهم ربيعة بن بجير ، فأتاهم ، فقاتلوه فهزمهم وسبى وغنم ، وبعث بالسبي إلى أبي بكر... ثم أغار خالد على قراقر وهو ماء لكلب ، ثم فوّز منه إلى سؤى وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بهراء ، فقتل حرقوص بن النعمان البهراني من قضاة واكتسح أموالهم ...

قال الواقدي: خرج خالد من سؤى إلى الكواثل ، ثم أتى قرقيسيا فخرج إليه صاحبها في خلق ، فتركه وانحاز إلى البر ومضى لوجهه ! (أي خاف وهرب منه).



وأتى خالد أركة وهي أرك فأغار على أهلها وحاصرهم ، ففتحها صلحاً على شئ أخذه منهم للمسلمين . وأتى دومة الجندل ففتحها . ثم أتى قضم فصالحه بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكتب لهم أماناً . ثم أتى تدمر فامتنع أهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمان فأمّنهم على أن يكونوا ذمة ، وعلى أن قرروا المسلمين ورضخوا لهم .

ثم أتى القريتين فقاتله أهلها فظفر وغنم . ثم أتى حوارين من سنير فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه ، وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى ، وهي مدينة حوران ، فظفر بهم فسبى وقتل .

ثم أتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم وهم نصارى فسبى وقتل . ووجه خالد بسر بن أبي أرطاة العامري من قريش وحبيب بن مسلمة الفهري إلى غوطة دمشق ، فأغارا على قرى من قراها . وصار خالد إلى الثنية التي تعرف بثنية العقاب بدمشق ، فوقف عليها ساعة ناشراً رأيته ، وهي راية كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) سوداء ، فسميت ثنية العقاب يومئذ .

وفي تاريخ دمشق: 2/68: «فمر بدومة ، فأغار عليها فقتل بها رجالاً وهزمهم ، وسبا ابنه الجودي» .

وفي تاريخ الطبري: 2/610: «ثم سار خالد على وجهه ذلك حتى أغار على غسان بمرح راهط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا عليها فربطوها حتى صالحت بصرى على الجزية وفتحها الله على المسلمين ، فكانت أول مدينة من

مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر ، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص ، وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين وعليهم تدارق أخو هرقل لأبيه وأمه .

وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين . وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين ، حتى عسكروا عليهم».

أقول: إن أبسط قارئ يرى أن خالداً يغير على الضعفاء من العرب سكان هذه القرى والديساكر الآمنة المسالمة للمسلمين ، فيقتل وينهب ويسبي ! وهذه هي كل بكولاته ، أما إذا رأى أن الطرف قوي فيهرب منه ، ويقولون إنه انحاز عنه وانكشف ولا يقول هرب ولا انهزم !

17. الصورة الحقيقية لعمل خالد في العراق: أنه دخل في أوائل السنة الثانية عشرة للهجرة ، وكانت سنة هادئة عسكرياً ، لأن الفرس كانوا مشغولين بوضعهم الداخلي ، فاقصر عمل خالد على إبرام عقود صلح مع الديساكر والمدن في المناطق التي حررها المثنى ، أو انهيار فيها الحكم الفارسي .

وكان العمل الثاني لخالد أن يرسل المثنى بن حارثة الى بعض المدن أو الديساكر التي فيها حاميات من بقايا النظام ، أو من أهلها ، فإذا انتصر عليهم جاء خالد فأبرم معهم صلحاً ، وأخذ المبلغ المرقوم !

قال الطبري: 2/573: «أقام خالد في عمله سنة ومنزله الحيرة، يُصَدِّعُ وَيُصَوِّبُ قبل خروجه إلى الشام وأهل فارس يخلعون ويملكون، ليس إلا الدفع عن بهر سير.

وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباد ، ووثن أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كل من بين كسرى بن قباد وبين بهرام جوار ، فبقوا لا يقدرّون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه».

أقول: هذا نصُّ على أن الفرس كانوا مشغولين بصراعهم على منصب الملك ، فلم يخوضوا حرباً ، إلا الدفاع عن بهر سير وهي عاصمتهم ، وهي من مجموعة المدائن .

وهذا يرد كل ما رووه عن جيوش الفرس وتحشيدهم للألوف المؤلفة التي زعموا أن خالداً واجهها وخاض معها معارك ، فلم يكن في العراق لإحاميات صغيرة ومتوسطة ، الى أن أرسلوا جيشاً بعد ذهاب خالد بنحو سنة فكانت معركة الجسر ، ثم كانت معركة القادسية بعد معركة الجسر بأكثر من سنة ، ثم كان فتح المدائن بعد معركة القادسية بسنتين !

أما إبرام خالد الصلح مع الدساكر المفتوحة وشبه المفتوحة على مبالغ ، فقد بدأ في أول دخوله الى العراق حيث أبرم صلحاً مع القرّيات ، وهي سكاكة الفعلية وما حولها وهي اليوم في السعودية وكانت قديماً من العراق . ثم دخل الى الحيرة ووقع مع حاكمها صلحاً وقبض المال ، وهكذا..

قال الطبري: 2/551: «ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة.. كتب إليه أبو بكر وخالد مقيم باليمامة.. يأمره أن يسير إلى العراق ، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقریات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وأليس ، فصالحه أهلها. وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا، وذلك في سنة اثنتي عشرة فقبل منهم خالد الجزية ، وكتب لهم كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادي ومنزله بشاطئ الفرات إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه بإعطاء

الجزية وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتك بانقيا وباروسما ألف درهم فقبلها منك ورضى من معي من المسلمين بها منك ولك ذمة الله وذمة محمد (صلى الله عليه وآله) وذمة المسلمين على ذلك..

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي ، وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتهم إليه فأنتم من المسلمين لكم مالهم وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية . فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق هي والقريات ، التي صالح عليها ابن صلوبا».

وفي معجم البلدان(4/335): «القريات ، جمع تصغير القرية: من منازل طى ، قال أبو عبيد الله السكوني: من وادي القرى إلى تيماء أربع ليال ، ومن تيماء إلى القريات ثلاث أو أربع ، قال: والقريات دومة وسكاكة والقارة».

أقول: ذكر المؤرخون مصالحات خالد الكثيرة مع عدد من المدن والقرى بمبالغ كبيرة أو صغيرة ، وكان ينفق قسماً منه ، ويرسل قسماً إلى أبي بكر ، وعندما وصل إلى الشام وصادر عمر نصف ثروته ، أقر بثمانين ألف درهم ، فصادر منه أربعين .

وينبغي الإلفات هنا إلى أن اهتمام الخليفة وقادته بالمال أمرٌ بارز في الفتوحات ، ومنه أموال الجزية التي تؤخذ على كل رأس ، وأموال الخراج التي تؤخذ على الأراضي ،

وأموال الصلح التي تؤخذ للكف عنهم وحمايتهم . وزاد عليها خالد أموال الغارات على القرى والدساكر وتشمل النهب والسبي !

تقرأ مثلاً في الطبري: 2/582: «أن خالد بن الوليد أتى الأنبار فصالحوه على الجلاء ثم أعطوه شيئاً رضي به... ثم سار إلى عين التمر ففتحها عنوة فقتل وسبي، وبعث بالسبي إلى أبي بكر فكان أول سبي قدم المدينة من العجم . وسار إلى دومة الجندل فقتل أكيدر وسبي ابنة الجودي ورجع فأقام بالحيرة . هذا كله سنة اثنتي عشرة شهراً».

وفي الطبري: 2/327: «واستبى الشرخ (الأطفال دون البلوغ) وبعث بخمس الله إلى أبي بكر مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني.. وكانت على خالد يمين لبيغتن تغلب في دارها.. وقسم خالد فيأهم في الناس ، وبعث الأخماس إلى أبي بكر مع الصباح بن فلان المزني ، وكانت في الأخماس ابنة مؤذن النمري ، وليلى بنت خالد ، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة».

وفي الطبري(2/308):«فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم . فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق».

وفي الطبري(2/319): «ولما صالح أهل الحيرة خالداً خرج صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ، حتى دخل على خالد عسكره فصالحه على بانقيا وبسما وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعاً ، واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار ، سوى الخرزة خرزة كسرى(ضريبة) وكانت على كل رأس أربعة دراهم».

وفي تاريخ دمشق: 2/87: «وسبى من عين التمر بشراً كثيراً فبعث بهم إلى أبي بكر وذلك أول سبي قدم المدينة. من ذلك السبي أبو عمرة أبو عبد الله بن أبي عمرة، وعبيد مولى المعلى ، وأبو عبيد الله مولى بني زهرة ، وخير مولى أبي داود ، ويسار مولى قيس بن مخزومة.. وكان فيهم عمير بن زيتون الذي بيت المقدس ، ويسار مولى أبي بن كعب ، وهو أبو الحسن بن أبي الحسن البصري».

وفي فتوح البلاذري: 1/131: «ثم أغار خالد على قراق وهو ماء لكلب ، ثم فوّز منه إلى سُوى وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بهراء ، فقتل حرقوص بن النعمان البهراني من قضاة ، واكتسح أموالهم» .

وفي الكامل: 2/379: «فلما فرغ من أليس سار إلى أمغيشيا، وقيل اسمها منيشيا فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله ، لأن أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك ، وأرسل إلى أبي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم والسبي وأخرب أمغيشيا ! فلما بلغ ذلك أبا بكر قال: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد».

لاحظ أن خالد بن الوليد ، القائد المسلم الفاتح ، لم يدع أحداً إلى الإسلام ولم يخير أهل القرى بين الإسلام والجزية ، وأنه أجاد المباغطة فلم يمهل أهل أمغيشيا النصرى أن يحملوا شيئاً من أموالهم فنهبها كلها ، ولما أرسلها إلى الخليفة المحترم فرح بها وقال: «عجزت النساء أن يلدن مثل خالد» !

يعني مثله في الغارة ونهب أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك ! أي نساءهم واطفالهم ! وكل ذلك باسم الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) ، وتقرباً إلى الله تعالى لهداية الناس !

لكن الرواة لم يكتفوا بأخبار جباية خالد ونهبه ، فقدموه بطلاً-قائداً مقاتلاً ، واخترعوا له بطولات ومعارك وهمية ، مع نفس هذه القرى والدساكر التي أغار عليها ونهبها وسبى منها ، وكتب معها عهد صلح !

قال الطبري: 2/562 و 563: «عن المغيرة قال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام ، وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلاً... فقدم على أبي بكر بالخبر وفتح أليس وبقدر الفئ.. قال وبلغت قتلاهم من أليس سبعين ألفاً جلهم من أمغيشيا.. بلغ سهم الفارس ألفاً وخمس مائة سوى النفل الذي نقله أهل البلاء . وقالوا جميعاً قال أبو بكر حين بلغه ذلك: يا معشر قريش ، يخبرهم بالذي أتاه: عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله . أعجزت النساء أن يُنشئن مثل خالد».

وفي أكثر المصادر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد . والخراذيل القطع الصغار ، ولعلها معربة من الخردة الفارسية ، والمعنى أن أسد العرب غلب أسد الفرس على قطع اللحم .

18. لكن عمر كان يَنَّهُم خالداً بقتل الأنفس المحترمة ، وبخيانة بيت المال! وقد طلب من أبي بكر القصاص منه لأنه قاتل ، واتهمه بخيانة المسلمين وسوء الأمانة ! وعندما صار خليفة بادر الى مصادرة نصف أمواله !

قال في الإصابة: 2/218: «وكان سبب عزل عمر خالداً ما ذكره الزبير بن بكار قال: كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم، ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً».

وينبغي الإلفات الى أن النظرة المادية كانت حالة طاغية على تفكير قريش والجزيرة ، حتى قال أمير المؤمنين (عليه السلام) إن أكثرهم لم يؤمنوا بالإسلام حتى رأوا صدق وعد النبي (صلى الله عليه و آله) بالفتوحات وأموالها ورفاهيتها ، فلانت قلوبهم !

قال (عليه السلام) كما في شرح النهج (20/298): «ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلماً إلى العز والأمرة، لما عبت الله بعد موته يوماً واحداً، ولا ردت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً».

ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا! ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها! «!

والقارح والبازل من الإبل كبير السن، والجذع والبكر صغيرها. وهو مثل للتراجع.

19. وتعمدت روايات السلطة أن تصور خالداً على أنه بطل فتوحات العراق، ولم تنس أن تعد من قادة جيشه الأبطال: ضرار بن الأزور وزيد بن الخطاب اللذين دفنهما خالد في اليمامة!

قال الطبري (2/571): «كانت الثغور في زمن خالد بالسَّيب (منطقة في الكوفة) بعث ضرار بن الأزور، وضرار بن الخطاب، والمثنى بن حارثة، وضرار بن مقرن، والقعقاع عمرو، وبسر بن أبي رهم، وعتيبة بن النهاس، فنزلوا على السيب في عرض سلطانه، فهؤلاء أمراء ثغور خالد، وأمرهم خالد بالغارة والإلحاح، فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطئ دجلة».

أقول: نعم كان أكثر هؤلاء مع خالد في العراق، وقد مخروا بعض مناطقه، لكن بغارات على الضعفاء المسالمين ولم يخوضوا أي معركة كبيرة، ما عدا المثنى الذي ركز عملياته على مسالح الفرس ثم جيشهم.



بل زعموا أن خالدًا فتح المدائن ، مع أنها فتحت بعد ذهابه من العراق بأربع سنوات ، لأنها معركة الجسر بعد ذهابه بسنة، وفتح المدائن بعدها بثلاث سنين!

20. واخترع خالد صلاةً فتحير فيها فقهاء السلطنة ، ولم يفهموها الى يومنا هذا! فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق: 16/247: «عن الشعبي قال: لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمان ركعات لا يسلم فيهن! ثم انصرف وقال: لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف! وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أليس».

وقال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي/64: «لكن صلاة خالد هذه رواها سيف ويريد بها صلاة الفتح.. وصلاة الفتح هذه لفظة منكورة ، فليس في الإسلام ما يسمى بصلاة الفتح! فهذه صلاة مبتدعة وهذه الرواية صحيحة» .

21. وزعم خالد لنفسه الانتصارات ، وأن سببها أنه يحمل من شعر النبي (صلى الله عليه وآله) في قلنسوته! ففي مستدرک الحاكم: 3/299: «أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: أطلبوها فلم يجدوها، ثم طلبوها فوجدوها ، وإذا هي قلنسوة خَلِقة (قديمة) فقال خالد: اعتمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فحلق رأسه ، وابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي ، إلا رزقت النصر».

وفي مغازي الواقدي: 2/883: «خرج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع فلما حلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأسه أعطاه ناصيته فكانت في مقدم قلنسوته ، فكان لا يلقى

أحداً إلا هزمه الله تعالى . ولقد قاتل يوم اليرموك فوقعت قلنسوته فجعل يقول: القلنسوة ، القلنسوة! فقبل له بعد ذلك: يا أب سليمان عجباً لطلبك القلنسوة وأنت في حومة القتال! فقال: إن فيها ناصية النبي (صلى الله عليه وآله) ولم ألق بها أحداً إلا ولّى».

22. وقد بينا عدم صحة بطولته المزعومة في معركة طليحة ، في حرب اليمامة وأن الفعل المؤثر كان لعدي بن حاتم رضي الله عنه وقبيلته طيئ والأنصار، فنسبت الحكومة ذلك الى خالد ! مع أنهم اعترفوا بأنه سيطر عليه الخوف وسرى منه الى جيشه ، عندما قتل طليحة الفارسيين اللذين ذهبوا للإستطلاع ، فرجع خالد بجيشه من قرب بزاخة ، وذهب الى طيئ يطلب معونتهم.

قال الطبري(2/484):«وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلاً فلم يفظنوا له حتى وطأته المطي بأخفافها، فكبر ذلك على المسلمين، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن محصن صريعاً، فجزع لذلك المسلمون.. لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعكاشة قال لهم: هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حيي من أحياء العرب ، كثير عددهم شديدة شوكتهم، لم يرتد منهم عن الإسلام أحد؟ فقال له الناس:ومن هذا الحي الذي تعنى فنعم والله الحي هو؟قال:لهم طئ . فقالوا: وفقك الله ، نعم الرأي رأيت ، فانصرف بهم حتى نزل بالجيش في طئ».

وبزاخة معسكر طليحة ، في أول نجد ، وجبال طيئ في جهة العراق والأردن !

وقد تقدم بالتفصيل فضح ما ادعاه خالد ، وما ادعوه له في معركة اليمامة .

23. وروينا بطولة خالد ، لكن في هجومه على بيت الزهراء (عليها السلام) ! فقد روى العياشي في تفسيره: 2/ 66 ، والمفيد في الإختصاص/185، عن أبي المقدم ، قال: «ما أتى

على علي (عليه السلام) يوم قط أعظم من يومين أتياه ، فأما أول يوم فاليوم الذي قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأما اليوم الثاني ، فوالله إنني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبايعونه ، إذ قال له عمر: يا هذا ليس في يدك شئ ما لم يبايعك علي! فابعث إليه حتى يأتيك يبايعك فإنما هؤلاء رعا ، فبعث إليه قنفذ فقال له: إذهب فقل لعلي: أحب خليفة رسول الله .

فذهب قنفذ فما لبث أن رجع فقال لأبي بكر: قال لك: ما خلف رسول الله أحداً غيري! قال: إرجع إليه فقل: أحب، فإن الناس قد أجمعوا على بيعتهم إياه وهؤلاء المهاجرون والأنصار يبايعونه وقريش، وإنما أنت رجل من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم ، فذهب إليه قنفذ ، فما لبث أن رجع فقال قال لك: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي وأوصاني إذا واريته في حفرته ، لا أخرج من بيتي حتى أولف كتاب الله ، فإنه في جرايد النخل وفي أكتاف الإبل .

قال عمر: قوموا بنا إليه ، فقام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وخالد بن الوليد ، والمغيرة بن شعبة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة، وقنفذ ، وقمت معهم فلما انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة (عليها السلام) فأغلقت الباب في وجوههم، وهي لاتشك أن لا يدخل عليها إلا بإذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره وكان من سعف ، ثم دخلوا فأخرجوا علياً ملبياً!

فخرجت فاطمة فقالت: يا أبا بكر أتريد أن ترمّني من زوجي، والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرن شعري ولأشقنّ جيبي ولآتين قبر أبي ولأصيحنّ إلى ربي ، فأخذت بيد الحسن والحسين وخرجت تريد قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فقال عليّ لسلمان: أدرك ابنة محمد (صلى الله عليه وآله) فإني أرى جنبتي المدينة تكفيان ، والله إن نشرت شعرها

وشقت جيبها وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربها ، لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها ! فأدركها سلمان فقال: يا بنت محمد إن الله إنما بعث أباك رحمةً فارجعي . فقالت: يا سلمان يريدون قتل علي! ما على عليّ صبر ، فدعني حتى آتي قبر أبي ، فأشعر شعري وأشق جيبتي وأصيح إلى ربي! فقال سلمان: إني أخاف أن يخسف بالمدينة ، وعليّ بعثني إليك ويأمرك أن ترجعي إلى بيتك وتنصرفي . فقالت: إذا أرجع وأصبر وأسمع له وأطيع .

قال: فأخرجوه من منزله ملبباً ومروا به على قبر النبي (صلى الله عليه وآله) قال فسمعتة يقول: يا ابنَ أمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَصَدَّ عَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي.. إلى آخر الآية .

وجلس أبو بكر في سقيفة بني ساعدة وقدم عليّ فقال له عمر: بايع ! فقال له علي: فإن أنا لم أفعل فمَهْ؟

فقال له عمر: إذا أضرب والله عنقك !

فقال له علي: إذا والله أكون عبد الله المقتول وأخا رسول الله.

فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم وأما أخو رسول الله فلا، حتى قالها ثلاثاً! فبلغ ذلك العباس بن عبد المطلب ، فأقبل مسرعاً يهرول فسمعتة يقول: إرفقوا بابن أخي ولكم عليّ أن يبايعكم ، فأقبل العباس وأخذ بيد علي فمسحها على يد أبي بكر ، ثم خلوه مغضباً .

وقال السيد مرتضى في مأساة الزهراء (عليها السلام) (1/226): «ذكر لنا التاريخ أسماء عدد من المهاجمين مثل: أبي بكر ، عمر ، قنذ ، أبي عبيدة بن الجراح ، سالم مولى أبي حذيفة ، المغيرة بن شعبة ، خالد بن الوليد ، عثمان ، أسيد بن حضير ، معاذ بن

جبل ، وعبد الرحمان بن عوف ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ومحمد بن مسلمة ، وهو الذي كسر سيف الزبير ، وزيد بن أسلم ، وعياش بن ربيعة ، وغيرهم».

فقد كان خالد معهم ، كما كان قبل عشر سنوات مع المتأمرين البضعة عشر من قبائل قريش ، لقتل النبي (صلى الله عليه وآله) .

24. وروينا بطولة خالد في محاولة اغتيال أمير المؤمنين (عليه السلام) وذلك بأمر أبي بكر ! قال السيد مرتضى في مأساة الزهراء (عليها السلام) : (1/228): «وقد تأمروا أيضاً على قتل علي (عليه السلام) على يد خالد بن الوليد ، وهو يصلي في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، حينما نطق أبو بكر قبل التسليم قائلاً: لا يفعلن خالد ما أمرته !

وقد أفتى أبو حنيفة بجواز التكلم قبل التسليم استناداً إلى هذه القضية كما يقال وأفتى سفيان الثوري استناداً إلى هذه القضية أيضاً ، بأن من أحدث قبل التسليم وبعد الشهد ، فصلاته تامة».

ويقصد ما رواه عدد من مصادرنا، ومنها الإحتجاج للطبرسي: 1/118، قال: «وروي أن أبا بكر وعمر بعثا إلى خالد بن الوليد، فواعدها على قتل علي (عليه السلام) وضمن ذلك لهما فسمعت ذلك الخبر أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر في خدرها، فأرسلت خادمة لها ، وقالت ترددي في دار علي وقولي له: إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ.. ففعلت الجارية وسمعتها علي (عليه السلام) فقال: رحمها الله ، قولي لمولاتك: فمن يقتل الناكثين والمارقين والقاسطين؟!»

ووقعت المواعدة لصلاة الفجر إذ كان أخفى ، واختيرت للسدفة والشبهة فإنهم كانوا يُعَلِّسُونَ بالصلاة حتى لاتعرف المرأة من الرجل، ولكن الله بالغ أمره . وكان أبو بكر قال لخالد بن الوليد: إذا انصرف من صلاة الفجر فاضرب

عنى علي. فصلى إلى جنبه لأجل ذلك وأبو بكر في الصلاة يفكر في العواقب فندم، فجلس في صلاته حتى كادت الشمس تطلع، يتعقب الآراء ويخاف الفتنة ولا يأمن على نفسه، فقال قبل أن يسلم في صلاته: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به، ثلاثاً. وفي رواية: لا يفعلن خالد ما أمر به!

فالتفت علي (عليه السلام) فإذا خالد مشتمل على السيف إلى جانبه، فقال: يا خالد ما الذي أمرك به؟ قال: بقتلك! قال: أو كنت فاعلاً؟ فقال: إي والله لولا أنه نهاني لوضعت في أكثرك شعراً! فقال له علي (عليه السلام): أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا ما سبق به القضاء، لعلمت أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً.

وفي رواية لأبي ذر: أن أمير المؤمنين أخذ خالداً بأصبعيه السبابة والوسطى في ذلك الوقت، فعصره عصراً فصاح خالد صيحة منكراً، ففزع الناس وهمتهم أنفسهم وأحدث خالد في ثيابه، وجعل يضرب برجليه الأرض ولا يتكلم!

أقول: يظهر أن هذا الخبر كان معروفاً من قديم، فقد روى السمعاني في الأنساب (3/95) عن ابن حبان قال: «عباد بن يعقوب الرواجني من أهل الكوفة، يروي عن شريك حدثنا عنه شيوخنا، مات سنة خمسين ومائتين في شوال، وكان رافضياً داعية إلى الرفض، ومع ذلك يروي المناكير عن أقوام مشاهير فاستحق الترك، وهو الذي روى عن شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. قلت: روى عنه جماعة من مشاهير الأئمة مثل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، لأنه لم يكن داعية إلى هواه، وروى عنه حديث أبي بكر أنه قال: لا يفعل خالد ما أمر به. سألت

الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني بالكوفة عن معنى هذا الأثر، فقال: كان أمر خالد بن الوليد أن يقتل علياً، ثم ندم بعد ذلك فنهى عن ذلك .((

هذا، وقد رويت روايات متفاوتة فيما فعله علي (عليه السلام) بخالد على أثرها، ومنها أنه طوق عنقه بعمود حديد غليظ، فلم يستطيعوا فكّه حتى توسط العباس عند علي (عليه السلام)، وفي بعضها طلب منه أبو بكر فكّه . ونحن نقبله إذا صح سنده، فليس هو بأعجب من دحي علي (عليه السلام) باب خبير ثم حملة وجعله جسراً للجيش . وقد رويت أعاجيب عن قوته البدنية (عليه السلام) .

ففي المناقب (2/121): «فلما ترعرع (عليه السلام) كان يصارع الرجل الشديد فيصرعه.. وربما يلحق الحصان الجاري فيصدمه فيرده على عقبه.. لم يمسك بذراع رجل قط إلا أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس.. ويقال أنه كان يتأبط باثنين ويدير واحداً برجله.. ثم روى عن أبي سعيد الخدري وجابر الأنصاري وعبد الله بن عباس من خبر طويل قصة تطويقه لعنق خالد بعمود حديد، وأنه بقي في عنقه أياماً حتى شفع له أبو بكر فأقسم عليه فقبض على رأس الحديد من القطب فجعل يفتل منه يمينه شبراً شبراً فيرمي به!

25. برز من أولاد خالد ابنه عبد الرحمن، وكان قائد جيش معاوية في صفين، وأحبه أهل الشام فطلبوا من معاوية أن يجعله ولي عهده، فقتله بالسم على يد طبيب مسيحي، فجاء أخوه المهاجر من مكة وقتل الطبيب . وكان المهاجر شيعياً صلباً شهد مع علي (عليه السلام) حرب الجمل وصفين، وأولاده شيعة. (الإستيعاب:4/1453). وأم المهاجر أسماء الخثعمية، وليست أم تميم زوجة مالك بن نويرة، ولا زوجته الأخرى مية بنت مجاعة الحنفي . (تاريخ دمشق:61/264).

## سعد بن أبي وقاص قائد عيرته زوجته بالجبن

1. سعد بن أبي وقاص ويكنى أبا إسحاق ، وإسم أبي وقاص مالك بن أهيب ، بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب . وعبد مناف الذي في نسب بني زهرة غير عبد مناف الجد المشترك لبني هاشم وأمّية .

قال رواة السلطة إن سعداً أسلم وهو شاب ابن 17 سنة (المنتظم: 5/281) وقال ابنه محمد: « قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً ». (الطبري: 2/60) .

وقال ابن حجر في الإصابة: 3/61: «وأمه حمنة بنت سفيان بن أمّية ، بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمّية». وقد عاشت طويلاً ولم تسلم (فتح الباري: 7/66) .

وقالوا غضبت عليه وقالت له: « يا سعد بلغني أنك قد صبأت ، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ، وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد » . فشكى سعد الى النبي (صلى الله عليه وآله) فعل أمه، فنزلت آية تأمر ببر الوالدين وعدم طاعتهم في الكفر . (الكشاف: 3/198) .

ثم تحيروا في أي آية نزلت ، لأن المطلوب آية نزلت في الوقت المبكر الذي فرضه سعد لإسلامه ! وآية الأمر بالإحسان الى الوالدين وتحريم قول أف لهما ، في سورة الإسراء: 23، وآية: وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا في سورة العنكبوت: 8 ، ولقمان: 15، وآية: اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ.. في لقمان: 14. وآية: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا.. في الأحقاف: 15.

وكل هذه السور متأخرة عن توقيتهم لإسلام سعد ، ولذلك داخ مشايخهم!



وقد أطل بحث ذلك ابن حجر ولم يصل الى نتيجة مقنعة (فتح الباري:10/335).

هذا ، وقد طعن عبد الله بن مسعود في أم سعد ، عندما كان والي بيت المال في الكوفة فاستقرض منه سعد مبلغاً ، وطالبه بعد مدة فلم يسدده ، وأهانه فقال له: يا ابن حمنة! وهو تشكيك بنسبته الى أبيه! وكان التشكيك بأبيه من زمن النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقد قال سعد إنه شكى ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له إن أمك بريئة!

قال سعد كما في الرياض النضرة للمحب الطبري(4/319) قلت للنبي (صلى الله عليه وآله): «من أنا يا رسول الله؟ قال أنت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة؛ من قال غير ذلك فعليه لعنة الله . أخرجه الضحاك . أمه حمنة بنت سفيان بن أبي أمية بن عبد شمس . قاله ابن قتيبة والدارقطني وغيرهما» .

ولكن رواية سعد هذه تزيدنا الشك في الأمر ، ولا ترفعه!

وقال مفلح بن راشد في إلزام النواصب/171: «وقد نسبوا سعداً إلى غير أبيه وأنه من رجل من بني عذرة كان خدناً لأمه ، ويشهد بذلك قول معاوية له حين قال سعد لمعاوية: أنا أحق بذلك الأمر منك ، فقال له معاوية: يابى عليك ذلك بنو عذرة ، وضرط له! روى ذلك النوفل بن سلمان .» . يقصد أنك لست قرشياً!

2. كان سعد قصيراً ، غليظاً ، أسمر ، أفتس ، أشعر الجسد ، يخضب السواد ،

هكذا وصفته ابنته ، والرواة ، ومنهم ابن الجوزي في كتاب المنتظم (5/281).

وكان صاحب قوس وصيد ، وقد أمره النبي (صلى الله عليه وآله) على بعض سراياه ، وزعموا أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله ، في السرية التي أرسلها النبي (صلى الله عليه وآله) بأمرة

عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فاعترضت قافلة لقريش ، ولم يكن بينهم قتال ، وتراموا ببعض السهام ، فقتل إن سعداً جرح أحدهم بسهمه !

3. وهناك مشكلة أخرى في نسب سعد، فقد قيل إن بني وقاص ليسوا من زهرة بل من بني عذرة ، كما ذكر بعض النسابين ، وقد حكم به عبد الله بن مسعود .

وقد روى في شرح نهج البلاغة:6/55 ، قول حسان في عتبة بن أبي وقاص:

«فمن عاذري من عبد عذره بعدما \*\*\* هوى في دجوجي شديد المضايق

وأورث عاراً في الحياة لأهله \*\*\* وفي النار يوم البعث أم البوائق

ثم قال: وإنما قال عبد عذرة ، لأن عتبة بن أبي وقاص وإخوته وأقاربه في نسبهم كلام ، ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة ، وأنهم أدياء في قريش ، ولهم خبر معروف ، وقصة مذكورة في كتب النسب..وتنازع عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص في أيام عثمان في أمر فاختصما ، فقال سعد لعبد الله: أسكت يا عبد هذيل ، فقال له عبد الله: أسكت يا عبد عذرة».

وروا أن عمر قال إن سعد لا يصلح للخلافة ، لأنه يقال إنه من بني عذرة ، كما أن معاوية حكم بنفي بني وقاص عن بني زهرة وقريش !

روى المسعودي في مروج الذهب:1/353 ، عن ابن إسحاق: «لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد ، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندرة ، فأجلسه معه على سريره ، ووقع معاوية في علي وشدة في سبّه ، فرحف سعد ثم قال: أجلسني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي ، والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن

أكون صهراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن لي من الولد ما لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي ما قاله يوم خيبر: لأعطينَ الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار ، يفتح الله على يديه ، أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي ما قال له في غزوة تبوك: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، أحبُّ إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس . وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ، ثم نهض... عن ابن عائشة وغيره ، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له: أفعد حتى تسمع جواب ما قلت: ما كُنتَ عندي قَطُّ أُمّ منكَ الآن ، فهلا نصرته ، ولمَ قعدت عن بيعته ، فإني لو سمعت من النبي مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت! فقال سعد: والله إني لأحق بموضعك منك ، فقال معاوية: يأيُّ عليك ذلك بنو عذرة! وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة..وفي ذلك يقول السيد بن محمد الحميري :

سائل قريشاً بها إن كنت ذا عمه \*\*\* منْ كان أنبتهَا في الدين أو تآدا

من كان أقدمها سلماً ، وأكثرها \*\*\* علماً ، وأطهرها أهلاً وأولادا

من وحّد الله إذ كانت مكذبة \*\*\* تدعو مع الله أو ثانا وأندادا

من كان يُقدِّم في الهيحاء إن نكلوا \*\*\* عنها وإن بخلوا في أزمة جادا

من كان أعدلها حكماً ، وأقسطها \*\*\* حلماً ، وأصدقها وعداً وإيعادا

إن يصدّقوك فلم يعدوا أبا حسن \*\*\* إن أنت لم تلق للأبرار حسادا

إن أنت لم تلق من تيمم أخا صلف \*\*\* ومن عدي لحق الله جحّادا

أو من بني عامر أو من بني أسد \*\*\* رَهْط العبيد ذوي جهل وأوغادا

أورَهْط سعد وسعد كان قد علموا \*\*\* عن مستقيم صراط الله صدّادا

قوم تَدَاعَوْا زَنيماً ثم سادهم \*\*\* لولا خمول بني زهر لما سادا

وكان سعد ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن سلمة ، ممن قعد عن علي بن أبي طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القَعَاد وذلك أنهم قالوا: إنها فتنة ، ومنهم من قال لعلي: أُعْطِنَا سِيوفاً نقاتل بها معك ، فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم وتَبَّتْ عن أجسامهم ، وإذا ضربنا بها الكافرين سَرَتْ في أبدانهم ، فأعرض عنهم علي وقال: وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ .»

4. مع معرفة سعد بفضل علي (عليه السلام) فقد كان يكرهه ، لأنه قتل من أخواله في بدر! فقد جعله عمر أحد أعضاء الشورى ، الذين عيّنهم ليختاروا خليفته منهم، وأعطى حق النقض لعبد الرحمن بن عوف. (الإستيعاب:2/606).

فوصفهم علي (عليه السلام) بقوله كما في نهج البلاغة(1/35): «حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أي أحدهم! فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب في مع الأول منهم ، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر! لكنني أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن !»

قال الشريف المرتضى في رسائله (2/111): «أراد المائل إلى صهره عبد الرحمن بن عوف الزهري، فإنه كان بينه وبين عثمان مصاهرة معروفة ، فعقد له الأمر ومال

إليه بالمصاهرة. والذي مال إليه لضغنه إنما هو سعد بن أبي وقاص الزهري ، فإنه كان منحرفاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو أحد من قعد عن بيعته في وقت ولايته».

5. امتنع سعد عن بيعة علي (عليه السلام) ونصرته ، فتركه علي (عليه السلام) ولم يجبره على البيعة . وكان سعد يتقرب اليه ليوليه فلم يوله وأخبره أن ابنه عمر سيقتل الحسين (عليه السلام) ! «كان (عليه السلام) يخطب الناس وقال: سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله ماتسألوني عن شئ مضى ولا- شئ يكون إلا- نبأتكم به . قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنك ستسألني عنها ! وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس ! وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني ! وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه» . (أمالي الصدوق/ 196).

6. أدان سعد سب معاوية لعلي (عليه السلام) ، وشهد ببعض أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) فيه وحديثه مشهور في صحيح مسلم (7/120) وغيره: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له على: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان! فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال فتطاولنا لها فقال: أدعوا لي علياً فأتى به أرمم فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية: فقل

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال: اللهم هؤلاء أهلي».

وروى في مروج الذهب (1/354) عن ابن عائشة وغيره ، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم، ضَرَطَ له معاوية (أي سخر به بصوت من فمه) وقال له: «أقعد حتى تسمع جواب ما قلت: ما كُنْتُ عندي قَطُّ أُم منكَ الآن فهلا نصرته، ولمَّ قعدت عن بيعته؟فإني لو سمعت من النبي مثل الذي سمعت فيه ، لكنك خادماً لعلي ما عشت! فقال سعد: والله إني لأحق بموضعك منك ! فقال معاوية: يابى عليك ذلك بنو عذرة! وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة».

وفي تاريخ دمشق:20/360: عن المدني قال:«حج معاوية بن أبي سفيان فمر بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا أبا عباس إنك لم تعرف حقنا من باطل غيرنا، فكنت علينا ولم تكن معنا ، وأنا ابن عم المقتول ظلماً يعني عثمان بن عفان وكنت أحق بهذا الأمر من غيري ! فقال ابن عباس: اللهم إن كان هكذا فهذا وأوماً إلى ابن عمر أحق بها منك ، لأن أباه قتل قبل ابن عمك ! فقال معاوية: ولا سواء ، إن أبا هذا قتله المشركون وابن عمي قتله المسلمون . فقال ابن عباس: هذا والله أبعد لك ، وأدحض لحجتك !

فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقنا وجلس فلم تكن معنا ولا علينا ! قال فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ فأنحتها حتى انكشفت ، قال فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عز وجل إخ ! قال فقال سعد: أما إذا أبيت فإنني

سمعت رسول الله يقول لعلي: أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار! قال فقال معاوية: لتأتيني على هذا بينة! قال فقال سعد: هذه أم سلمة تشهد على رسول الله. فقاموا جميعاً فدخلوا على أم سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله ، وهذا سعد يذكر عن النبي ما لم نسمعه أنه قال يعني لعلي: أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار . فقالت أم سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله لعلي! قال فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت أؤمك الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله وجلست عن علي! لو سمعت هذا من رسول الله لكنت خادماً لعلي حتى أموت»!

وأورده ابن كثير في النهاية: 8/84 ، وضعفه على تردد بدون ذكر السبب! إلا ما تربي عليه من بغض علي (عليه السلام) قال: «وفي إسناد هذا ضعف والله أعلم»!

أقول: هذا الحوار بين سعد ومعاوية يكفي لكشف شخصيتيهما ، فمعاوية يقول له: لماذا أنت لئيم متناقض ، تشهد لعلي بما شهدت به ثم لاتبايعه ولا تنصره ، فلو أنني سمعت من النبي (صلى الله عليه وآله) ما سمعته أنت فيه لكنت خادماً له كل حياتي! أي أن الحجة تامة على سعد بما رواه ، فيجب عليه طاعة علي (عليه السلام)!

وكان ينبغي لسعد أن يعترف بتناقضه ويقول لمعاوية: والحجة عليك أيضاً تامة بما رويت لك عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، فلماذا خرجت على عليّ وحاربتة؟

لكنه اختار الجواب من زاوية أخرى فقال له: أنا وأنت ظلمنا علياً من أجل الخلافة وخالفنا منطق النبوة واخترنا منطق قريش القبلي ، وأنا بها المنطق أحق بها منك لأنني أحد أعضاء الشورى الذين رشحهم عمر زعيم قريش للخلافة!

فأجابه معاوية إجابة قاصعة فطعن في نسبه وقال له: يأبى عليك أنك من بني عذرة ولست قرشياً من بني زهرة كما تدعي!

7. زعموا أن النبي (صلى الله عليه وآله) بشر عشرة قرشيين بالجنة، وجعلوا سعداً أحدهم. روى ذلك سعيد بن نفييل ابن عم عمر، وعد نفسه وسعداً منهم. وقد رد حديثه علي (عليه السلام) وقال إن سعيداً كذبه في خلافة عثمان.

فقد روى في الإحتجاج: 1/237: «لما التقى أمير المؤمنين (عليه السلام) أهل البصرة يوم الجمل، نادى الزبير يا أبا عبد الله أخرج إليّ، فخرج الزبير ومعه طلحة. فقال لهما: والله إنكما لتعلمان وأولوا العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر، أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد (صلى الله عليه وآله)، وقد خاب من افتري. قالوا: كيف نكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنة؟! فقال: لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم. فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفييل وهو يروي أنه سمع من رسول الله يقول: عشرة من قريش في الجنة؟ قال علي (عليه السلام): سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته.

فقال الزبير: أفتراه كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال له علي (عليه السلام): لست أخبرك بشئ حتى تسميهم. قال الزبير: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفييل. فقال له علي (عليه السلام): عددت تسعة فمن العاشر؟ قال له: أنت. قال علي (عليه السلام): قد أقررت أنني من أهل الجنة، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين! قال له: أفتراه كذب على رسول الله؟ قال: ما أراه كذب ولكنه والله اليقين! فقال علي (عليه السلام): والله إن بعض من سميته لفي



تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنم ، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخرة ! سمعت ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك ، وإلا أظفرتني الله عليك وعلى أصحابك وسفك دمانكم على يدي ، وعجل أرواحكم إلى النار ! فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي « !

8. أسرة سعد بن أبي وقاص أسرة عجيبة ، فمنها سعد كبيرهم الذي ستعرفه ، ومنها ابن أخيه هاشم بن عتبة ، البطل الشيعي الفاتح ، الذي ستعرفه .

ومنها عتبة والد هاشم وأخ سعد ، وكان شديد العداوة للنبي (صلى الله عليه وآله) وقد تعاقد مع نفر من عتاة قريش منهم والد الزهري ، على قتل النبي (صلى الله عليه وآله) في معركة أحد .

قال المقرئ في إمتاع الأسماع (14/339): «ومن أعداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبد الله بن شهاب..الزهري..وعتبة بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف ، وعبد الله بن شهاب الزهري ، وعمرو بن قنينة الأدمي من بني تميم..وعبد الله بن حميد بن زهير.. بن أسد بن عبد العزى بن قصي.. وذلك أنه لما كان يوم أحد تعاقد هؤلاء مع أبي بن خلف على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله)!

أما عتبة بن أبي وقاص فرماه بأربعة أحجار ، فكسر ربايعته اليمنى السفلى ، وشق شفته السفلى . وأما ابن قنينة فكلم جنتيه (صلى الله عليه وآله) وغيب حلق المغفر فيهما ، وعلاه بالسيف فلم يقطع ، وسقط رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجحشت ركبته (رُضَّت).

وأما أبي بن خلف فشد بحربة ، فأعان الله عز وجل رسوله (صلى الله عليه وآله) فقتله .

وأما عبد الله بن حميد فأقبل يريد النبي (صلى الله عليه وآله) فشد عليه أبو دجانة فضربه وقال: خذها وأنا ابن خرسة ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : اللهم ارض عن ابن خرسة ، فإني عنه

راض . قال الواقدي: دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الذين تعاقدوا على قتله فقال: اللهم لا تُحِلْ أحداً منهم الحول ، فمات عتبة من وجع أليم أصابه فتعذب به، وأصيب ابن قمنة في المعركة ، ويقال إنه لما رمى مصعب بن عمير فقتله قال: خذها وأنا ابن قمنة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أقمأه الله، فعهد إلى شاة ليحلبها بعد الوقعة فنطحته وهو معتقلها فقتلته ، ووجد ميتاً بين الجبال».

أقول: نفى الإمام الباقر (عليه السلام) أن تكون رباعية النبي (صلى الله عليه وآله) كُسرَت وقال « قبضه الله سليماً » (معاني الأخبار/406). ويظهر أن سنه تخلخلت . وقد بينا في السيرة النبوية هروب جميع الصحابة بمن فيهم سعد ، ما عدا علي (عليه السلام) وأبي دجاجة ونسيبة ، وقد جُرِحَا . وجاء علي (عليه السلام) وأصعد النبي (صلى الله عليه وآله) من الحفرة ، وأمره جبرئيل أن يستطل بالصخرة ، وأن يقاتل علي (عليه السلام) وحده ويرد الحملات التي تستهدف قتله .

وقال في شرح نهج البلاغة:6/55: «عتبة بن أبي وقاص ، الذي كسر رباعية رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أحد ، وكلم شفثيه وشج وجهه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى ربهم.. وقال حسان بن ثابت في ذلك اليوم :

إذا الله حيا معشراً بفعالهم \*\*\* ونصرهم الرحمن رب المشارق

فهدك ربي يا عتيب بن مالك \*\*\* ولقائك قبل الموت إحدى الصواعق

بسطت يميناً للنبي محمد \*\*\* فدميت فاه قطعت بالبوراق

فهلا ذكرت الله والمنزل الذي \*\*\* تصير إليه عند إحدى الصواعق

فمن عاذري من عبد عذره بعدما \*\*\* هوى في دجوجي شديد المضايق

وأورث عاراً في الحياة لأهله \*\*\* وفي النار يوم البعث أم البوائق

وإنما قال عبد عذرة، لأن عتبة بن أبي وقاص وإخوته وأقاربه في نسبهم كلام، ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة، وأنهم أدياء في قريش».

وفي سيرة ابن هشام: 3/598: «وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص، وذكر أربعة أبيات وقال: «تركنا منها بيتين أفدع فيهما».

وقد تركهما من أجل سعد، ولكن عمر ومعاوية وابن مسعود، صرحوا بمضمونهما!

9. وكان يفتخر برمييه يوم أحد ويقول: «تَدَّ لَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) كَنَانَتَهُ يَوْمَ أَحَدٍ وَقَالَ إِرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي». (سنن النسائي: 6/57) مع أنه هرب وترك النبي (صلى الله عليه وآله)! (راجع معركة أحد في السيرة النبوية عند أهل البيت (عليهم السلام)).

وقد زعم سعد أنه رجع إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ورمى عنه بألف سهم، ففداه النبي (صلى الله عليه وآله) بأبيه وأمه، ودعا له أن يسدد الله سهمه ويستجيب دعوته، فصار سهمه مسدداً ودعوته مستجابة!

وقد بالغ رواة السلطة بحديثه وصححه الحاكم على شرط مسلم (3/26) وجاء فيه: «قال: لما جال الناس (فروا) عن رسول الله تلك الجولة يوم أحد تنحيت (من بين الفارين) فقلت: أذود عن نفسي فإما أن أستشهد وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله، فبينما أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه، ما أدري من هو فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبه، ملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فنكبوا على أعقابهم القهقري حتى يأتوا الجبل! ففعل ذلك مراراً، ولا أدري من هو وبيني وبينه المقداد بن الأسود، فبينما أنا أريد أن أسأل المقداد عنه إذ قال المقداد: يا سعد هذا رسول الله يدعوك. فقلت: وأين هو؟ فأشار لي المقداد إليه فقامت

ولكأنه لم يصبني شئ من الأذى ، فقال رسول الله: أين كنت اليوم يا سعد؟ فقلت: حيث رأيت يا رسول الله (هارباً). فأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول: اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله يقول: اللهم استجب لسعد اللهم سدد لسعد رميته ، إيهماً سعد ، فذاك أبي وأمي . فما من سهم أرمى به إلا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اللهم سدد رميته وأجب دعوته . إيهماً سعد . حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما في كنانته فنبتلني سهماً نضياً ، قال: وهو الذي قد ريش وكان أشد من غيره . قال الزهري: إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

أقول: معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله) لسعد حسب قوله: أين كنت اليوم يا سعد؟ أن سعداً كان مع الفارين من الضحى الى ما بعد الظهر، وقد عاد بعضهم بعد انسحاب قریش عصرأ! ولا يصح قول سعد إنه جلس أمام النبي (صلى الله عليه وآله) ورمى العدو لأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في ظل الصخرة وكان المشركون بعيدين عنه لا تصل اليهم السهام ، فكانت الكتيبة منهم تحمل على النبي (صلى الله عليه وآله) فيردها عليّ وجبرئيل (عليهما السلام) ، فكيف تصل اليهم سهام سعد وهو جالس كما زعم في حوض النبي (صلى الله عليه وآله)!

فلا الوقت الذي رجع فيه من هروبه وقت رمي سهام ، ولا مكانه ، ولا سمعنا أن قرشياً جرح بسهم من سهام سعد!

ونلاحظ أنه لم يرو أحد غير سعد أنه رجع من فراره في أحد ، ولا روي أنه شارك في الصلاة على شهداء أحد بعد الظهر .

كما لا يصح ما قاله سعد وصححه مجمع الزوائد (9/155) من أن مشركاً جاء يسب المسلمين ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لسعد: « إرم فداك أبي ، قال: فنزعت بسهم ليس فيه نصل ، فأصبت جنبه فوق وقع وانكشفت عورته ، فضحك النبي (صلى الله عليه وآله) حتى نظرت إلى نواجذه» ! ولم يقل سعد ولا الراوي في أي معركة كان ذلك ، ولا يصح أن يكون في معركة أحد ، ولا أظنه يصح في غيرها !

كما لم يصح أنه قتل أحداً بسهم قبل فراره ، فقد قال ابن سعد (2/41) عن غلام بني عبد الدار الذي حمل اللواء في أحد ، واسمه صواب: «وقال قائل: قتله سعد بن أبي وقاص ، وقال قائل: قتله علي بن أبي طالب ، وقال قائل: قتله قرمان ، وهو أثبت القول».

وقد روى ابن هشام في السيرة: 2/532 ، أنه قتل يوم بدر حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، لكن ابن عبد البر ذكره في الأسرى (الدرر: 1/111) وذكره بعضهم فيمن قتله علي (عليه السلام) (المستجد: 1/71) فإن صحت روايتهم أن سعداً قتله ، فلا بد أن يكون رماه بسهم ولم يبرز اليه ، لأنه لم يثبت عنه أنه بارز أحداً أو شارك في قتال!

10. ويكفي لإثبات جبن سعد أنه أحد الذين غيرهم الله تعالى بالخوف في بدر! قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ..

قال الطبري في تفسيره: 5/233: «نزلت في قوم من أصحاب رسول الله كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد... فلما فرض عليهم القتال شقَّ عليهم!»!

وفي أسباب النزول لابن حجر: 2/918: «وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وهما من بني زهرة، وقدامة بن مظعون والمقداد بن الأسود، وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة لما يلقون منهم من الأذى فقال: لم أؤمر بالقتال، فلما هاجر إلى المدينة وأذن بالقتال، كره بعضهم ذلك». وقال الزركشي: 1/422: «هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا من القوم الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ».

وفي تفسير الرازي: 10/184: «والأولى حمل الآية على المنافقين، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.. ولاشك أن من هذا كلام المنافقين.. فالمعطوف في المنافقين وجب أن يكون المعطوف عليهم فيهم أيضاً». وروى الحاكم: 2/66، تفسيرها بابن عوف وأصحابه، وصححه على شرط بخاري وكذا النسائي: 6/3، والبيهقي: 9/11.

وهو يدل على وجود منافقين في مكة، وقد ادعى رواة قريش أن المنافقين فقط في المدينة! كما يدل على جبن هؤلاء الصحابة الكبار، ومن المؤكد أن سعداً منهم، وأن المقداد ليس منهم، وقد نص البخاري على موقفه الشجاع في بدر.

11. وادعى سعد لنفسه فضيلة أنه مستجاب الدعوة، وكان يخوف بها خصومه فقد زعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) دعا له أن تجاب دعوته، وأنه قال ذات يوم للنبي (صلى الله عليه وآله): «يا رسول الله، أَدع الله أن يجيب دعوتي، فقال: إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطيب مطعمه. فقال: يا رسول الله أَدع الله أن يطيب مطعمي، فدعا له. قالوا: فكان سعد يتورع من السنبلَة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت. وقد

كان كذلك مجاب الدعوة لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له.. روى ذلك عنه ابن كثير في النهاية (8/82) وذكر أن عمر خاف أن يدعو عليه سعد ، عندما خرجت جارية لسعد يقال لها زبراء وعليها قميص جديد فكشفتها الريح ، فشد عليها عمر بالدرة ، وجاء سعد ليمنعه فتناوله عمر بالدرة ، فذهب سعد يدعو على عمر فناوله الدرّة وقال: إقتص مني ، فعفا عن عمر .

ثم روى له ابن كثير موارد من استجابة دعائه على أشخاص ونساء ، ثم قال: « قال محمد بن سيرين: طاف سعد على تسع جوار في ليلة! فلما انتهى إلى العاشرة أخذته النوم فاستحيت أن توقظه. وذكر أنه دفن بالبقيع وقد جاوز الثمانين ، وكان ميراثه مائتي ألف وخمسين ألفاً .»

أقول: كان مصروف العائلة في ذلك الوقت ثلاث مئة درهم ، فما تركه سعد يعتبر ثروة . وقد تكون ثروته من حلال لكن لبيته أوفى دينه الذي اقترضه من بيت المال وكان واليه عبد الله بن مسعود !

12. واقترض سعد من ابن مسعود الوالي على بيت المال مبلغاً كبيراً ولم يُوفه! وكان سعد يعمل بالزراعة في الكوفة والمدينة ، ويملك أراضي بالإقطاع ودوراً عديدة ، وقطعاً من المواشي والأباعر ، وقد ذكر عدداً منها عمر بن شبة في تاريخ المدينة . وفي مروج الذهب: 2/333 ، وابن خلدون: 1/205: « ابنتي سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق، فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شُرُفَاتٍ .»

ومع ثروته ، لم يوف ما اقترضه من بيت المال ، وشتم ابن مسعود !

فقد روت ذلك مصادر السلطة ووثقته وصححته ، كما في مجمع الزوائد (9/154) ، أن ابن مسعود قال لسعد: «أد المال الذي قبلك . فقال له: والله لأراك لاقٍ مني شراً! هل أنت إلا ابن مسعود ، وعبد من هذيل! فقال: أجل والله إني لابن مسعود، وإنك لابن حمئة! فقال لهما هاشم بن عتبة: إنكما صاحباً رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينظر الناس إليكما . فطرح سعد عوداً كان في يده ، ثم رفع يده فقال: اللهم رب السماوات . فقال له ابن مسعود: قل قولاً ولا تلعن . فسكت ثم قال سعد: لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوةً ما تخطوك...» .

فاعجب من إهانة سعد لابن مسعود لأنه طالبه بأداء دينه لبيت المال! فأين عدالة الصحابة ، وأين طيب المطعم الذي هو شرط لاستجابة الدعوة ، وأين المناقب والفضائل التي ادعوها لسعد وهو غني ويأكل الحرام ، عن عمد وإصرار ، ويهين أمين المسلمين على مالهم عندما يطالبه به؟! .

وكبر خلافهما حتى عرّض ابن مسعود بحمئة أم سعد ونسبه الى بني عذرة ، وصار قضية في المجتمع الكوفي ، وطال أكثر من عشرين سنة ، ففي تاريخ الطبري: 3/311: «عن الشعبي قال: كان أول ما نزع به بين أهل الكوفة وهو أول مصر ، نزع الشيطان بينهم في الإسلام أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً فأقرضه ، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه ، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره ، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبد الله» .



وواصل ابن مسعود مطالبته لأنه مسؤول عن المال ، وواصل سعد هرويه من الدفع وشتمه لابن مسعود! ففي تاريخ الطبري: 3/311: «لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرض أقرضه عبد الله إياه فلم يتيسر على سعد قضاؤه ، غضب عليهما عثمان وانتزعها (الكوفة) من سعد وعزله ، وغضب على عبد الله وأقره».

ففي تاريخ الذهبي: 3/315: «وقيل عزل عثمان سعداً عن الكوفة ، لأنه كان تحت دين لابن مسعود فتقاضاه واختصما ، فغضب عثمان من سعد وعزله!»!

13. ويظهر أن سعداً لا يستطيع أن يعطي شيئاً أخذه، وهو طبع في بعض الناس ففي فتوح البلدان (1/8): «وجد غلاماً يقطع الحمى فضربه وسلبه فأسه! فدخلت مولاته أو امرأة من أهله على عمر فشكت إليه سعداً فقال عمر: رد الفأس والثياب أبا إسحاق رحمك الله. فأبى وقال: لأعطي غنيمة غنميتها رسول الله! سمعته يقول: من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه! فاتخذ من الفأس مسحاة ، فلم يزل يعمل بها في أرضه حتى توفى!»!

والحمى: الواحة أو الأرض المحمية لرعي الخيل أو مواشي الدولة ، ولا يمكن أن يعطي النبي (صلى الله عليه وآله) حق الفوضى لكل من رأى شخصاً يقطع من شجر الحمى أن يضربه ويسلبه!

ونحن لا نشق بمدائح سعد لنفسه! فالذين لا ترد لهم دعوة هم أصحاب المعجزات ، النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) ، وبعض الأولياء الذين لا يأكلون الحرام . وقد بحثنا ذلك في سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في المجلد الرابع من جواهر التاريخ .

14. عينه عمر والياً على العراق ، أميراً على المثنى ، وجرير بن عبد الله البجلي: «وتنازع جرير والمثنى بن حارثة الإمارة ، فبعث عمر سعد بن مالك وكتب إليهما أن اسمعا له وأطيعا». (تاريخ خليفة/87).

وأمدته بمجموعات مقاتلة عديدة . قال ابن الأعمش: 1/137: «ثم دعا سعد بن أبي وقاص فقال: يا سعد بني وهب، إن الله تبارك وتعالى إذا أحب خلقاً حبه إلى خلقه ، وأنا موجهك إلى أرض العراق لتكون أميراً على جميع من قدم عليه ، فسر وقل لا حول ولا قوة إلا بالله ، واعلم أنني لست أترك أحداً يطيق حمل السلاح إلا وجهت به إليك ، وأنا أرجو أن يفتح الله على يديك.

ثم جمع له عمر من كل أوب حتى صار سعد في سبعة آلاف ، ثم سار حتى نزل بموضع يقال له شراف ، وجعل عمر لا يقدم عليه أحد إلا وجه به إليه ، فكان أول من قدم عليه عمرو بن معد يكرب الزبيدي في زهاء خمس مائة رجل ، وطليحة بن خويلد الأسدي في ثمان مائة فارس ، وشرحبيل بن السمط الكندي في سبع مائة راكب ، وفرات بن حيان العجلي في سبع مائة راكب ، والمغيرة بن شعبة في ثلاث مائة راكب ، وعاصم بن عمرو التميمي في أربع مائة راكب ، وعاصم بن زرارة التميمي في ست مائة راكب ، وخثيم بن عبد الله السلمي في ألف راكب ، والمكشوح المرادي في أربع مائة راكب . قال: وصار إليه جرير بن عبد الله البجلي في ست مائة راكب من بجيلة».

15. ورأى المسلمون في الكوفة أن سعداً لا يقاتل في المعارك! ولا يهتم بمشاكل المسلمين ، فهو مشغولٌ بالصيد والقنص ، وقد بنى قصرًا في الكوفة! فشكوه الى

عمر ، فأرسل محمد بن مسلمة الى الكوفة فسألهم عنه فقام: «رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال: أما إذ ناشدتنا ، فإن سعداً لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ، ولا يغزو في السرية .» (النهاية:7/121).

وفي تاريخ اليعقوبي (2/155): «ثم إن أهل الكوفة شكوا سعداً وقالوا: لا يحسن يصلي ، فعزله عمر عنهم».

وفي الأخبار الطوال/129: «وأقام سعد أميراً على الكوفة وجميع السواد ثلاث سنين ونصفاً ، ثم عزله عمر ، وولى مكانه عمار بن ياسر على الحرب ، وعبد الله بن مسعود على القضاء ، وعمرو بن حنيفة على الخراج».

وفي الطبري: (3/209): «قال سعد: إني لأول رجل أهرق دماً من المشركين.. وبنو أسد تزعم أنني لا أحسن أصلي ، وأن الصيد يلهيني!» ! يقصد أنه أول من رمى سهماً ، فجرح مشركاً . وكان ذلك كما زعم سعد: «في السرية التي خرج فيها مع عبيدة بن الحارث في ستين ركباً ، وهي أول السرايا بعد الهجرة» . (فتح الباري:11/247) .

وقال خليفة في تاريخه/33: «ولم يك بينهم قتال، غير أن سعد بن مالك رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به في الإسلام».

لكن ابن عبد البر قال في الاستيعاب (2/772): «ويقال طليب بن عمير أول من أهرق دماً في سبيل الله ، وقيل بل سعد بن أبي وقاص» .

وحتى لو كان سعداً أول من رمى بسهم ، فهذا لا يمنع أنه كان في الكوفة مغرماً بالصيد ، مشغولاً به عن المسلمين كما اتهموه .

ويدل على سوء إدارة سعد أنه بنى قصرًا في الكوفة ، وكان يحتجب به عن المسلمين ، فأرسل عمر من أحرقه ! قال سيد سابق في فقه السنة (2/590): «وحرَّق (عمر) قصر سعد بن أبي وقاص بالكوفة ، لما احتجب فيه عن الرعية». وعمدة القاري: 14/142، والإصابة: 6/29، والوافي: 5/21.

وقد نص اليعقوبي (2/155) على أن شكاية أهل الكوفة لسعد كانت في أول تحشيد الفرس لمعركة نهاوند ، فسكن سعد المدينة وانشغل ببناء قصره ، ولم يشارك في شيء من أمر نهاوند . وولى عمر بدله عمار بن ياسر نحو سنتين ، فقام عمار رضي الله عنه بالإعداد لمعركة نهاوند ، وشارك فيها . (البلاذري: 2/343).

16. وتتعجب من عمر فقد كان رأيه سلبياً في سعد، ومع ذلك ولاه ودافع عنه! فقد رووا عن عمر بسند معتبر عندهم أنه طعن في سعد عندما سأله ابن عباس عمن يرشحه للخلافة بعده ، ففي شرح النهج: 12/259، والشافعي للمرتضى: 4/202: « عن ابن عباس قال: قال عمر: لا أدري ما أصنع بأمة محمد (صلى الله عليه وآله) ، وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصحابكم يعني علياً؟ قلت: نعم والله هو لها أهل ، في قرابته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصهره وسابقته وبلائه . فقال عمر: إن فيه بطالة وفكاهة. قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: فأين الزهو والنخوة! قلت: عبد الرحمن؟ قال: هو رجل صالح على ضعف فيه (أمره في يد امرأته) قلت: فسعد! قال: ذاك صاحب مقنب (البرِّ) وقتال، لا يقوم بقرية لو حمل أمرها . قلت: فالزبير؟ قال: وَعَقَّةٌ لقس (متضجر سئ الخلق) مؤمن الرضى كافر الغضب».

وفي تذكرة ابن حمدون: 3/110، و نثر الدر: 1/116، و شرح النهج: 1/186، أن عمر خاطب الذين رشحهم للخلافة وشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) توفي وهو عنهم راض فأعطى حق النقض لعبد الرحمن بن عوف، وأمر أن يقتل من خالف منهم، ثم وبخهم: «ثم أقبل على سعد فقال: إنما أنت صاحب قنص وقوس وأسهم، ومقنب من المقانب، وما زهرة والخلافة وأمور الناس! ثم أقبل على علي بن أبي طالب، فقال: لله أنت لولا دعاة فيك، أما والله لو وليتهم لحملتهم على المحجة البيضاء والحق الواضح، ولن يفعلوا».

ومع ذلك رشح سعداً للخلافة، وأوصى كما في فتح الباري (13/157، و: 7/45): «لم أعزله لضعف ولا خيانة.. وأوصى عمر من يلي الخلافة بعده، أن يولي سعداً».

أقول: السبب الحقيقي لتمسك عمر بسعد هو السبب لتمسكه بسالم مولى حذيفة وأبي عبيدة، وإعلانه قبل موته بأنه لو كان أحدهما حياً لعهد إليه بالخلافة، مع أن سالماً عبد فارسي! فقد كان سعد عضواً قديماً في قادة الحزب القرشي الذين اتفقوا من بعد فتح مكة، وعملوا لأخذ خلافة النبي (صلى الله عليه وآله) وإبعاد أهل بيته عنها.

وقد ورد اسم سعد في البضعة عشر أصحاب ليلة العقبة، الذين هموا بما لم ينالوا في رجوع النبي (صلى الله عليه وآله) من تبوك. ورواه ابن حزم بسند موثق ولا يتسع له مجالنا.

17. كما صادر عمر من ولاته نصف ثرواتهم، وبعث إليهم برسالة موحدة: «أما بعد فإنكم معشر العمال تقدمتم على عيون الأموال، فجببتم الحرام، وأكلتم الحرام، وأورثتم الحرام! وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري فيقاسمك مالك، فأحضره مالك والسلام» (كنز العمال: 5/853).

وفي تاريخ يعقوبي: 2/157: «قيل إن منهم سعد بن أبي وقاص عامله على الكوفة وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريرة عامله على البحرين» .

18. كانت مشكلة سعد أنه رأى نفسه كبيراً ، لأن عمر جعله أحد أعضاء الشورى الستة الذين يصلحون للخلافة ! مع أنه كان يرى أن علياً (عليه السلام) أحقهم بها ، لكنه قرر أن لا يبايعه و ينتظر لعل الفرصة تأتيه ، وكذلك لم يبايع معاوية ولم يعترف به خليفة ، ودخل عليه وقال: السلام عليك أيها الملك.. الخ.

وقد كتب له معاوية في زمن علي ليكون الى صفه ، فأجابه: «أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحل له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا عليه ، ألا إن عليا كان فيه ما فينا ، ولم يكن فينا ما فيه ، وهذا أمر قد كرهت أوله ، وكرهت آخره ، فأما طلحة والزبير فلو لزمنا بيوتهما لكان خيرا لهما ، والله يغفر لام المؤمنين ما أتت والسلام» . (شرح النهج: 3/114 ، وتاريخ يعقوبي: 2/187 ، وصفين لابن مزاحم/74 ، وأورد شعراً في رسالة معاوية وجواب سعد له . والإمامة والسياسة: 1/90 ، وفيه: غير أن علياً كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه ، فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه ، وكان أحقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه . وجواهر المطالب لابن الدمشقي: 2/36 ، وفيه: غير أن علياً كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه ، ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو بأقصى اليمن) .

ولا يغرك ما يرويه سعد في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) وما يشهد على نفسه في حقه كقوله: «قال أما بعد فإن علياً لم يسبقه أحد من هذه الأمة من أولها بعد نبينا ولن يلحق به أحد من الآخرين منهم» . (تاريخ دمشق: 13/275) .

فقد كان مع ذلك يبغض علياً (عليه السلام) حسداً ويريد الخلافة لنفسه! فاعتزله ولم

يباعه ولم ينصره ، ولم ينتفع بتحذير أمير المؤمنين (عليه السلام) له ولا بنه عمر بن سعد قاتل الحسين (عليه السلام) ! فقد «كان (عليه السلام) يخطب الناس وقال: سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله ما تسألوني عن شيء مضى ولا شيء يكون إلا نبأتكم به ، قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟ فقال له: والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس ، وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني! وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه»! (كامل الزيارات/155، وأمالى الصدوق/196 ، وخصائص الأئمة/62، والإحتجاج:1/389).

ولم ينتفع سعد بن وقاص لديناه أيضاً باعتزاله عن علي (عليه السلام) ومعاوية ، فقد قتله معاوية بالسُّم ، في سنة قتله للإمام الحسن (عليه السلام)! ولله في خلقه شؤون .

19. ورووا أن سعداً كان جريئاً على معاوية ، يواجهه بأنه ملك وليس خليفة ، ففي مصنف عبد الرزاق (10 /391): «دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية فقال: السلام عليك أيها الملك! فقال معاوية: فهلا غير ذلك ، أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فقال سعد: نعم ، إن كنا أمرناك ، قال: فقال معاوية: لا يبلغني أن أحداً يقول: إن سعداً ليس من قريش إلا فعلت به وفعلت»!

وهو يقصد الطعن في نسب سعد ، وأنه ليس من قريش !

وروى اليعقوبي: 2/217، قول سعد: «ذاك إن كنا أمرناك ، إنما أنت مُنتزٍ» أي قافزٌ مغتصبٌ للخلافة . ورواه ابن عساكر في تاريخه(17/324)، والأزدي في الجامع: 10/390 ، وابن حنبل في فضائل الصحابة: 2/988، والبلاذري في أنساب الأشراف /1111، والفصول المهمة: 2/733 ، والنصائح الكافية/195.

وفي الكامل لابن الأثير: 3/409: «لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقاص فقال: السلام عليك أيها الملك . فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت يا أمير المؤمنين . فقال: أتقولها جذلان ضاحكاً والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به». أي أخذتها بالقهر بغير حق، أما هو فإيدها بحق!

وقد حاول معاوية استمالة في زمن علي (عليه السلام) وبعده فرفض سعد ، وكتب ذات مرة الى معاوية: « أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحل له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا عليه ، إلا إن علياً كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه ، وهذا أمر قد كرهت أوله وكرهت آخره ، فأما طلحة والزبير فلو لزمنا بيوتهما لكان خيراً لهما ، والله يغفر لأم المؤمنين ما أتت: والسلام». (شرح النهج: 3/ 114، واليعقوبي: 2/187، والإمامة والسياسة: 1/ 90).

20. زعم سعد أنه أحق بالخلافة ، ولذلك قرر عدم بيعته علي (عليه السلام) ولا معاوية ، وأن ينتظر في قصره بالعقيق. قال البلاذري في أنساب الأشراف/344: «قال سعد بن أبي وقاص: أنا أحق الناس بهذا الأمر لم أشرك في دم عثمان ، ولم أحضر شيئاً من هذه الأمور الفتنة». لكن لم ينفعه انتظاره حتى تجاوز الثمانين ولا اعتزاله . فقد قتله معاوية بالسم ليزيحه من طريق يزيد . (عمدة القاري: 6/5).

قال علي بن الحسين البيهقي الشافعي المتوفى 483 في كتابه لباب الأنساب/40: «وأمر والي المدينة سعيد بن العاص حتى سقاه السم ، مع سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين، فمات الحسن مسموماً بعد يومين وسعد بن أبي وقاص في يومه».



وفي الإستيعاب:2/609: «وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس بشئ حتى تجتمع الأمة على إمام ، فطمع فيه معاوية وفي عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة ، وكتب إليهم يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان ويقول لهم إنهم لا يُكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك ، ويقول إن قاتله وخاذله سواء ، في نثر ونظم كتب به إليهم تركت ذكره .

فأجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به من ذلك ، وينكر مقالته ويعرفه بأنه ليس بأهل لما يطلب . وكان في جواب سعد بن أبي وقاص له:

معاوي داؤك الداء العيأ \*\*\* وليس لما تجئ به دواء

أيدعوني أبو حسن عليّ \*\*\* فلم أردد عليه ما يشاء

وقلت له اعطني سيفاً بصيراً \*\*\* تميز به العداوة والولاء

فإن الشر أصغره كبيرٌ \*\*\* وإن الظهر تثقله الدماء

أتطمع في الذي أعيا علياً \*\*\* على ما قد طمعت به العفاء

ليوم منه خير منك حياً \*\*\* وميتاً أنت للمرء الفداء

فأما أمر عثمان فدعه \*\*\* فإن الرأي أذهب البلاء

قال أبو عمر: سئل علي رضي الله عنه عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه؟ فقال: أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل).

21. وكان معاوية يرى أن الذنب ليس ذنب سعد ، في طموحه غير المشروع للخلافة، بل ذنب عمر بن الخطاب الذي جرأ قبائل قريش على بني عبد مناف !

قال في تاريخ دمشق:19/197: « أرسل معاوية إلى حنظلة بن المنذر الذهلي ، فدعاه وأدناه حتى كان قريباً منه ، ثم أجلسه وألقيت تحته وسادة ، ثم قال له

ص: 75

معاوية: بلغني أن لك عقلاً ورأياً وعلماً بالأمر ، فأخبرني ما فرَّق بين هذه الأمة ومن سفك دماؤها وشق عصاها وفرق ملاءها؟ قال: قتل أمير المؤمنين عثمان . قال: ما صنعت شيئاً . قال: مسير علي إلى عائشة وطلحة والزبير ، ومسير علي إليك وقتالكم بصفين ، والذي كان بينكم من سفك الدماء والاختلاف ! قال: ما صنعت شيئاً ! قال: فأخبرني يا أمير المؤمنين ! فحمد الله معاوية ثم قال: إن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، فدعا الناس إلى الإسلام فعمل رسول الله بكتاب الله عز وجل حتى قبضه الله وعصمه بالوحي ، ثم استخلف المسلمون أبا بكر فكان أفضل من تَعَلَّم وتعلمون ، فعمل أبو بكر بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه ، ثم استخلف أبو بكر على المسلمين عمر ، فعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر حتى أصاب عمر من قضاء الله ما أصابه ، فخير بين ستة فجعلها شورى ولم يَجِب إلا بجعلها بينهم ، وكانوا خير من تعلم على الأرض ، فلما جلسوا لها وتنازعوها دعا كل رجل منهم إلى نفسه ، فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها وَيَسَّ تَخْلِف؟ فأبى القوم وكان أزهدهم فيها فقلدوها إياه فاستخلف عثمان ! فما زال كل رجل من أهل الشورى يطمع فيها ويطمع له فيها أحبائهم ، حتى وثبوا على عثمان فقتلوه ، واختلفوا بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً ! فهذا الذي سفك دماء هذه الأمة وشق عصاها وفرق ملاءها ! انتهى .

فاعجب لمعاوية كيف لا يقول لعمر شكراً لك لترتيبك الأمر لبني أمية ، بإعطائي حكم الشام ، ثم بترتيب الشورى وحق النقض لمصلحة عثمان!

فبدل أن يشكره يرى أن عمر أسس الخراب لأنه أشرك غيرهم معهم ولو في شورى شكلية ، فسبب ذلك طمع أعضاء الشورى من غير بني أمية !

واعجب لضعف عمر العدوي أمام أبي سفيان ومعاوية ، فقد نصب معاوية نفسه بعد موت أخيه فوافق عمر عليه ! ولم يسمع لاعتراض الصحابة على حداثة سنه ! (تاريخ دمشق: 59/86 ، وسير الذهبي: 3/126).

22. ومن ضعف شخصية سعد أنه كان يتقرب الى معاوية ، ويدعي أنه حاول نصره عثمان! فقد روى عمر بن شبة في تاريخ المدينة(4/1223): «قال سعد: أرسل إليَّ عثمان وهو محصور يشكو إليَّ ما هو فيه ، فأخرج فأجد علياً قاعداً في المسجد في حجره سيف في غمد أحمر، فجلست إليه ووضعت ركبتي على ركبته وجعلت أذكره الله وأقول: إن ابن عمك مقتول! فقال: ما أنا من هذا في شيء . فلما كثرت عليه وضع يده على أرنبتي فعرکها ، وقال...». انتهى.

أقول: في نسخة الكتاب بياض قدر ثلث سطر ، فقد حذفوا جواب علي (عليه السلام) لأنه شديد بزعمهم ضد عثمان ! وبذلك يقول سعد حاولت أن ينصره علي لكنه أبي ! لكن أين كان سعد نفسه وقوسه وسيفه ، ولماذا لم ينصره !؟

فقد روى الطبري(3/406) عن محمد بن مسلمة قال: «قالوا إنطلق معنا إليه ، فقد كلمنا علياً ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر ، وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال: لا أدخل في أمركم . وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال مثل هذا».

23. وأراد معاوية أن يبايع بعده لابنه يزيد فاعترض عليه سعد وكثيرون ، فقتل مجموعة بالسُّم منهم سعد ، ليزيحهم من طريق يزيد .

قال في البدء والتاريخ: 5/85: «روى شعبة أن سعداً والحسن بن علي ماتا في يوم واحد قال: ويرون أن معاوية سمهم». ونحوه أنساب الأشراف للبلاذري: 1/404.

وفي مقاتل الطالبين/48: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فلم يكن شئ أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص ، فدرس إليهما سمّاً فماتا منه».

وفي لباب الأنساب والألقاب للبيهقي/40: « وأمر والي المدينة سعيد بن العاص حتى سقاه السم مع سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين ، فمات الحسن رضي الله عنه مسموماً بعد يومين ، وسعد بن أبي وقاص في يومه ». انتهى .

والبيهقي هذا: علي بن زيد البيهقي الشافعي توفي 565 وهو عالم مشهور له مصنفات أدبية وتاريخية وهندسية. (راجع: إيضاح المكنون:1/154، والذريعة: 18/277) وهو غير البيهقي المشهور صاحب السنن ، واسمه علي بن الحسين البيهقي ، توفي 483 .

وفي الأحاد والمثاني للضحك:1/169: «ومات سعد بن أبي وقاص بالعقيق (في قصره) وحمل فدفن بالمدينة ، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة . «

24. بلغ من اهتمام سعد بأولاده أنه أحضر لهم من العراق معلماً نصرانياً خاصاً قال البلاذري في أنساب الأشراف/294، والفتوح:3/583: «وكان عبيد الله بن عمر الخطاب لما قتل أبوه اتهم الهرمزان ورجلاً من أهل الحيرة نصرانياً ، كان سعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة معه فكان يعلم ولده والناس الكتاب والحساب ، يقال له جفينة...وكان جفينة ظئراً لسعد بن أبي وقاص». أي أرضعت سعداً أم جفينة . (والطبري:3/303، وفتوح البلاذري:3/583، والطبقات:3/356، وفيه: من نصارى الحيرة وكان ظئراً لسعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة للملح الذي كان بينه وبينه .

25. وقد ورت سعد طموحه للخلافة الى أولاده! فثار ابنه محمد مع ابن الأشعث على عبد الملك ، وهزمهم الحجاج وأسرههم . قال ابن الأعمش (7/102): «فقدم بالأسارى على الحجاج ، والحجاج يومئذ بواسط العراق، فأول من قدم

إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص، وقد كان يلقب بظل الشيطان من طوله، فلما رآه الحجاج قال: يا ظل الشيطان! كيف رأيت صنيع الله بك؟ ثم التفت الحجاج إلى جلسائه فقال: إن هذا رغب عن يزيد بن معاوية وزعم أنه أحق بالأمر منه، يتشبه بالحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، ثم ما زال يركض في الفتن إلى أن تبع حوالي كندة وصار مؤدباً للظالمين. فقال محمد بن سعد: أيها الأمير إنك قد ظفرت، فإن تعف فقد أمر الله عز وجل بالعفو وإن تقتل فقد قدرت». فقتله الحجاج.

### نسبوا النصر الى سعد الهارب من قيادة جيشه !

إذا تتبعنا البطولات التي ذكرها لسعد بن أبي وقاص، تجدها من نوع بطولات خالد بن الوليد، من اختراعه ونشر رواة الحكومات، الذين هم كوكالة الأنبياء في عصرنا، لأنه كان موالياً لأبي بكر وعمر وعثمان!

لكن سعداً أقل ادعاء من خالد، فخالد يقول إنه دقَّ تسعة أسياف في مؤتة، وسعد لم يدع أنه دقَّ تسعة أسياف في بدر، ولا خمسة في القادسية!

ففي ولايته على الكوفة كانت معركة القادسية ولم يشارك فيها! وكان بعدها فتح المدائن وجلولاء وغيرها، ثم معركة نهاوند الكبرى، ولم يقاتل سعد في أيٍّ منها! لكن الدعاية الحكومية قالت إنه قائد فتح العراق، وقسم من إيران!

وقال ابن حبان في ثقافته: 2/210: «وكان الناس قد أجنبوا سعداً وقالوا: أجنبت عن محاربة الأعداء، فاعتذر إلى الناس، وأراهم ما به من القروح في فخذه، حتى سكت الناس!»!

أقول: لكن الناس لم يسكتوا، وهجوه بقصائد، بل لم يستطع سعد أن يقنع زوجته سلمى بتبرير هروبه! فعندما رأته المسلمون منهزمين والخييل هاربة، وسعدٌ جالس في قصره بحجة أن في فخذه دُملاً ويصعب عليه ركوب الفرس، صاحت سلمى: وامثياه، مَنْ للخييل يقودها ويردها الى المعركة! فقد تذكرت بطولات زوجها البطل المثنى بن حارثة رضي الله عنه .

وقال المتعصبون لسعد: « طلع بجسده طلوعٌ منعه من الركوب، فاشتد القتال يوماً فأشرفت سلمى من القصر فقالت: وامثياه ولا مثنى اليوم للخييل! فلطمها سعد وقال: أين المثنى؟! فقالت: أغيرةٌ وجُبناً! فقال سعد: ما يعذرني أحد إذا لم تعذريني، وأنت ترين ما بي! » (الإصابة لابن حجر:8/183).

وفي فتوح البلاذري(2/316): «وكان مقيماً في قصر العذيب، فجعلت امرأته وهي سلمى بنت حفصة من بنى تيم الله بن ثعلبة، امرأة المثنى بن حارثة، تقول: وامثياه ولا مثنى للخييل، فلطمها. فقالت: يا سعد، أغيرةٌ وجبناً!»!

وقال الطبري(3/ 51): «فلما رأته ما يصنع أهل فارس قالت: وامثياه ولا مثنى للخييل اليوم! هي عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه وفي نفسه، فلطم وجهها وقال: أين المثنى من هذه الكتبية التي تدور عليها الرحي، يعني أسداً وعاصماً وخيله، فقالت: أغيرةٌ وجبناً (فذهبت مثلاً)! قال: والله لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي، فتعلقها الناس. فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه. وكان غير جبان ولا ملوم». ونحوه الكامل:2/473.

وفي معارف ابن قتيبة/48: «فقال: القوم أقرانٌ ولا مثنى لهم! فلطم سعد عينها». وفي التذكرة الحمدونية(1/271): «فقال: أف لك ، أجنباً وغيره! وكانت مغاضبة لسعد عشية أرمات ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد ، حتى إذا أصبحت أتته وصالحته».

أقول: أخذتها الغيرة لهزيمة المسلمين ، وتذكرت شجاعة المثنى ، وهي ترى جُبن سعد! وهي أدري به من غيرها ، فلو كان عذره مقبولاً لما رمته بالجبن!

ويؤيد ذلك رواية الطبري: «فتعلقها الناس ، فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه» أي تعلق الناس بكلمة زوجته ، واحتجوا عليه بشهادتها بأنه جبان!

كما يؤيده أنها غضبت عليه وهجرته يومين ، وكانا حديثي عهد بزواجها ، فقد تزوج بها تلك الأيام بشراف ، ثم نزل بها القادسية . (الطبري:3/51).

وقد أخفت الحكومة أكثر الشعر في جبن سعد ، مع أنه من وثائق القادسية!

ومن بقاياها في الطبري: (3/81) ومعجم البلدان (4/291):«وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر إليهم فُنسب إلى الجبن ، فقال رجل من المسلمين:

«ألم تر أن الله أنزل نصره \*\*\* وسعدٌ بباب القادسية مُعصمٌ

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة \*\*\* ونسوة سعد ليس فيهن أيمٌ»

وقال بشر بن ربيعة في ذلك اليوم:

ألمَّ خيال من أميمة موهناً \*\*\* وقد جعلت أولى النجوم تغور

ونحن بصحراء العذيب ودوننا \*\*\* حجازية ، إن المحل شطير

فزارت غربياً نازحاً جل ماله \*\*\* جواد ومفتوق الغرار طرير

وحلت بباب القادسية ناقتي \*\*\* وسعد بن وقاص علي أمير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا \*\*\* بباب قديس والمكر ضير

عشية ود القوم لو أن بعضهم \*\*\* يُعار جناحي طائر فيطير

إذا برزت منهم إلينا كتيبة \*\*\* أتونا بأخرى كالجبال تمور

فضاربتهم حتى تفرق جمعهم \*\*\* وطاعنت إني بالطعان مهير

وعمر و أبو ثور شهيد وهاشم \*\*\* وقيس ونعمان الفتى وجرير».

وقال جرير بن عبد الله البجلي كما في النهاية:7/53:

«أنا جرير وكنيتي أبو عمرو \*\*\* قد فتح الله وسعد في القصر».

وقد حاول المتعصبون لسعد الى يومنا أن يدافعوا عنه بأنه مريض معذور ، وقد ذموا زوجته لأنها وصفته بالجبن !

قال ابن كثير في النهاية (7/44 و52): «فقال: أغيرةً وجبناً! يعني أنها تُعِيرُهُ بجلوسه في القصر يوم الحرب! وهذا عناد منها ، فإنها أعلم الناس بعذره ، وما هو فيه من المرض المانع من ذلك.. إن سعداً كان به قروح وعرق النسا فمنعه من شهود القتال، لكنه جالس في رأس القصر ينظر في مصالح الجيش، وكان مع ذلك لا يغلق عليه باب القصر لشجاعته! ولو فرَّ الناس لأخذته الفرس قبضاً باليد لا يمتنع منهم».

فقد صار ابن كثير من تعصبه طبيباً وفحص سعداً وأعطاه شهادة طبية ، ثم صار جغرافياً فجعل قصر العذيب في القادسية ، مع أن الحموي قال في معجم البلدان (4/92): «بينه وبين القادسية أربعة أميال».

وقال الطبري في تاريخه (3/76): «قادس قرية إلى جانب العذيب، فنزل الناس بها، ونزل سعد في قصر العذيب».



«ومن القادسية إلى العذيب وهي أول خط البادية ستة أميال». (الإدرسي: 1/383)

«وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة، فإذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة.. قال لحامله: قد قربت من السواد، فأريحوني تحت ظل هذه النخلة». (مروج الذهب للمسعودي: 2/317)

ثم جعل ابن كثير سعداً شجاعاً لأنه ترك باب قصره مفتوحاً! مع أن القصر خلف جيش المسلمين بمسافة، ولذا أرسل رستم قوة ليقتلوا سعداً، فاستغاث بالمسلمين، فأرسلوا قوة لحمايته وعطلوها عن المعركة!

قال اليعقوبي (2/144): «وكان سعد يومئذ عليلاً فصار إلى قصر العذيب فنزله وتحصن فيه، فبلغ رستم فوجه خيلاً فأحدقت بالقصر، فلما بلغ المسلمين ذلك صاروا إلى القصر».

ولا أدري ما هو الموجب لتصديق سعد دون زوجته إلا التعصب، فكيف يتهمونها بعداوتهم وقد اختارته بعد وفاة زوجها المثنى، وفضلته على إخوة المثنى وفرسانه، وهم أفضل من سعد وأجمل.

ويؤيد رأي سلمى غياب سعد عن كل المعارك في فتح العراق وإيران! فهل كانت تخرج بفخذه دُملة عند كل معركة، ولسنوات طويلة؟!!

وأين كان سعد عندما دهم الخطر المسلمين، وتجمع الفرس في نهاوند بمئة وخمسين ألف جندي، ثم كانت معركة نهاوند العظيمة التي سماها المسلمون فتح الفتوح، ولم يكن لسعد فيها دور سوى أنه نفذ ما أمره به عمر من إرسال ثلث قوات الكوفة الى المعركة، فأرسلها، ثم ذهب الى المدينة وبدأ ببناء قصره!

وكيف نشط وشفي من الدمامل وذهب الى المدائن بعد أن فتحها المسلمون وأخذ يجمع الأموال ، وأرسل المرقال في قيادة الجيش الى خانقين أو جلولاء !

ولما انتصروا في جلولاء أرسلوا اليه ليحضر فلم يحضر حتى غضب المسلمون ، فشفي من الدمامل ووكل سلمان الفارسي بالأموال وذهب كالمجبر ، ثم رجع !

قال ابن الأعثم في الفتوح (1/216): «ورحل المسلمون من جلولاء إلى خانقين فنزلوها يومهم ذلك ، ثم رحلوا منها إلى قصر شيرين فنزلوها ، وكتبوا إلى سعد بن أبي وقاص يستأذنون في التقدم إلى حلوان ، ويحثونه على المصير إليهم ليكون لهم ملجأ وسنداً يلجؤون إليه ويشاورونه في أمورهم ، وقد كان سعد عليلاً فتباطأ عنهم ولم يصبر إليهم ، وكتب إليهم يأمرهم بالتقدم إلى حلوان ! قال: فغضب المسلمون لعود سعد عنهم وإبطائه عن نصرتهم ، ثم أنشأ إبراهيم بن حارثة الشيباني يقول في ذلك:

أما بال سعد خام عن نصر جيشه \*\*\* لقد جئت يا سعد ابن زهرة منكرا

وأقسم بالله العلي مكانه \*\*\* لو ان المثنى كان حياً لأصحرا

وقاتل فيها جاهداً غير عاجز \*\*\* وطاعن حتى يحسب الجون أحمرأ

كشداته يوم البجيلة معلماً \*\*\* يريد بما يبلي الثواب الموفرا

وضارب بالسيف الحسام مقدماً \*\*\* جموع الأعداي خشية أن يعيرا

ولكن سعدا لم يرد أجر يومه \*\*\* ولم يأتنا في يوم بأس فيعدرا

قال: فبلغت سعداً هذه الأبيات فكأنه تحرك للمسير على علته ، ثم دعا سلمان الفارسي فاستخلفه على المدائن وأوصاه بحفظ الغنائم ، وصار فيمن معه من أصحابه حتى لحق بالمسلمين ، وهم يومئذ نزول بقصر شيرين فنزل معهم

يومهم ذلك . فلما كان من غد نادى في الناس بالرحيل إلى حلوان ، فرحل ورحل الناس معه ، وبلغ ذلك منوشهر بن هرمزدان المقيم بحلوان ، فخرج عن حلوان هارباً حتى لحق بيزدجرد وهو في جمع أصحابه .

وأقبل سعد بن أبي وقاص وعلى مقدمته جرير بن عبد الله البجلي ، حتى دخل (جرير لا سعد) حلوان ، فأنشأ عبد الله بن قيس الأزدي يقول:

فأبلغ أبا حفص بأن خيولنا \*\*\* بحلوان أضحت بالكماة تجمجم

ونحن دهمناها صباحاً بفيلق \*\*\* جريرٍ علينا في الكتيبة مُعلم

ونحن أبداً الفرس في كل موطن \*\*\* بجمع كمثل الليل والليل مظلم

نقاتل حتى أنزل الله نصره \*\*\* وسعد بباب القادسية مُعصم

فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة \*\*\* ونسوة سعد ليس فيهن أيم

أولئك قومي إن سمعت بمعشري \*\*\* وموضع أيسارى إذا نيل مغنم».

وفي فتوح ابن الأعمش: 1/217: «فتقدم إلى سعد رجل من خثعم يقال له بشر بن ربيعة ، وكان من الفرسان المعدودين ، فطلب من سعد زيادة فلم يزد شيئا فغضب الخثعمي لذلك، ويقال إنه هجا سعد بن أبي وقاص ، فأنشأ يقول:

ينوب عن القوم الكرام بجمعهم \*\*\* وفَضَّل سعد بالعطية خالدا

فإن تكرم العذرى بالقسم واصلاً \*\*\* فأجدر برأي السوء للجور زاندا

أتتهب جهلاً لا أباً لك حقنا \*\*\* لقد ضقت ذرعاً عن مدى الحق حائدا

متى كان ميراث ابن خثعم قل لنا \*\*\* لخالد يا للناس لا كنت جاهدا

لعمري لئن كانت قریش تعطفن \*\*\* عليك أبا وهب فألفيت رافدا

لقد غمرت أبأؤك اللؤم دهرها \*\*\* وألفيت في فهر تحل الوصائدا».

وفي فتوح البلدان للبلاذري:2/320: (وقال بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي:

ألمَّ خيالٌ من أميمة موهناً\*\*\* وقد جعلتُ أولى النجوم تغورُ

ونحن بصحراء العذيب ودارها\*\*\* حجازيةٌ إن المحل شطير

ولا غرو إلا جوبها البيد في الدجى\*\*\* ومن دوننا رعنٌ أشمٌ وقور

تحنُّ بباب القادسية ناقتي\*\*\* وسعد بن وقاص عليّ أمير

وسعد أمير شرُّه دون خيره\*\*\* طويل الشذى كابي الزناد قصير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا\*\*\* بباب قديس والمكر عسير

عشية ود القوم لو أن بعضهم\*\*\* يُعَارُ جناحي طائر فيطير).

فقارن بالله هذه الحقائق الدامغة ، بما قاله علماء السلطة عن سعد !

أقول: بعد كل ما عرفت عن سعد ، فاقراً الصورة الكاذبة التي قدمها رواة الحكومات وعلمائها ، كالتي دونها ابن عبد البر . قال في الإستيعاب:2/608: «وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش ، الذين كانوا يحرسون رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مغازيه ، وهو الذي كوّف الكوفة ، ولقي الأعاجم وتولى قتال فارس ، أمره عمر بن الخطاب على ذلك ، ففتح الله على يده أكثر فارس ، وله كان فتح القادسية وغيرها . وكان أميراً على الكوفة فشكاه أهلها ورموه بالباطل فدعا الذي واجهه بالكذب عليه دعوة ظهرت فيه إجابتها والخبر بذلك مشهور».

فادعوا له الشجاعة ، وأنه لقي جيوش الفرس وحاربهم ، مع أنه جبن عن المعارك ، حتى هجاه المسلمون بالشعر ! ونسبوا له تمصير الكوفة ، مع أنهم رووا أن الذي اختار مكانها سلمان الفارسي (رحمة الله) بما علمه النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) .

وأخيراً فقد ناقضوا أنفسهم ، وشهدوا أن أهل الكوفة شكوا سعداً وأرسل عمر من يتحقق فثبت له صدق شكائهم ، فاضطر الى عزله ! (النهاية:7/121).

## جرير بن عبد الله البجلي مقاول حرب في سبيل الله

1. هو جرير، بن عبد الله ، بن جابر، بن مالك، بن نضر، بن ثعلب، بن جشم من بني زيد بن كهلان بن سبأ. وتلقب بجيلة وخنعم في أنمار بن إراش، وبجيلة جدتهم زوجة أنمار . وفي جرير وبجيلة قال الشاعر (سيرة ابن هشام:1/49):

لولا جريرٌ هلكتُ بجيلة \*\*\* نِعَمَ الفتى وبئست القبيلة

وكان جرير طويلاً، وقد بالغوا في وصف طوله بأحاديث أسانيدھا صحيحة على شرط الشيخين البخاري ومسلم! فقالوا كان طوله ستة أذرع، وقالوا كان رأسه يصل الى سنام البعير، وكان طول نعله ذراعاً .

وقالوا: كان جميلاً وسيماً، وكان يتباهى بذلك فقال: رأني عمر متجرداً، أي عرياناً، فقال: ما أرى أحداً من الناس صُورَ صورةً هذا إلا ما ذكر من يوسف! وقد أمّره عمر على قبيلته بجيلة، فشاركوا في القادسية وبعدها. (الإصابة:1/583).

2. أسلم قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بأربعين يوماً، وزعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) بشر المسلمين به قبل أن يصل، وقال إنه خير أهل اليمن، وإن عليه مسحة ملك، وأنه دعا له بالبركة ولذريته، ومسح بيده على رأسه ووجهه و صدره وبطنه، حتى انحنى جرير حياءً أن تدخل يد النبي (صلى الله عليه وآله) تحت إزاره! ثم بسط له عرض رداؤه وقال له: على هذا يا جرير فاقعد! (أوسط الطبراني:6/179، ومسند أحمد:4/360).

وفي الإستيعاب:1/237: «قال جرير: أسلمت قبل موت النبي (صلى الله عليه وآله) بأربعين يوماً».

وفي صحيح بخاري:4/25: «ما حجني النبي منذ أسلمت، ولا رأني إلا تبسم في وجهي. ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري وقال:

اللهم ثبته ، واجعله هادياً مهدياً». وحذف البخاري منه قول جرير إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يتبسم له حتى لو كان في الصلاة! (مبسوط السرخسي: 1/77).

وزعم جرير أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «جرير منا أهل البيت ظهراً لبطن، قالها ثلاثاً». وإذا جاءت الوفود يقول له إلبس حلتك، فيباهي به الناس! (مجمع الزوائد: 9/373).

وهو بذلك يضاهي سلمان الفارسي رضي الله عنه ، عندما رأى احترام المسلمين له ، ودوره المؤثر في فتح العراق وإيران .

كما قالوا إن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث جريراً الى المتنبئ العنسي في اليمن ، والى ذي الكلاع اليهودي، قال البلاذري: 1/125: «قالوا: فبعث رسول الله جرير بن عبد الله البجلي في السنة التي توفى رسول الله فيها، وفيها كان إسلام جرير، إلى الأسود يدعوه إلى الإسلام فلم يجبه. وبعض الرواة ينكر بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) جريراً إلى اليمن».

وفي صحيح بخاري: 4/23: «قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ألا- تريحني من ذي الخلصة؟ وكان بيتاً في خثعم يسمى كعبة اليمانية . قال: فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصحاب خيل، قال: وكنت لا أثبت على الخيل ، فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري ، وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً . فانطلق إليها فكسرها وحرقتها ثم بعث إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخبره ، فقال رسول جرير: والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجوف أو أجرب . قال: فبارك في خيل أحمس ورجالها ، خمس مرات» .

أقول: هذه نماذج من تعظيم جرير لنفسه ، وقد قبل رواية الخلافة كلامه ، لأنه مرضي عند الحكومة . وقد يكون النبي (صلى الله عليه وآله) بعثه الى اليمن لهدم صنم أو لإبلاغ رسالة الى

الأسود العنسي ، أو ذي الكلاع اليهودي ، لكنَّ تباهي جرير وإفراطه في مدح نفسه مردود ، لأن المبالغة والتبجح فيه ظاهران !

3. وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) جريراً وصديقه وأستاذه الأشعث بن قيس بقوله: «أما هذا الأعور ، يعني الأشعث ، فإن الله لم يرفع شرفاً إلا حسده ، ولا أظهر فضلاً إلا عابه ، وهو يُمْنى نفسه ويخدعها ، يخاف ويرجو ، فهو بينهما لا يثق بواحد منهما . وقد من الله عليه بأن جعله جباناً ، ولو كان شجاعاً لقتله الحق !

وأما هذا الأكتف عند الجاهلية ، يعني جرير بن عبد الله البجلي ، فهو يرى كل أحد دونه ، ويستصغر كل أحد ويحتقره ، قد ملئ ناراً ، وهو مع ذلك يطلب رئاسة وروم إمارة ، وهذا الأعور يغويه ويطغيه ، إن حدثه كذبه ، وإن قام دونه نكص عنه ، فهما كالشيطان إذ قالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .» (شرح النهج: 20/286)

ومعنى الأكتف عند الجاهلية: التقليل التصرف عندما تثور جاهليته . والرجل الكثيف: الثقل الغليظ المعاشرة ، لشدة أنانيته .

4. دخل جرير الى العراق مع خالد بعد اليمامة ، وساعده في عقود الصلح وجباية الأموال . وذلك في أوائل السنة الثانية عشرة للهجرة ، أما قبلها فلم يقم جرير بشئ إلا ما روي أنه جاء الى أبي بكر (الكامل: 2/375): «وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام ، وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضباً لذي الخلصة . فخرج جرير وفعل ما أمره ، فلم يقم له أحد إلا نفر يسير فقتلهم وتتبعهم».

ونحن نشك في ذلك أو في أهميته ، لأن بجيلة كانت متفرقة في القبائل ، كما ستعرف . فالمؤكد أن جريراً بدأ نشاطه بعد سنة ونصف من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بذهابه مع خالد .

قال البلاذري: 2/ 296: «وقد روى أن خالدًا لما كان بناحية اليمامة كتب إلى أبي بكر يستمده ، فأمدّه بجرير بن عبد الله ، فلقبه جرير منصرفاً من اليمامة ، فكان معه ، وواقع صاحب المذار بأمره . والله أعلم» .

وقال البلاذري: 2/299: «ثم بعث خالد جرير بن عبد الله البجلي إلى أهل بانقيا ، فخرج إليه بصبهري بن صلوبا فاعتذر إليه من القتال وعرض الصلح ، فصالحه جرير على ألف درهم وطيلسان . ويقال إن ابن صلوبا أتى خالدًا فاعتذر إليه وصالحه هذا الصلح . فلما قتل مهران ومضى يوم النخيلة (أي بعد سنتين) أتاهم جرير فقبض منهم ومن أهل الحيرة صلحهم ، وكتب لهم كتاباً بقبض ذلك..

وقوم ينكرون أن يكون جرير بن عبد الله قدم العراق إلا في خلافة عمر بن الخطاب ، وكان أبو مخنف والواقدي يقولان: قدمها مرتين . قالوا: وفتح جرير بوازيج الأنبار ، وبها قوم من مواليه» .

5. كما ساعد خالد بن الوليد في قتال بني تغلب ، وغدر بهم كصاحبه خالد ! ومن المعروف أن النبي (صلى الله عليه وآله) ركز في حروبه على الروم والفرس ، وعمل لجذب العرب إلى جانبه ، لكن خالدًا لما جاء إلى العراق وعقد عقود الصلح مع المزارعين من أهل البلاد ، كسر هذه السياسة ، وغدر بيني تغلب كما ذكرنا في ترجمته ، وكان معه جرير في هذه الغارة .



قال الطبري: 2/326: «فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن أوى إليه وهم نائمون من ثلاثة أوجه ، فقتلوهم ، وأفلت الهذيل في أناس قليل ، وامتلأ الفضاء قتلى فما شبهوا بهم إلا غنماً مُصْرَعَةً! وكان حرقوص معرساً بامرأة من بني هلال تدعى أم تغلب فقتلت تلك الليلة ، وعبادة بن البشر ، وامرؤ القيس بن بشر ، وقيس بن بشر ، وهؤلاء بنو الثورية من بني هلال ، وأصاب جرير بن عبدالله يوم المصيخ من النمر عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش أخا أوس مناة من النمر ، وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر ياسلامهما ! وبلغ أبا بكر قول عبد العزى وقد سماه عبدالله ليلة الغارة قال: سبحانك اللهم رب محمد. فوداه وودى لبيداً وكانا أصيبا في المعركة.. وكان عمر يعتد على خالد بقتلهما إلى قتل مالك يعني ابن نوية ، فيقول أبو بكر: كذلك يلقي من ساكن أهل الحرب في ديارهم. وقال عبد العزى:

أقول إذ طرق الصباح بغارة \*\*\* سبحانك اللهم ربَّ محمدٍ

سبحان ربي لا إله غيره \*\*\* رب البلاد ورب من يتورد».

6. وزعموا أن جريراً لما كان مع خالد قتل مرزبان المذار ، ولا يصح ذلك ، قال البلاذري: 2/296: «وقد روي أن خالداً لما كان بناحية اليمامة كتب إلى أبي بكر يستمده ، فأمدّه بجرير بن عبد الله ، فلقية جرير منصرفاً من اليمامة فكان معه . وواقع صاحب المذار بأمره والله أعلم . وقال الواقدي: والذي عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالداً قدم المدينة من اليمامة ، ثم خرج منها إلى العراق على فيد والثعلبية ، ثم أتى الحيرة». أي لم يمر من جهة البصرة وميسان والمذار .

وفي تاريخ يعقوبي: 2/143: «فوجه عمر جرير بن عبد الله، فقدم الكوفة، ثم خرج منها فواقع مرزبان المذار فقتله، وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة».

وقال الطبري: 2/557: «وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة».

أقول: المذار مكان قرب مدينة العمارة العراقية، ولم يكن فيها جيش فارسي، وقد تكون فيها حامية صغيرة، وقد ذكرت روايات أن عتبة بن غزوان قتل مزبان المذار، قال في الأخبار الطوال/117: «ثم إن عتبة سار إلى المذار وأظهره الله عليهم، ووقع مرزبانها في يده فضرب عنقه وأخذ بزته، وفي منطقته الزمرد والياقوت، وأرسل بذلك إلى عمر وكتب إليه بالفتح، فتباشر الناس بذلك وأكبوا على الرسول يسألونه عن أمر البصرة، فقال إن المسلمين يهيلون بها الذهب والفضة هيلاً، فرغب الناس في الخروج، حتى كثروا بها، وقوي أمرهم». والطبقات: 7/7.

7. كان جرير جندياً في جيش خالد بن سعيد فجاءته فكرة لجمع بجيلة فرجع ففي تاريخ الطبري: 2/568: «كان جرير بن عبد الله ممن خرج مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام، فاستأذن خالداً إلى أبي بكر ليكلمه في قومه ليجمعهم له وكانوا أوزاعاً في العرب وليتخلصهم، فأذن له فقدم على أبي بكر فذكر له عدة من النبي (صلى الله عليه وآله) وأتاه على العدة بشهود وسأله إنجاز ذلك، فغضب أبو بكر وقال له: ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن يازئهم من الأسدين فارس والروم، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عما هو أرضى لله ولرسوله، دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين، فسار حتى

قدم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئاً مما كان بالعراق ، إلا ما كان بعد الحيرة ، ولا شيئاً مما كان خالد فيه من أهل الردة .».

ومعنى ذلك أن جريراً ترك معركة أجنادين التي كانت في تلك الفترة وبطلها خالد بن سعيد بن العاص ، فقد استأذنه جرير وجاء الى المدينة ليطالب أبا بكر بوعده زعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) وعده فيه أن يجمع له قبيلته بجيلة تحت إمرته !

فأخر أبو بكر حاجته لأنه مشغول بحرب الروم والفرس ، فلم يعد جرير الى الشام ، بل ذهب الى خالد بن الوليد في العراق ، ثم لم يذهب مع خالد الى الشام بل استأذنه ورجع الى أبي بكر يطالبه بإصدار مرسوم ليجمع قبيلته !

قال الطبري: 2/643: «وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر ، استأذنوا خالداً من سؤى (قرب السماوة) فأذن لهم فقدموا على أبي بكر ، فذكر له جرير حاجته فقال: أعلى حالنا! وأخره بها .

فلما ولي عمر دعاه بالبينة فأقامها ، فكتب له عمر إلى عماله السعاة في العرب كلهم: من كان فيه أحد ينسب إلى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام يعرف ذلك ، فأخرجوه إلى جرير ، ووعدهم جرير مكاناً بين العراق والمدينة، فتساموا ، قال لجرير: أخرج حتى تلحق بالمشنى ، فقال: بل الشام ، قال: بل العراق فإن أهل الشام قد قووا على عدوهم ، فأبى ، حتى أكرهوا . فلما خرجوا له وأمرهم بالموعد عوّضه لإكراهه واستصلاحاً له ، فجعل له ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه ، له ولمن اجتمع إليه ولمن أخرج له إليه من القبائل ، وقال: إتخذونا طريقاً فقدموا المدينة ثم فصلوا منها إلى العراق ، مُمدِّينَ للمثنى .».

8. وبعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر ، قال جرير عمر على «الجهاد» بقومه قال البلاذري: 2/311 ، وابن سلام في الأموال/79: «أخبرني الشعبي أن عمر وجه جرير بن عبد الله إلى الكوفة ، بعد قتل أبي عبيد أول من وجه ، قال: هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس؟ قال: نعم!» !

وقال البلاذري: 2/310: «مكث عمر بن الخطاب سنة لا يذكر العراق ، لمصاب أبي عبيد وسليط . وكان المثنى بن حارثة مقيماً بناحية أليس يدعو العرب إلى الجهاد . ثم إن عمر ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتأقلون عنه.. وقدم جرير بن عبد الله من السراة في بحيلة ، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطيه وقومه ربع ما غلبوا عليه . فأجابهم عمر إلى ذلك ، فسار نحو العراق» .

أقول: تلاحظ التفاوت في مقابلة جرير مع الخليفة ، فرواية تقول أكرهه عمر ثم أعطاه ، ورواية تقول إن عمر عرض عليه فقبل ، ورواية تقول إن جريراً طلب من عمر فقبل . كما أن القيمة المروية متفاوتة !

ويتضح منه أن جريراً لم يشارك في فتوح الشام ولا العراق قبل معركة البويب . وكان جنوده ست مائة ، فقضى وقتاً في العراق وهو يرأسل المثنى ليستقبله ويعترف به أميراً عليه ، والمثنى يجيبه أنت مدد لي ، فتفضل إلى الجهاد .

قال ابن الأعمش: 1/136: «ثم دعا عمر بجرير بن عبد الله البجلي فقال له: ويحك يا جرير! إنا قد أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة والمثنى بن حارثة في وجه العدو غير أنه جريح لما به ، فسر نحو العراق فعسى الله عز وجل أن يدفع شر هؤلاء الأعاجم وتخمد بك جمرتهم. قال: فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبع مائة

رجل حتى صار إلى العراق فنزلها، وبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني، فكتب إليه: أما بعد يا جرير فإننا نحن الذين أقدمنا المهاجرين والأنصار من بلدهم، وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلاً ونهاراً، وإنما أنت مدد لنا، فما انتظارك رحمك الله لا تصير إلينا؟ فصر إلينا وكثرنا بأصحابك... قال فكتب إليه جرير: أما بعد فقد ورد كتابك عليّ فقرأته وفهمته، فأما ما ذكرت أنك الذي أقدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت. وليتك لم تفعل!

وأما قولك: إن المهاجرين والأنصار لحقوا ببلدهم، فإنه لما قتل أميرهم لحقوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وأما ما ذكرت أنك أقمتم في نحر العدو فإنك أقمتم في بلدك، وبلدك أحب إليك من غيره.

وأما ما سألتني من المصير إليك، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك، فكن أنت أميراً على قومك، وأنا أمير على قومي. والسلام».

«وتنازع جرير والمثنى بن حارثة الإمارة، فبعث عمر سعد بن مالك وكتب إليهما أن اسمعا له وأطيعا». (تاريخ خليفة/87).

ثم شارك جريراً في المعركة، ولا بد أنه قال المثنى وأخذ منه امتيازاً!

ومن العجيب اعتذار عمر بن الخطاب عن تأمير المثنى على جرير بأن جريراً من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) بينما المثنى ليس من أصحابه! مع أن المثنى صحابي أسلم على أثر وقعة ذي قار أي في السنة الثانية أو الثالثة للهجرة، ووفد إلى النبي (صلى الله عليه وآله). بينما أسلم جرير قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بأربعين يوماً!

قال الطبري: 2/654: «وكتب المثنى إلى عمر يَمْحُلُ بجرير (ينتقده) فكتب عمر إلى المثنى إنني لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمد، يعني جريراً، وقد وجه عمر سعد بن أبي وقاص إلى العراق في ستة آلاف أمره عليهم، وكتب إلى المثنى وجرير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد بن أبي وقاص وأمر سعداً عليهما» .

وهذا يدل على أن الحكام كانوا يعطون لقب الصحابي وامتيازاته إلى المرضي عندهم وينزعوه عن غيره، حتى لو كان صحابياً وأفضل منه !

وقد رووا (مجمع الزوائد: 8/40) أن سلمان الفارسي رضي الله عنه، حاول أن يصحح معنى الصحابي، ووثقوا حديثه: «عن أبي البخري قال: جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي إلى سلمان الفارسي، فدخلا عليه في حصن في ناحية المدائن فأتياه فسلما عليه وحيياه، ثم قالاً: أنت سلمان الفارسي؟ قال: نعم. قالاً: أنت صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: لا أدري. فارتابا وقالاً: لعله ليس الذي نريد، قال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان، إنني قد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجالسته، فإنما صاحبه من دخل معه الجنة، فما حاجتكما؟ قالاً: جئناك من عند أخ لك بالشام، فقال: من هو؟ قالاً: أبو الدرداء...».

9. ثم شارك جرير مع بني بجيلة في معركة البويب، بقيادة المثنى رضي الله عنه ولعل البجليين ضغطوا عليه عندما طلب منه المثنى المشاركة، لأن جيش الفرس داهم المسلمين، وكان جرير بعد ذلك يزعم أن المعركة كانت بقيادته!

قال البلاذري (2/311): «وكان على الناس فيما تزعم بجيلة جرير بن عبد الله، وفيما تقول ربيعة المثنى بن حارثة. وقد قيل إنهم كانوا متسايدين، على كل قوم

رئيسهم . فالتقى المسلمون وعدوهم ، فأبلى شرحبيل بن السمط الكندي يومئذ بلاء حسناً ، وقُتل مسعود بن حارثة أخو المثنى بن حارثة ، فقال المثنى: يا معشر المسلمين ، لا يرْعُكُمْ مصرع أخي، فإن مصارع خياركم هكذا ! فحملوا حملة رجل واحد محققين صابرين ، حتى قتل الله مهرا ن وهزم الكفرة» .

وقد ذكرنا بطولات المثنى في ترجمته، ورويت بطولات لجري ر وقومه ، منها ما رواه الطبري:2/652: «قال المثنى يومئذ: من يتبع الناس حتى ينتهى إلى السيب؟ فقام جرير بن عبد الله في قومه فقال: يا معشر بجيلة إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل مثل الذي لكم منه، ولكم ربع خمسه نفاً من أمير المؤمنين ، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم ، للذي لكم منه ، ونيةً إلى ماترجون ، فإنما تنتظرون إحدى الحسنين الشهادة والجنة والغنيمة والجنة . ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستقتلوا من منهزمة يوم الجسر ، ثم قال: أين المستبسل بالأمس وأصحابه؟ إئتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السيب ، وأبلغوا من عدوكم ماتغيظونهم به هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا .. فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر ثم أخرجهم في آثار القوم ، واتبعهم بجيلة ، وخيول من المسلمين تغدُّ من كل فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيب ولم يبق في العسكر جسريٌّ إلا خرج في الخيل ، فأصابوا من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسمه المثنى عليهم ، وفضل أهل البلاد من جميع القبائل ، ونفل بجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة » . أي الى عمر .

10. ورأى جرير القائد مهران مقتولاً فقطع رأسه وأخذ سلبه ، وادعى أنه قتله! قال الدينوري في الأخبار الطوال/114: «واجتمع عظماء فارس إلى بوران ، فأمرت أن يتخير اثنا عشر ألف رجل من أبطال الأساورة ، وولت عليهم مهران بن مهرويه الهمداني ، فسار بالجيش حتى وافى الحيرة ، وزحف الفريقان ، بعضهم لبعض ، ولهم زجل كزجل الرعد ، وحمل المشى في أول الناس ، وكان في ميمنة جرير وحملوا معه ، وثار العجاج ، وحمل جرير بسائر الناس من الميسرة والقلب وصدقتهم العجم القتال ، فجال المسلمون جولة (انهزموا) فقبض المشى على لحيته وجعل ينتف ما تبعه منها من الأسف ، ونادى: أيها الناس، إِيَّيَّيَّيَّ ، أنا المشى! فثاب المسلمون فحمل بالناس ثانية وإلى جانبه مسعود بن حارثة أخوه ، وكان من فرسان العرب فقتل مسعود ، فنادى المشى: يا معشر المسلمين ، هكذا مصرع خياركم ، إرفعوا راياتكم».

وقال ابن كثير في النهاية:7/36: «فلما طالت مدة الحرب جمع المشى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراني ، فقتل مهران وركب فرسه .

كذا ذكره سيف بن عمر، وقال محمد بن إسحاق: بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبي فطعنه ، واحتز رأسه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصما في سلبه فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقتة ، وهربت المجوس ، وركب المسلمون أكتافهم».



أقول: كان القائد الفارسي وهو حاكم آذربيجان ، يقف في قلب جيشه ويقا تل ويظهر أن جريراً قابله ، فتقدم إليه مهران والتقيا ، وارتجز مهران:

إن تسألوا عني فإني مهران \*\*\* أنا لمن أنكرني ابن باذان

وذكر الطبري (2/654) أن مهران: «نشأ مع أبيه باليمن إذ كان عاملاً لكسرى».

وقصد مهران جريراً فاقتتلا، وساعد آخرون جريراً عليه ، فتخلص منهم مهران ورجع الى صفه ، فحمل عليه المثنى رضي الله عنه ، فانحاز مهران أمامه عن القلب الى اليمين ، فاضطرب جيشه ، فرآه الشاب التغلبي النصراني فقصدته وطعنه فوق عن فرسه ، وانشغل الشاب بأخذ الفرس ، فجاء جرير وقطع رأس مهران وأخذ سلبه . وفي رواية أن الذي طعنه المنذر بن حسان الضبي وانشغل بفرسه هو ، فجاء جرير وحز رأسه وأخذ سلبه .

قال ابن الأعمش: 1/158: «ولحق المنذر بن حسان فرسه فأخذه ، ثم رجع إلى مهران ليسلبه ، فإذا جرير بن عبد الله قد سبقه وأخذ سلبه ، فقال له المنذر: أبا عمرو! أنا قتلت مهران وسلبه لي ولا حق لك فيه ، وإنما شغلني عنه فرسي ، ولقد كنت سيداً في الجاهلية وأنت اليوم سيد في الإسلام ، ولا يجمل بك أن تأخذ ما ليس لك فاردد علي السلب ! قال جرير: فادفع إلي المنطقة وخذ باقي السلب ، فقال المنذر بن حسان: إذاً لا أفعل ، لأنني أنا طعنت مهران وأنا صرعتة عن فرسه ، وأنا قطعت رجله».

هذا ، وذكر ابن الأعمش أن قتل مهران كان في القادسية وهو خطأ . وذكر أنه كان عليه: «قبا حريير وفرطق ديباج ، وفي وسطه منطقة من الذهب مرصعة بالجوهر ، وفي أذنه قرطان من الذهب في كل قرط حبتان من بنات الدر ، وتحتة

فرس له أشقر..فقوم السلب فكانت قيمته بضعة عشر ألف درهم ، وقومت المنطقة فكانت قيمتها ثلاثين ألف دينار».

وقال ابن الأثير في الكامل:2/243: «وقتل غلام نصراني من تغلب مهران واستوى على فرسه ، فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله، وكان التغلبي قد جلب خيلاً هو وجماعة من تغلب ، فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب .

قال: وأفنى المثنى قلب المشركين والمجذبات بعضها يقاتل بعضاً ، فلما رآوه قد أزال القلب وأفنى أهله ، وثب مجذبات المسلمين على مجذبات المشركين ، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل إليهم من يذمرهم ويقول لهم: عاداتكم في أمثالهم ، أنصروا الله ينصركم حتى هزموا الفرس، وسبقهم المثنى إلى الجسر وأخذ طريق الأعاجم، فافترقوا مصعدين ومنحدرين، وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثاً».

أقول: ويؤيد رأي ابن الأثير رواية الطبري ، عن محفز بن ثعلبة قال: «جلب فتية من بني تغلب أفراساً ، فلما التقى الزحفان يوم البويب قالوا: نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم مهران يومئذ ومهران على فرس له وَرْدٌ مجفف بتجفاف أصفر ، بين عينيه هلال ، وعلى ذنبه أهلة من شبّه ، فاستوى على فرسه ثم انتمى: أنا الغلام التغلبي أنا قتلت المرزبان ، فأتاه جرير وابن الهوبر في قومهما ، فأخذا برجله فأنزلاه .

وروى الطبري أيضاً: وقتل غلام من التغلبيين نصراني مهران واستوى على فرسه فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله ، وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل

وسلب ، فهو للذي هو أمير على من قتل ، وكان له قائدان أحدهما جرير ، فاقتهما سلاحه والآخر ابن الهوبر . وروى أيضاً: أن جريرا والمنذر اشتركا فيه فاختصما في سلاحه فتفاضيا إلى المثنى ، فجعل سلاحه بينهما ، والمنطقة والسوارين بينهما . انتهى .

على أي ، لم يكن دور جرير في المعركة بطولياً ، فلا- هو غلب مهران وقتله عندما التقيا بل استعان عليه بالبعليين وهو في المباراة خطأ وضعف !

ولا- هو حمل عليه كما حمل المثنى فهرب مهران أمامه إلى الميمنة ، ولا هو لحقه وقتله كالفتى التغلبي . ولا عندما رآه قتيلاً حمد الله تعالى وترك سلبه لقاتله !

لكن أتباع السلطة ظلوا يكتبون أن جريراً قتل مهران ! «عن الشعبي أن جرير بن عبد الله البجلي بارز مهران فقتله ، فقومت منطقتة بثلاثين ألفاً .» ( نصب الراية: 4/302).

11. سكن جرير وقومه الكوفة وشارك في معركة القادسية وكان قائد الميمنة ، قال ابن الأعمش: 1/137: «ثم سار(سعد) حتى نزل بموضع يقال له شراف ، وجعل عمر لا يقدم عليه أحد إلا وجه به إليه، فكان أول من قدم عليه عمرو بن معدي كرب الزبيدي في زهاء خمس مائة رجل... قال: وصار إليه جرير بن عبد الله البجلي في ست مائة راكب من بجيلة». صار إليه: جاء إليه جرير من داخل العراق.

قال الطبري: 3/79: «فبعث خالد بن عرفطة حليف بني أمية ، ووجه معه عياض بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرتهم زهرة بن حوية التميمي وتخلف سعد لما به من الوجع».

وكان دور جرير والبعليين مؤثراً في معركة القادسية لكنهم بالغوا فيه كثيراً، فجعلوا بجيلة ربع الجيش مع أنهم ست مئة رجل من مجموع نحو ثلاثين ألفاً!

قال جرير: «لقد أتى على نهر القادسية ثلاث ساعات من النهار ما تجري إلا بالدم، مما قتلنا من المشركين». (مصنف ابن أبي شيبة: 8/14).

وقال ابن حجر في الإصابة: 1/583: «وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية».

وقال حازم البجلي كما في الطبري (3/78): «كنا ربع الناس، فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً وإلى سائر الناس فيلين، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ويرشقوننا بالنشاب فكأنه المطر علينا، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفروا. قال: وكان عمرو بن معديكرب يمر بنا فيقول يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً فإنما الأسد من أغنى شأنه، فإنما الفارسي تيس إذا ألقى نيزكه. قال: وكان إسوار منهم لا يكاد تسقط له نشابة، فقلنا له: يا أبا ثور إتق ذلك الفارسي فإنه لا تقع له نشابة! فتوجه إليه ورماه الفارسي بنشابة فأصاب قوسه وحمل عليه عمرو وفاعتنقه فذبحه، واستلبه سوارين من ذهب، ومنطقة من ذهب، ويلمقاً من ديباج. وقتل الله رستم، وأفاء على المسلمين عسكره وما فيه. وإنما المسلمون ستة آلاف، أو سبعة آلاف».

12. وارتكب عمر خطأ كبيراً، فقسم أرض العراق على المقاتلين في القادسية! وكان يحب جريراً فجعل لبجيلة سهمهم وربع الخمس، وربع ما فتحوه من أرض العراق!

فقد صححوا رواية قيس البجلي، قال: «كنا ربع الناس في القادسية فأعطانا عمر ربع السواد، وأخذناها ثلاث سنين، ثم وفد جرير بن عبد الله البجلي إلى عمر بعد ذلك فقال: أما والله لولا أنني قاسم مسؤول، لكنتم على ما قسم لكم، وأرى أن تردوا على المسلمين . ففعلوا». (المجموع: 19/454، والبيهقي: 9/135).

وقال السرخسي في شرح السير: 2/645: «واستدل عليه بفعل عمر، فإنه حين بعث الناس إلى العراق قال لجرير بن عبد الله البجلي: لك ولقومك ربع ما غلبتم عليه ففتحوا السواد . ثم جعل عمر الأرض بعد ذلك أرض خراج، ولم يمنعه ما نقل جريراً وقومه من ذلك».

وفي تاريخ دمشق: 2/202: «قال محمد بن إدريس الشافعي: ليس للإمام إنفاقها (الأرض المفتوحة) وإنما يلزمه قسمتها، فإن اتفق المسلمون على إيقافها ورضوا أن لا تقسم، جاز ذلك . واحتج من ذهب إلى هذا القول بما روي أن عمر بن الخطاب قسم أرض السواد بين غانميها وحائزيها، ثم استنزلهم بعد ذلك عنها واسترضاهم منها فوقها. فأما الأحاديث التي تقدمت فإن عمر لم يقسمها فإنها محمولة على أنه امتنع من إمضاء القسم واستدامته، بأن انتزع الأرض من أيديهم أو أنه لم يقسم بعض السواد وقسم بعضه، ثم رجع فيه». راجع الأم: 4/297.

فهذه الروايات الصحيحة صريحة في أن عمر قسم أرض العراق بالفعل بين جيش القادسية قبل أن يستشير، واستمر ذلك ثلاث سنين، ثم أقنعه علي (عليه السلام) فرجع عن خطئه، وإلا لتكونت في تاريخ العراق طبقة إقطاعية «شرعية» وحولها جماهير فقيرة لا تملك شيئاً!

لكن محبي عمر أنكروا خطأه الذي استمر مصرأ عليه ثلاث سنين ، وقالوا إنه أراد ذلك واستشار عليأ وأخذ برأيه !

قال ابن حجر في فتح الباري:6/157: «روى أبو عبيد في كتاب الأموال من طريق ابن إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عمر أنه أراد أن يقسم السواد فشاور في ذلك فقال له علي: دعهم يكونوا مادة للمسلمين فتركهم».

وقال اليعقوبي:2/151: «وشاور عمر أصحاب رسول الله في سواد الكوفة ، فقال له بعضهم: تقسمها بيننا ، فشاور عليأ فقال: إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجئ بعدنا شئ ، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها ، فتكون لنا ولمن بعدنا . فقال: وفقك الله ! هذا الرأي».

وقال البلاذري:2/326: «عن حارثة بن مضرب أن عمر بن الخطاب أراد قسمة السواد بين المسلمين ، فأمر أن يحصوا فوجد الرجل منهم نصيبه ثلاثة من الفلاحين. فشاور أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) في ذلك فقال علي: دعهم يكونوا مادة للمسلمين . فبعث عثمان بن حنيف الأنصاري فوضع عليه ثمانية وأربعين وأربعة وعشرين واثنى عشر».

على أن التوزيع الذي اعتمده عمر للأراضي ركز ملكية المشاركين في القادسية على حساب سكان العراق ، وعلى حساب الذين جاؤوا بعدهم ، وشاركوا في الفتوحات .

ففي تاريخ الطبري:3/137: «وجمع سعد من وراء المدائن وأمر بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف ، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت ووجد قسمتهم ثلاثة لكل رجل منهم بأهلهم ، فكتب في ذلك إلى عمر فكتب إليه عمر أن أقر الفلاحين على حالهم ، إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك

فأدرکتہ . وأجر لهم ما أجریت للفلاحین قبلهم ، وإذا كتبت إليك في قوم فأجروا أمثالهم مجراهم . فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحاً؟

فأجابہ: أما من سوى الفلاحين فذاك إليكم ما لم تغنموه، يعني تقتسموه، ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلاها فهي لكم، فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتموهم قبل قسمتها فذمة، وإن لم تدعوهم ففي لكم لمن أفاء الله ذلك عليه . وكان أحظى بفي الأرض أهل جلولاء: استأثروا بفي ما وراء النهران، وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك .

فأقروا الفلاحين ودعوا من لج ، ووضعوا الخراج على الفلاحين ، وعلى من رجع وقبل الذمة ، واستصفوا ما كان لآل كسرى ومن لج معهم ، فيئاً لمن أفاء الله عليه ، لا- يجاز بيع شئ من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب ، إلا من أهله الذين أفاء الله عليهم . ولم يجيزوا بيع ذلك فيما بين الناس يعني فيمن لم يفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عز وجل عليه ، فأقره المسلمون لم يقتسموه لأن قسمته لم تتأت لهم . فمن ذلك الآجام ، ومغيض المياه ، وما كان لبيوت النار ، ولسكك البُرد ، وما كان لكسرى ومن جامعته ، وما كان لمن قتل والأرحام .

فكان بعد من يرق يسأل الولاية قسم ذلك فيمنعهم من ذلك الجمهور ، فأبوا ذلك ، فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا وقالوا: لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا . ولو كان طلب ذلك منهم على ملاً لقسمها بينهم .».

ونلفت هنا أن قول جرير وبجيلة إنهم كانوا في القادسية ربع المسلمين ، جاء مقابل قول النخعيين ، ففي مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 718: « كنت لا تشاء أن تسمع يوم القادسية: أنا الغلام النخعي، إلا سمعته».

«فقال عمر: ما شأن النخع أصيبوا من بين سائر الناس ، أفر الناس عنهم؟! قالوا: لا، بل ولوا أعظم الأمر وحدهم» . (ابن أبي شيبة: 8/14، والإصابة: 1/196).

وذكر ابن أبي شيبة أن النخع كانوا في القادسية ألفين وأربع مئة ، أي ربع جيش المسلمين على رواية أنه عشرة آلاف ، وأن ثقل المعركة كان عليهم !

وفي تاريخ الطبري: 3/82 ، أنهم هاجروا من اليمن مع عوائلهم ، وزوجوا سبع مائة من بناتهم إلى المسلمين ، خاصة الأنصار . (ونحوه تاريخ دمشق: 65 / 100).

فقد كان جرير وبنو بجيلة ، خاصة في الثلاث سنوات التي ملكهم فيها عمر ربع أراضي العراق المفتوحة ، بحاجة الى تبرير ذلك ، فكانوا يبررونه تارة بكثرة عددهم وأنهم كانوا ربع جيش القادسية مع أنهم كانوا ست مئة . وتارة بأن دورهم في الحرب كان أكثر من غيرهم . مع أن ثقل القادسية كان على النخعيين وليس عليهم .

كما ينبغي أن نلفت الى أن السياسة المالية التي طبقها الخلفاء والقادة والجنود ، في الأراضي المفتوحة والغنائم وأموال الدولة، فيها تجاوزات كثيرة عن أحكام الإسلام كما بينها أهل البيت (عليهم السلام) . ولا يتسع المجال للتفصيل ، فنحيلك الى مصادر الحديث والفقهاء في أحكام الأراضي المفتوحة ، وأحكام الأنفال ، والغنائم ، والأخماس .

13. وكان جرير قائداً في معركة جلولاء تحت إمرة هاشم المرقال رضي الله عنه قال ابن الأعمش في الفتوح: 1/210: «وحمل جرير بن عبد الله من الميمنة ، وحجر بن



عدي من الميسرة، والمكشوح المرادي من الجناح، وعمرو بن معد يكرب من القلب، وصدقوهم الحملة لولوا مدبرين، ووضع المسلمون فيهم السيف، فقتل منهم من قتل، وانهزم الباقون حتى صاروا إلى خانقين».

قال البلاذري: 2/324: «مكث المسلمون بالمدائن أياماً ثم بلغهم أن يزدجرد قد جمع جمعاً عظيماً ووجهه إليهم، وأن الجمع بجلولاء، فسرح سعد بن أبي وقاص هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إليهم في اثني عشر ألفاً، فوجدوا الأعاجم قد تحصنوا وخذقوا، وجعلوا عيالهم وثقلهم بخانقين، وتعاهدوا أن لا يفروا، وجعلت الأمداد تقدم عليهم من حلوان والجبال. فقال المسلمون: ينبغي أن نعالجهم قبل أن تكثر أمدادهم، فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة، وعمرو بن معدى كرب على الخيل، وطليحة بن خويلد على الرجال، وعلى الأعاجم يومئذ خرزاد أخورستم. فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله، رمياً بالنبل، وطعناً بالرماح حتى تقصفت، وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت.

ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم، وهزموهم فولوا هارين، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً، حتى حال الظلام بينهم. ثم انصرفوا إلى معسكرهم».

وقال ابن الأعمش إن جريراً البجلي كان على الميمنة، ثم قال في: 1/166: «فكان أول من تقدم إلى الحرب من المسلمين جرير بن عبد الله البجلي، ثم حمل فقاتل فأحسن القتال، وحمل على أثره علي بن جحش العجلي، ثم حمل في أثره إبراهيم بن الحارثة الشيباني، ثم تقدم عمرو بن معد يكرب الزبيدي. قال: فجعل القوم

يقتتلون . قال: ثم حمل جرير بن عبد الله على جمع أهل جلولاء ، فلم يزل يطعن حتى انكسر رمحه وجرح جراحات كثيرة ، فأنشأ بعض بني عمه يقول في ذلك:

تواكلت الأمور فلم تواكل \*\*\* أخو النجدات فارسها جرير

جرير ذو الغني وبما تولى \*\*\* أحق إذا تقسمت الأمور

أغاث المسلمين وقد تواصلوا \*\*\* وقدر الحرب حامية تقور

أبا حفص سلام الله منا \*\*\* عليك ودوننا بلد شطير

حمدنا فعل صاحبنا جرير \*\*\* ولم نحمد لك الوالي العطير

فلا تغفل بجيلة إن فيها \*\*\* دواء الداء والحبر الكبير

قال: ثم أقبل جرير بن عبد الله البجلي على بني عمه فقال: يا معشر بجيلة إعلموا أن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظاً سنياً ، فاصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماساً لإحدى الحسنين: إما الشهادة فثوابها الجنة ، وإما النصر والظفر ففيهما الغني من العيلة . وانظروا ، لا تقاتلوا رياءً ولا سمعةً فحسب الرجل خزيًا أن يكون يريد بجهاده حمد المخلوقين دون الخالق .

وبعد ، فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارستموهم ، وإنما لهم هذه القسي المنحنية وهذه السهام الطوال ، فهي أغنى سلاحهم عندهم ، فإذا رموكم بها فتترسوا والزموا الصبر وصابروهم ، فوالله إنكم الانجاد الأمجاد الحسان الوجوه في اقتحام الشدائد ! فاصبروا صبراً يا معشر البجيلة ! فوالله إنني لأرجو أن يرى المسلمون منكم اليوم ما تقر به عيونهم ، وما ذاك على الله بعزير ، ثم أنشأ جرير في ذلك يقول:

تلکم بَجِيلَةً قومي إن سألتَ بها \*\*\* قادوا الجيادَ وفضوا جمع مهرا

وأدركوا الوتر من كسرى ومعرشه \*\*\* يوم العروبة وتر الحي شيبان

فسائلِ الجمعِ جمعَ الفارسيِّ وقد \*\*\* حاولتُ عند ركب الحيِّ قحطان

عز الأولى كان عزاً من يصول بهم \*\*\* ورميةً كان فيها هُلك شيطان

كان الكفور وبئس الفرسُ إن له \*\*\* آباء صدق نموه غير ثيبان

قال: ثم حمل جرير بن عبد الله على جمع أهل جلولاء ، فلم يزل يطاعن حتى انكسر رمحه وجرح جراحات كثيرة ، فأنشأ بعض بني عمه يقول في ذلك:

تواكلتِ الأمور فلم يواكل \*\*\* أخو النجدات فارسها جريراً

جريراً ذو الغني وبما تولى \*\*\* أحقُّ إذا تقسمت الأمور

أغاث المسلمين وقد تواصلوا \*\*\* وقدر الحرب حاميةً تفور

أبا حفص سلام الله منا \*\*\* عليك ودوننا بلد شطير

حمدنا فعل صاحبنا جرير \*\*\* ولم نحمد لك الوالي العطير

فلا تغفل بجيلة إن فيها \*\*\* دواء الداء والحبر الكبير».

14. ثم تقدم جرير داخل إيران وفتح بعض المدن الصغيرة بدون مقاومة تذكر قال البلاذري: 2/370: «قالوا: لما فرغ المسلمون من أمر جلولاء الواقعة ضم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى جرير بن عبد الله البجلي خيلاً كثيفة ، ورتبه بجلولاء ليكون بين المسلمين وبين عدوهم... وقد قدم حلوان فأقام بها والياً عليها إلى أن قدم عمار بن ياسر الكوفة ، فكتب إليه يعلمه أن عمر بن الخطاب أمره أن يمد به أبا موسى الأشعري ، فخلف جرير عزرة بن قيس على حلوان ، وسار حتى أتى أبا موسى الأشعري في سنة تسع عشرة».

15. ثم أمره عمار أن يُمدأ موسى الأشعري في محاصرة عاصمة الأهواز «فكتب عمار إلى جرير وكان مقيماً بجلولاء ، يأمره باللاحق بأبي موسى، فنخلف جرير بجلولاء عروة بن قيس البجلي في ألفي رجل من العرب ، وسار ببقية الناس حتى لحق بأبي موسى ، فكتب أبو موسى إلى عمر يستزيده من المدد ، فكتب عمر إلى عمار يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس ، ويسير بالنصف الآخر حتى يلحق بأبي موسى ، فسار عمار حتى ورد على أبي موسى ، وقد وافاه جرير من ناحية جلولاء». (الأخبار الطوال/130).

أقول: وقعت معركة في فتح تستر على أبواب المدينة ، واستشهد فيها بعض المسلمين فتحصن أهل تستر داخل المدينة ، وتحصن الهرمزان في قلعتها . ثم جاءهم فارسي ليلاً ودلهم على طريق إلى المدينة فدخلوا في الصباح وفاجؤوا أهلها واحتلوها ، واستسلم الهرمزان على أن يبعثوا به إلى عمر ، فأخذ عمار إلى المدينة مع الغنائم .

أما دور جرير وبجيلة في فتح تستر فكان عادياً ضمن دور الكوفيين بقيادة والي الكوفة عمار بن ياسر رضي الله عنه .

16. ثم أرسله أبو موسى الأشعري إلى رامهرمز ليدعوهم إلى الإسلام فسباهم!

قال ابن الأعمش في الفتوح: 2/276: «دعا(أبو موسى) بالنعمان بن مقرن المزني وجرير بن عبد الله البجلي ، فأمرهما بالمسير إلى رامهرمز على أنهما يدعوان أهلها إلى الإسلام . قال: فسار جرير حتى نزل على رامهرمز ، ثم إنه بعث بالنعمان بن مقرن ففتح قلعتين من قلاع رامهرمز وأصاب منها سبياً وخيراً كثيراً .

قال: وفتح جرير بن عبد الله مدينة رام هرمز بالسيف قسراً، فاحتوى على أموالها ونسائها وذريتها. قال: وبلغ ذلك أبا موسى الأشعري فقال لأهل البصرة: ويحكم! إني كنت أعطيت أهل رام هرمز الأمان وأجلتهم ستة أشهر إلى أن يروا رأيهم، فعجل جرير بن عبد الله وأهل الكوفة ففتحوا مدينتهم قسراً وقسموا السبايا، فهاتوا ما عندكم من الرأي!

فقال أهل البصرة: الرأي في ذلك عندنا أن تكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عنه وتخبره بذلك.. فكتب عمر إلى صلحاء عسكر أبي موسى مثل حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب وأنس بن مالك وسعيد بن عمرو الأنصاري وغيرهم أن ينظروا في ذلك، فإن كان أبو موسى قد أعطى رام هرمز من الأمان قبل ذلك كما زعم وأعطاهم عهداً وكتاباً مكتوباً، أن يرد الناس ما في أيديهم من السبي، وإن كانت امرأة حامل أن تحبس في موضع ويوكل عليها ويجرى لها النفقة حتى تضع ما في بطنها، ثم تخير بعد ذلك بين الإسلام والمقام مع صاحبها فإن اختارت الإسلام فذلك، وإن أبت ردت إلى بلادها، وأن تستحلفوا أبا موسى الأشعري أنه قد كان أعطى أهل رام هرمز عهداً وأماناً وضرب لهم أجلاً ستة أشهر كما زعم، فإذا حلف بذلك فيرد السبي ولا سبيل عليهم إلى انقضاء المدة والأجل. فاستحلف المسلمون أبا موسى فحلف أنه قد أعطى أهل رام هرمز أماناً وعهداً مؤكداً وضرب لهم أجلاً، وكانوا في مواعده ستة أشهر.

فلما حلف أبو موسى بذلك رد المسلمون السبي إلى بلادهم ووضعت الحوامل ما في بطونهن فخيرن بعد ذلك ، فمنهن من اختارت الإسلام ، فأقامت مع صاحبها ، ومنهن من أبت فردت إلى بلادها .

قال: وكتب بعض أصحاب جرير بن عبد الله إلى عمر بن الخطاب أبياتاً يذكر فعل جرير بأهل رام هرمز، وأنه لم يفعل ما فعل إلا بأمر أبي موسى ، وأن أبا موسى هو الذي أمرهم بالنزول عليهم وبمحاربتهم...».

أقول: يتعجب الباحث من تغييب سلمان الفارسي عن فتح رامهرمز ، وهي بلده ومنشؤه ، فقد كانت أمه منها ، وأبوه من أصفهان لكنه دهقان رامهرمز ، وقد غيَّب رواية السلطة دوره في دعوة أهلها ، وقد يكون هو الذي طلب لهم المهلة ستة أشهر ليقرروا بين الإسلام والجزية .

ولعل أبا موسى بعث جريراً والنعمان بن مقرن إلى حصون رامهرمز ، فبعثه جرير إلى الحصون وقصد هو المدينة ، ولم يكن فيها قتال يذكر ، ولا نظنه خيرهم بين الإسلام والجزية ، ولا بد أنهم أخبروه أن أبا موسى أعطاهم مهلة ليختاروا ولم تنته المهلة ، ولعلمهم طلبوا حضور ابن بلدهم سلمان الفارسي ، لكن جريراً لم يسمع كلامهم واستباح المدينة ونهبها وسبى نساءها المعروفات بالجمال !

مهما يكن فقد حكم صلحاء معسكر أبي موسى الذين كلفهم عمر بالتحقيق في الأمر ، بأن جريراً أخطأ أو تعمد فنهب وسبى بغير وجه شرعي !

وحكموا عليه فأرجع جنده شيئاً مما أخذوه وبعض الرجال والنساء اللائي لم يحملن ، وبقيت الحوامل حتى تضعن حملهن ، فإن لم تسلم تعطي حملها لأبيه وتعود الى بلدها ! وهي صورة سيئة عما ارتكبه المسلمون !

لكن جريراً وجماعته ظلوا يؤكدون ويحلفون أن أبا موسى هو المقصر فقد أمرهم بقتال أهل رامهرمز وسبيهم ! ولعله أمرهم بقتالهم ، ثم تراجع ، ولا نطيل بذكر مجادلاتهم وشكاياتهم !

17. ثم التحق جرير بجيش المسلمين لمواجهة تجمع جيش الفرس في نهاوند ، فقد كانت معارك المسلمين المهمة مع الفرس خمسة: معركة الجسر والبويب والقادسية وجلولاء ، وآخرها نهاوند ، وهي أهمها وسميت فتح الفتوح .

فقد جمع فيها الفرس من أنحاء بلادهم مئة وخمسين ألفاً ، ونوا أن يقصدوا المدينة المنورة لاستئصال أصل دين العرب ! فكتب عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان والي الكوفة الى عمر بخبرهم ، فخاف عمر وجمع الصحابة .

قال ابن الأعمش (2/291): «فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه وفهم ما فيه ، وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع المسلمون أطيظ أضراسه ! ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد ، وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار! أأفاجتمعوا رحمكم الله وأعينوني أعانكم الله». فأشاروا عليه بآراء مختلفة ، فقال له علي (عليه السلام) : «فأقم بالمدينة ولا تبرحها فإنه أهيب لك في عدوك وأرعب لقلوبهم ، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضهم لبعض: إن ملك العرب قد غزانا بنفسه لقلته أتباعه وأنصاره ، فيكون ذلك أشد

لكلهم عليك وعلى المسلمين ، فأقم بمكانك الذي أنت فيه وابعث من يكفيك هذا الأمر والسلام . قال: فقال عمر رضي الله عنه: يا أبا الحسن! فما الحيلة في ذلك ، وقد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاوند ، في خمسين ومائة ألف يريدون استتصال المسلمين ؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحيلة أن تبعث إليهم رجلاً مجرباً قد عرفته بالبأس والشدة ، فإنك أبصر بجندك وأعرف برجالك ، واستعن بالله وتوكل عليه واستنصره للمسلمين فإن استنصره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها ، فإن أظفر الله المسلمين فذلك الذي تحب وتريد ، وإن يكن الأخرى وأعوذ بالله من ذلك ، تكون رداء للمسلمين وكهفماً يلجؤون إليه ، وفئة ينحازون إليها . قال فقال له عمر: نعم ما قلت يا أبا الحسن... فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته ، أقبل على الناس وقال: ويحكم عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن! والله لقد كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفسي. ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب فقال: يا أبا الحسن! فأشّر علي الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً ، أستكفيه من هؤلاء الفرس فقال: قد أصبته. قال عمر: ومن هو؟ قال: النعمان بن مقرن المزني ، فقال عمر وجميع المسلمين: أصبت يا أبا الحسن! وما لها من سواه . قال: ثم نزل عمر عن المنبر ودعا بالسائب بن الأقرع بن عوف ..».

وقال ابن حبان في الثقات: 2/224: «فلما بلغ الخبر أهل الكوفة من المسلمين كتبوا إلى عمر فلما أخذ عمر الصحيفة مشى بها إلى منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو باكٌ وجعل ينادى: أين المسلمون! أين المهاجرون والأنصار! من هاهنا من



المسلمين! فلم يزل ينادي حتى امتلأ عليه المسجد رجالاً.. قام علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه... فطبق عمر ثم أهل مكبراً يقول: الله أكبر الله أكبر، هذا رأي هذا رأي كنت أحب أن أتابع عليه. صدق بن أبي طالب، لو خرجت بنفسي لتقضت عليّ الأرض من أقطارها، ولو أن العجم نظروا إلى عياناً ما زالوا عن العرص حتى يقتلونني أو أقتلهم. أشر على يا علي بن أبي طالب برجل أوليه هذا الأمر. الخ).

أقول: لم يذكر ابن الأعمش أن عمر عين قائداً بعد النعمان، لكن قال الطبري (4/122): «وكتب (عمر) إلى النعمان وكان بالبصرة، أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن، فإذا قتل فحذيفة بن اليمان، فإن قتل فجرير بن عبد الله فإن قتل فقيس بن مكشوح، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة. وقيل لم يُسم منهم، والله أعلم».

كما روى الطبري (3/203) أن النعمان بن مقرن: «عبأ كتائبه وخطب الناس فقال: إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان، وإن أصيب فعليكم جرير بن عبد الله، وإن أصيب جرير بن عبد الله، فعليكم قيس بن مكشوح».

وقال في الأخبار الطوال/135: «إن قتل النعمان فولئ الأمر حذيفة بن اليمان، وإن قتل حذيفة فولئ الأمر جرير بن عبد الله البجلي، وإن قتل جرير فالأمير المغيرة بن شعبة، وإن قتل المغيرة فالأمير الأشعث بن قيس».

أقول: تضاربت الرواية فيمن يخلف النعمان ، ولا يعلم أن جريراً كان منهم ، والمتفق عليه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، وقد أثبت كفاءة عالية ، وفتح الله على يده وانتصر المسلمون ، وانهزم الفرس ، ثم واصل فتح المدن والمناطق داخل إيران .

وقد رويت بطولات لعدد من الفرسان والقبائل في نهاوند ، ومنهم بنو بجيلة .

قال ابن الأعمش في الفتوح:2/306: «ثم أقبل جرير بن عبد الله البجلي على الناس فقال: يا معشر المسلمين ، إنكم قد علمتم بأن أميرنا النعمان بن مقرن قد قتل منذ ثلاثة أيام وهذا الرابع ، وهؤلاء الأعاجم كلما كسرنا لهم جيشاً زحفوا إلينا بجيش هو أعظم منه ، وقد تعلمون أن يزدجرد ملك الأعاجم قاطبة قد صار إلى أصفهان ، ولست آمن أن يبعث إليكم بجيش عظيم فيكون فيه البوار ، وهذه الشمس قد زالت كما ترون ، فاعلموا أنها لا تغيب إلا ونحن في جوف قلعة نهاوند إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال فقال طليحة بن خويلد الأسدي: والله ما الرأي إلا ما رأيت يا أبا عمرو! ولقد قلت قولاً ويجب أن نجعلها واحدة ، لنا أم علينا ، فإننا لا نطيق كثرة هؤلاء القوم . قال: فقال عمرو بن معد يكرب: ويحك يا طليحة! لا تقل علينا فإني أرجو أن تكون لنا وقلبي يشهد بذلك ، كما أنه يشهد أنني مقتول في هذا اليوم ، ألا! وإني حامل فاحملوا معي رحمكم الله ، فوالله لأجهدن أنني لا أرجع دون أن أفتح أو أقتل».

18. ثم عيّن عمر جريراً والياً على همدان ، وبقي والياً عليها في زمن عثمان ، قال البلاذري:2/394: « فلما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة ، ولى جرير بن عبد الله همدان ، وولى البراء بن عازب قزوين ، وأمره أن يسير إليها فإن فتحها الله على يده غزا الديلم منها ، وإنما كان مغزاهم قبل ذلك من دستبي ، فسار البراء ومعه

حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر فقام على حصنها ، وهو حصن بناه بعض الأعاجم على عيون سدها بجلود البقر والصوف واتخذ عليها دكة ، ثم أنشأ الحصن عليها ، فقاتلوه ثم طلبوا الأمان ، فأمنهم على مثل ما أمن عليه حذيفة أهل نهاوند ، وصالحهم على ذلك ، وغلب على أراضي أبهر» .

ويظهر أن جريراً كان ينتقد عثمان ، فقد كان مع مالك الأشتر في الذين ذهبوا لشكاية والي عثمان على الكوفة ، وكانوا عائدين من العمرة ، فوجدوا أبا ذر قد توفي في الربذة فجهزوه وصلوا عليه ودفنوه . (أنساب الأشراف: 5/545).

قال اليعقوبي: 2/165: «ولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة مكان سعد ، وصلى بالناس الغداة وهو سكران أربع ركعات ، ثم تهوع في المحراب ، والتفت إلى من كان خلفه فقال: أزيدكم؟ ثم جلس في صحن المسجد وأتى بساحر يدعى بطروى من الكوفة ، فاجتمع الناس عليه فجعل يدخل من دير الناقة ويخرج من فيها ويعمل أعاجيب... وأخذ الوليد أبا سنان فضربه مائتي سوط ، فوثب عليه جرير بن عبد الله ، وعدي بن حاتم ، وحذيفة بن اليمان ، والأشعث بن قيس ، وكتبوا إلى عثمان مع رسلهم ، فعزله وولى سعيد بن العاص مكانه» .

لكن يظهر أن جريراً تقرب إلى عثمان واسترضاه ، وسيأتي أن مالك الأشتر رضي الله عنه اتهمه بأن عثمان اشترى منه دينه بولاية همدان . (وقعة صفين/60).

19. وكان جرير البجلي يشرب الخمر ، ويظهر من كلامه أنه كان مدمناً عليها!

فقد روى ابن حزم في المحلى: 488/7: «عن عثمان بن قيس أنه خرج مع جرير بن عبد الله البجلي إلى حمام له بالعاقول ، فأكلوا معه ثم أتوا بعسل وطلاء ، فقال: إشرَبوا العسل أنتم ، وشرب هو الطلاء وقال: إنه يستنكر منكم ولا يستنكر مني! قال: وكانت رائحته توجد من هنالك ، وأشار إلى أقصى الحلقة» !

أقول: دير العاقول بين بغداد والنعمانية، والمقصود هنا العاقول بالكوفة، وهو على شاطئ الفرات، ومعناه أن جريراً كان عنده بستان فيه حمام، ودعا إليه بعض الشخصيات المحترمين، وجاء لهم بعد الغداء بشراب عسل، وله بخمر، وقال لهم: هذا يناسبني ولا يناسبكم! وكانت رائحته قوية فوصلت إلى آخر الحلقة!

20. وكان جرير تلميذ الأشعث، وأداته في الحسد، والفتنة، والتحرش، وقد رووا كيف كذب على عمر فسقط شرحبيل بن السمط، وعزل عمار بن ياسر. قال عمر بن شبة في تاريخ المدينة: 3/819: «أوفد سعد بن أبي وقاص جرير بن عبد الله إلى عمر، فقال له الأشعث بن قيس: إن استطعت أن تنال من شرحبيل بن السمط عند عمر فافعل! وكان شرحبيل قد شرف بالكوفة وكان أثيراً عند سعد، فغم ذلك الأشعث! فلما قدم جرير على عمر سأله عن الناس فقال: هم كقداح الحصير فيها الأعضل الطائش والقائم الرائش، وسعد أمامها يقيم ميلها ويعمر عضاها، وقد قال قائل! قال: وما قال القائل؟ قال: قال:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك \*\*\* وزبراء وابن السمط في لجة البحر

فيغرق أصحابي وأخرج سالماً \*\*\* على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

قال عمر: أقد فعلها؟ وكيف طاعة الناس له؟ قال: يقيمون الصلاة لوقتها ويؤتون الزكاة ولايتها. قال: الله أكبر، إذا أقيمت الصلاة، وأوتيت الزكاة كانت الطاعة. وكتب إلى سعد: أن احمل إلي زبراء وشرحبيلاً، فأرسلهما، فأمسك زبراء عنده بالمدينة، وحمل شرحبيل إلى الشام، فشرف بها.»

وفي مصنف ابن أبي شيبة: 8/ 9، أن جريراً وفد مع عمار الى عمر ، وكان عمار والياً على الكوفة: «فقال عمر: ألا تخبراني عن منزليكم هذين (يقصد الكوفة والمدائن) قال فقال جرير: أنا أخبرك يا أمير المؤمنين ، أما أحد المنزلين فأدنى نخلة من السواد إلى أرض العرب ، وأما المنزل الآخر فأرض فارس وعليها وَحْرُهَا وبقها ، يعني المدائن . قال: فكذبني عمار فقال: كذبت !

قال: فقال عمر: أنت أكذب ! ثم قال: ألا تخبروني عن أميركم هذا أمجز هو؟ قالوا: لا والله ما هو بمجز ولا عالم بالسياسة . فعزله وبعث المغيرة بن شعبة» . والطبري: 3/242، وتاريخ دمشق: 43/450.

ومسألة عزل عمار أعمق من هذا التبسيط ، وقد كان جرير أداة للأشعث وعمر فيها.

21. عندما بايع المسلمون علياً (عليه السلام) دعا جرير المسلمين عنده الى بيعته ووفد اليه قال في أعيان الشيعة: 4/73: «كتب (علي عليه السلام) إلى جرير بن عبد الله البجلي مع زحر بن قيس ، وكان جرير عاملاً لعثمان على ثغر همدان ، يخبره بوقعة الجمل ونكتهم بيعته ، وفعلهم بعامله عثمان بن حنيف وعفوه عنهم، ومسيره إلى الكوفة . فخطبهم جرير فقال: أيها الناس، هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الدين والدنيا ، وقد كان أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه ، وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها . ألا وإن البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة، وعليّ حاملكم على الحق ما استقمتم فإن ملتّم أقم ميلكم. فقال

الناس: سمعاً وطاعةً، رضينا. فأجاب جرير وكتب جواب كتابه بالطاعة.. وقال جرير في ذلك:

أتانا كتاب عليّ فلم \*\*\* نردّ الكتاب بأرض العجم

ولم نعصِ ما فيه لمّا أتى \*\*\* ولما نُضام ولما نُلم

ونحن ولاةٌ على ثغرها \*\*\* نصيم العزيز ونحمي الدم

نساقيهم الموت عند اللقاء \*\*\* بكأس المنايا ونسفي القرم

طحناهم طحنةً بالقنا \*\*\* وضرب سيوف تطير اللمم

مضينا يقيناً على ديننا \*\*\* ودين النبي مجلي الظلم

أمين الإله وبرهانه \*\*\* وعدل البرية والمعتصم

رسول المليك ومن بعده \*\*\* خليفتنا القائم المدّعم

علياً عنيت وصيّ النبي \*\*\* نجالد عنه غواة الأمم

له الفضل والسبق والمكرمات \*\*\* وبيتُ النبوة لا يهتضم

قال: ثم أقبل جرير سائراً من ثغر همدان حتى ورد على علي (عليه السلام) بالكوفة، فبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من طاعة علي (عليه السلام) واللزوم لأمره». وكتاب صفين لنصر بن مزاحم/7، والإمامة والسياسة: 1/82، وجمهرة خطب العرب: 1/308.

22. وبعثه علي (عليه السلام) إلى معاوية يدعوهُ أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون ويبايعه، قال الطبري: 3/560: «وجه علي عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل، جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوهُ إلى بيعته، وكان جرير حين خرج علي إلى البصرة لقتال من قاتله بها بهمدان عاملاً عليها، كان عثمان استعمله عليها، وكان الأشعث بن قيس على آذربيجان عاملاً عليها، كان عثمان

استعمله عليها. فلما قدم علي الكوفة منصرفاً إليها من البصرة كتب إليهما يأمرهما بأخذ البيعة له علي من قبلهما من الناس والإنصراف إليه ، ففعلا ذلك وانصرفا إليه ، فلما أراد علي توجيه الرسول إلى معاوية قال جرير بن عبد الله..إبعثني إليه فإنه لي وُدّ ، آتية فأدعوه إلى الدخول في طاعتك .

فقال الأشتر لعلي: لا تبعته فوالله إنني لأظن هواه معه ! فقال علي: دعه حتى ننظر ما الذي يرجع به إلينا. فبعثه إليه وكتب معه كتاباً يعلمه فيه اجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وما كان من حربيه إياهما ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته ، فشخص إليه جرير ، فلما قدم عليه ماطله واستنظره ، ودعا عمرأ (بن العاص) فاستشاره فيما كتب به إليه ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ، ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم ، ففعل ذلك معاوية .

وكان أهل الشام.. لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضباً بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم إصبغان منها وشئ من الكف، وإصبغان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام ، وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد واثاب إليه الناس ، وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه ، وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفرش ، حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشئ أو تقنى أرواحهم !

فمكثوا حول القميص سنة والقميص يوضع كل يوم على المنبر ، ويجلله أحياناً فيلبسه ، وعلق في أردانه أصابع نائلة ، فلما قدم جرير بن عبد الله على علي فيما

حدثني عمر بن شبة قال: حدثنا أبو الحسن عن عوانة ، فأخبره خبير معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله ، وأنهم سيكون على عثمان ويقولون إن علياً قتله وأوى قتلته ، وإنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه .

فقال الأشر لعلي: قد كنت نهيتك أن تبعث جريراً وأخبرتكَ بعداوتة و غشه ، ولو كنت بعثتني كان خيراً من هذا ، الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه ، ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه !

فقال جرير: لو كنت نَمَّ لقتلوك ، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان !

فقال الأشر: لو أتيتهم والله يا جرير لم يُعيني جوابهم ، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين (عليه السلام) لحبسك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه ، حتى تستقيم هذه الأمور !

فخرج جرير بن عبد الله إلى قرقيسياء ، وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، وخرج أمير المؤمنين فعسكر بالنخيلة ، وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة .»

أقول: صرح جرير في كلامه وشعره بعقيدته في علي (عليه السلام) وأنه وصي النبي (صلى الله عليه وآله) ، فكان عقله مع علي (عليه السلام) وهواه مع معاوية ، وذلك لضعف إيمانه ، مع أنه صرح برأيه السلبي في معاوية . وعندما كان مبعوثاً من علي (عليه السلام) في الشام ، كانت له مواقف ضعيفة ومواقف قوية ، منها ما كتبه الى شرحبيل بن السمط وهو من أركان معاوية:

شرحبيل يا ابن الصممت لاتتبع الهوى \*\*\* فما لك في الدنيا من الدين من بدل

وقل لابن حرب ما لك اليوم حرمة \*\*\* تروم بها ما رمت فاقطع له الأمل

شرحبيل ان الحق قد جد جدده \*\*\* وأنت مأمون الأديم من النغل

فأورد ولا تُقرط بشئ نخافه \*\*\* عليك ولا تعجل فلا خير في العجل

ولا تك كالمجري إلى شر غاية \*\*\* فقد خرق السربال واستنوق الجممل



وقال ابن هند في علي عَضِيهَةً \*\*\* ولله في صدر ابن أبي طالب أجل

وما لعلي في ابن عفان سقطه \*\*\* بأمر ولا جُلِبَ عليه ولا قتل

وما كان إلا لازماً قعر بيته \*\*\* إلى أن أتى عثمان في بيته الأجل

فمن قال قولاً غير هذا فحسبه \*\*\* من الزور والبهتان قول الذي احتمل

وصي رسول الله من دون أهله \*\*\* وفارسه الحامي به يضرب المثل

فلما قرأ شرحبيل الكتاب دُعر وفكر وقال: هذه نصيحة لي في ديني ودنياي، ولا والله لا أعجل في هذا الأمر بشئ . وفي نفسي منه ! فلَفَفَ له معاوية الرجال يدخلون اليه ويخرجون ، ويُعظمون عنده قتل عثمان ويرمون به علياً (عليه السلام) ! ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلفة ، حتى أعادوا رأيه وشحدوا عزمه ! وذلك لما سبق في علم الله من شقائه». «أعيان الشيعة: 4/73).

ويظهر أن جريراً كان يحب أن يلتحق بمعاوية ويكون معه في صفين قائداً أو مشاوراً ، خاصة أنه كتب له يدعو للحضور اليه ، لكنه اصطدم برأي قبيلته بجيلة التي أجمعت على نصرة علي (عليه السلام) وحرب معاوية ، فقرر أن يعتزل الطرفين ! واتخذ من تويخ الأشر وشتمه له مبرراً لذلك !

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين/60: «فلما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسيا ولحق به أناس من قسر من قومه (قسر بطن صغير من بجيلة) ولم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر ، ولكن أحمس (بطن من بجيلة وهم كثرة وفرسان) شهدها منهم سبع مائة رجل ! وخرج علي إلى دار جرير فشعث منها ، وحرقت مجلسه (فقط) وخرج أبو زرعة بن عمر بن جرير فقال: أصلحك الله ، إن فيها أرضاً لغير جرير ، فخرج علي منها إلى دار ثوير بن عامر فحرقها وهدم منها (مجلسه) وكان

ثوير رجلاً شريفاً وكان قد لحق بجريير . وقال الأثر فيما كان من تخويف جريير إياه بعمرو ، وحوشب ذي ظليم ، وذو الكلاع:

لعمرك يا جريير لَقَوْلِ عَمْرٍ \*\*\* وصاحبه معاوية الشامي

وذو كلع وحوشب ذي ظليم \*\*\* أخفُّ عليَّ من زفِّ النعام

إذا اجتمعوا عليَّ فخلَّ عنهم \*\*\* وعن بازٍ مخالبه دوام

فلسْتُ بخائف ما خوفوني \*\*\* وكيف أخاف أحلامَ النيام

وهمُّهمُ الذين حاموا عليه \*\*\* من الدنيا ، وهمي ما أمامي

فإن أسلم أعمُّهم بحربٍ \*\*\* يشيبُ لهولها رأس الغلام

وإن أهلك فقد قدمتُ أمراً \*\*\* أفوز بفلجةٍ يوم الخصام

وقد زاروا إليَّ وأوعدوني \*\*\* ومن ذا مات من خوف الكلام»

أقول: لاحظ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أحرق من بيت جريير وثوير غرفة مجلسهما فقط ، وكأنه يقصد مركز الفساد والنفاق في منزليهما

كما كان الوجهاء ورؤساء العشائر يتخذون في دورهم أو أحيائهم مساجد ، وكان المنافقون أمثال الأشعث وجريير يتذخونها مساجد ضرار ، فسامها أمير المؤمنين (عليه السلام) المساجد الملعونة في الكوفة !

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : « إن بالكوفة مساجد ملعونة ومساجد مباركة..وأما المساجد الملعونة فمسجد ثقيف ، ومسجد الأشعث ، ومسجد جريير ، ومسجد سماك ، ومسجد بالخمراء بُني على قبر فرعون من الفراعنة . وروي أنها المساجد التي فرح أهلها بقتل الحسين (عليه السلام) . (الكافي:3/490، والخمراء: هي باخمري قرية قرب الكوفة ، وفيها قبر ابراهيم بن عبد الله بن الحسن) .

23. وكان جريير يبغض علياً (عليه السلام) ، وقد حرّف حديث الغدير فأضاف فيه مدح أبي بكر وعمرا! وزعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ بذراع علي (عليه السلام) يوم الغدير ، وقال: من

يكن الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً. اللهم إني لا أجد أحداً استودعه في الأرض بعد العبدین الصالحین. أي أبا بكر وعمر!

وكان جرير والأشعث بن قيس وابن حريث وعدة من مترفي الكوفة وشخصياتها المناقفة، يتزهون ويشربون، وقد سخرُوا من أمير المؤمنين (عليه السلام) وبايعوا ضباً بأمرة المؤمنين! (رجال الطوسي/33، والنجاشي/71، ومعجم السيد الخوئي: 4/362، والوافي للصفدي: 1/59، والنهاية: 5/91).

وروى في مناقب آل أبي طالب: 2/97، والخرائج: 2/747: «ياسناده عن الأصبغ قال: أمرنا أمير المؤمنين بالمسير من الكوفة إلى المدائن، فسرنا يوم الأحد وتخلف عنا عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي، مع خمسة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يقال له الخورنق والسدير وقالوا: إذا كان يوم الجمعة لحقنا علياً قبل أن يجمع الناس، فصلينا معه. فبينما هم جلوس وهم يتغدون إذ خرج عليهم ضب فاصطادوه، فأخذه عمرو بن حريث فبسط كفه فقال: بايعوا هذا أمير المؤمنين! فبايعه الثمانية، ثم أفلتوه وارتحلوا وقالوا: إن علي بن أبي طالب يزعم أنه يعلم الغيب، فقد خلعناه وبايعنا مكانه ضباً!

فقدموا المدائن يوم الجمعة، فدخلوا المسجد وأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب على المنبر فقال (عليه السلام): يا أيها الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسرّ فيما أسرّ إليّ من العلم حديثاً فيه ألف باب، وكل باب يفتح منه ألف باب، وإني سمعت الله يقول: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ.. وإني أقسم بالله قسماً حقيقاً لبيعثن يوم القيامة ثمانية نفر من عسكري هذا يدعون أنهم أصحابي، لحقوا بنا آنفاً، إمامهم ضبّ اصطادوه في طريقهم وبايعوه، ولو شئت أن أسميهم لفعلت! فتغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم، وكان عمرو بن حريث ينتفض كما تنتفض السعفة جبناً وفاقاً!

24. لكن بجيلة أخلصت ولاءها لأمير المؤمنين (عليه السلام) واستبدلت جريراً برفاعه ، وقد شاركت مع علي (عليه السلام) في صفين فقد كان الأحمسيون الفرسان سبع مئة ، وربما كان الباكون من بقية بطون بجيلة أكثر . بينما لم يكن منهم مع معاوية إلا قلة .

قال نصر في صفين/229: «وأمر(علي (عليه السلام) كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام ، إلا قبيلة ليس منهم بالشام أحد ، مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم إلا عدد يسير ، فصرفهم إلى لخم » . أي جعلهم مقابل قبيلة لخم .

وذكر في صفين /205، أن رئيسهم كان رفاعه بن شداد رضي الله عنه ، وهو فارس ، وفقهه ، وسيد قراء الكوفة ، وكان من كبار شيعة علي (عليه السلام) وشارك معه في حرب الجمل هو وكثير من البجليين . وهذا يدل على أن رئاسة بجيلة خرجت من يد جرير رغم ثروته من الفتوحات ، وولايته لمنطقة همدان المهمة .

وقد روى النسائي وابن ماجه عن رفاعه ، ووثقوه . وروى هو عن أستاذه الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي . (تهذيب التهذيب:3/243)

وقد ثبت رفاعه على التشيع بعد علي (عليه السلام) . وعندما قبض معاوية على حجر بن عدي وأصحابه، طلبه فهرب مع عمرو بن الحمق الى الموصل . ثم كان من رؤساء التوابين . ثم خرج مع المختار للطلب بدم الإمام الحسين (عليه السلام) . (راجع: أنساب الأشراف:5/272، و:6/364، والفتوح لابن الأعمش:2/462، والطبري:4/523).

نتيجة

يتضح لك من سيرة جرير بن عبد الله البجلي، دوره الحقيقي في معارك الفتوحات ، وأنه كان دوراً متوسطاً أو أقل ، وقد ضخموه لأنه مرضي عند السلطة! على أنه يبقى أشجع من خالد وسعد ، ويبقى دوره الميداني أكبر من أدوارهما المزعومة ، لأن جريراً كان مقاتلاً أحياناً ، بينما كان خالد وسعد سياسيين ، في ثوب فرسان !

ص: 126

## عمرو بن العاص.. لا نبيل ولا شجاعة!

1. كان أبوه العاص بن وائل السهمي من زنادقة قريش ، وقد سماه الله الأبتري قال المؤرخ ابن حبيب في المنمق/388 ، إن زنادقة قريش.. تعلموا الزندقة (الإلحاد) من نصارى الحيرة: «وهم: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي ، وصخر بن حرب ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبي بن خلف ، وأبو عزة ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، من بني عبد الدار ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج » .

وفي الكنى والألقاب:1/56: «وكان العاص بن وائل السهمي بيطاراً يعالج الخيل، وكان ابنه عمرو جزاراً، وكذلك أبو حنيفة صاحب الرأي والقياس».

وكان العاص أحد المستهزئين الخمسة ، وهم أشد المشركين عداءً للنبي (صلى الله عليه وآله) . وقد عملوا لقتله (صلى الله عليه وآله) ثلاث سنوات وهم يتربصون الفرصة لقتله غيلةً ، ويطالبون أبا طالب وبني هاشم أن يدفعوه اليهم ليقتلوه ، ثم أنذروه وحددوا له وقتاً ليتراجع عن نبوته ، وإلا قتلوه جهاراً! فأنزل الله عليه قوله:فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ .

وجاءه جبرئيل (عليه السلام) وقال له: لقد كفأك الله إياهم! فقتل الله خمستهم ، كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه ، في يوم واحد .

فأما الوليد بن المغيرة والد خالجه فمرَّ بنبل لرجل راسه ووضع في الطريق فأصابه شظية منه فانتقطع أكحله حتى أدماه فمات وهو يقول: قتلني رب محمد!

وأما العاص بن وائل السهمي ، فإنه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده تحته حجر ، فتقطع قطعة قطعة ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد!

وأما الأسود بن عبد يغوث ، فخرج يستقبل ابنه زمعة فاستظل بشجرة ، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فأخذ رأسه فنطح به الشجرة ، فقال لغلامه: إمنع هذا عني فقال: ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك! فقتله وهو يقول: قتلني رب محمد !

وأما الأسود بن المطلب فدعا عليه النبي (صلى الله عليه وآله) أن يعمي الله بصره ، ويثكله ولده فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع ، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي ، وبقي حتى أثكله الله عز وجل ولده !

وأما الحارث بن الطلائفة فخرج من بيته في السموم فتحول حبشياً فرجع إلى أهله فقال: أنا الحارث ، فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: قتلني رب محمد !

فقتل الله خمستهم ! قد قتل كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه ، في يوم واحد ! وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا له: يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك ! فدخل النبي (صلى الله عليه وآله) منزله فأغلق عليه بابه مغتماً لقولهم ، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) عن الله عز وجل من ساعته فقال: يا محمد ، السلام يقرأ عليك السلام ، ويقول لك: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. يعني أظهر أمرك لأهل مكة ، وادعهم إلى الإيمان. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدونني؟ قال له: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، قال: يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي! قال: وقد كفيتهم. فأظهر أمره عند ذلك». (حلية الأبرار: 1/127).

وفي سيرة ابن هشام: 2/265 ، وأسباب النزول للواحدى/307: « كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: دعوه فإنما هو رجل أتر لاعقب له ، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه، فأنزل الله تعالى في ذلك: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.

ما هو خير لك من الدنيا وما هو فيها ، والكوثر: العظيم من الأمر . إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ: العاص بن وائل .».

« عن ابن عباس قال: نزلت هذه السورة في العاص بن وائل بن هشام بن سَعِيد بن سهم ، أنه رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا، وأناس من صنديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتَر ، يعني النبي (صلى الله عليه وآله) وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وكان من خديجة ، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتَر، فسمته قريش عند موت ابنه أبتَر وصنبراً فأنزل الله سبحانه: إنا أعطيناك الكوثر .» ( أسباب النزول/306 )

وفي مناظرة الإمام الحسن (عليه السلام) مع عمرو كما في التشریف بالمنن لابن طاووس/362: «أنت كالكلب لا يحمد منه رأس ولا ذنب . قديمك مذموم ، وحديثك بالشر موسوم ، ولدت على فراش مشترك ، واختصم فيك خمسة ، فغلب عليك الأهم حسباً وأخبثهم منصباً . وأنت الأبتَر شاني محمد (صلى الله عليه وآله) ، وأنت الراكب إلى النجاشي لانتقاص جعفر وتعريضه للتلف . وأنت الهاجبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعين بيتاً حتى قال: اللهم العنه بكل بيت لعنة ! وأنت الملهب المدينة ناراً على عثمان ، والهارب إلى فلسطين ، والبائع بعدد من معاوية بدنياه الدين .».

ورواه في الاحتجاج:1/411، مفصلاً وفيه: «ثم قمت خطيباً وقلت: أنا شاني محمد وقال العاص بن وائل: إن محمداً رجل أبتَر لا ولد له فلو قد مات انتقطع ذكره ،

فأنزل الله تبارك وتعالى: **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**. وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية، تأتيهم في دورهم ورحالهم وبطون أوديتهم!

ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عدوه أشدهم له عداوة، وأشدهم له تكديباً. ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين إلى النجاشي، فحاق المكر السيئ بك، وجعل جدك الأسفل، وأبطل أمنيته، وخيب سعيتك، وأكذب أحدوثتك، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا. ولسنا نلومك على بغضنا، ولا نعاتبك على حبنا، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام، وقد هجوت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعين بيتاً من شعر فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي أن أقوله، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة!**

أقول: في سورة الكوثر حقائق كثيرة، لا يتسع لها المجال. ومعناها أن الله تعالى أعطى لرسوله (صلى الله عليه وآله) كوثر الذرية من فاطمة (عليها السلام)، وحوض الكوثر في المحشر، ونهر الكوثر في الجنة. فقد استعملت الكلمة في عدة معان، وهذا من بلاغة القرآن.

2. وتُعرف أم عمرو بالنابعة، وهي أمة لبني عنزة، كانت في مكة صاحبة راية وقد اختارت أباً لعمرو بعد ولادته، من بين خمسة رجال زنوا بها! قال الزمخشري في ربيع الأبرار: 4/275: «كانت النابعة أم عمرو بن العاص أمة رجل من عنزة، فسببت فاشتراها عبد الله بن جدعان فكانت بغيّاً ثم عتقت، ووقع عليها أبو لهب، وأمّية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن



وائل في طهر واحد ، فولدت عمراً ، فادعاه كلهم فحُكِّمَتْ فيه أمه (وكانت القاعدة تحكيم البغية) فقالت: هو للعاص ، لأن العاص كان ينفق عليها ، وقالوا: كان أشبه بأبي سفيان .»

وقال الأميني (رحمة الله) في الغدير (2/122) ما خلاصته: قال الكلبي في مثالب العرب في باب تسمية ذوات الرايات: وأما النابغة أم عمرو بن العاص فإنها كانت بعياً قدمت مكة ومعها بنات لها، فوقع عليها العاص بن وائل ، وأبو لهب ، وأميمة بن خلف، وهشام بن المغيرة ، وأبو سفيان بن حرب ، في طهر واحد فولدت عمراً فاخترت القوم جميعاً فيه كل يزعم أنه ابنه ، ثم إنه أضرب عنه ثلاثة وأكبَّ عليه اثنان: العاص بن وائل، وأبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان: أنا والله وضعت في حر أمه . فقال العاص: ليس هو كما تقول هو ابني ، فحكَّما أمه فيه ، فقالت: للعاص . فليل لها بعد ذلك: ما حملك على ما صنعت وأبو سفيان أشرف من العاص؟ فقالت: إن العاص كان ينفق على بناتي ، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق عليَّ العاص شيئاً ، وخفت الضيعة .

وقال حسان بن ثابت لعمر بن العاص ، رداً على هجائه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) :

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت \*\*\* لنا فيك منه بينات الدلائل

ففاخر به إما فخرت ولا تكن \*\*\* تفاخر بالعاص الهجين بن وائل

وإن التي في ذلك يا عمرو حكمت \*\*\* فقالت رجاء عند ذلك لنائل

من العاص عمرو وتخبر الناس كلما \*\*\* تجمعت الأقسام عند المحامل

ووصفوا أبا سفيان بأنه: دميمٌ قصيرٌ أخفش العينين . (سمط اللالي/332).

ووصفوا عمرو العاص بأنه قصير ، يخضب لحيته بالسواد . (الحاكم:3/452) .

«قصيراً عظيم الهامة نأتى الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللحية ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم الكفين والقدمين » . (فتوح مصر للقرشي المصري/133) .

ومما نلاحظه أن علياً (عليه السلام) كان يسميه: ابن النابغة ، ولم يقل ابن العاص أبداً!

3. وكان عمرو من طفولته كأبيه العاص يُبغض النبي (صلى الله عليه وآله) ويُبغض عشيرته ، فقد روى المقرئ في إمتاع الأسماع: 5/333 ، عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: «توفي القاسم بن النبي (صلى الله عليه وآله) فمر رسول الله وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو بن العاص ، فقال عمرو حين رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني لأشئوه فقال العاص: لاجرم لقد أصبح أبتراً ، وأنزل الله تعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» .

وقد عمل عمرو مع أبيه ضد النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأرسلته قريش مرتين الى النجاشي تطلب منه أن يرد إليها المسلمين الذين اضطهدتهم وهاجروا الى الحبشة!

ففي ذخائر العقبى/213 ، عن ابن مسعود: «أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعماراً بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية..» .

وقال دحلان في سيرته: 417/1: «كان لعمرو بن العاص هجرتان إلى الحبشة في شأن المهاجرين على ما يذكره التاريخ: أحدهما مع عماراً في بدء الهجرة ، والثاني مع عبد الله بن ربيعة بعد بدر ، ورجع خائباً خاسراً» .

وقال له الإمام الحسن (عليه السلام) في مناظرته (الإحتجاج: 1/415): «وأما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتري.. كنت في كل مشهد يشهده رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عدوه أشدهم له عداوة وأشدهم له تكديباً! ثم كنت في أصحاب السفينة الذين

أتوا النجاشي في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين ، فحاق المكر السيئ بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمنيته  
وخيب سعيك ، وأكذب أحذوثك، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا».

وقد أبغض عمرو والنبي (صلى الله عليه وآله) وحاربه وهجاه في حياته، وكذب عليه بعد وفاته!

ففي مصباح البلاغة: 4/27: «ومن كلامه (عليه السلام) لما بلغه أن عمرو بن العاص خطب الناس بالشام فقال: بعثني رسول الله (صلى الله  
عليه وآله) على جيش فيه أبو بكر وعمر فظننت أنه إنما بعثني لكرامتي عليه ، فلما قدمت قلت: يا رسول الله ، أي الناس أحب إليك؟ فقال:  
عائشة . قلت: من الرجال؟ قال: أبوها . وهذا عليٌّ يطعن على أبي بكر وعمر وعثمان . وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول إن  
الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه ، وقال في عثمان: إن الملائكة لتستحي من عثمان ، وقد سمعت علياً وإلا فصممتا يروي على عهد  
عمر أن نبي الله نظر إلى أبي بكر وعمر مقبلين فقال: يا علي هذان سيذا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ما خلا النبيين منهم  
والمرسلين ، ولا تحدثهما بذلك فيهلكا!

فقال علي (عليه السلام) : العجب من طغاة أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو ويصدقونه وقد بلغ من حديثه وكذبه وقلة ورعه أن يكذب  
على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد لعنه سبعين لعنة ، ولعن صاحبه الذي يدعو إليه في غير موطن! وذلك أنه هجا رسول الله (صلى  
الله عليه وآله) بقصيدة سبعين بيتاً فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اللهم إني لا أقول الشعر ، فالعنه أنت وملائكتك بكل بيت لعنة  
تترى على عقبه إلى يوم القيامة!

ما لقيت من هذه الأمة من كذابها ومنافقتها! لكأنني بالقراء الضعفة المجتهدين قد رووا حديثه وصدقوه فيه ، واحتجوا علينا أهل البيت بكذبه أنا نقول خير هذه الأمة أبو بكر وعمر ، ولو شئت لسميت الثالث . والله ما أراد بقوله في عايشة وأبيها إلا رضا معاوية! ولقد استرضاه بسخط الله! وأما حديثه الذي يزعم أنه سمعه مني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليعلم أنه كذب عليّ يقيناً ، وإن الله لم يسمعه مني سراً ولا جهرًا! اللهم العن عمرواً والعن معاوية بصددهما عن سبيك، وكذبهما على كتابك، واستخفافهما بنبيك (صلى الله عليه وآله) ، وكذبهما عليه وعليّ»

وفي شرح النهج: 4/63: «إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السلام) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلفوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير.. وأما عمرو بن العاص ، فروى عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص ، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين !

وأما أبو هريرة ، فروى عنه الحديث الذي معناه أن علياً خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأسخطه ، فخطب على المنبر وقال: لاها الله! لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله أبي جهل! إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ، فإن كان علي يريد ابنة أبي جهل ، فليفارق ابنتي وليفعل ما يريد » .

وهذا يدل على أن عمرو العاص كان محترفاً للكذب ، وكان يؤكد ذلك بفجور !

4. وكان عمرو من نشأته حريصاً على أن يظهر بمظهر الفروسية والشجاعة ، كغيره من شباب المجتمع القرشي ، وقد شارك في حروب قريش ضد النبي (صلى الله عليه وآله) لكن لم يعهد عنه أنه برز الى أحد ، أو شارك في القتال بجدية في حرب من الحروب ، بل كان مناوراً يجنب نفسه القتال ، كصديقه خالد بن الوليد .

وكان صديقه معاوية أصغر منه سناً ، ورووا لهما حفلات لهو ، فقد كانا بعد وقعة أحد يتغنيان بمقتل حمزة رضي الله عنه ، ويسخران بالنبي (صلى الله عليه وآله) !

قال الصحابي أبو برزة وغيره: «كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سفر ، فسمع رجلين في غرفة في ربوة يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر ، وهو يقول:

تركت حوارياً تلوح عظامه \*\*\* زوى الحرب عنه أن يُجنَّ فيقبرا

فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : أنظروا من هما ؟ قال: فقالوا: عمرو ومعاوية . فقال (صلى الله عليه وآله) : اللهم اركسهما ركساً ، ودعّهما إلى النار دعّاً .»

وقد صححه بعض أئمة الحديث . أنظر: جزء أحاديث الشعر/95 ، للمقدسي ، ومسند أبي يعلى: 13 /429 ، والطبراني الكبير: 11/38 ، والأوسط: 7/133 ، وابن أبي شيبة: 7/508 .

ومعنى البيت: افتخار المشركين بأنهم تركوا بغيراً في أحد ظاهرة عظامه ، وقد شغل الحرب المسلمين أن يدفنوه ، ويقصدون حمزة (رحمة الله) .

ومعنى الرّكس: قلب الشيء على رأسه أو ردُّ أوله على آخره . والدّع: الدفع بدون احترام .

وفي الغارات: 2/513: «بلغ علياً (عليه السلام) أن ابن العاص ينتقصه عند أهل الشام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا عجباً لا ينتقصي لابن النابغة ، يزعم لأهل الشام أن فيّ دعاة ، وأنّي أمرؤٌ تلعبه ، أعافس وأمارس ، إنه والله يعلم لقد قال كاذباً ونزغ آثماً ، أما يشغله عن ذلك ذكر الموت وخوف الله والحساب؟

أما وشر القول الكذب ، إنه ليقول فيكذب ، ويعد فيخلف ، ويسأل فيلحف ، ويسأل فيبخل ، وينقض العهد ويقطع الإل . فإذا كان عند البأس فزاجر وأمر ، ما لم تأخذ السيوف مأخذها من الهام ، فإذا كان ذلك فأكبر مكيدته أن يُمَرِّقَ ويمنح إسته ، قبحه الله وتَّرحه . . وأمالي الطوسي/131

ولم أجد معنى يُمرِّقَ ، ولا بد أن تكون بمعنى ينكص ويهرب . وقد تفرد بروايتها الثَّقفي ، وفي أكثر المصادر: فغاية مكيدته أن يمنح القِرْمَ سُبَّته ! أي إذا تفوق عليه من يبارزه كشف عورته أمامه ، ليغض بصره ويتركه ، فينجو من القتل !

وهذا أمر مشهور عن عمرو ، تكرر منه في مبارزته لعلي (عليه السلام) ، وعيَّره به معاوية ، وكفى به رداً على من ادعى له بطولة في الفتوحات !

قال في شرح النهج: 6/317: «وروى الواقدي قال: قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة له لعمر بن العاص: يا أبا عبد الله لا أراك إلا ويغلبني الضحك! قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين ، فأزريت نفسك فرقاً من شبا سنانه وكشفت سواتك له ! فقال عمرو: أنا منك أشد ضحكاً ، إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك ، وربما لسانك في فمك ، وغصصت بريقك ، وارتعدت فرائصك ، وبدا منك ما أكره ذكره لك !

فقال معاوية: لم يكن هذا كله ، وكيف يكون ودوني عك والأشعريون ! قال: إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل ذلك بك ودونك عك والأشعريون ، فكيف كانت حالك لو جمعكما مآقط الحرب؟ فقال: يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجد ، إن الجبن والفرار من عليٍّ لا عار على أحد فيهما !»

5. اعترف عمرو وزميله خالد بن الوليد أن سبب إسلامهما هو الطمع الدنيوي فقد قال كما في مجمع الزوائد ووثقه: (9/350): «لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ويسمعون مني ، فقلت لهم: تعملون والله إنني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرًا ، وإنني قد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا: وما رأيت؟ قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ! وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا: إن هذا الرأي».

ثم وصف عمرو كيف أن خالد بن الوليد وافقه على رأيه . لكنهما قررا أن يُسلما بعد عمرة القضاء في السنة السابعة ، وجاءا إلى المدينة وأسلما .

6. ضخموا دور عمرو وزميله خالد مع النبي (صلى الله عليه وآله) في الستين اللتين أسلما فيهما ،

وقد كشفنا ذلك في السيرة النبوية عند أهل البيت (عليهم السلام) ، فراجع ما كتبناه عن دور خالد في غزوة مؤتة ، ودور عمرو في غزوة ذات السلاسل .

7. وضخموا دور عمرو في فتوحات فلسطين ومصر ، واخترعوا له بطولات !

ونلاحظ أنه لا أثر له في معارك الردة ، في الدفاع عن المدينة ، ثم في معركة بزاخة مع طليحة الأسدي ، ولا في معركة اليمامة مع مسيلمة الكذاب ، ولا في معارك البحرين وعمان مع المرتدين ، وكذا في فتح العراق وفارس .

ثم ننظر في معارك وفلسطين والشام ومصر فلا نجد له مبارزة ولا قتالاً جاداً في أي منها ، بل نجد أنه والرواة معه اخترعوا معارك لا وجود لها ! وقد كان غائباً عن بعضها، وحاضراً في بعضها ، لكنه غير مقاتل ، ولا قائد ميداني !

قال البلاذري: 1/130: «فأول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزة يقال لها دائن، كانت بينهم وبين بطريق غزة، فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً، ثم إن الله تعالى أظهر أولياءه وهزم أعداءه وفض جمعهم، وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام. وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك البطريق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطين جمعاً للروم، فوجه إليهم أبا أمامة الصدي بن عجلان الباهلي فأوقع بهم، وقتل عظيمهم ثم انصرف.

روى أبو مخنف في يوم العربة أن ستة قواد من قواد الروم نزلوا العربة، في ثلاثة آلاف، فسار إليهم أبو أمامة في كثف من المسلمين فهزمهم وقتل أحد القواد، ثم اتبعهم فصاروا إلى الدبية وهي الدابية، فهزمهم وغنم المسلمون غنماً حسناً.

كانت أول وقائع المسلمين وقعة العربة ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز. ولم يمروا بشئ من الأرض فيما بين الحجاز وموضع هذه الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب، وصار في أيديهم».

أقول: لم يكن عمرو بن العاص ولا خالد في هذه الوقعة. وأبو أمامة اسمه صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه، وهو صحابي من خيرة شيعة علي (عليه السلام).

فقد روى عنه محمد بن سليمان في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام): 1/545، بسنده أنه: «دخل على معاوية بن أبي سفيان فألطفه وأدناه، ثم دعا بغداء فجعل يطعم أبا



أمامة بيده ، ثم أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده ثم أمر له ببدره دنانير فأتي بها فدفعتها إليه ثم قال: يا أبا أمامة سألتك بالله ، أنا خير أم علي بن أبي طالب؟! فقال أبو أمامة: والله لا كذبت ، ولو بغير الله سألتني لصدقت، فكيف وسألتني بالله! عليّ والله خير منك وأكرم وأقدم هجرة ، وأقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قرابة وأشد في المشركين نكاية وأعظم على المسلمين منةً، وأعظم غناءً عن الأمة منك! يا معاوية أتدري ويلك من علي؟ ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وابن أخي حمزة سيد الشهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين الطيار مع الملائكة في الجنة، فأين تقع أنت من هذا يا معاوية ، أو ظننت أنني سأخبرك على علي بن أبي طالب بالطافك وإطعامك ومالك، فأدخل إليك مؤمناً وأخرج عنك كافراً! بئس ما سولت لك نفسك يا معاوية! ثم نفص ثوبه وخرج من عنده . قال: فأتبعه معاوية بالمال فقال: والله لا أرزأ منه ديناراً أبداً».

8. وجعلوا دور شرحبيل وخالد بن سعيد وغيرهم لابن العاص وابن الوليد! قال الحموي في معجم البلدان: 2/127: «وفتحت طبرية على يد شرحبيل بن حسنة في سنة 13 صلحاً على أنصاف منازلهم وكنائسهم، وقيل: إنه حاصرهما أياماً ، ثم صالح أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم إلا ما جلوا عنه وخلوه ، واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً . ثم نقضوا في خلافة عمر ، واجتمع إليهم قوم من شواذ الروم فسير أبو عبيدة إليهم عمرو بن العاص في أربعة آلاف وفتحها على

مثل صلح شرحبيل . وفتح (شرحبيل) جميع مدن الأردن على مثل هذا الصلح ، بغير قتال... جرش.. وهو من فتوح شرحبيل بن حسنة في أيام عمر».

وقال اليعقوبي: 2/141: «وكان المتولي لذلك (صلح الأردن) شرحبيل بن حسنة».

وقال الحموي: 4/311: «قدّس: بالتحريك والسين المهملة أيضاً: بلد بالشام قرب حمص ، من فتوح شرحبيل بن حسنة ، وإليه تضاف بحيرة قدس».

أما معركة أجنادين التي كانت سبب فتح فلسطين ، فكانت قيادتها مشتركة وكانت بطولتها للصحابي خالد سعيد بن العاص رضي الله عنه ، وهو من كبار شيعة علي (عليه السلام) . لكن الرواة جعلوا قيادتها و بطولتها لعمر بن العاص !

لقد نص المؤرخون على أن أبا بكر أرسل الى بلاد الشام أربعة ، وأمّر كل واحد منهم على جيشه ، وأمّر عليهم إن اجتمعوا أبا عبيدة بن الجراح . فكان الجيش الأول بقيادة يزيد بن أبي سفيان ، الى البلقاء في الأردن ، وكان أول من خرج . والثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة ، الى الأردن ، وقصد في طريقه بصرى في شرق سوريا . والثالث بقيادة أبي عبيدة الى الجابية قرب دمشق . والرابع بقيادة عمرو بن العاص الى فلسطين ، وكان آخر الجيوش .

أما خالد بن سعيد بن العاص ، فكان القائد العام لجيوش الشام ، ثم أصرّ عمر على أبي بكر أن يعزله فعزله وهو في الطريق ، فسلم الجيش ليزيد بن أبي سفيان ، وذهب مع شرحبيل بن حسنة ، وكان شرحبيل يحترمه ويعامله كقائده .

قال في الطبقات:4/98: «لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد أوصى به شرحبيل بن حسنة ، وكان أحد الأمراء فقال: أنظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك مثلما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام ، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) توفي وهو له وال ، وقد كنت وليته ثم رأيت عزله ، وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه ، ما أغبط أحداً بالأمانة! وقد خيرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك على ابن عمه ، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقي الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، وليكن خالد بن سعيد ثالثاً ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً. وإياك واستبداد الرأي عنهم ، أو تطوي عنهم بعض الخبر .

قال محمد بن عمر (وهو الواقدي): فقلت لموسى بن محمد: رأيت قول أبي بكر قد اختارك على غيرك؟ قال: أخبرني أبي أن خالد بن سعيد لما عزله أبو بكر كتب إليه أي الأمراء أحب إليك؟ فقال: ابن عمي أحب إلي في قرابته وهذا أحب إلي في ديني فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وناصرني على ابن عمي. فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة».

أقول: يقصد بـابن عمه يزيد بن أبي سفيان . أما شرحبيل فهو بن المطاع الكندي صحابي عرف باسم أمه حسنة ، وهو من قبيلة غوث من كندة ، ولد في مكة وتحالف مع بني زهرة ، وأسلم وهاجر إلى الحبشة ، وكان فارساً صديقاً لخالد بن سعيد ، فاختر سعيد أن يكون معه ، فأعطاه قيادة الخيل ، ولعل خطط شرحبيل العسكرية كلها من خالد بن سعيد .

وكان هرقل يومها في حمص ، فأخذ يجمع الجيش لقتال المسلمين في أجنادين بفلسطين ، وتقع في منطقة الخليل قرب مدينة بيت جبرين .

قال البلاذري:1/135: ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سرّب هرقل أكثرهم، وتجمع باقوهم من النواحي، وهرقل يومئذ مقيم بحمص». « واجتمعت الروم بأجنادين ، وعليهم تذارق أخو هرقل لأبويه ، وقيل كان على الروم القبقلار. والكامل: 2/417 ، وفتوح ابن الأعمش:1/113.

« فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هرقل ». (تاريخ الطبري: 611/ 2).

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق:16/66:«فحملت خيلهم على خالد بن سعيد ، وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ثم ينقض عليهم فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً».

واستبسل فيها أخوه أبان بن سعيد: «ورُمي أبان بن سعيد بن العاص بنشابة فنزعها وعصبها بعمامته فحمله أخواه خالد بن سعيد وعمرو بن سعيد فقال: لا تنزعوا عمامتي عن جرحي ، فإنكم إذا انتزعتموها عن جرحي تبعثها نفسي ، أما والله ما أحب أنها بأقصى حجر من البلاد مكاني ، فلما نزعوا العمامة مات (رحمة الله) .. واستشهد من المسلمين طائفة..وانتهى خبر الوقعة إلى هرقل ، فنَحِبَ قلبه ومُلئ رعباً ، فهرب من حمص إلى أنطاكية». (معجم البلدان:1/103) .

وفي التنبيه للمسعودي/248: «ولقيتهم الروم بأجنادين، ثم بمرج الصُّقْر ، فهزموا وقتلوا قتلاً ذريعاً. وسار المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها(عادوا الى محاصرتها) وتوفي أبو بكر وهم محاصروها ، وكانت وفاته بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة13 للهجرة».

أقول: تكشف النصوص المتقدمة عن أن دور عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كان في أجنادين كغيرهما أو أقل ، فلم يسجل لهما الرواة ضربةً بسيف ولا طعنةً برمح ، لكنهم مع ذلك جعلوا المعركة مرة لهذا ، ومرة لذلك !

ففي تاريخ دمشق:2/100: «كانت أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأميرها عمرو بن العاص ، ومعه خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة».

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب:1/64: «وكان بأجنادين أمراء أربعة: أبو عبيدة ابن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة كل على جنده. وقيل إن عمرو بن العاص كان عليهم يومئذ» .

واكتفى المتعصبون بـ«(قيل)» أو بقول عمرو ، أو بقول ابنه عبد الله الذي كان يفتخر بأبيه في بيت المقدس ! كما في تاريخ دمشق:2/102: «عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث في بيت المقدس يقول: شهدنا أجنادين ونحن يومئذ عشرون ألفاً وعلى الناس يومئذ عمرو بن العاص فهزمهم الله تعالى ، ففادت فئة (من الروم ) إلى فحل في خلافة عمر ، فسار إليهم في الناس عمرو بن العاص » .

أما المتعصبون لخالد بن الوليد ، فقالوا إن أجنادين معركة خالد ، ولا قائد غيره ولا بطل غيره ! قالت رواية البلاذري: 1/135: «ثم كانت وقعة أجنادين، وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سرب هرقل أكثرهم، وتجمع باقوهم من النواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاءً حسناً ثم إن الله هزم أعداءه .»

وفي رواية البلاذري أيضاً: 1/134: « إن خالد بن الوليد صار إلى غوطة دمشق ، ثم فرعها إلى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى العقاب فبها سميت ثنية العقاب ، وصار إلى حوران ، فقصد مدينة بصرى فحاربهم ، فسألوه الصلح فصالحهم ، ثم صار إلى أجنادين وبها جمع للروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرق جمع الكفرة .»

وقال ابن الأعمش: 1/115: «ذكر وقعة أجنادين وهي أول وقعة لخالد بن الوليد مع الروم، قال: فأصبح خالد يوم السبت يعبي أصحابه فجعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته سعيد بن عامر بن جديم، وعلى جناح الميمنة يزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة على جناح الميسرة، وخالد بن سعيد بن العاص على الكمين، ثم جعل خالد بن الوليد نساء المسلمين من وراء الصفوف وأمرهن فاحترمن وتشمرن وأخذن في أيديهن الحجارة، وجعلن يدعون الله ويستنصرنه على أعداء المسلمين . قال: وجعل خالد بن الوليد لا يقر بمكان واحد، ولكنه يقف على كتية كتية من المسلمين ويقول: إتقوا الله عباد الله! وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا- تنكصوا على أعقابكم...».

ثم لم تصف الرواية كيف قتال خالد للروم ، بل وصفت تقتيل خالد لأسراهم بعد هزيمتهم ، فقالت: «واحتوى المسلمون على غنائم الروم فجمعوها ، وقدم خالد من أسر منهم وهم يزيدون على ثمان مائة رجل ، فضرب أعناقهم صبراً ، وما أبقى على واحد منهم» .

وهكذا يلخصون المعركة بعبقريّة لابن العاص أو ابن الوليد ، لا ترى أثرها ، أو بطوليّة تسمع إسمها ولا تجد فعلها ، إلا قتل الأسرى المكتنّين ! ولا ينفعهم أن يكون القائد العام للمعركة عمرو ، بعد أن وصفه الإمام علي (عليه السلام) : «إذا كان عند البأس فزاجراً وأمر ، ما لم تأخذ السيوف مأخذها من الهام»!

ومن عجيب تعصبهم لخالد ، أن أبا بكر توفي بعد معركة أجنادين مباشرةً ، فكان أول مرسوم كتبه عمر بعزل خالد بن الوليد . لكن الرواة واصلوا رواية عبقرية خالد القيادية و بطولاته حتى وهو معزول ، وحتى وهو غائب .

ومن عجيب تعصبهم لابن العاص أنهم يروون حوله وعنه أنه كان دنيوياً لا دين له ، يتاجر بدماء المسلمين ويسرقهم ، ثم يمدحون بطولاته ومكره وكيده !

9. لفقدان عمرو البطولة الحقيقية اخترع لنفسه بطولات في المكر والدهاء فصرت تقرأ له قصصاً أسطورية عن مناوراته ودهائه ، كقصة ذهابه متتراً الى الأرطبون ، الذي زعم أنه كان قائد جيش الروم في معركة أجنادين .

ففي الطبري: 2/101: «وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غوراً وأنكاها فعلاً ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً ، وبإيلياء جنداً عظيماً ، وكتب عمرو إلى عمر

بالخبر ، فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرتطون الروم وأرتطون العرب ، فانظروا عم تتفرج !

فذهب عمرو الى الأرتطون كأنه رسول من عمرو ، فاكتشفه أرتطون من فصاحته أنه هو عمرو بن العاص قائد جيوش المسلمين ، فأراد أن يقتله ، لكن عمرواً تخلص منه عمرو وقال له نحن عشرة قادة فصحاء أرسلنا عمر بن الخطاب مشاورين لولي الله عمرو بن العاص ، فأرسل معه شخصاً لآتيك بهم ، فأرسل معه شخصاً فتخلص منه ونجا ! «وعلم الرومي بأنه قد خدعه فقال: خدعني الرجل، هذا أدهى الخلق، فبلغت عمر فقال: غلبه عمرو ، لله عمرو!» !

ثم صار الأرتطون صديقاً لعمرو ، وكان يعلم المغيبات ، فأخبره أن الذي يفتح بيت المقدس هو عمر: «قال: صاحبها رجل إسمه عمر ثلاثة أحرف ، فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر ، وكتب إلى عمر يستمده ويقول: إني أعالج حرباً كؤداً صدوماً ، وبلاداً أدخرت لك ، فرأيتك

ولما كتب عمرو إلى عمرو بذلك عرف أن عمرواً لم يقل إلا بعلم ، فنادى في الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية». (الطبري:3/103).

ثم ذكرت الأسطورة أن الأرتطون هذا ذهب الى مصر ، فكان في بلبس يحرك المقوقس أن يقاتل المسلمين ولا يصالحهم ، وكان يعدهم بنصرة الروم لهم لكن عمرواً قاتلهم وانتصر عليهم ، وهرب الأرتطون ! (الطبري:3/198).

قال الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه: تاريخ عمرو بن العاص/76:



«ذكر بطر/215، أن لفظ أرطوبون الذي يطلقه العرب على هذا القائد خطأ، والصحيح أريطيون». فترى هذا الدكتور يقبل أساطير عمرو، لم يوثق قصة أرطوبون ولا قيادته التي زعمها لجيش الروم في أجنادين، والمعروف أن قادة الجيش الرومي كانوا: أخ هرقل لأبيه وأمه، وابنه ولي عهده، وآخرون ليس فيهم أرطوبون.

أما الواقدي فكأنه لم يعجبه اسم الأرطوبون، فجعله المقوقس ملك مصر! ونقل قصته (2/56) شبيهاً بقصة أرطوبون عند الطبري وأن عمرواً ذهب إليه متتكرراً! ومما جاء فيها: «فلما سمعوا كلام عمرو وفصاحته وجوابه الحاضر قالوا بالقبطية للملك: إن هذا العربي فصيح اللسان جرى الجنان، ولا شك أنه المقدم على قومه وصاحب الجيش، فلو قبضت عليه لانهب أصحابه عنا. قال، وغلام عمرو وردان يسمع ذلك، فقال الملك: إنه لا يجوز لنا أن نغدر برسول لا سيما ونحن استدعيناه إلينا. فقال وردان بلسان آخر ما قالوه، ففهم عمرو كلامه.. فقالوا.. يا أخا العرب ما نظن أن في أصحابك من هو أقوى منك جناناً ولا أفصح منك لساناً. فقال عمرو: أنا ألكن لساناً ممن في صحابي، ومنهم من لو تكلم لعلمت أني لا-أفاس به. فقال الملك: هذا من المحال أن يكون فيهم مثلك. فقال: إن أحب الملك أن آتية بعشرة منهم يسمع خطابهم؟ فقال الملك: أرسل فاطلبهم. فقال عمرو: لا يأتون برسالة، وإنما إن أراد الملك مضيت وأتيت بهم. فقال الملك لوزرائه: إذا حضروا قبضنا عليهم، والأحد عشر أحسن من الواحد ووردان يفهم ذلك. ثم إن الملك قال لعمرو: إمض ولا تبطئ عليّ، فوثب عمرو قائماً وركب جواده، فقال الملك بالقبطية: لأقتلنهم أجمعين. فلما خرج

من مصر قال له وردان ما قاله الملك، فلما وصل إلى الجيش أقبلت الصحابة وسلموا عليه وهم يقولون: والله يا عمرو لقد ساءت بك الظنون، فأقبل يحدثهم بما وقع له معهم ، وبما قالوه وبما قاله وردان ، فحمدوا الله على سلامته».

10. وبلغ عمرو أوج كذبه في أسطورة الملكة العروس أرمانيوسة بنت المقوقس!

تقرأ في الواقدي (2/43) أسطورة أخرى عن لسان البطل الداهية عمرو بن العاص ، بأنه أغار على موكب الملكة أرمانيوسة بنت الملك المقوقس ، وكانوا يزفونها الى زوجها ابن هرقل، ويحرسها جيش من عشرة آلاف مقاتل وأكثر فغنمها عمرو ، ومن معها وما معها ، ثم تفضل وأرجعها الى أبيها ، فأسلمت !

قال الواقدي (2/44): «كان فلسطين بن هرقل قد تزوج بابنة المقوقس أرمانيوسة وكان قد جهزها أبوها وأرسلها مع غلمانها وأموالها إلى بلبس ، ثم إنها وجهت حاجبها تميلاطوس إلى الفرما في ألفي فارس ، لحفظ ذلك المكان..

وأثوا إلى عسكر أرمانيوسة وإذا به عسكر كبير أكثر من عشرة آلاف .. أنفذت (أرمانيوسة) كتاباً إلى أبيها المقوقس تعلمه بذلك وأنها مغلوبة معهم وأن العرب متوجهون مع رجل يقال له عمرو بن العاص ، وأنا منتظرة جوابك .

قال: فلما وصل الكتاب اليه دعا أرباب دولته وقال لهم: قد تم من الأمر علي كذا وكذا ، فما تشيرون به علي؟ قالوا: أيها الملك نرى لك من الأمر أن تنفذ جيشاً إلى الملكة ينصرها على عدوها ، وتنفذ إلى جلباب ملك البرية تستنصر به على هؤلاء العرب ، وتنفذ إلى مازع بن قيس ملك البجاوة ينفذ لك جيشاً ،

وتنفذ إلى من بالإسكندرية يأتون ، والى من بالصعيد يأتون ، فإذا اجتمعت إليك هذه الأمم فالق بهم العرب ، ولا تأمن لهم فيطمعوا فيك .

فقال: يا أهل دين النصرانية إعلموا أن الملك محتاج إلى سياسة ، ومن ملك عقله ملك رأيه ، ومن ملك رأيه أمن من حوادث دهره ، وليست الغلبة بالكثرة وإنما هي بحسن التدبير ، والله لقد كان قيصر أكثر مني جنداً وأوسع بلاداً وأعظم عدة ، وقد جمع من بلاد الروم إلى اليونانية ، ومن أقاليمة ومن القسطنطينية ومن سائر البلاد ، وبلاد الأندلس واستنصر بنا وبغيرنا ، فما أغنى عنه جمعه شيئاً ، ولا قدر أن يرد القضاء والقدر عنه...

قال: فترك عمرو بن العاص الأثقال ومعها من يحفظها ، وركب وسار بجرائد الخيل وترك مع الأثقال عامر بن ربيعة العامري... فما كان قبل طلوع الفجر... ووضعوا السيف في القبط ، فما طلعت الشمس إلا وقد قتل من القبط أكثر من ألف ، وأسر منهم خلق كثير ، وولى الباقي منهزمين ، وأخذت أرمانوسة ابنة الملك وجميع ما معها من الأموال والرجال والجواري والغلمان .

فقال عمرو بن العاص لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله سبحانه وتعالى قد قال: هل جزاء الإحسان ، وهذا الملك قد علمتم أنه كاتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعث هدية ، ونحن أحق بمن كافأ عن نبيه (صلى الله عليه وآله) هديته، وقد رأيت أن ننفذ إلى المقوقس ابنته وما أخذنا معها.. فاستصوبوا رأيه ، فبعث بها مُكْرَمَةً مع جميع ما معها... قال الواقدي: وأسلمت أرمانوسة ومن كان يلوذ بها..»

وغرض هذه الأسطورة إثبات بطولة عمرو العاص بأنه واجه عشرة آلاف جندي وأكثر! بمجموعة قليلة من الفرسان ، فقتل منهم ألفاً وانتصر عليهم!

ولم يقل عمرو العاص هل كان هؤلاء الجنود من الروم ، وقد انسحبوا من مصر؟ أم كانوا من الأقباط ولم يكن عندهم جيش منظم؟! أو من الملائكة!

ثم تريد الأسطورة إثبات أن عمرو مؤمنٌ ونبيل ، فقد أطلق ابنة المقوقس ، ليشكر المقوقس ويردَّ له احترامه للنبي (صلى الله عليه وآله) وهديته له!

11. ونسبوا الى عمرو قصة اليمامة التي باضت على فسطاطه ليقولوا كان نبيلاً! قال الحموي في معجم البلدان: 4/263: «وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذين شهدوا فتح الحصن خمسة عشر ألفاً وخمس مائة ، وقال عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص: إن الذين جرت سهامهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفاً وثلاث مائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل والموت ، وكان قد أصابهم طاعون ، ويقال إن الذين قتلوا من المسلمين دفنوا في أصل الحصن .

فلما حاز عمرو ومن معه ما كان في الحصن ، أجمع على المسير إلى الإسكندرية فسار إليها في ربيع الأول سنة 20 ، وأمر عمرو بفسطاطه أن يقوض فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه فقال: لقد تحرمت بجوارنا ، أقرأ الفسطاط حتى تنقف (تخرج من البيضة) وتطير فراخها ، فأقر فسطاطه ووكل به من يحفظه أن لا تهاج ، ومضى إلى الإسكندرية وأقام عليها ستة أشهر ، حتى فتحها الله عليه».

أقول: لا شك أنه يوجد في المسلمين أهل نبل ووجدان ديني رفيع ، وأصحاب قلوب شفافة ، يصدر منها أمثال هذا العمل ، وقد كان في الثلاثة آلاف أو أربعة آلاف الذين دخلوا مصر مع عمرو، من هم أهل لأن يصدر منهم هذا الفعل .

لكن الكلام في نسبته الى عمرو بن العاص ، لأنه لا ينسجم مع شخصيته وتاريخه ولا مع حصاره لذلك الحصن القبطي ، وقتل أهله ونهبه ! على أنه لم يثبت حصول أي مقاومة أو معركة للمسلمين مع المصريين .

12. وكل المعارك في فتح مصر من مكذوباتهم ، لأنها فتحت صلحاً بلا قتال! فقد اخترع عمرو واخترعوا له معارك وبطولات في فتح مصر، مع أنه لم تكن فيه أي معركة على الإطلاق! فلم يكن في مصر جيش رومي لأنهم سحبوا قواتهم الى فلسطين وسوريا والقسطنطينية ، والذين بقوا من الروم في مصر كانوا سكاناً أو موظفين لا مقاتلين . أما أهل مصر الأقباط فقد قرروا أن يصلحوا المسلمين ولا يحاربوهم ، وقد تحملوا لذلك غضب هرقل .

إن حقيقة فتح مصر أن عمرواً دخلها في ثلاثة آلاف وخمس مئة رجل ، فاستقبله ملكها المقوقس ووقع معه عهد الصلح على أن يدفع مبلغاً فعلاً ، ويدفع عن كل مصري دينارين في السنة، وتم ذلك بدون ضربة سيف ولا سوط وحكم المسلمون مصر بدل الروم ، وأخذوا يديرونها ، ويأتون اليها للسكنى .

وقد ذكرنا الأدلة على ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، وأن كل ما ادعاه عمرو العاص ورواته من معارك ، مكذوب مخترع من أصله ! ومن هذه المعارك المزعومة:

أ. «قدم عمرو بن العاص، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما، قاتلته الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر، ثم فتح الله على يديه». (فتوح مصر وأخبارها/134).

ب. «أتى أم دنين فقاتلوه بها قتالاً شديداً، وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى عمر يستمده فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم». (فتوح مصر وأخبارها/136).

ج. «أن عمرو بن العاص حصرهم بالقصر الذي يقال له باب اليون حيناً، وقاتلهم قتالاً شديداً يصبّحهم ويُمسّيهم، فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويعلمه بذلك، فأمدّه بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل، وكتب إليه عمر بن الخطاب: إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد... وقال آخرون بل خارجة بن حذافة الرابع، لا يعدون مسلمة، وقال عمر بن الخطاب: أعلم أن معك اثنا عشر ألفاً ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة». (فتوح مصر وأخبارها/138).

وقد تقدمت رواية الطبري أنهم فتحوا باب الحصن، وخرجوا اليهم مصالحين.

د. «لما حاصروا باب اليون وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوه بها شهراً، فلما رأى القوم الجدد منهم على فتحه والحرص، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي». (فتوح مصر وأخبارها/136).

ه. «ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، ثم هزمهم الله. ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوماً. وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو». (فتوح مصر وأخبارها/156).

ومما يوجب الشك في هذه المعارك أنه روي ما يضادها ، وأن روايتها لاتذكر صورة عن جانب أو حدث منها، ولا تسمى أحداً قتل فيها ، من المسلمين أو غيرهم !

13. واستطاب عمرو طعم خراج مصر ، فحوّنه عمر وصادر نصف أمواله ! ففي فتوح مصر وأخبارها/173: «لما فتح عمرو بن العاص مصر، صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ، ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ ، على دينارين دينارين ، فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف .»

وفي معجم البلدان(4/263): «وكان الذي انعقد عليه الصلح أن فرض على جميع من بمصر ، أعلاها وأسفلها ، من القبط ، ديناران على كل نفس في السنة من البالغين ، شريفهم ووضعهم ، دون الشيوخ والأطفال والنساء. وعلى أن للمسلمين عليهم النزول حيث نزلوا ثلاثة أيام ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يعترضون في شئ منها ، وكان عدد القبط يومئذ أكثر من ستة آلاف ألف نفس والمسلمون خمسة عشر ألفاً .»

وفي معجم البلدان(5/141): «وكان المقوقس قد تضمن مصر من هرقل بتسعة عشر ألف ألف دينار ، وكان يجبيها عشرين ألف ألف دينار ، وجعلها عمرو بن العاص عشرة آلاف ألف دينار أول عام ، وفي العام الثاني اثني عشر ألف ألف ، ولما وليها في أيام معاوية جباها تسعة آلاف ألف دينار ، وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة عشر ألف ألف دينار» .

وهذا يدل على أن مجموع سكان مصر من الأقباط ، كان بضعة عشر مليوناً .

وفي شرح النهج: 1/174: «وروى الزبير بن بكار قال: لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت، فكتب إليه: أما بعد، فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك، ولا كان لك مال قبل أن أستعملك، فأنى لك هذا! فوالله لو لم يهمني في ذات الله إلا من أختان في مال الله لكثير همى وانتثر أمري، ولقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك ولكنني قلدتك رجاء غنائك، فاكتب إليّ من أين لك هذا المال، وعجل.»

فكتب إليه عمرو: أما بعد، فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين، فأما ما ظهر لي من مال فإننا قدمنا بلاداً رخيصة الأسعار كثيرة الغزو، فجعلنا ما أصابنا في الفضول التي اتصل بأمير المؤمنين نبؤها، ووالله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك وقد ائتمنتني. فإن لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك.

وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني، فإذا كان ذلك فوالله ما دقت لك يا أمير المؤمنين باباً، ولا فتحت لك قفلاً.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنني لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام في شيء، ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال ولن تعدموا عذراً، وإنما تأكلون النار وتتعجلون العار! وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة، فسلم إليه شطر مالك. فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاماً ودعاه فلم يأكل، وقال هذه مقدمة الشر، ولو جئتني بطعام الضيف لأكلت، فنح عنى طعامك، وأحضر لي مالك، فأحضره، فأخذ شطره. فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه قال: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر، والله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منهما



عباءة قطوانية ، لا تجاوز مابض ركبتيه ، وعلى عنقه حزمة حطب ، والعاص بن وائل في مزررات الديداج . فقال محمد: إبهأ عنك يا عمرو! فعمرو والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه فإنهما في النار ، ولولا الإسلام لألفيت معتلفاً شاة ، يسرك غزرها ، ويسوءك بكؤها . قال: صدقت ، فاكتب عليّ . قال: أفعل .» .

وفي أنساب الأشراف للبلاذري: 1/258: «لما قاسم محمد بن مسلمة عمرو بن العاص قال عمرو: إن زماناً عاملنا فيه ابن حنتمة هذه المعاملة لزمان سوء . لقد كان العاص يلبس الخز بكفاف الديداج . فقال محمد: مه ! لولا زمان ابن حنتمة هذا الذي تكرهه ألفيت معتقلاً عنزاً بفناء بيتك يسرك غزرها ويسوءك بكؤها . قال: أنشدك الله أن لا تخبر عمر بقولي فإن المجالس بالأمانة . فقال: لا أذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حي .» . والغزير: غزارة الحليب . والبكأ: شحة الحليب .

وفي الوافي (5/20) أن عمرواً حاول أن يرشو محمد بن مسلمة، فلم يقبل!

14. وأحرق سعد كتب الفرس وأحرق عمرو مكتبة الإسكندرية ، بأمر عمر! فقد روى ذلك المؤرخون وحاول بعضهم نفيه، لكن علماء الوهابية افتخروا به! قال ابن خلدون في تاريخه: 1/480: « ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة ، كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتقليلها للمسلمين ، فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء ، فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه ، وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله ! فطرحوها في الماء أو في النار ، وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا .

وأما الروم فكانت الدولة منهم اليونان أولاً، وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب، وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم، واختص فيها المشاؤون منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم، كانوا يقرأون في رواق يظلهم من الشمس والبرد على ما زعموا، واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدن، ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم إلى تلميذه أرسطو، ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفردوسي وتامسطيون، وغيرهم، وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من أيديهم، وكان أرسخهم في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيه صيتاً، وكان يسمى المعلم الأول فطار له في العالم ذكر.

ولما انقرض أمر اليونان وصار الأمر للقيصرة، وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائع فيها، وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنهم، قد ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم، ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له، وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للأمم، وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع، حتى إذا تبجح من السلطان والدولة وأخذ الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم، وتقنوا في الصنائع والعلوم تشوقوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية، بما سمعوا من الأساقفة والأقسسة المعاهدين بعض ذكر منها، وبما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث

إليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها، وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها.

وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله ، فانبعث لهذه العلوم حرصاً ، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي ، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب ، وعكف عليها النظر من أهل الإسلام ، وحذقوا في فنونها ، وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها، وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول ، واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ، ودونوا في ذلك الدواوين ، وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم. وكان من أكابره في الملة أبو نصر الفارابي ، وأبو علي بن سينا بالمشرق ، والقاضي أبو الوليد بن رشد ، والوزير أبو بكر بن الصائغ بالأندلس ، إلى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم، واختص هؤلاء بالشهرة والذكر ، واقتصر كثيرون على انتحال التعاليم ، وما ينضاف إليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ، ووقفت الشهرة في هذا المنتحل على مسلمة بن أحمد المجريطي ، من أهل الأندلس وتلاميذه». ورواه في كشف الظنون: 1/679 .

وقد ألف الشيخ ناصر بن حمد الفهد وهو من علماء الوهابية كتاباً للدفاع عن فعل عمر سماه: إقامة البرهان على وجوب كسر الأوثان .

وألف الشيخ سفر الحوالي الوهابي كتاباً باسم: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، وزعم في (2/41) أن قوله تعالى: مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا. يدل على وجوب إحراق هذه الكتب! لكن

الآية لا- علاقة لها بالموضوع! قال الحوالي: «فهذه الآية نسفت كل النظريات والفلسفات المخالفة للوحي ، الكوني منها والإنساني ، ووسمت أصحابها باسم المضلين، وما كانوا دائماً إلا كذلك ، وعلى هذا المنهج سار عمر بن الخطاب -نفسه فإنه لما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة ، كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذن في شأنها وتقليلها للمسلمين...وعليه كذلك كان موقف أئمة الإسلام وعلماء الملة ، كالأئمة الأربعة ووكيع وابن المبارك والسفيانين والفضيل ، وغيرهم ممن سبقهم أو لحقهم . وعلى هذا ثبتت الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة في كل العصور، فقد تعرضت كتب الفلسفة والمنطق للحرق والمصادرة في عصور متعاقبة ، ولاحقها علماء الإسلام بالفتاوى المدمرة».

أقول: هناك فرق في الموقف من الكتب التي تتضمن أفكاراً مخالفة للإسلام ، بين مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ومذهب الخلافة القرشية ، وقد تمسكت الخلافة بموقف عمر بن الخطاب وحكمه بوجوب حرقها وإتلافها ومعاقبة الذين يدرسونها .

بينما يرى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بأن ملاك الحكم فيها هو سوء الإستفادة منها والإضرار بالمسلمين، ولهذا أفتوا بجواز اقتنائها ودراستها لنقد ما فيها من مخالفات . وقد بحثوا حكمها في كتب الفقه تحت عنوان: كتب الضلال .

15. ونقض عمرو عهد الصلح مع أهل مصر وزعم أن بعضهم استنصر بالروم! قال عمرو بن العاص وإعلام السلطة إن أهل الإسكندرية تقضوا عهد الصلح مع المسلمين ، ودعوا الروم فبعث لهم هرقل ثلاث مئة مركب ، وقاتلوا المسلمين ليخرجوهم من مصر ، ويعيدوها الى حكم الروم!

وادعى عمرو مجيئ جيش الروم الى الإسكندرية ، وجعله حجةً لمهاجمة قرى الإسكندرية ومدينتها ، فهاجمها ونهبها وسبها وهدم سورها !

وقال عمرو إنها كانت معركة كبرى كان هو بطلها ، ولم تذكر رواية منها أنه شارك في قتال ، بل ذكرت رواية أن فرسه أصيب بسهم .

وعندما تدقق في النصوص والمصادر تجد أن الذي نقض عهد الصلح هو عمرو ، حيث رفع مبلغ الصلح المتفق عله ، وجعله متغيراً كل سنة حسب رأيه !

ثم تجد أن الخليفة عثمان نفى أن يكون أهل مصر نقضوا الصلح أو استنصروا بالروم ، وأمر عمرواً بإرجاع الأموال التي نهبها وبإطلاق السبايا من النساء والأطفال الذين استرقهم ! وفيما يلي رواية عمرو ، ثم ما يتقضيها .

قالت رواية السيوطي في المواعظ والإعتبار: 1/209: «وكانت الإسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منوئل الخصي في المراكب ، حتى أرسوا بالإسكندرية فأجابهم من بها من الروم ، ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكت . وقد كان عثمان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فلما نزلت الروم سأل أهل مصر عثمان أن يقرّ عمرأ حتى يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل .

وكان على الإسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص: لئن أظفره الله عليهم ليهدمن سورها ، حتى تكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان ، فخرج إليهم عمرو في البرّ والبحر فضموا إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، وأمّا الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمرو: ناهضهم قبل أن يكثروا مددهم

فلا آمن أن تنتفض مصر كلها. فقال عمرو: لا ، ولكن أدعهم حتى يسيروا إليّ فإنهم يصيبون من مرّوا به فيخزي الله بعضهم ببعض، فخرجوا من الإسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى ، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به ، فلم يتعرّض لهم عمرو حتى بلغوا نفيوس ، فلقوهم في البرّ والبحر فبدأت الرومُ القبطَ ، فرموا بالنشاب في الماء رمياً شديداً ، حتى أصابت النشاب يومئذٍ فرس عمرو في لبتة وهو في البر فعقر فنزل عنه عمرو . ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البرّ فنفحوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئاً ، وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها وانهزم شريك بن سميّ في خيله ، وكانت الروم قد جعلت صفوفاً خلف صفوف. وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب ، فدعا إلى البراز فبرز إليه رجل من زييد يقال له: حومل يكنى أبا مذحج فاقتتلا طويلاً برمحين يتطاردان ، ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه ، وكان يعرف بالنجمة ، فجعل عمرو يصيح: أبا مذحج فيجيبه: لبيك ، والناس على شاطئ النيل في البر على تعبيتهم و صفوفهم ، فتجاولا- ساعة بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحتمله ، وكان نحيفاً فاخترط حومل خنجراً كان في منطقتة أو في ذراعه ، فضرب به نحر العليج أو ترقوته ، فأثبتته ووقع عليه ، فأخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك بأيام فرؤي عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم .

ثم شدّ المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية ففتح الله عليهم ، وقتل منويل الخصي ، وقتلهم عمرو حتى أمعن في مدينتهم ، فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم ، وبنى في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذي بالإسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة ، سمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك . وهدم سورها كله وجمع ما أصاب منهم ، فجاءه أهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا: قد كنا على صلحنا ، وقد مرّ علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا ، وهو قائم في يديك ، فردّ عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه ، وأقاموا عليه البيعة ، وقال بعضهم لعمرو: ما حلّ لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن نقاتل عنا لأننا في ذمتك ولم نقض ، فأما من نقض فأبعده الله إندم عمرو وقال: يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية .»

وقالت رواية البلاذري: 1/260: «ثم إن عمرو بن العاص استخلف على الإسكندرية عبد الله بن حذافة.. في رابطة من المسلمين وانصرف إلى الفسطاط. وكتب الروم إلى قسطنطين بن هرقل، وهو كان الملك يومئذ ، يخبرونه بقلّة من عندهم من المسلمين وبما هم فيه من الذلة وأداء الجزية . فبعث رجلاً من أصحابه يقال له منويل في ثلاث مئة مركب مشحونة بالمقاتلة . فدخل الإسكندرية وقتل من بها من روابط المسلمين إلا من لطف للهرب فنجا ، وذلك في سنة خمس وعشرين . وبلغ عمرو الخبر فسار إليهم في خمسة عشر ألفاً فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيشون فيما يلي الإسكندرية من قرى مصر. فلقبهم

المسلمون فرشقوهم بالنشاب ساعة والمسلمون متترسون، ثم صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إن أولئك الكفرة ولوا منهزمين ، فلم يكن لهم ناهية ولا عرجة دون الإسكندرية فتحصنوا بها ونصبوا العرادات ، فقاتلهم عمرو عليها أشد قتال ونصب المجانيق فأخرب جدرها ، وألح بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية، وهرب بعض رومها إلى الروم ، وقتل عدو الله منويل . وهدم عمرو والمسلمون جدار الإسكندرية ، وكان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلن ذلك .».

أقول: هذا ما رووه ، لكن توجد رواية ترد على النقاط الأساسية في هذه الرواية ، رواها عامة المؤرخين ، منهم المقرئ في المواعظ والإعتبار: 1/210، قال: «وكان سبب نقض الإسكندرية هذا أن «طلما» صاحب إخنا ، قدم على عمرو فقال: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها؟ فقال عمرو وهو يشير إلى ركن كنيسة: لو أعطيتني من الركن إلى السقف ما أخبرتك ! إنما أنتم خزنة لنا ، إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم ! فغضب صاحب إخنا وخرج إلى الروم فقدم بهم، فهزمهم الله تعالى وأسر، فأتي به إلى عمرو فقال له الناس: أقتله فقال: لا بل إنطلق فجتنا بجيش آخر! وسوره وتوجه وكساه برنس، فرضي بأداء الجزية، فقبل له: لو أتيت ملك الروم؟ فقال: لو أتيت لقتلني وقال: قتلت أصحابي».

فالذي نقض عهد الصلح هو عمرو بسياسته الظالمة مع أهل مصر ، فقد كان يزيد على الخراج المقرر وهو ديناران عن كل بالغ ، ما عدا الصغار والنساء والشيوخ ، وكان



لا يخبرهم بقدر ما يريد منهم حتى يأتي الموسم فيعلن مقرراته لهذه السنة ، فلما سأله رئيس الأقباط في إخنا عن مقدار الجزية في تلك السنة لم يخبره وقال كلمة سيئة: إنما أتم خزائنا، نأخذ منها حسب حاجتنا ورغبتنا! فغضب رئيس إخنا، قيل استنصر بالروم وأتى بجيش هرقل ، فهزمهم عمرو ، وقتلهم جميعاً ، وأسر الإخنوي !

وقد ذكر المؤرخون بنود عهد الصلح الذي يظهر بوضوح أنه عمرواً نقضه ! منهم ابن تغري في النجوم الزاهرة:1/20: «قال عبيد الله بن أبي جعفر: حدثني رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال: للقبط عهد عند فلان ، وعهد عند فلان ، فسمى ثلاثة نفر . وفي رواية أن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم ، قال: وسألت شيخاً من القدماء عن فتح مصر ، قلت له: فإن ناساً يذكرون أنه لم يكن لهم عهد ، فقال: ما يبالي ألا يصلي من قال إنه ليس لهم عهد! فقلت: فهل كان لهم كتاب؟ فقال: نعم ، كتب ثلاثة: كتاب عند طلما صاحب إخنا ، وكتاب عند قزمان صاحب رشيد ، وكتاب عند يحنس صاحب البرلس. قلت: كيف كان صلحهم؟ قال: دينارين على كل إنسان جزية ، وأرزاق المسلمين. قلت: أفتعلم ما كان من الشروط؟ قال: نعم ، ستة شروط: لا- يُخرجون من ديارهم ، ولا تنزع نساؤهم ، ولا أولادهم ، ولا كنوزهم ، ولا أراضيهم ، ولا يزداد عليهم . وكان فتح مصر يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة». والأموال للقاسم بن سلام: 1/366 ، والأربعون البلدانية لابن عساكر: 1/124 ، ومعجم البلدان للحموي: 77/ ، وفتوح مصر وأخبارها /270 ، و 302 ، وحسن المحاضرة في أخبار مصر للسيوطي/ 57 .

ولم يثبت أن طلّماً صاحب إخوانا ذهب الى الروم أو استعان بهم، نعم قد يكون قاوم بجماعته مأموري عمرو لجمع الخراج ، بالروم فقاتله المسلمون وأسروه. ثم ادعى عمرو أنه استعان بالروم فهاجم إخوانا والإسكندرية وقراها واستباحها وسبهاها !

وقد كشفت بعض المصادر مكيدة عمرو فقال ابن العماد في شذرات الذهب: 1/36: «وسبب العزل أنه غزا الإسكندرية ، ظاناً نقض العهد ، فقتل وسبى . ولم يصح عند عثمان نقضهم للعهد ، فأمر برد السبي وعزله ، فاعتزل عمرو في ناحية فلسطين ، وكان ذلك بدء المخالفة» .

وقال في شرح النهج: 6/320: «قال أبو عمر: ثم إن عمرو بن العاص ادعى على أهل الإسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذي كان عاهدتهم ، فعمد إليها فحارب أهلها وافتتحها ، وقتل المقاتلة وسبى الذرية ، فنقم ذلك عليه عثمان ، ولم يصح عنده نقضهم العهد ، فأمر برد السبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم ، وعزل عمراً عن مصر ، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري مصر بدله ، فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان ، فلما بدا بينهما من الشر ما بدا ، اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله ، وكان يأتي المدينة أحياناً . فلما استقر الأمر لمعاوية بالشام ، بعثه إلى مصر بعد تحكيم الحكيمين فافتتحها، فلم يزل بها إلى أن مات أميراً عليها في سنة ثلاث وأربعين».

لاحظ قوله: «فأمر برد السبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم» لتعرف أن مكيدة عمرو كانت طمعاً بأموال الإسكندرية ، وأنه سبى بناتهم وصبيانهم !

ولا بد أنه نهب الملايين في تلك الحملة التي سماها جهاداً وفتحاً، وسبى الألوف من نساءهم وصبيانهم، فباع أكثرهم، وعندما انكشف أمره أرجع أقلهم!

ومما يوجب الشك في مجيئ أي قوات من الروم الى مصر في عهد عمرو، أن روايات المعركة تضمنت أوصاف قوات معركة ذات الصواري التي وقعت بعد عشر سنين، مما يدل على أن الرواة أسقطوها عليها، ولم يكن فيها عمرو بن العاص بل قادها محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة رضي الله عنهما.

ثم تجد التفاوت في روايات القصة في المراكب الرومية، التي زعم ابن العاص أنها كانت ثلاث مئة مركب مشحونة بالمقاتلة، فذكرت رواية البلاذري أنهم دخلوا الإسكندرية وقتلوا المرابطين المسلمين، إلا من لطف للهرب فنجوا.

لكن رواية ابن خلدون: (1/126) تقول: «ونزلوا بساحل الإسكندرية لمنعهم المقوقس من الدخول إليه».

ورواية نهاية الإرب (19/407) تقول: «فانهزم الروم، وتبعهم المسلمون إلى أن أدخلوهم الإسكندرية».

وتؤيدها رواية السيوطي في (حسن المحاضرة/57) قالت: «ثم شد المسلمون عليهم، فكانت هزيمتهم. فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية».

إن عدد جيش الروم المزعوم حسب الرواية نحو ثلاثين ألف جندي، لأن معدل المركب العادي مئة مقاتل. (مروج الذهب: 1/205).

فكيف يعقل أن يكون عمرو قاتل ثلاثين ألف جندي رومي بقليل من المسلمين وقتلهم كلهم كما تقول الرواية، أو يكون ألجأهم الى دخول الإسكندرية، أو

يكونوا نزلوا خارج الإسكندرية وانتظروا هم والمسلمون حتى أرسل أهل مصر الى عثمان يطلبون منه أن يطلب من عمرو دفع ذلك الجيش ، فجاء عمرو البطل من الفسطاط ، وقاتلهم!؟

قال ابن تغري في النجوم الزاهرة (1/78): «السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر ، وهي سنة أربع وعشرين من الهجرة . فيها سار منويل الخصي إلى الإسكندرية ، فسأل أهل مصر عثمان إرسال عمرو بن العاص لقتال منويل المذكور ، فجاء إليها عمرو وحارب حتى افتتحها الفتح الثاني في هذه السنة وقيل بل كان ذلك في سنة خمس وعشرين وهو الأصح».

والمرجح عندي أن عمرواً عندما أحس أن عثمان سيعزله عن مصر ، وضع هذه المكيدة ، فادعى أن هرقل أرسل جيشاً الى قرى الإسكندرية ، فهاجمها عمرو ويطش فيها ونهبها وسبهاها ، وكان منها طلماً رئيس إخنا ، ولعل فيها بعض الروم المقيمين .

ثم هاجم عمرو الإسكندرية ، وهدم سورها ، ورجع الى الفسطاط ، وجعل عبده وردان حاكماً على الإسكندرية .

قال البلاذري:2/262: «لما ولي عمرو وردان مولاه الإسكندرية ورجع إلى الفسطاط، فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتاه عزله، فولى عثمان بعده عبد الله بن سعد بن أبي سرح.. وكان أخا عثمان من الرضاعة ، وكانت ولايته في سنة خمس وعشرين».

وتلاحظ هنا تناقضات فقهاء السلطة ، فقد حكموا بصحة عقد الصلح الذي عقده عمرو مع المصريين ، فصارت مفتوحة صلحاً ، وثبتت ملكية أهلها لأرضهم .

ثم نقض عمرو عهد الصلح ، وادعى عليهم زوراً أنهم نقضوه ، وغزاهم وأخضعهم ، فحكّم فقهاء السلطة بأنها صارت أرضاً مفتوحة عنوةً ، وسلبت ملكية أرضها من أهلها وصارت لكل المسلمين ! فاتبع الفقهاء هوى الحاكم مع الأسف !

16. ولم يكتف عمرو بالبطش والنهب ، بل هدم سور الإسكندرية كالجبارة ! وقد ألبس فعله ثوباً شرعياً فقال إنه نذر أن يهدم سور الإسكندرية ، وهو نذر غير شرعي ، في أي مذهب من مذاهب المسلمين !

قال القرشي المصري في فتوح مصر وأخبارها: 1/190: « كان على الإسكندرية سور فحلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم ليهدم من سورها ، حتى تكون مثل بيت الزانية ، تؤتى من كل مكان ! فخرج إليهم عمرو في البر والبحر . قال غير الليث: وضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، فأما الروم فلم يطعه منهم أحد . » والإكتفاء للكلاعي: 4/49 ، والمواعظ للمقريزي: 1/210 .

ونلاحظ أن المقوقس حسب الرواية كان مع قواته القبطية الى جانب عمرو ، كما نلاحظ جبروت عمرو وبداءة لسانه في قوله إن سيجعل الإسكندرية مثل بيت الزانية! وهي مدينة عريقة ، ويسكنها المعاهدون والمرابطون .

ويشبه ذلك ما رواه عنه الزمخشري في ربيع الأبرار: 1/107 ، وفي طبعة: 2/66 ، قال: « حبس عمرو بن العاص عن جنده العطاء ، فقام إليه رجل حميري فقال: أصلح الله الأمير إذا لم تعطنا فاتخذ جنداً من حجارة لا يأكلون ولا يشربون! قال: أسكت يا كلب! قال: إن كنت كذلك ، فأنت أمير الكلاب! » والأذكياء لابن الجوزي/97 ، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط: 1/109 .

وقد لَطَّفَهُ من يحب عمرواً كالطبري:3/201 ، وابن كثير في النهاية:7/113، والنجوم الزاهرة:1/26، فقالوا إنه كان يحُمس المقاتلين في معركته مع المقوقس: «ويحثهم على الثبات، فقال له رجل من أهل اليمن: إنا لم نخلق من حجارة...».

مع أنه لم تكن له معركة مع المقوقس أبداً ، ولا معركة مهمة مع غيره ، كما بينا .

17. حكم عمرو مصر سبع سنين ، ثم عزله عثمان وولى أخاه لأمه ابن أبي سرح الأموي ، فغضب عمرو غضباً شديداً ، وأخذ يحرض الناس على عثمان .

قال عمر بن شبة في تاريخ المدينة:3/1089: «كان عمرو بن العاص من أشد الناس طعناً على عثمان ، وقال: والله لقد أبغضت عثمان وحرصت عليه ، حتى الراعي في غنمه ، والسَّقَاية تحت قربتها.».

وفي الطبري:3/392: «قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به فقال: يا ابن النابغة ! ما أسرع ما قَمِلَ جِرْبَانُ جُبَيْتِكَ ، إنما عهدك بالعمل عام أول ، أتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر ، والله لولا أكلةٍ ( تريدها ) ما فعلت ذلك! قال فقال عمرو: إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك . فقال عثمان:والله لقد استعملتك على ظَلْعِكَ وكثرة القالة فيك . فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض. قال فقال عثمان: وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكني لنت عليك فاجترأت عليّ.».

أما والله لأننا أعز منك نقرأ في الجاهلية وقبل ان أليّ هذا السلطان. فقال عمرو: دع عنك هذا ، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وهدانا به . قد رأيت العاص بن

وائل ورأيت أباك عفان ، فوالله للعاص كان أشرف من أبيك ! قال: فانكسر عثمان وقال: مالنا ولذكر الجاهلية . قال: وخرج عمرو ودخل مروان فقال يا أمير المؤمنين وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أبك؟ فقال عثمان: دع هذا عنك . من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه . قال: فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه ، يأتي علماً مرة فيؤلمه على عثمان ، ويأتي الزبير مرة فيؤلمه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلمه على عثمان ، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ! فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع ، فنزل في قصر له يقال له العجلان ، وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان ! قال فبينما هو جالس في قصره ذلك ومعه ابنه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي ، إذ مر بهم راكب فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة . قال: ما فعل الرجل يعني عثمان؟ قال: تركته محصوراً شديداً الحصار . قال عمرو: أنا أبو عبد الله ، قد يضطر العير والمكواة في النار ! فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر فناداه عمرو: ما فعل الرجل يعني عثمان؟ قال: قتل . قال: أنا أبو عبد الله ، إذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأحرض عليه حتى أني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل ! فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من خاصرة الباطل ، وأن يكون الناس في الحق شرعاً سواء . وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه ، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ففارقها حين عزله .

18. وجمع عمرو ثروة طائلة من الفتوحات ، وكان شديد الحرص على الولاية وقد ظهرت ثروته مبكراً في عهد عمر، ففي شرح النهج: 1/174: «وروى الزبير بن بكار قال: لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت، فكتب إليه...». وقد خونه عمر، لكن أبواه على مصر!

وفي معجم البلدان: 5/386: «الْوَهْطُ: وهو مالٌ كان لعمرو بن العاص بالطائف.. عَرَشَ عمرو بن العاص بالوهط ألف ألف عود كرم على ألف ألف خشبة، ابتاع كل خشبة بدرهم، فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقال: أحب أن أنظر إليه، فلما رآه قال: هذا أكرم مال وأحسنه، ما رأيت لأحد مثله ألولاً أن هذه الحرة (بورة) في وسطه فقيل له: ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب، وكان زيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء! وقال ابن موسى: الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج كانت لعمرو بن العاص».

وفي تاريخ دمشق: 46/109: «وشهد فتح دمشق وكان له بها دار عند سقيفة كرمس في جيرون، ودار في ناحية باب الجابية ما بين دار الشعارين وزقاق الهاشميين، ودار تعرف ببني حجيجة في رحبة الزبيب، ودار تعرف بالمارستان الأول عند عين الحمى».

وفي التراتيب الإدارية: 2/402: «وممن كان يعد من أغنياء الصحابة عمرو بن العاص خرج ابن عساكر أن عمراً كان يلقح كروم الوهط بستان له بالطائف بألف الف خشبة كل خشبة بدرهم فالكرم الذي يحتاج إلى خشب بألف الف كم تكون غلته وكانت له دور كثيرة بمصر ودور بدمشق منها دار بجرون ودار



في ناحية الجابية ودار تعرف بدار بني أحيحة ودار تعرف بالمارستان . أنظر تاريخ ابن عساكر حتى قال بعض العصريين: إن ما ذكره المؤرخون من مقدار ثروة عمرو لا يقبله العقل».

وفي مستدرك الحاكم:3/452: «لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال: كيلوا مالي، فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مُدًّا، فقال من يأخذه بما فيه ، يا ليتته كان بعراً! قال: وكان المد ستة عشر أوقية ، الأوقية منه مكوكان . ومات عمرو بن العاص يوم الفطر وقد بلغ أربعاً وتسعين سنة .»

وفي تاريخ دمشق:46/191: «لما احتضر عمرو بن العاص ، نظر إلى صناديق فقال: من يأخذها بما فيها ، يا ليتته كان بعراً! ثم أمر الحرس فأحاطوا بقصره ، فقال بنوه ما هذا ؟ فقال: ما ترونَ هذا يغني عني شيئاً !»

19. ولم يشبع عمرو ، وظل يفكر ، حتى أخذ خراج مصر طُعمَةً من معاوية روى البلاذري في أنساب الأشراف:2/285: أن علياً (عليه السلام) أرسل جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية يطلب منه أن يبايعه ويدخل فيما دخل فيه المسلمون ، فأرسل معاوية الى عمرو بن العاص وكان مقيماً في فلسطين: «فلما أتاه الكتاب دعا ابنه عبد الله ومحمداً فاستشارهما، فقال له عبد الله: أيها الشيخ إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبض وهو عنك راض ، ومات أبو بكر وعمر وهما عنك راضيان ، فإياك أن تقسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها من معاوية ، فتكَبَّ كِباً في النار . ثم قال لمحمد: ما ترى؟ فقال: بادر هذا الأمر ، تكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً..»

فلما أصبح عمرو دعا مولاه وردان فقال: إرحل بنا يا وردان فرحل ، ثم قال: حطّ ، فحطّ . ففعل ذلك مراراً ، فقال له وردان: أنا أخبرك بما في نفسك ، اعترضت الدنيا والآخرة في قلبك ، فلست تدري أيّتهما تختار ! قال: لله دَرَك ما أخطأت، فما الرأي ؟ قال: تقيم في منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغن عنك ! فقال عمرو: إرحل يا وردان على عزم .

ثم قدم على معاوية فذاكره أمره ، فقال: أما عليّ فلا تسوي العرب بينك وبينه في شئ من الأشياء ، وإن له في الحرب لَحَطّاً ما هو لأحد من قريش .

قال: صدقت ، وإنما تقاتله على ما في أيدينا ونلزمه دم عثمان . فقال عمرو: وإن أحق الناس أن لا يذكر عثمان لأنا وأنت ، أما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين ، وأما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث يزيد بن أسد البجلي فسار إليه ، فقال معاوية: دع ذا وهات فبايعني .

قال: لا لعمرو والله ، لا أعطيك ديني حتى آخذ من دنياك ! فقال معاوية: سل . قال: مصر تطعمني إياها . فغضب مروان بن الحكم وقال: ما لي لا أستشار؟ فقال معاوية: أسكت فما يستشار إلا لك .

فقام عمرو مغضباً فقال له معاوية: يا أبا عبد الله ، أقسمت عليك أن تبيت الليلة عندنا . وكره أن يخرج فيفسد عليه الناس ، فبات عنده وقال:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل \*\*\* به منك دنياً فانظرن كيف تصنع

فإن تعطني مصرأ فأربح صفقة \*\*\* أخذت بها شيخاً يضرب وينفع

وما الدين والدنيا سواء وإنما \*\*\* لاأخذ ما تعطي ورأسي مقتنع

ولكنني أعطيك هذا وإني \*\*\* لأخدع نفسي والمخادع يُخدع

فلما أصبح معاوية دخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال له: يا معاوية ما تصنع؟ أما ترضى أن تشتري من عمرو دينه بمصر! فأعطاه إياها وكتب له كتاباً.».

وفي شرح النهج: 2/67: «فخرج عمرو من عنده، فقال له إبناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمة. قالوا: وما مصر في ملك العرب؟! قال: لا أشيع الله بطونكما إن لم تشبعكما مصر.. قال: وكتب معاوية له بمصر كتاباً، وكتب: على ألا ينقض شرط طاعة، فكتب عمرو: على ألا تنقض طاعة شرطاً، فكايد كل واحد منهما صاحبه.

يقصد معاوية أن يبيعه عمرو غير مشروطة بمصر، وقصد عمرو أنها مشروطة بها.

قال نصر: فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو: ماترى الآن؟ قال: إمض الرأي الأول، فبعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه فقتله، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه...». (راجع صفين لنصر بن مزاحم/44).

وقال ابن سعد في الطبقات: 4/258: «لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طعمة مصر لعمرو ما عاش، ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وعناؤه وسعيه فيه، وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر فلم يفعل معاوية، فتنكر عمرو لمعاوية، فاختلفا وتغالطا، وتميز الناس وظنوا أنه لا يجتمع أمرهما، فدخل بينهما معاوية بن حديج فأصلح أمرهما، وكتب بينهما كتاباً وشرط فيه شروطاً لمعاوية وعمرو خاصة، وللناس عليه، وأن لعمرو ولاية مصر سبع سنين، وعلى أن على عمرو السمع والطاعة لمعاوية، وتوثاقا وتعهدا على ذلك

ص: 173

وأشهد عليهما به شهوداً. ثم مضى عمرو بن العاص على مصر والياً عليها وذلك في آخر سنة تسع وثلاثين، فوالله ما مكث بها إلا سنتين أو ثلاثاً حتى مات!»!

يشير الراوي الى أن معاوية دس السم لعمرو! وتاريخ دمشق: 46/174، وتاريخ يعقوبي: 2/185، ومروج الذهب: 2/354، وتاريخ أبي الفدا/184.

20. أشار عمرو بن العاص على معاوية بإيقاف الفتوحات الإسلامية فأوقفها وبعث معاوية إلى قيصر بالهدايا وعقد معه صلحاً على جزية سنوية يدفعها معاوية، وهي مئة ألف دينار ذهباً، ليتفرغ لحرب علي (عليه السلام)! بل نصت رواية ابن الأعمش على أن معاوية اتفق مع هرقل على أن يساعده إذا انهزم في صفين!

قال المسعودي في مروج الذهب (2/377): «وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب، وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي (عليه السلام)».

وقال ابن الأعمش (2/539): «فنادى علي في الناس فجمعهم، ثم خطبهم خطبة بليغة وقال: أيها الناس! إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم، وسار إلى صفين في أهل الشام عازماً على حربكم، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم». وقد صححوا روايته في مسند أحمد: 4/111، وتفسير ابن كثير: 2/333.

بينما لم يوقف علي (عليه السلام) الفتوحات، رغم أن أعداءه شغلوه بثلاثة حروب داخلية فقد فتح ولاته (عليه السلام) مناطق كثيرة من خراسان والهند وإفريقيا.

فقد أرسل ابن أخته جعدة بن هبيرة لإكمال فتح خراسان . وأرسل من لم يرغب في حرب معاوية الى مناطق من فارس والقفقاز . وأرسل جيشاً من البحرين لفتح مناطق في الهند . كما أرسل بالتهديد الى هرقل .

وقال اليعقوبي في تاريخه: 2/183: «ولما فرغ من حرب أصحاب الجمل ، وجه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي إلى خراسان » .

وفي شرح النهج: 18/308: «هبيرة بن أبي وهب ، كان من الفرسان المذكورين ، وابنه جعدة بن هبيرة ، وهو ابن أخت علي بن أبي طالب ، أمه أم هاني بنت أبي طالب ، وابنه عبد الله بن جعدة بن هبيرة ، هو الذي فتح القندهار ، وكثيراً من خراسان ، فقال فيه الشاعر:

لولا ابن جعدة لم تُفتح قهندركم \*\*\* ولا خراسان حتى ينفخ الصور

وفي معجم البلدان: 4/419 ، وصحاح الجوهرى: 1/433: قهندز بالزاي ، والظاهر أن جعدة رضي الله عنه فتح بقية خراسان وأفغانستان .

وقال الطبري في تاريخه: 4/ 46: « فاتتهى إلى أبر شهر وقد كفروا وامتنعوا فقدم على علي (عليه السلام) فبعث خليد بن قره اليربوعي فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه وصالحه أهل مرو ، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان ، فبعث بهما إلى علي فعرض عليهما الإسلام وأن يزوجهما ، قالتا زوجنا ابنيك فأبى ، فقال له بعض الدهاقين ادفعهما إليّ فإنه كرامة تكرمني بها ، فدفعهما إليه فكانتا عنده يفرش لهما الديباج ويطعمهما في آنية الذهب ، ثم رجعتا إلى خراسان» . .

وقال خليفة بن خياط في تاريخه/143، في حوادث سنة 36: « وفيها نذب الحارث بن مرة العبدي (من البحرين) الناس إلى غزو الهند ، فجاوز مكران إلى بلاد قنديل ووعل في جبال الفيقان...».

وفي فتوح البلدان للبلاذري: 3/ 531: « فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعاً بإذن علي (عليه السلام) فظفر وأصاب مغنماً وسبياً ، وقسم في يوم واحد ألف رأس» .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم/115: «فأجاب علياً إلى السير والجهاد جل الناس إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه ، وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه ، فقالوا له: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام ، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له ، أو بدا منه بغي كنا عليه. فقال علي: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسنة. من لم يرض بهذا فهو جائر خائن . وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود ، فيهم ربيع بن خيثم وهم يومئذ أربع مائة رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك ، ولا غناء بنا ولا بك ولا المسلمين عمن يقاتل العدو ، فولنا بعض الثغور نكون به تم نقاتل عن أهله . فوجهه على علي ثغر الري ، فكان أول لواء عقده بالكوفة لواء ربيع بن خيثم .

عن ليث بن سليم قال: دعا عليّ باهلة فقال: يا معشر باهلة ، أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم ، فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الديلم . وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفين !

21. وكان موقف علي (عليه السلام) من عمرو شديداً ، متناسباً مع شدة نفاقه ومكائده فلم يعبر عنه الإمام (عليه السلام) إلا بابن النابغة ، وكأنه بذلك يُعيره بأمه وسلوكها السيئ، أو ثبت عنده أنه ليس ابن العاص ، أو يرى أن معنى قوله تعالى عن العاص: **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** . ينفي وجود ذرية للعاص ، وأنه عقيم حقيقة !

وقال (عليه السلام) في إحدى خطبه: «أنبهوا نائمكم ، واجتمعوا على حقكم، وتجردوا لحرب عدوكم . قد بدت الرغبة عن الصريح ، وقد بان الصبح لذي عينين ، إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وأولي الجفاء ، ومن أسلم كرهاً ، وكان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أنف الإسلام كله حرباً . أعداء الله والسنة والقرآن ، وأهل البدع والإحداث ، ومن كانت بوائقه تتقى ، وكان على الإسلام وأهله مخوفاً ، وأكلة الرشا، وعبدة الدنيا! لقد أنهى إليّ أن ابن النابغة لم يبايع حتى أعطاه ثمناً، وشرط أن يؤتية أتيّةً ، هي أعظم مما في يده من سلطانه . ألا صفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا ، وخزيت أمانة هذا المشتري نصرة فاسق غادر ، بأموال المسلمين». (الغارات للثقفى: 1/316، ونهج البلاغة/115)

وفي شرح النهج: 20/326: «كنت في أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله) كجزء من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينظر إلي كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء ، ثم غض الدهر مني فقُرِنَ بي فلائِنَّ وفلاين ، ثم قُرِنْتُ بخمسة أمثلهم عثمان، فقلت: وا ذفراه ! ثم لم يرض الدهر لي

بذلك ، حتى أردلني ، فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة ! لقد استنتت الفصال حتى القرعى».

ومعنى وإذفراًة: أي فاحت رائحةً كريهة . واستنتت الفصال حتى القرعى: أي تسابقت الإبل حتى المريضة بالقرع . وهو مثل «يضرب لمن يتشبه بمن هو فوقه» (فتح الباري: 6/4) . «يضرب للذي يتكلم مع الذي لا ينبغي له أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره ، والقرعى: جمع قريع كمريض ومرضى ، وهو الذي به قرع بالتحريك ، وهو بثر أبيض يطلع في الفصال» . (حياة الحيوان: 2/304).

وكتب (عليه السلام) الى معاوية جواباً على كتابه: «وسأجيبك فيما قد كتبت بجواب ، لا أظنك تعقله أنت ولا وزيرك ابن النابغة عمرو ، الموافق لك كما وافق شئٌ طبَّقَته، فإنه هو الذي أمرك بهذا الكتاب وزينه لك ، وحضر كما فيه إبليس ومردة أصحابه . والله لقد أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعرفني أنه رأى على منبره اثني عشر رجلاً أئمة ضلال من قريش ، يصعدون منبر رسول الله وينزلون على صورة القرد ، يردون أمته على أدبارهم عن الصراط المستقيم . قد خبرني بأسمائهم رجلاً رجلاً ، وكم يملك كل واحد منهم ، واحد بعد واحد . عشرة منهم من بني أمية ورجلان من حيين مختلفين من قريش، عليهما مثل أوزار الأمة جميعاً إلى يوم القيامة ، ومثل جميع عذابهم ، فليس من دم يهراق في غير حقه ، ولا- فرج يغشى حراماً ، ولا- حكم بغير حق إلا- كان عليهما وزره . وسمعتة يقول: إن بني أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً» . (كتاب سُلَيْم/302).



وعندما غزا عمرو بن العاص مصر بجيش من الشام ، وقاتل محمد بن أبي بكر والي عليّ عليها ، خطب (عليه السلام) مستنهضاً المسلمين لمساعدة المصريين ، فقد روى جندب بن عبد الله : « إني لعند علي جالسٌ إذ جاءه عبد الله بن قعين جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر ، وهو يومئذ أميرٌ على مصر ، فقام علي (عليه السلام) فنادى في الناس : الصلاة جامعة فاجتمع الناس ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال : أما بعد فهذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر ، وقد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدوكم ، فلا يكون أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت ، أشد اجتماعاً على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم ، فكأنكم بهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر . عباد الله إن مصر أعظم من الشام خيراً ، وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عزٌ لكم ، وكبتٌ لعدوكم . أخرجوا إلى الجرعة لتتوفى هناك كلنا غداً ، إن شاء الله . » (الغارات: 1/290).

وروى أبو جعفر الإسكافي في المعيار والموازنة/103 ، جواب رسالة من علي (عليه السلام) الى عمرو ، وفيها «ابن العاصي وليس العاص» : «من علي بن أبي طالب إلى عمرو بن العاصي ، أما بعد ، فإن الذي أعجبك مما تلويت من الدنيا ، ووثقت به منها منفلت منك ، فلا تطمئن إلى الدنيا فإنها غرارة ، ولو اعتبرت بما مضى حذرت ما بقي ، وانتفعت منها بما وعظت به ، ولكن أتبعته هواك وآثرته ، ولولا ذلك لم تؤثر على ما دعوناك إليه .»

لكن أشد موقف لأمر المؤمنين (عليه السلام) من عمرو كان في صفين ، يوم كتبوا عهد الهدنة والتحكيم . روى الطوسي في أماليه/187: «لما وقع الإتفاق على كُتُب القضية بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين معاوية بن أبي سفيان ، حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشام ، وعبد الله بن عباس في رجال من أهل العراق، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) للكاتب: أكتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . فقال عمرو بن العاص: أكتب إسمه واسم أبيه ولا تسمه بإمرة المؤمنين، فإنما هو أمير هؤلاء وليس بأمرنا. فقال الأحنف بن قيس: لا تمح هذا الاسم فإنني أتخوف إن محوته لا يرجع إليك أبداً . فامتنع أمير المؤمنين (عليه السلام) من محوه ، فتراجع الخطاب فيه ملياً من النهار ، فقال الأشعث بن قيس: أمح هذا الإسم ترحه الله ! فقال أمير المؤمنين: الله أكبر سنةً بسنة ومثلاً بمثل ، والله إنني لكاتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الحديبية وقد أملى علي: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . فقال له سهيل: أمح رسول الله فإننا لا نقر لك بذلك ولا نشهد لك به ، أكتب إسمك وإسم أبيك ، فامتنعت من محوه فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أمحه يا علي وستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض . فقال عمرو بن العاص: سبحان الله ، ومثل هذا يشبه بذلك ، ونحن مؤمنون وأولئك كانوا كفاراً!

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا ابن النابغة ، ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمسلمين عدواً ، وهل تُشبه إلا أمك التي دفعت بك؟ فقال عمرو: لا جرم لا يجمع بيني

وبينك مجلس أبداً . فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : والله إني لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك ! ثم كتب الكتاب وانصرف الناس .»

وفي الإيضاح/235، أن معاوية كان يلعن في قنوته علياً (عليه السلام) وأصحابه على المنابر. وأن علياً كان يلعن معاوية في قنوته، وعمرو بن العاص، وأبا الأعرور السلمي وأبا موسى الأشعري .

وللإمام الحسن (عليه السلام) مواقف صريحة من عمرو في مناظراته معه بعد صلحه مع معاوية، منها ما رواه الطبرسي في الإحتجاج:1/411:«وأما أنت يا عمرو بن العاص، الشاني اللعين الأبتَر، فإنما أول أمرك أن أمك بَغِيَّة، وأنت ولدت على فراش مشترك، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحرث، والنضر بن الحرث بن كلدة، والعاص بن وإيل، كلهم يزعم أنك ابنه، فغلبهم عليك من بين قريش الأُمهم حسباً، وأعظمهم بغية .

ثم قمت خطيباً وقلت: أنا شاني محمد، وقال العاص بن وإيل: إن محمداً رجل أبتَر لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره . فأنزل الله تبارك وتعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية، تأتيهم في دورهم ورجالهم وبطون أوديتهم، ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عدوه أشدهم له عداوة، وأشدهم له تكذيباً .

ثم كنت في أصحاب السفينة: الذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين إلى النجاشي، فحاق المكر

السئى بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمنيته ، وخيب سعيك ، وأكذب أهدوثك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا .

وأما قولك في عثمان ، فأنت يا قليل الحياء والدين الهبت عليه نارا ، ثم هربت إلى فلسطين تتربص به الدوائر ، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية ، فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك ، ولسنا نلومك على بغضنا ، ولم نعاتبك على حبنا ، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام ، وقد هجوت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعين بيتاً من شعر ، فقال رسول الله: اللهم إني لا أحسن الشعر ، ولا ينبغي لي أن أقوله ، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة !

ثم أنت يا عمرو المؤثر دنياك على دينك . أهديتَ إلى النجاشي الهدايا ، ورحلت إليه رحلتك الثانية ، ولم تنهك الأولى عن الثانية ، كل ذلك ترجع مغلوباً حسيراً تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه ، فلما أخطأك ما رجوت وأملت ، أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد .»

22. كان عمرو في الثمانينات ومعاوية في الأربعينات، ويشعر بالحاجة الى مكائده فعندما قرر معاوية أن يخرج على علي (عليه السلام) ويقاطله ، أرسل الى عمرو وكان في فلسطين وأحضره ، وفاوضه واتفق معه على إعطائه الثمن وهو مصر طعمه له ! عندها قال معاوية لنبدأ بأول رأي عندك: «فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو: ماترى الآن؟ قال: إمض الرأي الأول . فبعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه فقتله ، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه». (كتاب صفين لنصر بن مزاحم/44).

إن كثيراً من أعمال معاوية وجرائمه ، كانت تطبيقاً لآراء عمرو بن العاص ، وكان معاوية يجاهر بذلك ، وقد يفتخر به ! وأعظم مكائد عمرو بن العاص ، وأكثرها تأثيراً على التاريخ الإسلامي ، مكيدته في رفع المصاحف في صفيين ، عندما شارف علي (عليه السلام) على النصر ومعاوية على الهزيمة !

قال في الأخبار الطوال/188: «ثم إن علياً قام من صبيحة ليلة الهيرير في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ، إنه قد بلغ بكم وبعدوكم الأمر إلى ما ترون، ولم يبق من القوم إلا آخر نفس ، فتأهبوا رحمكم الله لمناجزة عدوكم غداً ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

وبلغ ذلك معاوية ، فقال لعمرو: ما ترى ، فإنما هو يومنا هذا وليتنا هذه ! فقال عمرو: إني قد أعددت بحيلتي أمراً أخرته إلى هذا اليوم ، فإن قبلوه اختلفوا ، وإن ردوه تفرقوا ، قال معاوية: وما هو؟ قال عمرو: تدعوهم إلى كتاب الله حكماً بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك . فعلم معاوية أن الأمر كما قال . قالوا: وإن الأشعث بن قيس قال لقومه وقد اجتمعوا إليه: قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المبيرة . وإنا والله إن التقينا غداً إنه لبوار العرب وضيفة الحرمات ! قالوا: فانطلقت العيون إلى معاوية بكلام الأشعث فقال: صدق الأشعث ، لنن التقينا غداً ليميلن الروم على ذراري أهل الشام ، وليميلن دهاقين فارس على ذراري أهل العراق ، وما يبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام ، أربطوا المصاحف على أطراف القنا .

قالوا: فربطت المصاحف ، فأول ما ربط مصحف دمشق الأعظم ربط على خمسة أرماع ، يحملها خمسة رجال ، ثم ربط سائر المصاحف ، جميع ما كان معهم وأقبلوا في الغلس ، ونظر أهل العراق إلى أهل الشام قد أقبلوا ، وأمامهم شبيهه بالرايات فلم يدروا ما هو حتى أضاء الصبح ، فنظروا فإذا هي المصاحف...

فقال علي رضي الله عنه: ما الكتاب تريدون ، ولكن المكر تحاولون...

ثم أقبل أبو الأعور السلمي على برذون أشهب وعلى رأسه مصحف ، وهو ينادي: يا أهل العراق ، هذا كتاب الله حكماً فيما بيننا وبينكم . فلما سمع أهل العراق ذلك قام كردوس بن هانئ البكري فقال: يا أهل العراق ، لا يهدئكم ما ترون من رفع هذه المصاحف ، فإنها مكيدة...

ثم تكلم الحَضِين بن المنذر فقال: أيها الناس ، إن لنا داعياً قد حمدنا ورده وصدره وهو المأمون على ما فعل ، فإن قال: لا ، قلنا: لا ، وإن قال: نعم ، قلنا: نعم . فتكلم علي وقال: عباد الله ، أنا أخرى من أجاب إلى كتاب الله ، وكذلك أنتم ، غير أن القوم ليس يريدون بذلك إلا المكر ، وقد عضتكم الحرب ، والله لقد رفعوها وما رأيهم العمل بها ، وليس يسعني مع ذلك أن أدعى إلى كتاب الله فأبى ، وكيف وإنما قاتلناهم ليدنوا بحكمه .

فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا عليه لك أمس ، غير أن الرأي ما رأيت من إجابته القوم إلى كتاب الله حكماً .

فأما عدي بن حاتم وعمرو بن الحمق فلم يهويا ذلك ، ولم يشيروا على علي به . ولما أجاب علي رضي الله عنه قالوا له: فابعث إلى الأشر ليمسك عن الحرب

ويأتيك . وكان يقاتل في ناحية الميمنة ، فقال علي ليزيد بن هانئ: إنطلق إلى الأشر فمره أن يدع ما هو فيه ويقبل ، فاتاه فأبلغه فقال: إرجع إلى أمير المؤمنين فقل له إن الحرب قد اشتجرت بيني وبين أهل الناحية ، فليس يجوز أن انصرف . فانصرف يزيد إلى علي فأخبره بذلك ، وعلت الأصوات من ناحية الأشر ، وثار النقع ، فقال القوم لعلي: والله ما نحسبك أمرته إلا بالقتال !

فقال: كيف أمرته بذلك ولم أساره سراً! ثم قال ليزيد: عد إلى الأشر ، فقل له أقبل فإن الفتنة قد وقعت . فاتاه فأخبره بذلك . فقال الأشر: أرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم . قال: أما والله لقد ظننت بها حين رفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة . فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل الوهن والذل ، أحين علوتم القوم تنكلون لرفع هذه المصاحف؟ أمهلوني فواق ناقة ، قالوا: لا ندخل معك في خطيئتك !

قال: ويحكم ، كيف بكم وقد قتل خياركم وبقي أراذلكم ، فمتى كنتم محقين؟ أحين كنتم تقاتلون أم الآن حين أمسكتكم؟ فما حال قتالكم الذين لا تنكرون فضلهم ، أفي الجنة أم في النار؟ قالوا: قاتلناهم في الله ، وندع قتالهم في الله . فقال: يا أصحاب الجباة السود ، كنا نظن أن صلاتكم عبادة وشوق إلى الجنة ، فنراكم قد فررتم إلى الدنيا ، فقبحاً لكم .

فسبوه وسبهم ، وضربوا وجه دابته بسياطهم ، وضرب هو وجهه دوابهم بسوطه . وكان مسعر بن فدكي وابن الكواء وطبقتهم من القراء الذين صاروا بعد خوارج ، كانوا من أشد الناس في الإجابة إلى حكم المصحف .»

وفي تاريخ الطبري: 4/34: «عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً قال: عباد الله إمضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم ، فإن معاوية وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ، والضحاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ! ويحكم إنهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدةً . فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله .

فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ، ونسوا عهده ونبذوا كتابه .

فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السنبسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه ، والا ندفعك برمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان، إنهم دعونا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك! قال قال: فاحفظوا عني نهبي إياكم ، واحفظوا مقالكم لي . أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم .».

أقول: كانت مكيدة عمرو وضربة كبيرة للإسلام ، نتج عنها اختلاف جيش علي (عليه السلام) ، ثم خدعة التحكيم التي كان بطلها عمرو ، وظهور الخوارج ، ثم قتل علي (عليه السلام) وغلبة معاوية ، وما ارتكبه هو وابنه يزيد من كبائر في الأمة.. الخ.

كل ذلك أسس له عمرو والعاص بمكيدته ، وهو يعلم أنه أن عمله ضد مصلحة الإسلام والمسلمين ، لكنه الطمع الدنيوي بخراج مصر!



23. غزا عمرو مصر بجيش معاوية وقتل واليها محمد بن أبي بكر فلعنته عائشة وكان عمرو لا يحترمها فقد قال لها بعد هزيمتها في حرب الجمل: «لوددت أنك قُتلت يوم الجمل». قالت: ولم لا أباً لك! قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة، ونجعلك أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب! (شرح النهج: 6/322).

وعندما جاءها خبر قتل عمرو لأخيها محمد وإحراق جثته، بكت عليه ولعنت معاوية وعمرو بن العاص! ثم استرضاه معاوية بالمال فسكت. ثم ساءت علاقتها به لما أراد أخذ البيعة ليزيد، لأنها كانت تأمل بها لأخيها عبد الرحمن!

قال الثقفى في الغارات: 1/285: «لما أتاه نعي محمد بن أبي بكر وما صُنِعَ به، كظمت حزنها، وقامت إلى مسجدها حتى تشخَّبت دماً». وفي رواية تشخَّبت ثديها دماً، وقد يفسر ذلك إن صح بارتفاع ضغط الجسم من الحزن!

لكن الذي زاد ارتفاع ضغط عائشة أكثر أن صُرَّتْها رملة بنت أبي سفيان، المعروفة بأُم حبيبة أم المؤمنين، فرحت بقتل أخيها معاوية لمحمد أخ عائشة، واحتفلت به بطريقة هند آكلة الأكباد! «لما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء! فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي بكبش فُشُوي، وبعثت به إلى عائشة وقالت: هكذا قد سُوي أخوك! فحلفت عائشة لا تأكل شواءً أبداً، فما أكلت شواءً بعد مقتل محمد سنة 38 حتى لحقت بالله سنة 57، وما عثرت قط إلا قالت: تَعَسَّ معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج». (الغارات: 1/287، و: 2/757 وأنساب الأشراف: 2/403، وحياة الحيوان للدميري: 1/404).

وفي الكامل لابن الأثير: 3/357: «لما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وقنتت في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو، وأخذت عيال محمد إليها».

وفي سير الذهبي: 2/186: «إن معاوية لما حج قدم فدخل على عائشة، فلم يشهد كلامها إلا ذكوان مولى عائشة، فقالت لمعاوية: أأمنت أن أخبئ لك رجلاً يقتلك بأخي محمد! قال: صدقت. وفي رواية قال لها: ما كنت لتفعلي». ونحوه الطبري: 4/205، والإستيعاب: 1/238، وشرح الأخبار: 2/171. راجع جواهر التاريخ: 2/148.

24. ونقل الرواة عن عمرو حالة صحو وجرأة اعترف فيها بالحق على نفسه ففي كتاب تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن إبراهيم/270: «وقال عمرو بن العاص: أعجب الأشياء أن المبطل يغلب المحق! يُعَرِّض بعلي ومعاوية!

فقال معاوية: بل أعجب الأشياء أن يعطى الإنسان ما لا يستحق. يعرض بعمر وومصر التي أخذها له طُعمة»!

وروى في الفصول المختارة للمفيد/265، اعترافاً من عمرو بن العاص لعلي (عليه السلام)، قال عمرو: «مرّ علي بن أبي طالب على أبي بكر ومعه أصحابه، فسلم عليه ومضى، فقال أبو بكر: من سره أن ينظر إلى أول الناس في الإسلام سبقاً، وأقرب الناس برسول الله قرابةً، فليتنظر إلى علي بن أبي طالب!»!

25. تزوج عمرو العديد من النساء، لعل أشهرهن بنت أبي معيط الخمار بمكة وهي أخت عثمان بن عفان من أمه. (الطبقات: 8/230).

وكان له ولدان عبد الله ومحمد، واشتهر عبد الله بأنه كان يحب العلم، فأخذ يكتب أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) فنهاه أبوه وفلان لأنها تفضح قريشاً! قال: «كنت

أكتب كل شئ أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شئ تسمعه ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا! فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فأوماً بإصبعه إلى فيه فقال: أكتب ، فولذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق . (سنن أبي داود: 2/176).

لكن الشاب عبد الله بن عمرو أطاع قريشاً ولم يكتب الحديث النبوي ، وأغرم بثقافة اليهود ، فكان التلميذ المطيع لكعب الأحبار ، ثم وجد حمل بعير من كتبهم مترجمة الى العربية فكان يحدث منها !

قال ابن حجر في فتح الباري: 1/167: « إنه قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ويحدث منها » .

وكان يؤمن بنسخة التوراة الموجودة فقال: « رأيت فيما يرى النائم كأن في إحدى أصبعي سمناً وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما ، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: تقرأ الكتابين التوراة والفرقان فكان يقرؤهما! » (مسند أحمد: 2/222).

قال عنه الشيخ الأزهرى محمود أبو رية في كتابه القيم: شيخ المضيرة أبو هريرة/124: « هو أحد العبادلة الثلاثة الذين رووا عن كعب الأحبار ، وكان قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يرويها للناس ، فتجنب كثير من أئمة التابعين الأخذ عنه. وكان يقال له: لا تحدثنا من الزاملتين ».

ومعنى قولهم إنه كان يحدث منها: أنه كان ينسب ما فيها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنه قال: حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج !

قال ابن تيمية في فتاواه: 13/366: « قال (ص): بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو . ولهذا كان عبد الله قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما ، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك» .

يقصد أن ابن العاص فهم الإذن من النبي (صلى الله عليه وآله) أن ينسبوا اليه الإسرائيليات! وهذا من نوع حيل أبيه عمرو ، لأن معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله) : حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج: قولوا في انحرافهم ما شئتم فهو صحيح ، فحرفه وجعل معناه: خذوا الحديث منهم وانسبوه إليّ ، ولا حرج عليكم !

قال ابن كثير في النهاية: 2/ 12: «عن عبد الله قال: نظر رسول الله إلى الشمس حين غابت فقال: في نار الله الحامية ، لولا ما يزعمها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض فيه غرابة.. وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها» !

أقول: نهى زعماء قريش عن تدوين السنة النبوية في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، ثم منعوا تدوينها بعد وفاته ، وقربوا حاخامات اليهود مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه ، وأطلقوا أيديهم في نشر الإسرائيليات ، ونشأ لهم تلاميذ كأبي هريرة وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عمر ، ولذلك ترانا لانقبل رواياتهم وقد بحثنا ذلك في كتاب تدوين القرآن، وكتاب ألف سؤال وإشكال .

هذا ، وذكر ابن عبد البر أن عبد الله بن عمرو كان نادماً على حضوره صفين وقتاله علماً (عليه السلام) لكن أنى ينفعه ذلك مع مذهبه في التحديث ولم يصلح ما أفسد !

قال في الاستيعاب: 3/958: «واعتذر رضي الله عنه من شهوده صفين، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم، وأنه إنما شهد لها لعزيمة أبيه عليه في ذلك، وأن رسول الله قال له: أطع أباك! كان يقول: ما لي ولصفين! ما لي ولقتال المسلمين! والله لوددت أني متُّ قبل هذا بعشر سنين ثم يقول: أما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، ولوددت أني لم أحضر شيئاً منها، وأستغفر الله عز وجل عن ذلك وأتوب إليه. إلا أنه ذكر أنه كانت بيده الراية يومئذ، فندم ندامة شديدة على قتاله مع معاوية وجعل يستغفر الله ويتوب إليه».

26. أخذ عمرو لقب فاتح فلسطين ومصر، لكنه ترك في الإسلام أسوأ الآثار قال ابن حجر الإصابة: 4/540، إنه عاش تسعين سنة، وكان أكبر من عمر بن الخطاب ببضع سنين، ومات بعده بعشرين سنة».

وفي تاريخ يعقوبي: 2/187: «فلما نزل به قال له ابنه عبد الله بن عمرو: يا أبت إنك كنت تقول عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه، كيف لا يصفه، فصف لنا الموت وعقلك معك. فقال: يا بني الموت أجل من أن يوصف، ولكني سأصف لك منه شيئاً أجدني كأن على عنقي جبال رضوى، وأجدني كأن في جوفي شوكة السلاء، وأجدني كأن نفسي يخرج من ثقب إبرة... توفي عمرو بن العاص يوم الفطر بمصر سنة اثنتين وأربعين، وهو وال عليها». والحاكم: 3/454.

وفي الإستيعاب لابن عبد البر: 3/1190، عن الشافعي قال: «دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصلحت من دنيائي قليلاً وأفسدت من ديني كثيراً! فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت، والذي أفسدت هو الذي أصلحت، لفُزت. ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمنجنيق بين السماء والأرض، لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين!»!

وهكذا اعترف عمرو بأنه أفسد دينه بالمعاصي، لكن بعد فوات الأوان! ولو كانت معاصيه شخصية لكان الأمر أهون، لكنها معاصٍ كتبت تاريخ المسلمين وبعض عقائدهم، التي يومنا هذا، مع الأسف.

«جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال: يا أبا عبد الله ما هذا الجزع وقد كان رسول الله يدنيك ويستعملك؟ قال: أي بني قد كان ذلك، وسأخبرك عن ذلك: إني والله ما أدري أحباً ذلك كان أم تالفاً يتألفني! ولكن أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يحبهما: ابن سمية وابن أم عبد». «مسند أحمد: 4/200، وصححه في الزائد: 9/353».

ومعناه أنه أحسن أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يتألفه، فهو من المؤلفة قلوبهم وليس من المؤمنين!

## الفصل الخامس: الأبطال الشيعة قادة الفتوحات

### فاتح العراق المثنى بن حارثة رضي الله عنه

1. «المثنى بن حارثة، بن سلمة، بن ضمضم، بن سعد، بن مرة، بن ذهل، بن شيان». (الإصابة: 5/568).

قال ابن قتيبة في المعارف/100، ملخصاً: «وأما ذهل بن شيان فولده مرة بن ذهل بن شيان وفيه العدد والبيت، وربيعه بن ذهل، ومحلّم بن ذهل، والحارث بن ذهل..ومن الأشراف من بنى شيان عوف بن محلّم بن ذهل الذي قيل فيه: لا حُرَّ بوادي عوف. ومنهم الضحّاك بن قيس الشاري، وشيب وقعب الخارجيان. ومنهم هانئ بن مسعود صاحب يوم ذي قار، وأخوه قيس بن مسعود. ومنهم جساس قاتل كليب، والمثنى بن حارثة الذي افتتح السواد».

2. كان بنو شيان متحالفين مع أبناء عمهم بني عجل وكانوا يعيشون معهم ومع اللهازم من هذيل، في جنوب العراق. وقد زارهم النبي (صلى الله عليه وآله) في موسم الحج وعرض عليهم دعوته وتلا عليهم من القرآن، فأعجبهم الإسلام. وطلب منهم أن يذهب معهم الى العراق ويحموه من قريش والعرب ليبلغ رسالة ربه، فاعتذروا له بأنهم مجاورون لكسرى، ولا يستطيعون ذلك.

ص: 193

وزعمواؤهم يومها مفروق وهانئ بن مسعود والمثنى، فقال له مفروق: (دعوت والله يا أبا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال هانئ: قد سمعت مقاتلك يا أبا قريش وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا زلة في الرأي وقلّة فكر في العواقب، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن وراثنا قوم نكرة أن نعقد عليهم عقداً ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر!

وكانه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقاتلك يا أبا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتبعنا إياك على دينك، وإنما أنزلنا بين ضرتين (صيرتين)! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما هاتان الضرتان؟ قال: أنهار كسرى ومياه العرب، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لآنحدث حدثاً ولا نؤي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن تؤويك ونصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما أسأتم في الرد، إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه. رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم نعم».

وفي رواية أن النبي (صلى الله عليه وآله) أعجب بهم وقال: (آية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض». (ثقات ابن حبان: 1/80).



فقد عرض المشنى على النبي (صلى الله عليه وآله) أن يحميه من قبائل العرب دون الفرس ، فشكره النبي (صلى الله عليه وآله) ومدح صدقهم وأخلاقهم ، وبشرهم بأن الله سيورثهم ملك كسرى .

3. وبعد سنوات قليلة كانت معركة ذي قار، قرب مدينة الناصرية بين بني شيبان ومعهم بنو عجل، وبين الفرس، فقال شيخهم: إجعلوا شعاركم إسم الرجل القرشي الذي دعاكم في مكة ، فجعلوا شعارهم: يا محمد ، يا محمد . فنصرهم الله باسم النبي (صلى الله عليه وآله) ، وكان ذلك بعد معركة بدر بأربعة أشهر ، وأرسلوا خمس الغنائم الى النبي (صلى الله عليه وآله) فقبلها وشكرهم ، كما يأتي .

4. بدأ المشنى فعاليته بتحرير العراق زمن النبي (صلى الله عليه وآله) ، وواصلها بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) ، قال ابن عبد البر في الإستيعاب: 4/1456: «المثنى بن حارثة الشيباني كان إسلامه وقدمه في وفد قومه على النبي (صلى الله عليه وآله) سنة تسع ، وقد قيل سنة عشر . وبعثه أبو بكر سنة إحدى عشرة في صدر خلافته إلى العراق . كان المثنى شجاعاً شهماً بطلاً ميمون النقيبة ، حسن الرأي والإمارة ، أبلى في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد .. قدم على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله إبعثني على قومي فإن فيهم إسلاماً ، أقاتل بهم أهل فارس وأكفيك أهل ناحيتي من العدو .

ففعل ذلك أبو بكر ، فقدم المشنى العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد ، حولاً مُجَرَّماً (كاملاً) ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد ، ويقول له: إن أمددني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إليّ وأذل الله المشركين . مع أنني أخبرك يا خليفة رسول الله أن الأعاجم تخافنا وتقتينا .

فقال له عمر: إبعث خالد بن الوليد مدداً للمثنى بن حارثة ، يكون قريباً من أهل الشام ، فإن استغنى عنه أهل الشام ألح على أهل العراق حتى يفتح الله عليه ، فهذا الذي هاج أبا بكر على أن يبعث خالد بن الوليد إلى العراق».

وفي فتوح ابن الأعمش (1/72): «وبلغ أبا بكر عن فعاله فقال للمسلمين: ويحكم من هذا الذي تأتينا أخباره ووقائعه قبل معرفة خبره؟ قال: فوثب قيس بن عاصم المنقري فقال: يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول الحسب ، ولا بقليل العدد والمدد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني . قال: فأرسل إليه أبو بكر فجعله رئيساً على قومه ، وبعث إليه بخلعة ولواء وأمره بقتال الفرس . قال: فجعل المثنى بن حارثة يقاتل الفرس من ناحية الكوفة وما يليها ، ويغير على أطرافها ، فلم يترك لهم سارحة ولا رائحة إلا استاقها (أخذ المواشي) وأقام على ذلك حولاً كاملاً أو نحواً من ذلك..

ثم إنه (المثنى) دعا بابن عم له يقال له سويد بن قطبة بن قتادة بن جرير بن بشار بن ثعلبة بن سدوس ، فضم إليه جيشاً ووجهه إلى نحو البصرة ، فجعل يحارب أهل أبلَّة وما يليهم من الفرس . قال: فكان المثنى بن حارثة بناحية الكوفة وما يليها ، وسويد بن قطبة من ناحية البصرة وما يليها ، هذا في جيش وهذا في جيش ، جميعاً يحاربان الفرس ، ولا يفتران عن ذلك».

أقول: فقد اتسعت فعاليات المثنى إلى البصرة ، وكان عنده قادة ، ذكروا منهم: «سيرة بن عمرو التميمي.. كان مع المثنى بن حارثة في جملة قواده في حروب العراق» . (الإصابة(3/25) . «مضارب بن زيد البجلي ، له إدراك (صحابي) ثم شهد بعد ذلك القادسية» . (الإصابة(6/99).

فقد اغتتم المثنى انشغال الفرس بصراعهم الداخلي ، ووسع جهاده في كل العراق ما عدا شرقي دجلة من جهة إيران ، وذلك قبل مجئ خالد بن الوليد .

5. ينبغي الالتفات الى ثلاثة عوامل في فتح العراق ، أولها: حالة الإنهيار في النظام الفارسي مما شجّع العرب وساعدهم في عمليات الفتح ومعاركه .

وثانيها: أن النبي (صلى الله عليه وآله) بشر الأمة بفتح بلاد كسرى وقيصر، وبشر بني شيبان خاصة بفتح العراق فقال لهم: «أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذلك». (شرح الأخبار للقاضي النعمان: 2/387).

وثالثها: الهمة العالية والشجاعة التي اتصف بها زعيم بني شيبان المثنى بن حارثة الشيباني ، فقد كان هذا الصحابي الجليل شخصية مميزة وقائداً شجاعاً . وكانت أخباره تصل الى المدينة فيعجب المسلمون به .

قال ابن حجر في الإصابة(5/568): «قال عمر بن شبة: كان المثنى بن حارثة يغير على السواد ، فبلغ أبا بكر خبره فقال: من هذا الذي أتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ! ثم قدم على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله إبعثني على قومي فإن فيهم إسلاماً أقاتل بهم أهل فارس ، وأقتل أهل ناحيتي من العدو . ففعل ، فقدم المثنى العراق فقاتل وأغار على أهل السواد وفارس» .

وقال البلاذري(2/295): «فبلغ أبا بكر خبره فسأل عنه فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري: هذا رجل غير حامل الذكر ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني . ثم إن المثنى قدم على أبي بكر فقال له: يا خليفة رسول الله ، استعملني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من

أهل فارس . فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل خفان ، ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا .

وهذا يدل على أن إسلام المثنى قبل ذلك ، ويدل على استجابة قومه له ، وإن كان الإسلام انتشر فيهم من بعد معركة ذي قار .

6. كان المثنى وعشيرته من شيعة علي (عليه السلام) ، وكان أبناؤه وعشيرته مع علي (عليه السلام) في حرب الجمل ، واستشهد فيها ابنه ثمامة (رحمة الله) . قال في أنساب الأشراف/244: «وقتل يومئذ ثمامة بن المثنى بن حارثة الشيباني ، فقال الأعور الشني:

يا قاتل الله أقواماً هم قتلوا \*\*\* يوم الخريبة علياً وحسانا

وابن المثنى أصاب السيف مقتله \*\*\* وخير قرائهم زيد بن صوحانا

وكانت وقعة الجمل بالخريبة ، وحسان الذي ذكره: حسان بن محدوح بن بشر بن حوط (الذهلي) كان معه لواء بكر بن وائل ، فقتل فأخذه أخوه حذيفة بن محدوح فأصيب ، ثم أخذه بعده عدة من الحوطين فقتلوا ، حتى تحاموه .

وفي مصنف ابن أبي شيبة (3/139) أن أخاه مصعب بن المثنى بن حارثة: «قال يوم الجمل: أذفوننا وما أصاب الثرى من دماننا!»! أي نحن شهداء الله تعالى .

وفي أنساب السمعاني: 1/44: «التقى رجلا من بكر بن وائل ، أحدهما من بني شيبان بن ثعلبة ، والآخر من بني ذهل بن ثعلبة ، فقال الشيباني: أنا أفضل منك . وقال الذهلي: بل أنا أفضل منك . فتحاكما إلى رجل من همدان ، فقال: لست مفضلاً واحداً منكما على صاحبه ، ولكن إسمعا ما أقول لكما: من أيكما كان عمران بن مرة الذي ساد في الجاهلية والإسلام؟ قال الشيباني: كان مني . قال:

فمن أيكما كان عوف بن النعمان الذي كان يأخذ في الإسلام ألفين وخمسة مائة (لشجاعته في الحرب)؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان المثنى بن حارثة الذي فتح الكوفة وخطب على منبرها؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان مصقلة بن هبيرة الذي أعتق خمسة مائة أهل بيت من بني ناجية؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان بشير بن الخصاصية الذي هاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان اسمه زحماً فسماه رسول الله بشيراً؟ قال الذهلي: كان مني. قال: فمن أيكما كان عبد الله بن الأسود الذي هاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال الذهلي: كان مني. قال: فمن أيكما كان قطبة بن قتادة الذي أغار على البصرة والأبلة ووليتهما؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان علباء بن الهيثم صاحب لواء ربيعة وكندة يوم الجمل، وعزل عنه الأشعث بن قيس؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان مجزأة بن ثور الذي شرى المسلمين بنفسه وفتح الله على وجهه الأهواز؟ قال الذهلي: مني، قال: فمن أيكما كان مجزأة بن ثور الذي شرى المسلمين بنفسه وفتح الله على وجهه الأهواز؟ قال الذهلي: مني، قال: فمن أيكما شقيق بن ثور الذي ساد قومه ورأسهم أربعين سنة؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان سود بن منجوف الذي كان أعظم الناس وفادة وأكثرهم شفاعاة وخير شريف قوم لبييم وأرملة؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان مرثد بن ظبيان الذي هاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوهب له أسرى بكر بن وائل وكتب معه إلى بكر بن وائل كتاباً أن: أسلموا تسلموا؟ قال الذهلي: مني، قال: فمن أيكما كان الحضين بن المنذر صاحب راية ربيعة يوم صفين؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن

أيكما كان عبد الله بن الأسود ، الذي هاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاحب القرون باليمامة ؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما القعقاع بن شور الذي كان أكرم العرب مجالسة ، وأفصحهم لساناً ، وأحسنهم وجهاً ، وأكرمهم طروقة ؟ قال الذهلي: مني. قال: فهذا الذي أقول لكما .»

أقول: يظهر أنه يفضل الذهليين على الشيبانيين وإن كان لكل منهما مفاخر ، لكنه يكشف عن أنهم جميعاً كانوا من شيعة علي (عليه السلام) ، وانهم قدّموا معه شهداء في حياته ، وبعد مماته . وقد قتل ابن رئيسهم عبد الرحمن بن حسان بن محدوج ، مع حجر بن عدي (رحمة الله) ، لأنه رفض أن يسب علياً (عليه السلام) .

ولا بد أن المثنى كان يلتقي بعليّ (عليه السلام) عندما كان يذهب إلى المدينة في وفد بني شيبان إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أو بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) ، ولعله (عليه السلام) أشار على أبي بكر باعتماد المثنى وإمداده بالمقاتلين فاعتمده ، كما نصوا على أنه أشار على عمر باعتماد النعمان بن مقرن قائداً لمعركة نهاوند ، وبعده حذيفة .

ولعل حساسية عمر من المثنى كانت بسبب تشييعه لعلي (عليه السلام) وارتباطه به ، فقد صرح من زمن أبي بكر بأنه سيعزله إن تولى الخلافة ، وعزله فلم يعزل ، ثم مات المثنى في ظرف غامض ، كما يأتي .

7. ذكروا للمثنى عدة إخوة ، وكلهم قادة شجعان ، أبرزهم مسعود والمعنى ، وذكر ابن الأعمش (1/166) أخاه إبراهيم بن الحارثة ، في قادة معركة جلولاء . وذكروا أن أخاه مسعوداً استشهد في معركة البويب ، وسيأتي . وذكروا ابنته الفارعة ، وقد تزوجت أنس بن مالك ، وورقت منه بأولاد . (الطبقات: 7/192) .

وذكروا مضافاً إلى ابنه ثمامة الذي استشهد في حرب الجمل أخاه مصعباً، الذي كان معه في حرب الجمل، وابنه عبد الرحمن بن المثنى، وذكروا عنه قصة غريبة، وهي أنه زوج بنت عامر بن عبد الأسود بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار، إلى عبيد الله بن زياد، بحكم أن عبد الرحمن ابن المثنى رئيس بني شيبان، والبنت من أحفاد حليفهم حنظلة وهو رئيس بني عجل بن لجيم، وهو قائد معركة ذي قار فغضب عليه عمر بن الخطاب وضربه وحبسه، لأن ابن زياد ليس كفواً لهم، فهو عبدٌ للحارث بن كلدة. (إكمال الكمال: 4/436).

وهذا يدلنا على أن حساسية عمر من المثنى انتقلت إلى أولاده، رضي الله عنهم!

8. أرسل أبو بكر خالد بن الوليد مدداً للمثنى، فبقي في العراق سنةً وكسراً، وكانت فترة هادئة عسكرياً، لأن الفرس كانوا مشغولين بوضعهم الداخلي، وكانت العمليات على بقايا المسالح الفارسية، وبعض الدساكر لإخضاعها. ولم يخض خالد أي معركة منها، بل كان القتال على المثنى وفرسانه.

قال الدينوري في الأخبار الطوال/111: « فلما أفضى الملك إلى بوران بنت كسرى بن هرمز، شاع في أطراف الأرضين أنه لا ملك لأرض فارس وإنما يلودون بباب امرأة، فخرج رجلان من بكر بن وائل، يقال لأحدهما المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي، فأقبلا حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض العجم، فكانا يغيران على الدهاقين فيأخذان ما قدرا عليه، فإذا طلبا أمعنا في البر فلا يتبعهما أحد، وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة، وسويد من ناحية الأبله، وذلك في خلافة أبي بكر.

فكتب المثنى بن حارثة إلى أبي بكر يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ، ويسأله أن يمدّه بجيش . فلما انتهى كتابه إلى أبي بكر كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، وقد كان فرغ من أهل الردة ، أن يسير إلى الحيرة فيحارب فارس ، ويضم إليه المثنى ومن معه .

وكره المثنى ورود خالد عليه وكان ظن أن أبا بكر سيوليه الأمر ، فسار خالد والمثنى بأصحابهما ، حتى أناخا على الحيرة وتحصن أهلها في القصور الثلاثة...

ثم صالحوه من القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدونها في كل عام إلى المسلمين . ثم ورد كتاب أبي بكر على خالد مع عبد الرحمن جميل الجمحي ، يأمره بالشخص إلى الشام ليمد أبا عبيدة بن الجراح بمن معه من المسلمين ، فمضى وخلف بالحيرة عمرو بن حزم الأنصاري مع المثنى « .

أقول: يمكن أن يكون المثنى في نفسه كره تأمير خالد عليه ، لكن لم يظهر منه إلا الطاعة لأنه القائد المعين من الخليفة . وكان المثنى معتمد خالد في عامة عملياته العسكرية ، كما بينا ذلك في الحديث عن خالد .

وقد بالغ رواة السلطة في دور خالد ، والتتقيص من دور المثنى ، لكن لم يثبت لخالد أي مبارزة أو مشاركة في حملة فيها قتال ، بل كان عمله استعراضياً ، أو مباغتهً وغدراً لنائمين كما صنع في تغلب ، أو حضوراً لقبض مبلغ الصلح المقرر .

ففي فتوح البلاذري (2/ 295) مختصراً: «وكتب لأبي بكر أن يمدّه بالجيش لحرب الفرس ، فأرسل إليه خالد بن الوليد فوجه المثنى بن حارثة إلى أليس ، منطقة قرب السماوة فخرج إليه صاحبها جابان بجيشه فالتقوا قرب النهر ، فهزمهم المثنى ثم صالحهم . ثم دنا المثنى بمن معه إلى الحيرة ، فخرجت إليه خيول



صاحب كسرى التي كانت في المخافر فهزمهم . ثم جاء خالد فصالحهم ، بعد أن وطّد المشى بن حارثة له الأمور » .

وفي الطبري(2/552): «وأقبل خالد بن الوليد يسير فعرض له جابان صاحب أليس ، فبعث إليه المشى بن حارثة فقاتله فهزمه وقتل جل أصحابه ، إلى جانب نهر ثم يدعى نهر الدم لتلك الوقعة ، وصالح أهل أليس » .

فكان خالد يبتعد بنفسه ، ويبعث المشى لقتال هذه الحامية الفارسية ، أو تلك الجماعة أو القرية ، فينتصر عليهم ويتفق معهم ، فيأتي خالد ويوقع الصلح ويأخذ المبلغ والأعيان المتفق عليها، ونادراً ما يذهب هو في غارة !

لذلك، نجد رواية الطبري (2/552) تقول إنه بعث المشى فقاتل في أليس فقبلوا بالمصالحة . ثم نجد رواية (2/560) تقول إنهم كانوا ألوفاً فبرز خالد الى قائدهم وقتله ، وكانوا أعدوا طعاماً فقال لهم ضعوا فيه السم فسمموه ، وجاء خالد والمسلمون فأكلوا منه ولم يتسمموا ، ثم اتفقوا معه فصالحهم .

فتعرف أن هذه الرواية تريد مدح خالد بأنه مقاتل بطل، وأنه ضد التسمم لقوة إيمانه!

ومثلها رواية (تاريخ الطبري:2/559) عن وقعة يوم الولجة ، تزعم أن خالداً بارز «رجلاً من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله فلما فرغ اتكأ عليه ودعا بغدائه» !

ثم نجد أن هذه المعركة كانت غارة على نصارى بكر بن وائل العرب وقتل منهم خالد وأسر! (الطبري:2/560) ، أما القادة الفرس فكانوا معروفين ، وردت أسماءهم في المعارك الكبيرة والصغيرة التي خاضها المسلمون ، مثل جابان ، ومردانشاه ، وذبي الحاجب ، ومهران ، والجالينوس ، وقائدهم العام رستم . وقد أخفى الراوي هنا إسم القائد الذي قتله خالد ، لأنه لاوجود له !

والصحيح أن خالداً كان يبالغ ويقبض المال ، والذي كان يقاتل هو المشنى!

وتقرأ في فتوح البلاذري (2/297 وما بعدها) عن آخر أعمال خالد: « وسار خالد إلى الأنبار فتحصن أهلها ، ثم أتاه من دله على سوق بغداد وهو السوق العتيق الذي كان عند قرن الصرارة ، فبعث خالد المشنى بن حارثة فأغار عليه ، فملاً المسلمون أيديهم من الصُّفراء والبيضاء وما خف محمله من المتاع... فلما رأى أهل الأنبار ما نزل بهم صالحوا خالداً على شئ رضى به فأقرهم...»

وأتى خالد بن الوليد رجل دله على سوق يجتمع فيها كلب وبكر بن وائل وطوائف من قضاة فوق الأنبار، فوجه إليها المشنى بن حارثة ، فأغار عليها فأصاب ما فيها ، وقتل وسبى . ثم أتى خالد عين التمر فألصق بحصنها ، وكانت فيه مسلحة للأعاجم عظيمة فخرج أهل الحصن فقاتلوا ، ثم لموا حصنهم فحاصروهم خالد والمسلمون حتى سألوا الأمان فأبى أن يؤمنهم، وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبى، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم ، فكان من ذلك السبي حمران ابن أبان بن خالد التمري.. وسيرين أبو محمد بن سيرين وإخوته وهم: يحيى بن سيرين ، وأنس بن سيرين ، ومعبد بن سيرين .. ثم سار خالد من عين التمر إلى الشام ، وقال للمثنى بن حارثة: إرجع رحمك الله إلى سلطانك فغير مقصر ولا وانٍ».

ومع ذلك تقرأ عن تريات خالد وقوله كما في تاريخ الطبري (2/319): «لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسيف ، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أليس» .

فهو يفتخر ببطولته في مؤتة ، ويزعم أنه كسّر على رؤوس الروم تسعة أسياف ، ويقول إن الفرس أشجع من الروم ، وإن أهل أليس أشجع الفرس! فأين قاتل خالد في مؤتة وقد هرب منها حتى المسلمون التراب في وجهه؟ وأين قاتل أهل أليس ولم يذهب الى منطقتهم بل بعث المثنى فقاتلهم وصالحوه؟!

وفي الطبري(2/308):«وأقبل حتى دنا من الحيرة ، فخرجت إليه خيول أذا به صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب ، فلقوهم بمجتمع الأنهار، فتوجه إليهم المثنى بن حارثة فهزمهم الله . ولما رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه.. قال لهم خالد: إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام فإن قبلتم فلکم مالنا وعليکم ما علينا وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فقد جئناکم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر ، فقالوا: لا حاجة لنا في حربك ، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق».

وفي الطبري(2/584): «ثم أعطوه شيئاً رضى به فأقرهم..وجه المثنى على سوق فيها جمع لقضاة وبكر فأصاب ما في السوق».

وذكر النويري(19/115) وقعة حصيد ووقعة الخنافس وما بعدها التي نسبوها الى خالد ، وقال لم تكن مع خالد بل مع خليفته على العراق أي المثنى !

ويكفي لرد الوقعات التي نسبوها الى خالد أن ابن الأَعمش (1/134) قال عن وقعة الجسر ما لفظه: «ذكر وقعة الجسر وهي أول وقعة للمسلمين مع الفرس». وقد كانت بعد ذهاب خالد بشهور وربما بسنة !

ومعناه أن كل ما قبلها من عمليات المثنى رضي الله عنه ، قبل خالد ، إنما هو عمليات على حاميات وليس على جيش نظامي ، وكانت أول معركة مع جيش فارسي نظامي معركة بابل بعد ذهاب خالد ، وبعدها معركة النمارق ، ثم معركة الجسر .

### معركة بابل أول معركة مع الجيش الفارسي النظامي

9. كانت أول معركة مع الجيش النظامي الفارسي بعد ذهاب خالد من العراق

وكانت قبل أن يمد عمر المثنى بأبي عبيد الثقفي ونحو ألف مقاتل ، فقد عاجل الفرس المثنى عندما ملكوا عليهم شهر براز ، فأرسل جيشاً لحربه .

قال الطبري: 2/605: «واستقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد الحيرة ، بعد خروج خالد بقليل ، وذلك في سنة ثلاث عشرة على شهر براز بن أردشير بن شهريار ، ممن يناسب إلى كسرى ثم إلى سابور ، فوجه إلى المثنى جنداً عظيماً ، عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف ومعه فيل ، وكتبت المسالح إلى المثنى بإقباله ، فخرج المثنى من الحيرة نحوه وضم إليه المسالح ، وجعل على مجنبيه المعنى ومسعوداً ابني حارثة ، وأقام له ببابل .

وأقبل هرمز جاذويه وعلى مجنبيه الكوكبد والنخوكبد ، وكتب إلى المثنى:

من شهر براز إلى المثنى: إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم !

فأجابه المثنى: من المثنى إلى شهر براز: إنما أنت أحد رجلين ، إما باغ فذلك شر لك وخير لنا ، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس

ص: 206

الملوك! وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم ، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنزير!

فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا: إنما أتى شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشئه ، وكان يسكن ميسان ، وبعض البلدان شين على من يسكنه ! وقالوا له: جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم ، فإذا كتبت أحداً فاستشر!

فالتقوا ببابل فأقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا ، على الطريق الأول قتالاً شديداً .

ثم إن المشنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل ، وقد كان يفرق بين الصفوف والكراديس ، فأصابوا مقتله فقتلوه وهزموا أهل فارس ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مسالحهم ، فأقاموا فيها ، وتتبع الطلب الفالة حتى انتهوا إلى المدائن . وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدي ، وكان عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له ، حتى شهد وقعة بابل فلما آيسته رجع إلى البادية فقال:

هل حبلٌ خولةٌ بعد البين موصولٌ \*\*\* أم أنت عنها بعيدُ الدار مشغولٌ

ولالأحبة أيامٌ تُذكرُها \*\*\* وللنوى قبل يوم البين تأويل

حلت خويلةٌ في حيِّ عهدتهم \*\*\* دون المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤس العُجم ضاحيةً \*\*\* منهم فوارسٌ لا عزلٌ ولا ميللٌ

القصيدة للفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل . وذكر المشنى وقتله الفيل:

وبيت المشنى قاتلُ الفيل عنوةً \*\*\* ببابل إذ في فارس ملك بابل

ومات شهر براز منهزم هرمز جاذويه (حكم أربعين يوماً فقتلوه) واختلف أهل فارس وبقى ما دون دجلة وبرز من السواد في يدي المشنى والمسلمين .

ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهريزاد على دخت زنان ابنة كسرى ، فلم ينفذ لها أمر فخلعت وملك سابور بن شهريزاد . قالوا: ولما ملك سابور بن شهريزاد قام بأمره الفرخزاد بن البندوان فسأله أن يزوجه أزر ميدخت ابنة كسرى ففعل ، فغضبت من ذلك وقالت: يا ابن عم أتزوجني عبيدي؟ قالت: استحي من هذا الكلام ولا تعيده على فإنه زوجك فبعثت إلى سياوخش الرازي وكان من فتاك الأعاجم فشكت فيه الذي تخاف ، فقال لها: إن كنت كارهة لهذا فلا تعاوديه فيه وأرسلني إليه وقولي له فليقل له فليأتك فأنا أكفيكه ، ففعلت وفعل واستعد سياوخش ، فلما كان ليلة العرس أقبل الفرخزاد حتى دخل فثار به سياوخش فقتله ومن معه ، ثم نهدها معه إلى سابور فحضرته ، ثم دخلوا عليه فقتلوه وملك آزر ميدخت بنت كسرى ، وتشاغلوا بذلك وأبطأ خبر أبي بكر على المسلمين فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية ووضع مكانه في المسالحي سعيد بن مرة العجلي وخرج المثنى نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين ، وليستأذنه في الإستعانة بمن قد ظهرت توبته وندمه من أهل الردة ممن استطعمه الغزو ، وليخبره أنه لم يخلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم. فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد مرض أبو بكر بعد مخرج خالد إلى الشام مرضته التي مات فيها بأشهر ، فقدم المثنى وقد أشفى وعقد لعمر فأخبره الخبر ، فقال: عليّ بعمر ، فجاء فقال له: إسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، إنني لأرجو أن أموت من يومي هذا وذلك يوم الإثنين فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا

تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى... فمات أبو بكر ، وندب عمر الناس مع المثنى » .

ومعنى ذلك أن قوة المثنى التي وصلت الى بضعة آلاف بلغت من القوة أنها هزمت جيشاً نظامياً من عشرة آلاف ، وقد كان لبطولته مع إخوانه قادة المعركة الفضل الأول في تحقيق النصر . وقد أدركت الخلافة أهمية فتح العراق وتقوية جبهته .

10. وكان أول من أمدّ بهم عمر المثنى أبا عبيد الثقفي ، أرسله والياً على العراق

قال الطبري:2/630: «أول ما عمل به عمر أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر، ثم أصبح فبايع الناس ، وعاد فندب الناس إلى فارس ، وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم . قالوا: فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاري حليف بنى فزارة هرب يوم الجسر».

أقول: وصفت الروايات خوف المسلمين من قتال الفرس ، وأن عمر ندبهم ثلاثة أيام وخطب فيهم المثنى ، فاستجاب له أبو عبيد بن مسعود أبو المختار الثقفي (رحمة الله) فذهب المثنى قبله ، وجمعوا لأبي عبيد ألف مقاتل أو أكثر .

ثم وصفت الرواية أوضاع فارس ومعارك المسلمين معهم ، وفيها مناقبية أبي عبيد ونزاهته عن المال الحرام ، وبطولات المثنى ، الذي تحمّل ثقل المعارك .

وكان أبو عبيد رضي الله عنه من أفضل القادة الذين أمدت بهم الخلافة المثنى ، فهو من نوع عمار وهاشم المرقال وحجر بن عدي شجاعة ونزاهة وتعففاً .

قال الطبري (2/630): «وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم ، وفهرهم الأمم! قالوا: فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، وسعد بن عبيد الأنصاري.. وتكلم المثنى بن حارثة فقال: يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شذقي السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر في الناس فقال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النعجة ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك . أين القرءاء المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال: ليظهره على الدين كله . والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولي أهله مواريث الأمم..»

فلما اجتمع ذلك البعث قيل لعمر: أمّر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار. قال: لا والله لا أفعل إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء . والله لا أؤمر عليهم الا أولهم انتداباً . ثم دعا أبا عبيد وسليطاً وسعداً فقال: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدرتكما بها إلى مالكما من القدمة ، فأمر أبا عبيد على الجيش وقال لأبي عبيد: إسمع من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث ، الذي يعرف الفرصة والكف .»



## المعركة الثانية مع الجيش الفارسي معركة النمارق

11. خاض المثنى وأبو عبيد معركتين ، أبليا فيهما بلاء حسناً: النمارق، والجسر. فقد جاءت بوران ملكة الفرس برستم بن فرخزاد حاكم خراسان ، ونصبتة نائباً لها وقائداً عاماً لجيش الفرس لعشر سنين ، وألبسته تاجاً ، ثم عزَّز ذلك ملكهم يزدجرد عندما تَوَجَّه في السنة التي جاء فيها أبو عبيدة الى العراق .

فحرك رستم المرازبة الفرس (حرس الحدود) وقادة الدساكر في العراق ، لينقضوا عقود الصلح ويثوروا على المسلمين ، فسارع الى الثورة قائدان هما جوبان في منطقة النمارق ، والنرسي في منطقة زند رود . وكلاهما قرب واسط .

قال ابن كثير في النهاية (7/35): «فملكوه (يزدجرد) عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وهو من ولد شهريار بن كسرى ، وعزلوا بوران واستوتقت الممالك له واجتمعوا عليه وفرحوا به وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام واستفحل أمره فيهم وقويت شوكتهم به ، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم ودممهم ! وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر ، فأمرهم عمر أن يبرزوا من بين ظهرانيهم (يخرجوا من مناطق العراق الزراعية) وليكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لا يخفى أمرها على جيرانهم . وتقاوم الحال جداً ، وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة .»

وقال الطبري (2/634): «وقدم المشنى الحيرة من المدينة في عشر ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر فأقام المشنى بالحيرة خمس عشرة ليلة. وكتب رستم إلى الدهاقين للسواد أن يثوروا بالمسلمين ، ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل ، وبعث نرسي إلى كسكر ووعدهم يوماً وبعث جنداً لمصادمة المشنى ، وبلغ المشنى ذلك فضم إليه مسالحه وحنّذِر . وعجّل جابان فثار ونزل النمارق ، وتوالوا على الخروج ، فخرج نرسي زندورد (وكلها ما بين الكوت والكوفة) وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله ، وخرج المشنى في جماعة حتى ينزل حفان ، لئلا- يؤتى من خلفه بشئ يكرهه ، وأقام حين قدم عليه أبو عبيد فكان أبو عبيد على الناس ، فأقام بخفان أياماً ليستجم أصحابه ، وقد اجتمع إلى جابان بشر كثير . وخرج أبو عبيد بعد ما جمّ الناس وظهّرهم (دوابهم) وتعباً فجعل المشنى على الخيل ، وعلى ميمنته والى بن جيدارة ، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي . وعلى مجنبتى جابان: جشنس ماه ، ومردانشاه . فنزلوا على جابان بالنمارق فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله أهل فارس وأسير جابان ، أسره مطر بن فضة التميمي ، وأسير مردان شاه ، أسره أكتل بن شماخ العكلي ، فأما أكتل فإنه ضرب عنق مردانشاه ، وأما مطر بن فضة فإن جابان خدعه حتى تفلت منه بشئ فخلى عنه ، فأخذه المسلمون فأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه الملك ، وأشاروا عليه بقتله فقال: إني أخاف الله أن أقتله ، وقد آمنه رجل مسلم ، والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد ، ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم .

فقالوا له إنه الملك! قال: وإن كان، لا أغدر، فتركه... ما تروني فاعلاً معاشر ربيعة، أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا! معاذ الله من ذلك .

وقسم أبو عبيد الغنائم وكان فيها عطر كثير ونفل، وبعث بالأخماس...

وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كسكر ليلجؤوا إلى نرسي، وكان نرسي ابن خالة كسرى، وكانت كسكر قطيعة له، وكان النرسي يحميه لا يأكله بشر ولا يغرسه غيرهم، أو ملك فارس إلا من أكرموه بشئ منه، وكان ذلك مذكوراً من فعلهم في الناس، وأن ثمرهم هذا حمى، فقال له رستم وبوران: إشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدونا وكن رجلاً، فلما انهزم الناس يوم النمارق، ووجهت الفالة نحو نرسي ونرسي في عسكره، نادى أبو عبيد بالرحيل وقال للمجردة: إتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي، أو تبيدوهم فيما بين النمارق إلى بارق إلى درتا...

ومضى أبو عبيدة حين ارتحل من النمارق حتى ينزل على نرسي بكسكر، ونرسي يومئذ بأسفل كسكر، والمثنى في تعبته التي قاتل فيها جابان، ونرسي على مجنبيه ابنا خاله وهما ابنا خال كسرى: بندويه وتيرويه ابنا بسطام، وأهل باروسما ونهر جوبر والزوابي معه إلى جنده، وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان، فبعثوا إلى الجالنوس، وبلغ ذلك نرسي وأهل كسكر وباروسما ونهر جوبر والزواب، فرجوا أن يلحق قبل الواقعة، وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية، فاقتتلوا في صحارى ملس قتالاً شديداً، ثم إن الله هزم فارس، وهرب نرسي وغلب على عسكره وأرضه .

ص: 213

وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر ، وجمع الغنائم فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، فبعث فيمن يليه من العرب ، فانتقوا ما شاؤوا ، وأخذت خزائن نرسي ، فلم يكونوا بشئ مما خزن أفرح منهم بالنرسيان ، لأنه كان يحميه ويمالؤه عليه ملوكهم فاقتموه ، فجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسه إلى عمر ، وكتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحرمونها ! وأحببنا أن تروها لتذكروا إنعام الله وإفضاله !

وأقام أبو عبيد وسرح المشى إلى باروسما ، وبعث والقاء إلى الزوابي ، وعاصماً إلى نهر جوبر ، فهزموا من كان تجمع ، وأخرجوا وسبوا وكان مما أخرب المشى وسبى أهل زندورد وسريسي ، وكان أبو زعبل من سبى زندورد .

وهرب ذلك الجند إلى الجالنوس ، فكان ممن أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبر ، وممن أسر والقي أبو الصلت ، وخرج فروخ وفرونداذ إلى المشى يطلبان الجزاء والذمة ، دفعاً عن أرضهم فأبلغهما أبا عبيد.. فأعطياه عن كل رأس أربعة دراهم ، فروخ عن باروسما وفرونداذ عن نهر جوبر ، ومثل ذلك لزوابي وكسكر ، وضمننا لهم الرجال عن التعجيل ، ففعلوا وصاروا صلحاً .

وجاء فروخ وفرونداذ إلى أبي عبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخضة وغيرها ، فقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها وقرى لك . قال: أكرمتم الجند وقرتموهم مثله؟ قالوا لم يتيسر ، ونحن فاعلون ، وإنما يتربصون بهم قدوم الجالنوس وما يصنع .

فقال أبو عبيد: لا حاجة لنا فيه ، بس المرء أبو عبيد إن صحب قوماً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهريقوا ، فاستأثر عليهم بشئ يصيبه ، لا والله

لا يأكل مما أفاء الله عليهم ، إلا مثل ما يأكل أوساطهم.. ودخل أبو عبيد باروسما ونزل هو وأصحابه قرية من قراها ، فاشتملت عليهم ، فصنع لأبي عبيد طعام فأتى به ، فلما رآه قال: ما أنا بالذي آكل هذا دون المسلمين. فقالوا له: كل، فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وهو يؤتى في منزله بمثل هذا ، أو أفضل. فأكل . فلما رجعوا إليه سألهم عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم . «

وفي الطبري:2/638: «كان جابان ونرسي استمدا بوران فأمدتهما بالجانوس في جند جابان ، وأمر أن يبدأ بنرسي ثم يقاتل أبا عبيد بعد ، فبادره أبو عبيد فنهض في جنده قبل أن يدنو ، فلما دنا استقبله أبو عبيد فنزل الجانوس بباقسياثا من باروسما ، فنهد إليه أبو عبيد في المسلمين وهو على تعبيته ، فالتقوا على باقسياثا فهزمهم المسلمون وهرب الجانوس . وأقام أبو عبيد قد غلب على تلك البلاد».

وفي تاريخ خليفة/46: «وبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة إلى زندورد فحاربوه ، فقتل وسبى » .

وروى الكلاعي في الاكتفاء:2/404، عن المدائني: «وبلغ يزدجرد أن ملك العرب يسير إليه ، فشاور أهل بيته ومرابته ، فقالوا له: وجه إلى أطرافك فحصنها وأخرج من فيها من العرب ، فوجه جالينوس ورستم وليس بالأزدى ومردان شاه ونرسي ابن خال أبرويز ، وكل واحد في خمسة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا متفرقين ، ويكون بعضهم قريباً من بعض كل رجل في أصحابه ، ويمد بعضهم بعضاً إن احتاجوا إلى ذلك ، وأمرهم أن يقتلوا من قدروا عليه من العرب ، فخرجوا والمثنى بالحيرة ، فبلغه مسيرهم ، فخرج لينزل على البلاد ، فلقى على

قنطرة النهرين خرزاذبه ققتله . ومضى المثنى فنزل من وراء أليس ، ونزل العجم متفرقين ، فنزل نرسى كسكر ، ونزل مردان شاه فيما بين سورا وقبين ، ونزل رستم بابل ، ونزل جالينوس بارسمى ، ووجه جالينوس جابان فى ألف إلى أليس ، ووجه أزابه إلى الحيرة فى ألف ، وفصل أبو عبيد بن مسعود من المدينة فى ألف وثمان مائة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فيهم من ثقيف أربع مائة معهم أبو محجن ، كان مع خالد بن الوليد بالشام فلما أتهم وفاة أبي بكر رجع إلى المدينة ، فخرج مع أبي عبيد ، وانضم إلى أبي عبيد فى الطريق مائة من بنى أسد ، ومائتان من طيى ومائة من بنى ذبيان بن بغيض ، ومائة من بنى عيس ، معهم خمسة وعشرون فرساً .

وخرج المثنى بن حارثة فى ثلاث مائة وسبعين من بكر بن وائل ، وثلاث مائة من بنى تميم حنظلة وعمرو وسعد والرباب ، فتلقى أبا عبيد ثم أقبل معه حتى نزل عسكره الذى كان فيه ، ووضع عيوناً على المسلحة التى بأليس فأتوه فأعلموه فأخبر أبا عبيد ، فقال له: إن أذنت لي سرت إليهم ، فأذن له وضم إليه ابنه جبر بن أبي عبيد وقال لابنه جبر: لا تخالفه ، فسار المثنى فصبح أليس وهم آمنون فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزموا ، فأصاب المسلمون سلاحاً ومتاعاً ليس بالكثير ، ورجع إلى أبي عبيد .

ونزل جابان فيما بين الحيرة والقادسية وكتب أبو عبيد إلى عمر بخبر أليس ، فسر المسلمون ونشطوا ، وخرج قوم من المدينة إلى أبي عبيد ، وتقدم أبو عبيد

فلقى جابان فيما بين الحيرة والقادسية ، وجابان في ألفين معه آزاده ، فلم يطل القتال بينهم حتى انهزم المشركون « .

أقول: هكذا سارت عمليات تحرير العراق باطراد في مصلحة المسلمين ، وكان الفضل فيها لإخلاص المثني وأبي عبيد الثقفي وتضحياتهما ، رضي الله عنهما .

وكان أبو عبيد من أفضل القادة الذين بعثتهم الخلافة الى العراق ، شجاعاً نزيهاً مخلصاً ، كعمار وحذيفة والمرقال ، يعيش مع جنوده ويقا تل أمامهم ، ولا يجلس في خيمته كسعد ، ولا يغير ويقتل وينهب ويسبي كخالد ، ولا يسرق الحيوانات من أهل القرى ليطلع جيشه كجرير وأمثاله !

وقد ختم أبو عبيد انتصاراته بخطأ ذريع بسبب عنفوانه وعجلته ، فلا عصمة إلا للمعصومين صلوات الله عليهم ، فقد خيّر القائد الفارسي في معركة الجسر في العبور ، فاختر أبو عبيد أن يعبر هو حتى لا يقال إنه خاف ، فعبر بجيشه الى مكان ضيق لا يصلح للمسلمين للقتال ، فكانت معركة صعبة عليهم ، وخسروا أربعة آلاف شهيد وغريق ، واستشهد فيها أبو عبيد نفسه ، وسبعة من خواصه الثقفيين .

### معركة الجسر

12. وخاض المثني وأبو عبيد رضي الله عنهما ، معركة الجسر أوقس الناطف ، وتسمى أيضاً معركة المروحة ، وسماها الطبري معركة القرقس ، وكانت في أواخر السنة الثالثة عشرة وقيل الرابعة عشرة للهجرة . ووقعت فيها أكبر خسارة على المسلمين وأقساها بسبب إصرار أبي عبيد (رحمة الله) على خطئه العسكري !

قال البلاذري (2/313): (وأقبل رستم ، وهو من أهل الري ، ويقال بل هو من أهل همذان ، فنزل برّس (قرب الحلة- معجم البلدان:1/103) ثم سار فأقام بين الحيرة والسيلحين أربعة أشهر ، لا يقدم على المسلمين ولا يقاتلهم ، والمسلمون معسكرون بين العذيب والقادسية . وقدّم رستمُ ذا الحاجب فكان معسكراً بطيناباذ . (قرب الكوفة- معجم البلدان:4/55) وكان المشركون زهاء مئة ألف وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثون فيلاً ، ورايتهم العظمى التي تدعى درفش كايان .

وكان جميع المسلمين ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف ، فإذا احتاجوا إلى العلف والطعام أخرجوا خيولاً في البر ، فأغارت على أسفل الفرات «.

و«درفش كايان: إضافة إلى كابي صاحبها، والدرفش بالفارسية القديمة الراية. وقد حليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة ، وكانت لا تظهر إلا في حروب عظيمة تنشر على رأس الملك أو ولي عهده ، أو من يقوم مقامه ، فلم تزل معظمة عند جميع ملوكهم إلى أن وجه بها يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس من الساسانية ، مع رستم الأذري لحرب العرب «. ( التنبيه والإشراف/76).

ويلفظ الفرس كابي «كاوه» وهو حدادٌ أصفهاني قتل الملك الضحاك ابنه ، فأخذ حربة وعلق عليها قطعة ودعا إلى حرب الضحاك ، فأجابه الناس وقصد الضحاك فقتله ، وملّك عليهم إفريدون من عقب جمشيد ، فصار لكابي عندهم مقام ، وعظموا رايته وكللوها بالجواهر واليواقيت ، وكان ملوكهم يستفتحون بها في الحرب المهمة حتى غنمها المسلمون في القادسية.(صبح الأعشى:13/297).



وفي الطبري: 2/640: «استعمل رستم على حرب أبي عبيد بهمن جاذويه وهو ذو الحاجب ورد معه الجالنوس ومعه الفيلة فيها فيل أبيض عليه النخل، وأقبل في الدهم وقد استقبله أبو عبيد حتى انتهى إلى بابل، فلما بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه فعسكر بالمروحة.

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر، فحلف ليقطعن الفرات إليهم وليمحصن ما صنع، فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس وقالوا إن العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به أحد منهم، وقد نزلت منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع، من فرة إلى كرة. فقال: لا أفعل جبت والله! وكان الرسول فيما بين ذي الحاجب وأبي عبيد مردانشاه الخصي، فأخبرهم أن أهل فارس قد عيروهم! فازداد أبو عبيد مَحْكاً، ورد على أصحابه الرأي وجَبَّن سليطاً فقال سليط: أنا والله أجزأ منك نفساً وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم».

وفي تاريخ الطبري (2/641): «أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطئ الفرات بقس الناطف، وأبو عبيد معسكر على شاطئ الفرات بالمروحة، فقال: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم؟ فقال أبو عبيد: بل نعبر إليكم، فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعاً... ثم نهّد بالناس فعبروا وعبروا إليهم، وعضلت الأرض بأهلها وألحم الناس الحرب. فلما نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل، والخيل عليها التجافيف، والفرسان عليهم الشعر، رأّت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله! فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلال (الأجراس) فرقت بين كراديسهم، لا تقوم لها الخيل

إلا على نفار، وخرّتهم الفرس بالنشاب، وعضّ المسلمون الألم، وجعلوا لا يصلون إليهم، فترجل أبو عبيد وترجل الناس ثم مشوا إليهم فصافحهم بالسيوف، فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم، فنادى أبو عبيد: احتوشوا الفيلة وقطعوا بطنها (أحزمتها) وأقلبوا عنها أهلها، وواثب هو الفيل الأبيض فتعلق ببطانة فقطعه، ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك، فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه! وأهوى الفيل لأبي عبيد فنضح مشفره بالسيف فاتقاه الفيل بيده، وأبو عبيد يتجرّمه فأصابه بيده فوق، فخبطه الفيل وقام عليه، فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل، خشعت أنفوس بعضهم وأخذ اللواء الذي كان أمره بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد فاجترّه إلى المسلمين وأحرزوا شلوه (جثته)... وتتابع سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت، ثم أخذ اللواء المثنى وهرب الناس.

فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس، بادروهم إلى الجسر فقطعه وقال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم، أو تظفروا. وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر وخشع ناس فتواثبوا في الفرات فغرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر، وحما المثنى وفرسان من المسلمين الناس ونادى: يا أيها الناس إنا دونكم فاعبروا على هيتتكم ولا تدهشوا، فإننا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تغرقوا أنفسكم.

فاعبروا الجسر وعبد الله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور، فأخذوه فأتوا به المثنى فضربه وقال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ليقاتلوا.

ونادى من عبر فجاؤوا بعلوج فضموا إلى السفينة التي قطعت سفائنها، وعبر الناس، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس .

وعبر المثنى وحمى جانبه فاضطرب عسكره، ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم، فلما عبر المثنى ارفض عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة، وتركها بعضهم ونزلوا البوادي، وبقي المثنى في قلة... هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وهرب ألفان وبقي ثلاثة آلاف، وأتى ذا الحاجب الخبر باختلاف فارس فرجع بجنده، وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه، وجرح المثنى وأثبت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح».

وفي رواية خليفة بن خياط/91: «وبدأت المعركة واقتتلوا أعظم قتال، فقتل أبو عبيد، وقتل عدد كبير من المسلمين، قيل إنه بلغ أربعة آلاف، وبعضهم مات غرقاً، فاضطرَّ المثنى وحذيفة إلى الإنسحاب بالباقيين».

وجاء في رواية البلاذري:2/308: «فقال سليط بن قيس: يا أبا عبيد، قد كنت نهيتك عن قطع هذا الجسر إليهم وأشرت عليك بالإنحياز إلى بعض النواحي.. فأبيت! وقاتل سليط حتى قتل... وقاتل عروة بن زيد الخيل يومئذ قتالاً شديداً عدل بقتال جماعة، وقاتل أبو زيد الطائي الشاعر حمية للمسلمين بالعربية، وكان أتى الحيرة في بعض أموره وكان نصرانياً. وأتى المثنى أليس فنزلها، وكتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر مع عروة بن زيد . وكانت وقعة الجسر يوم السبت آخر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة».

وجاء في رواية ابن الأعمش:1/134: «ذكر وقعة الجسر، وهي أول وقعة للمسلمين مع الفرس...وتقدمت قبيلة من الفرس ومعهم فيل لهم يقال له الأصم على

ظهره قبة ديباج ، فيها قائد من قواد كسرى يقال له شهر يار وهو أخورستم . قال : فلما نظرت خيل المسلمين إلى ذلك الفيل كأنها فزعت منه ، ونظر أبو عبيد إلى ذلك الفيل فتهاياً للحملة عليه .. فقال سليط بن قيس : أيها الأمير ! ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أحمل على هذا الفيل حملة وأضرب خرطومه بسيفي فأقتله إن شاء الله تعالى ! قال سليط : أيها الأمير ! دع عنك هذا الفيل فلك في غيره سعة فقال أبو عبيد : ما أريد سواه ولا أقصد غيره ، ثم قال أبو عبيد : اقرأ على قبر محمد (صلى الله عليه وآله) مني السلام ، ثم قال : يا معشر المسلمين أنظروا إن أنا قتلت فأميركم من بعدي وهب ابني ، فإن أصيب فابني مالك ، فإن أصيب فابني جبر ، فإن أصيب فسليط بن قيس ، فإن أصيب فأبو محجن الثقفي ، فإن أصيب فالمنثى بن حارثة ، فإن أصيب فأمر بعضكم إلى بعض . ثم تقدم راجلاً بسيفه نحو الفيل ثم حمل على الفيل فضرب خرطومه ضربة فقطعه ، وذهب ليولي إلى عسكره فعثر على وجهه ، ووقع عليه الفيل فحطمه رحمة الله عليه ... واشتبك الحرب وكثر القتل في المسلمين ، ثم وقعت الهزيمة ..

وأفلت رجل يقال له معاذ بن حصين الأنصاري ، فمرّ على وجهه يقطع البلاد حتى صار إلى المدينة ، فدخل إلى عمر بن الخطاب .. فقال : أنعى إليك أبا عبيد وأنعي إليك بنيه الثلاثة وهباً ومالكاً وجبراً ، وأنعى إليك سليط بن قيس الأنصاري وفلاناً وفلاناً ، فلم يزل يعد وجوه المهاجرين والأنصار ، فقال له عمر : فالمنثى بن حارثة الشيباني ما حاله ؟ فقال : تركته جريحاً يا أمير المؤمنين . قال : فضج الناس بالبكاء والنحيب ..

وقال البلاذري: 2/310: «مكث عمر بن الخطاب سنة لا يذكر العراق لمصعب أبي عبيد وسليط. وكان المثنى بن حارثة مقيماً بناحية أليس يدعو العرب إلى الجهاد. ثم إن عمر ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتأقلون عنه، حتى هم أن يغزو بنفسه. وقدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام، فدعاهم إلى العراق ورغبهم في غناء آل كسرى، فردوا الإختيار إليه فأمرهم بالشخوص. وقدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطيه وقومه ربع ما غلبوا عليه. فأجابه عمر إلى ذلك فسار نحو العراق».

13. واصل المثنى جهاده بعد معركة الجسر مباشرة، فأسر قائدين من الفرس! وهذا أيضاً يضاعف روايتهم بأنه أصيب في معركة الجسر، ومات بسبب جراحه! قال الطبري (2/643): «خبر أليس الصغرى.. وخرج جابان ومردانشاه حتى أخذنا بالطريق وهم يرون أنهم (المسلمين) سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس. فلما ارفض أهل فارس وخرج ذو الحاجب في آثارهم، وبلغ المثنى فعلة جابان ومردانشاه، استخلف على الناس عاصم بن عمرو، وخرج في جريدة خيل يريد هما، فظنا أنه هارب فاعترضاه، فأخذهما أسيرين! وخرج أهل أليس على أصحابهما فأتوه بهم أسراء وعقد لهم بها ذمة. وقد مهما وقال أنتما غررتما أميرنا وكذبتما واستفززتما، فضرب أعناقهما وضرب أعناق الأسراء». ونهاية الإرب: 19/185.

أقول: قام المثنى بعملية جريئة فذهب بمجموعة من فرسانه ، وأسرق قاندين كانا يحكمان منطقة أليس المهمة ، وبعث الى بلدهما بالخبر ، وطلب وفداً منهم ليعقد معهم صلحاً ، وعقد الصلح ، ثم قتل القاندين والأسرى الذين كانوا معهم .

واتخذ المثنى بلدة أليس مقراً لقيادته ، وواصل عملياته واستعداده للحرب ، لأن الفرس كانت تتهياً . قال البلاذري: 2/308: «وأتى المثنى أليس فنزلها (بعد وقعة الجسر) وكتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر ، مع عروة بن زيد» .

### المثنى يقود معركة البويب بجدارة

14. وأمدَّ عمر المثنى بجريز سنة 13 بعد معركة الجسر، وقبيل معركة البويب. قال البلاذري: 2/311، وابن سلام في الأموال/79: «أخبرني الشعبي أن عمر وجه جرير بن عبد الله إلى الكوفة بعد قتل أبي عبيد أول من وجهه ، قال: هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس؟ قال: نعم» !

وقال ابن الأعمش: 1/136: «فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبع مائة رجل حتى صار إلى العراق فنزلها، وبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني فكتب إليه:

أما بعد يا جرير فإننا نحن الذين أقدمنا المهاجرين والأنصار من بلدهم ، وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلاً ونهاراً ، وإنما أنت مدد لنا، فما انتظارك رحمك الله لا تصير إلينا؟ فصر إلينا وكثرتنا بأصحابك ، فإن زعمت أنك رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يلي عليك إلا من كان مثلك ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولي أبا عبيد بن مسعود الثقفي على المهاجرين والأنصار فلما

حضرته وفاته قد كان ولاني ، ولو علم أنني لا أقوم مقامه ما فعل ، فأريك أبا عمرو فيما كتبت إليك ، والسلام .

قال: فكتب إليه جرير: أما بعد فقد ورد كتابك عليّ فقرأته وفهمته ، فأما ما ذكرت أنك الذي قدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت وليتك لم تفعل . وأما قولك: إن المهاجرين والأنصار لحقوا ببلدهم ، فإنه لما قتل أميرهم لحقوا بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب . وأما ما ذكرت أنك أقمت في نحر العدو فإنك أقمت في بلدك ، وبلدك أحب إليك من غيره .

وأما ما سألتني من المصير إليك ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك ، فكن أنت أميراً على قومك ، وأنا أمير على قومي . والسلام .

قال: وجرى بينهما اختلاف وبلغ ذلك عمر، فجمع المهاجرين والأنصار وشاورهم في أن يصير إلى العراق بنفسه ، فكلُّ أشار عليه بذلك.. وقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال.. الرأي عندي أن لا تصير إلى العراق بنفسك».

ثم ذكر ابن الأعمش أن علياً (عليه السلام) أشار على عمر أن يبعث سعد بن أبي وقاص فبعثه. وهذا بعيد ، لأن رأي علي (عليه السلام) في سعد كان سيئاً، وكان لا يراه شجاعاً .

ومعنى قول المثنى: «فإن زعمت أنك رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يلي عليك إلا من كان مثلك» ، فهو تنزل من المثنى لأنه لا يعرف أن جريراً أسلم قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بأربعين يوماً! والمثنى صحابي وفد على النبي (صلى الله عليه وآله) وسمع منه .

ويظهر من قول جرير: «فأما ما ذكرت أنك الذي قدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت وليتك لم تفعل» ! على شدة تأثير هزيمة معركة الجسر

عليهم ، وأن رأي عمر أن المثنى أخطأ وورط المسلمين في فتح العراق ! وهذا يفتح الباب لأن يكون المثنى قتل غيلة ، ولم يجرح في معركة الجسر كما زعموا .

15. وأدار المثنى خلافه مع جرير ، حتى شارك ومن معه في معركة البويب . قال الطبري: 2/644: «وبعث المثنى بعد الجسر فيمن يليه من المُؤدِّين ، فتوافوا إليه في جمع عظيم . وبلغ رستم والفيروزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الإمداد . واجتمعوا على أن يبعثا مهران الهمداني حتى يريا من رأيهما ، فخرج مهران في الخيول ، وأمراه بالحيرة . وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السباخ بين القادسية وخفان ، في الذين أمدوه من العرب عن خبر بشير وكنانة وبشير يومئذ بالحيرة ، فاستبطن فرات بادقلى وأرسل إلى جرير ومن معه:

إنا جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا ، فعجلوا اللحاق بنا وموعدكم البويب ، وكان جرير ممدأ له .

وكتب إلى عصمة ومن معه وكان ممدأ له بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظله بمثل ذلك ، وقال: خذوا على الجوف فسلخوا القادسية والجوف، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ، ثم على الخورنق. وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه . وطلع جرير على الجوف ومن سلك معه طريقه..

فاجتمع عسكر المسلمين على البويب مما يلي موضع الكوفة اليوم ، وعليهم المثنى وهم يازاء مهران وعسكره ، فقال المثنى لرجل من أهل السواد: ما يقال للرقعة التي فيها مهران وعسكره؟ قال: بسوسيا فقال: أكدي مهران وهلك ! نزل منزلاً هو البسوس ! وأقام بمكانه حتى كاتبه مهران ، إما أن تعبروا إلينا



وإما أن نعبر إليكم ، فقال المثنى: أعبروا ، فعبر مهران فنزل على شاطئ الفرات معهم في الملطاط ، فقال المثنى لذلك الرجل: ما يقال لهذه الرقعة التي نزلها مهران وعسكره؟ قال: شوميا . وذلك في رمضان، فنادى في الناس: إنهدوا لعدوكم فتناهدوا ، وقد كان المثنى عبي جيشه فجعل على مجنبيه مذعوراً والنسير وعلى المجردة عاصماً ، وعلى الطلائع عصمة ، واصطف الفريقان وقام المثنى فيهم خطيباً فقال: إنكم صَوَّام ، والصوم مَرْقَّةٌ وَمُضْعَفَةٌ ، وإنني أرى من الرأي أن تفتروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم . قالوا: نعم ، فأفطروا . فأبصر رجلاً يستوفز ويستنتل من الصف فقال: ما بال هذا؟ قالوا: هو ممن فر من الزحف يوم الجسر ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرمح وقال: لا أبأ لك إلزم موقفك ، فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ، ولا تستقتل . قال: إنى بذلك لجدير ، فاستقر ولزم الصف .

وروى الطبري(2/653): «فأقبلوا إلى المسلمين في صفوف ثلاثة ، مع كل صف فيل ورَجُلُهُم أمام فيلهم ، وجاؤا ولهم زجل ، فقال المثنى للمسلمين: إن الذي تسمعون فشل ، فالزموا الصمت واتمروا همساً ، فدنوا من المسلمين وجاؤوهم من قبل نهر بنى سليم.. وكان على مجنبي المثنى بسر بن أبي رهم ، وعلى مجردته المعنى وعلى الرجل مسعود (وهما أخو المثنى) وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النسير ، وعلى الردء مذعور (العجلي). وكان على مجنبي مهران: بن الأاذبه مرزبان الحيرة ، ومردانشاه .

ولما خرج المثنى طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده ، وهو على فرسه الشموس وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبه قاتل وكان لا- يركبه إلا- لقتال يودعه ما لم يكن قتال ، فوقف على الرايات راية يحضضهم ويأمرهم بأمره ويهزمهم بأحسن ما فيهم تحضيضاً لهم، ولكلهم يقول: إني لأرجو أن لا توتى العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرني اليوم لنفسي شئ إلا وهو يسرني لعامتكم ، فيجيبونه بمثل ذلك . وأنصفهم المثنى في القول والفعل وخلط الناس في المكروه والمحبوب فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً. ثم قال: إني مكبر ثلاثاً فتهيؤوا ثم احملوا مع الرابعة . فلما كبر أول تكبيره أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أول تكبيره ، وركدت حربهم ملياً فرأى المثنى خللاً- في بعض صفوفه ، فأرسل إليهم رجلاً- وقال إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم! فقالوا: نعم واعتدلوا ، وجعلوا قبل ذلك يرونه وهو يمد لحيته لما يرى منهم فاعتنوا بأمر لم يجئ به أحد من المسلمين يومئذ ، فرمقوه فأروه يضحك فرحاً والقوم بنو عجل ، فلما طال القتال واشتد عمد المثنى إلى أنس بن هلال فقال: يا أنس إنك امرؤ عربي ، وإن لم تكن على ديننا ، فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي ! وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك فأجابه ، فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ، لا المشركون ولا المسلمون ، وارتث مسعود يومئذ وقواد من قواد المسلمين ، وقد كان قال لهم إن رأيتمونا أصبنا فلا

تدعوا ما أنتم فيه ، فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف ، إلزموا مصافكم وأغنوا غناء من يليكم . وأوجع قلب المسلمين في قلب المشركين ، وقتل غلام من التغلبيين نصراني مهرا ، واستوى على فرسه فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل وسلب فهو للذي هو أمير على من قتل ، وكان له قائدان فاقتهما سلاحه ، أحدهما جرير ، والآخر ابن الهوبر .»

وفي الطبري(2/649):«جلب فتية من بنى تغلب أفراساً ، فلما التقى الزحفان يوم البويب قالوا: تقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم مهرا يومئذ ومهرا وتقدم ذلك في ترجمة جرير ..

عن أبي روق قال:والله إن كنا لنأتي البويب فنرى فيما بين موضع السكون وبنى سليم عظماً بيضاً تلولاً ، تلوح من هامهم وأوصالهم يعتبر بها.

عن محمد وطلحة قالوا: وقف المثنى عند ارتفاع الغبار حتى أسفر الغبار وقد فنى قلب المشركين والمجذبات قد هز بعضها بعضاً ، فلما رآوه وقد أزال القلب وأنى أهله قويت المجذبات مجذبات المسلمين على المشركين ، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل عليهم من يذمرهم ، ويقول إن المثنى يقول: عاداتكم في أمثالهم، أنصروا الله ينصركم . حتى هزموا القوم فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم ، وأخذ الأعاجم فافترقوا بشاطئ الفرات مصعدين ومصويين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم ثم جعلوهم جُثِيَّ (بضم الجيم كومة التراب)!فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رمةً منها .

ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ وكان صرع قبل الهزيمة ، فتضعضع من معه فرأى ذلك وهو دنف قال: يا معشر بكر بن وائل إرفعوا رايتكم ، رفعكم الله ، لا يهولنكم مصرعي! وقاتل أنس بن هلال النمري يومئذ حتى ارتث ، ارتثه المثنى (مَرَّضَه) وضمه وضم مسعوداً إليه .

وقاتل قرط بن جماح العبدي يومئذ حتى دق قنى وقطع أسيفاً ، وقتل شهربراز من دهاقين فارس وصاحب مجردة مهران .

قال: ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بعد الفراغ يحدثهم ويحدثونه ، وكلما جاء رجل فتحدث قال له: أخبرني عنك ، فقال له قرط بن جماح: قتلت رجلاً فوجدت منه رائحة المسك ، فقلت مهران ورجوت أن يكون إياه ، فإذا هو صاحب الخيل شهربراز ، فوالله ما رأيته إذ لم يكن مهران ، شيئاً!

فقال المثنى: قد قاتلت العرب العجم في الجاهلية والإسلام ، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العرب . ولمائة اليوم من العرب أشد على من ألف من العجم! إن الله أذهب مصدوقتهم وأوهن كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء ترونه ، ولا سواد ولا قسى فج ، ولا نبال طوال ، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت!

وقال ربعي وهو يحدث المثنى: لما رأيت ركود الحرب واحتدامها قلت: تترسوا بالمجان ، فإنهم شادون عليكم فاصبروا لشدتين ، وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة ، فأجابوني والله فوفى الله كفالتي .

وقال ابن ذي السهمين محدثاً: قلت لأصحابي إني سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الرعب ، فما ذكره إلا لفضل عنده ، إقتدوا برايتكم وليحم راجلكم خيلكم ، ثم احملوا فما لقول الله من خلف ، فأنجز الله لهم وعده وكان كما رجوت . وقال عرفجة محدثاً: حُزنا كتيبةً منهم الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غرقهم وسلى عنها بها مصيبة الجسر ، فلما دخلوا في حد الإحراج كروا علينا فقاتلناهم قتالاً شديداً حتى قال بعض قومي لو أخرجت رايتك فقلت عليّ إقدامُها وحملت بها على حاميتهم فقتلتها ، فولوا نحو الفرات فما بلغه منهم أحد فيه الروح !

وقال ربعي بن عامر بن خالد: كنت مع أبي يوم البويب ، قال وسمى البويب يوم الأعراس: أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ!

وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة ، وغالب من بني كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة من الأزد من أصحاب التسعة .

وقُتل المشركون فيما بين السكون اليوم ، إلى شاطئ الفرات ضفة البويب الشرقية ، وذلك أن المثنى بادرهم عند الهزيمة الجسر فأخذه عليهم ، فأخذوا يمناً ويسرة ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ومن الغد إلى الليل . وندم المثنى على أخذه بالجسر وقال: لقد عجزت عجزة وقى الله شرها ، بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه حتى أخرجتهم ، فإني غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس ، فإنها كانت منى زلة لا ينبغي إحراج أحد ، إلا من لا يقوى على امتناع .

ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين ، منهم خالد بن هلال ومسعود بن حارثة فصلى عليهم المثنى ، وقدمهم على الأسنان والقرآن وقال: والله إنه ليهون على وجدى أن شهدوا البويب ، أقدما وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا».

ويدلك كلام المثنى هذا على أخلاقته ومناقبته ، فهو يعتبر أن استيلاءه على الجسر ومنعه عدوه من الفرار ، خطيئة وعمل غير أخلاقي يوصي المسلمين أن لا يرتكبوه!

وقال الطبري(2/647): «وقدم أنس بن هلال النمري ممداً للمثنى ، في أناس من النمر نصارى وجلاب ، جلبوا خيلاً . وقدم ابن مردى الفهر التغلبي في أناس من بنى تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلاً ، وهو عبد الله بن كليب بن خالد وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم: نقاتل مع قومنا».

وجاء في رواية ابن كثير في النهاية:7/35: «فلما سمع بذلك أمراء الفرس ، وبكثرة جيوش المثنى ، بعثوا إليه جيشاً آخر مع رجل يقال له مهران ، فتوافقواهم وإياهم بمكان يقال له البويب ، قريب من مكان الكوفة اليوم..»

وقال المثنى لهم: إني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيؤوا ، فإذا كبرت الرابعة فاحملوا ، فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول ، فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللاً فبعث إليهم رجلاً يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لا تفضحوا العرب اليوم! فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم وهم بنو عجل أعجبه وضحك وبعث إليهم يقول: يامعشر المسلمين عاداتكم ، أنصروا الله ينصركم..»

فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراني فقتل مهران وركب فرسه... وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلاً.. بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن بعد إلى الليل فيقال إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف ولله الحمد والمنة...

وذلت لهذه الواقعة رقاب الفرس ، وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة ، فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره... وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام» .

وقال ابن خلدون في تاريخه: 2/90: «وكتب (المثنى) بالخبر إلى جرير وعصمة أن يقصدا العذيب مما يلي الكوفة ، فاجتمعوا هنالك ، ومهران قبالتهم عدوة الفرات وتركوا له العبور فأجاز إليهم.. ثم حمل المثنى على مهران فأزاله عن مركزه وأصيب مسعود أخو المثنى وخالط المثنى القلب ، ووثبت المجنبات على المجنبات قبالتهم - فانهزمت الفرس وسبقهم المثنى إلى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين ، واستلحمتهم خيول المسلمين ، وقتل فيها مائة ألف أو يزيدون وأحصى مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ، وأرسل المثنى في آثار الفرس فبلغوا سبابط ، فغنموا وسبوا سبابط واستباحوا القرى وسخروا السواد بينهم وبين دجله ، لا يلقون مانعاً» .

16. بعد انتصاره في معركة البويب، بسط المثنى غاراته ونفوذته على أكثر العراق،

قال الطبري(2/652): «كان أول الناس انتدب يومئذ للمثنى واتبع آثارهم المستبسل وأصحابه ، وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدو من صف المسلمين واستوفز واستقتل، فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر، ثم أخرجهم في آثار القوم واتبعتهم بخيله ، وخيول من المسلمين تغذ من كل فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيب...وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى ، وكتب عاصم وعصمة وجرير: إن الله عز وجل قد سلم وكفى ووجه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شئ ، فتأذن لنا في الإقدام؟ فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا سابط ، وتحصن أهل سابط منهم . واستباحوا القرىات دونها ، وراماهم أهل الحصن بسابط عن حصنهم ، وكان أول من دخل حصنهم ثلاثة قواد عصمة وعاصم وجرير ، وقد تبعتهم أوزاع من الناس كلهم ثم انكفؤا راجعين إلى المثنى ...

وقد كان المثنى وعصمة وجرير أصابوا في أيام البويب على الظهر نزل مهرا ن غنماً ودقيقاً وبقراً ، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن بالقوادس ، وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم وهم بالحيرة ، وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات الذين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن ببيعة ، فلما رفعوا للنسوة فرأين الخيل يصايحن حسبها غارة ، فقممن دون الصبيان بالحجارة والعمد ! فقال عمرو: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش ، وبشروهن بالفتح وقالوا هذا أوله وعلى الخيل التي أتتهم بالنزل النسير . وأقام في خيله حامية لهم ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة».



وقال الطبري(2/653): «عن عطية بن الحارث قال: لما أهلك الله مهران استمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة ، فمخروها لا يخافون كيداً ولا يلقون فيها مانعاً. وانتقضت مسالِح العجم فرجعت إليهم ، واعتصموا بسباط ، وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة ، وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة ، قتل الله عليه مهران وجيشه وأفعموا جنبتي البويب عظماً حتى استوى وما عفى عليها إلا التراب... وكان مغيضاً للفرات أزمان الأكاسرة يصب في الجوف . وقال الأعرور العبدي الشني:

هاجت لأعور دار الحي أحزاناً \*\*\* واستبدلت بعد عبد القيس حسانا

وقد أرانا بها والشمل مجتمع \*\*\* إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا

إذ كان سار المثنى بالخيول لهم \*\*\* فقتل الزحف من فرس وجيلانا

سما لمهران والجيش الذي معه \*\*\* حتى أبادهم مثنى ووحدانا

وجاء في رواية في الأخبار الطوال/114: «وزحف الفريقان بعضهم لبعض، ولهم زجل كزجل الرعد ، وحمل المثنى في أول الناس... وصدقتهم العجم القتال، فجال المسلمون جولة (انهزموا) فقبض المثنى على لحيته وجعل ينتف ما تبعه منها، من الأسف (خاف أن تتكرر معركة الجسر) ونادى: أيها الناس إليّ إليّ ، أنا المثنى! فثاب المسلمون فحمل بالناس ثانية ، وإلى جانبه مسعود بن حارثة أخوه ، وكان من فرسان العرب فقتل مسعود ، فنادى المثنى: يا معشر المسلمين ، هكذا مصرع خياركم ، إرفعوا راياتكم .

وحض عدي بن حاتم أهل الميسرة ، وحرص جرير أهل القلب وذمرهم وقال لهم: يا معشر بجيلة ، لا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم ، فإن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظوة ليست لأحد من العرب ، فقاتلوهم التماس إحدى الحسينيين . فتداعى المسلمون وتحاضوا وثاب من كان انهزم ، ووقف الناس تحت راياتهم ثم زحفوا ، فحمل المسلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها ، وباشر مهران الحرب بنفسه وقاتل قتالاً شديداً وكان من أبطال العجم ، فقتل مهران وذكروا أن المشنى قتله ، فانهزمت العجم لما رأوا مهران صريعاً واتبعهم المسلمون ، وعبد الله بن سليم الأزدي يقدمهم ، واتبعه عروة بن زيد الخيل ، فصار المسلمون إلى الجسر وقد جازه بعض العجم وبقي بعض ، فصار من بقي منهم في أيدي المسلمين ، ومضت العجم حتى لحقوا بالمدائن ، وانصرف المسلمون إلى معسكرهم ، فقال عروة بن زيد الخيل في ذلك.. (وذكر الأبيات المتقدمة وبعدها):

ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى \*\*\* مثل المشنى الذي من آل شيبانا

إن المشنى الأمير القرم لا كذب \*\*\* في الحرب أشجع من ليث بخفانا

قالوا: ولما أهلك الله مهران ومن كان معه من عظماء العجم ، استمكن المسلمون من الغارة في السواد ، وانتقضت مسالحي الفرس ، وتشتت أمرهم واجترأ المسلمون عليهم ، وشنوا الغارات ما بين سورا وكسكر والصرارة إلى الفلاليج والأستانات».

وقال الطبري(2/657): «فلما رجع المثنى إلى الأنبار سرح فرات بن حيان وعتيبة بن النهاس ، وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنمر بصفين ، ثم اتبعهما وخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي ، فلما دنوا من صفين افترق المثنى و فرات وعتيبة وفر أهل صفين ، وعبروا الفرات إلى الجزيرة ...»

فخرج المثنى على مقدمته في غزواته هذه بعد البويب كلها حذيفة بن محصن الغلفاني ، وعلى مجنبيه النعمان بن عوف بن النعمان مطر الشيبانيان ، فسرح في أدبارهم حذيفة واتبعه فأدركوهم بتكرت دوينها من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا ما شاءوا من النعم.. حتى أغاروا على صفين وبها النمر وتغلب متساندين فأغاروا عليهم حتى رموا بطائفة منهم في الماء !»

### عمر يعزل المثنى في أوج انتصاراته !

17. كان عمر لا يطيق ظهور شخص ناجح قوي ، خاصة إذا كان يوالي غيره ، ولذلك كان يكره المثنى! فقد روى ابن عساكر (16/261) بسند صحيح عندهم عن ابن عباس أنه كان يقول في خلافة أبي بكر: « أما والله لئن صير الله هذا الأمر إليّ ، لأعزلن المثنى بن حارثة عن العراق ، وخالد بن الوليد عن الشام ، حتى يعلمنا إنما نصر الله دينه ليس إياهما ما نصر!» وهو نص في أن المثنى هو الوالي على العراق !

وفي تاريخ خليفة/81: «بويع عمر بن الخطاب فعزل خالد بن الوليد عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن ناحية السواد سواد الكوفة» !

وفي الإصابة:5/569: «وللمثنى أخبار كثيرة في الفتوح ساقها سيف والطبري والبلاذري وغيرهم . وذكر ثابت في الدلائل أن عمر كان يسميه: مُؤمَّرُ نَفْسِهِ.»

يقصد عمر أن المثنى بادر الى تحرير العراق دون أن يأخذ إجازة من الخليفة، لكن أبا بكر كان معجباً بعمل المثنى ، وقد اعتمده ونصبه والياً وقائداً . وقد يكون سبب كره عمر للمثنى موالة المثنى لعلي (عليه السلام) . والسبب الذي ذكره عمر غير مقنع وهو أن المثنى وخالداً قد أعجبا بنفسيهما وأخذهما الغرور بما حققاه من انتصارات فيجب تأدييهما !

لكن المثنى كان يباشر الحرب بنفسه ، ولم يكن مغروراً . أما خالد فكان يستعمل الخديعة والغدر ولا يقاتل بنفسه ، بل يفر من المعركة كما بيناه في حرب طليحة وحرب اليمامة ، ثم ينسب انتصارات المسلمين الى نفسه .

والصحيح أن عزلهما لأسباب أخرى ، وقد ذكروا أن السبب الحقيقي لعزل عمر لخالد عداوتهما من شبابهما !

قال ابن كثير في النهاية(7/131): «اصطرع عمر وخالد وهما غلامان ، وكان خالد ابن خال عمر (نقى خالد ذلك ) فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت ، وكان ذلك سبب العداوة بينهما » .

ويضاف اليه أن خالداً كان يسخر من حنتمة أم عمر ويسميها أم شملة وينكر قول عمر إنها من بني مخزوم ! كما كان يسخر من عمر ويسميه الأعيسر!

قال الطبري (2/608) وابن حبان في الثقات (2/185): «فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يمد أهل الشام فيمن معه من أهل القوة ، ويستخلف على بقية الناس رجلاً منهم، فلما أتاه كتاب أبي بكر قال خالد: هذا عمل الأعيسر بن أم شملة ، يعنى عمر بن الخطاب ، حسدني أن يكون فتح العراق على يدي» !

وفي تاريخ اليعقوبي: 2/139: «وكتب عمر إلى أبي عبيدة إن أكذب خالد نفسه فيما كان قاله فله عمله ، وإلا فانزع عمامته وشاطره ماله . فشاور خالد أخته فقالت:

والله ما أراد ابن حنتمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك ، فلا تفعلن! فلم يكذب نفسه ، فقام بلال فنزع عمامته ، وشاطره أبو عبيدة ماله حتى نعله فأفرد واحدة عن الأخرى « !

أي أخذ فردة من نعليه ! وحنتمة أم عمر . وأم شملة: أي تلبس إزاراً واحداً !

ومهما يكن ، فقد اتفقت هذه الأسباب مع نظرية عمر في خفض رؤوس شخصيات المجتمع وإذلالهم ، وقد طبقها مع أبي سفيان ، ومع رئيس بني تميم ، ورئيس الأنصار أبي بن كعب ، وحتى مع طفله الصغير الذي كان فرحاً بثيابه ، فضربه حتى تذلل نفسه! « دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل (تمشط) ولبس ثياباً فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة: لم ضربته؟ قال: رأيت قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه»!(كنز العمال: 668/12).

واعترف عمر بأنه عزل المشنى ثم خالداً بسبب بروزهما ! فقال كما في الطبري(3/98): «إني لم أعزلهما عن ريبة ، ولكن الناس عظموهما ، فخشيت أن يوكلوا إليهما» .

18. لكن المشنى لم يعزل بعزل عمر إياه، فقد سلم المناصب والأموال لخلفه ، وهو عتبة بن غزوان في البصرة ، وجريير البجلي في الكوفة ، لكنه واصل جهاده بحكم إسلامه ، وبحكم أن العراق بلده ، وهو الذي بنى فيه الوجود القوي للمسلمين . ثم لا ننسى مكانته في قبيلته وقبائل العرب .

19. جاءت موجةً فارسية مقدمةً لمعركة القادسية ، فاستعاد الفرس المسالحي فقد استمر تفوق المسلمين العسكري على الفرس سنة وأكثر ، وجعل المشنى فيها مقر قيادته في أليس في وسط العراق ، ووصلت غاراته الى البصرة جنوباً ، والى

صفين وسوريا غرباً، وكانت هزيمة الفرس في معركة البويب قاسية عليهم، فأخذوا يستعدون لمعركة فاصلة بقوات أكبر.

قال خليفة/92: «وعاد جيش المسلمين الى ما كان عليه قبل يوم الجسر من الإغارة على القرى الواقعة تحت سلطان الفرس».

ثم بدأت موجة الفرس بإعادة مسالحهم وتقويتها، فكتب المشي الى عمر يخبره بالوضع، ففاجأه عمر بأمره أن يسحب المسلمين الى أطراف العراق!

قال الطبري: 3/3: «كتب المشي إلى عمر باجتماع فارس على يزدجرد وبيعوثهم وبحال أهل الذمة، فكتب إليه عمر أن تَنَحَّ إلى البرِّ وادع من يليك، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم، حتى يأتيك أمري!

وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزحوف وثار بهم أهل الذمة، فخرج المشي بالناس حتى ينزل العراق ففرقهم فيه من أوله إلى آخره، فأقاموا ما بين غضى إلى القطقانة مسالحه، وعادت مسالح كسرى وثغوره واستقر أمر فارس، وهم في ذلك هائبون مشفقون والمسلمون متدققون، قد ضَرَبُوا بهم كالأسد ينازع فريسته، ثم يعاود الكر. وأمراؤهم يكفكفونهم لكتاب عمر».

أقول: معناه أن أمر عمر بسحب المسلمين الى أطراف العراق من جهة الحجاز كان مفاجئاً للمشي وقادة جيشه، وثقيلاً عليهم على كل المسلمين!

ولا- أرى له سبباً إلا الخوف أو الإنتقام من المشي! وقد فرح الفرس بذلك فحركوا عليهم الفلاحين وأهل الدساكر، فنقض أكثرهم عهود صلحهم مع المسلمين!

## المثنى يموت فجأة بعد أن غضب عليه عمر !

20. وفي أوج انتصارات المثنى وقبول جرير بقيادته ، جاء سعد بن أبي وقاص وجاء معه أمر عمر المسلمين بالانسحاب من العراق الى حدود الحجاز ، فلم يرتض ذلك المثنى ، فمات المثنى فجأة بسبب غير مقنع ، كما مات العلاء الحضرمي وعتبة بن غزوان ، عندما غضب عليهما عمر !

وتحرك سعد بن أبي وقاص بجيشه من المدينة ، وقطع ثلث الطريق الى الكوفة ، وخيم في نجد على أبواب العراق في شُراف أو زرود ، وأرسل الى المثنى أن ينسحب من العراق ويأتيه ، ويظهر أن المثنى امتنع أولاً ، ثم ذهب اليه وأبقى معسكره عند ذي قار!

قال ابن الأعمش: 1/137: «فالتأمت العساكر إلى سعد في جمع عظيم ، وهو نازل بشُراف ، وقد هجم عليه الشتاء وأكبت عليه الأمطار ، والفرس في جمع عظيم.. فكان سعد بن أبي وقاص مقيماً بشُراف ينتظر أن ينحسر عنه الشتاء».

وقال الطبري: 3/7: «وأمدَّ عمر سعداً بعد خروجه بألفي يمني ، وألفي نجدي من غطفان وسائر قيس ، فقدم سعد زرود في أول الشتاء فنزلها ، وتفرقت الجنود فيما حولها من أمواه بني تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس وأمر عمر ، وانتخب من بني تميم والرباب أربعة آلاف ثلاثة آلاف تميمي ، وألف ربي ، وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة ، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة .

وكان المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة: ستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربيعة ، أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا

معه ممن بقي يوم الجسر . وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة وألفان من قضاة وطبيء ، ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك. على طيبي عدي بن حاتم ، وعلى قضاة عمرو بن وبرة ، وعلى بجيلة جرير بن عبد الله .

فبينما الناس كذلك سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر ، انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية ، وسعد يومئذ بزروء ، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فرات بن حيان العجلي ، وعتيبة ، فردهم مع سعد .»

وقال الطبري (2/376) إن المثنى وجريراً جاءا إلى سعد: «وكتب إلى المثنى وجرير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد بن أبي وقاص ، وأمّر سعداً عليهما ، فسار سعد حتى نزل شُراف ، وسار المثنى وجرير حتى نزلا عليه ، فشتى بها سعد ، واجتمع إليه الناس . ومات المثنى بن حارثة .»

وقال البلاذري: 2/313: « وكان المثنى بن حارثة مريضاً ، فأشار عليه (على سعد) بأن يحارب العدو بين القادسية والعذيب ، ثم اشتد وجعه ، فحمل إلى قومه فمات فيهم . وتزوج سعد امرأته .»

21- ملاحظات على روايات موت المثنى

أ. قطع سعد بجيشه نحو نصف الطريق من المدينة إلى الكوفة ، وأقام في زروء على طرف الصحراء الحجازية ، ولم يدخل عملياً إلى العراق !

ص: 242



وهذه استراتيجية أصر عليها عمر، لأنه كان يرى أنه بذلك يجر الفرس الى طرف الصحراء من جهة الحجاز ويحاربهم هناك ، فإذا انهزم المسلمون انهزموا في الصحراء التي يعرفونها ولا يعرفها الفرس ، وقد صرح في كلامه بذلك .

لكن المثنى والمسلمين عامة ، لم ينفذوا أمره بالانسحاب من العراق ، لأنه صعب عملياً ويفسره الفرس بأنه هزيمة ، كما أن الماء في زرود وشراف وأمثالها من عيون الماء وآباره في الصحراء ، لا تكفي لهم ولا لعشرة آلاف جندي وأكثر جاء بهم سعد ، ولذلك اضطر أن يرسل قسماً من جيشه الى هنا ، وقسماً الى هناك .

وقد دافعت رواية الطبري(2/659) عن عمر دفاعاً شديداً ، وجعلت تقض أهل السواد لعهود الصلح قبل وصول أمره !

قالت: «وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يزجرد المثنى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون ممن بين ظهرائهم، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد من كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد ، فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذي قار، وتنزل الناس بالطف في عسكر واحد ، حتى جاءهم كتاب عمر: أما بعد فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرقوا في المياه التي تلى الأعاجم ، على حدود أرضكم وأرضهم» !

والصحيح أن نشاط الفرس كان متواصلاً ، وأنهم زادوا فعاليتهم مع قرى العراق ودساكره ، واستطاعوا أن يقنعوا عدداً منها بنقض عهودهم مع المسلمين. وأن عمر أرسل أمره بالانسحاب المسلمين بعد انتصار المثنى في معركة البويب ، وربما قبل ذلك، ففرح به الفرس وطمعوا بغلبة المسلمين ، وسارعوا بتحشيد قواتهم للقادسية !

ب. اقترح المثنى على عمر وسعد أن تكون ساحة الحرب بينهم وبين الفرس قرب الكوفة كما نصت رواية البلاذري: (فأشار عليه بأن يحارب العدو بين القادسية والعذيب). وهذا ما حدث أخيراً لأنه واقع عملي .

ج. لا يمكن الأخذ برواية الطبري التي تقول إن المثنى زار سعداً في زرود ، فقد نصت رواية أخرى على أنه وسعد كان ينتظر أحدهما الآخر . (فبينما الناس كذلك سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر ، انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية ، وسعد يومئذ بزود). فقد كان المثنى في ذي قار قرب الناصرية وبينها وبين زرود مسافة كبيرة .

د. طالت إقامة سعد على مشارف العراق ستة أشهر ، فالروايات تقول إنه انتظر حتى ينقضي الشتاء ، وتقول إن المثنى في هذه المدة توفي وتزوج سعد بزوجه لما جاءته وبنى بها في زرود . فلا بد أنها أمضت عدتها بعد وفاته أربعة أشهر وعشرة أيام ، مما يعني أن المثنى توفي في أوائل نزول سعد في زرود .

وقد ذكرت الروايات أن أخاه المعنى تأخر حتى حضر مع زوجة أخيه الى سعد ، فقد انشغل بترتيب وضع الحيرة ، إعداداً لمعركة القادسية .

ه. توفي المثنى في ذي قار ، ولا توجد رواية عن مدة مرضه إلا قولهم إن جراحه يوم الجسر انتقضت عليه فمات ، وأن جراحه كانت في وجهه من حلق الدرع ! وكل ما قالوه عن سبب وفاته رضي الله عنه غير مقنع .

قال الطبري: 3/7: « مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية . وسعد يومئذ بزود ومع بشير

يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فرات بن حيان العجلي وعتيبة ، فردهم مع سعد .».

وفرات العجلي هذا من سكان مكة ، حليف لبني سهم ، وكان جاسوساً لقريش على النبي (صلى الله عليه وآله) فأسرته سرية ، فادعى أنه مسلم فتركه النبي (صلى الله عليه وآله)!

وعتيبة بن النهاس عجلي أيضاً ، وكانا من قادة المشنى ، ويبدو أنهما كانا جاسوسين لعمر على المشنى ، أو كانا وفداً يشكوان المشنى لعمر ، لأنهما يحسدانه !

وقال الطبري: 2/642: «وأثبت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح» وكذا نهاية الإرب (19/184) لكن المشنى قام بعد معركة الجسر بنفسه بعمليات عسكرية ، فقد أسر قائدين من الفرس هما جابان ومردان شاه ، ثم قاد معركة بحجم معركة اليرموك وخاض معاركها بنفسه ، ثم قام بعمليات واسعة بنفسه عبر في بعضها حدود العراق الى صفيين داخل سوريا ، ولم يظهر عليه أي شكاية ! وهذا يوجب الشك في أن يكون سبب وفاته جرح من حلق الدرع ، كما زعموا.

ويظهر أن سلامة المشنى وفعاليته بعد معركة الجسر جعلت رواية السلطة يكذبون علناً!

ففي رواية خليفة/91: «لكن المشنى أصيب بجرح عميق فاضطر للإسحاب بمن تبقي معه ، وأوغل بقومه بكر بن وائل وبني شيبان الى أعماق الصحراء ، خشية أن يفتك بهم الفرس ، فأدركته المنية فمات في بعض الطريق» !

تقول هذه الرواية إنه هرب من معركة الجسر بقومه ، فمات في الطريق! وهو كذب صريح ، لأنه بعد معركة الجسر قام بعمليات بطولية بنفسه ، وأعد لحرب البويب وقادها وخاض قتالها بنفسه ، ثم قام بعمليات واسعة بنفسه ، لا لاحظ أحد منه شكاية أو أثراً في وجهه !

و. ومما يؤكد الشك في موت المثنى تأكيد الرواة على أنه لم يخالف عمر أبداً ، وأنه أوصى وصية مؤكدة ولم يكتبها وبيعتها الى عمر على عادته ، بل أوصى أخاه المعنّى وزوجته سلمى (الطبري: 3/ 9) بأن يسرعا بها الى سعد ، فانشغل المعنّى بمعالجة وضع ملك الحيرة الذي أخذ الفرس يستميلونه ، ثم ذهب الى زرود مع أرملة أخيه سلمى ، وأوصلا الوصية الى سعد ، بموافقة المثنى على رأي عمر أن لا يقاتل الفرس داخل العراق: « وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم ، فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وإن يكن الأخرى فاؤا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسيلهم وأجراً على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم . فلما انتهى إلى سعد رأي المثنى ووصيته ترحم عليه ، وأمّر المعنّى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً وخطب سلمى فتزوجها ، وبنى بها ».

وهذا يدل على أن الغرض من وصية المثنى المزعومة تسكيت الذين اعترضوا على قرار عمر بسحب المسلمين ، وما سببه من جراحة المزارعين ومَلِك الحيرة على نقض عهودهم مع المسلمين ، وانضمامهم الى الفرس !

ويدل على أن السلطة واجهت اتهاماً من القاعدة الشعبية للمثنى بأن السلطة قتلتها ، فدبرت السلطة أخاه وزوجته ليقولوا إن علاقته بسعد وعمر كانت على أفضل ما يرام وإن خطة عمر حكيمة ، وقد وافق عليها المثنى وأوصى بها عند موته ، وأمر أخاه وزوجته أن يسرعوا ويبلغوها الى سعد ليبلغها الى عمر !

وبقي عليهم أن يقولوا إن المثنى كان معجباً بسعد ، وقد أوصى زوجته أن تتزوج سعداً ولا تتزوج أحد إخوته الذين هم أجمل من سعد ، فقد كان سعد أسمر أفتس بينما عرف المثنى وإخوته بكمال الأجسام ، وقد اختاروا المعنى في الوفد الى يزدجرد وقالوا: (وأما من لهم منظر لأجسامهم وعليهم مهابة ولهم آراء ، فعطارد بن حاجب ،

والأشعث بن قيس ، والحارث بن حسان ، وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معدي كرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمعنى بن حارثة ، فبعثهم دعاة إلى الملك). (الطبري:3/14)

ز. إذا لاحظنا عهد عمر على نفسه من زمن أبي بكر أن يعزل المشنى ، وأنه كان يسميه مؤمراً نفسه بنفسه ! ففي الإصابة:5/569: « وذكر ثابت في الدلائل أن عمر كان يسميه: مُؤمَّرٌ نَفْسِهِ». مع أن أبا بكر أمر المشنى على العراق ، ومات وهو يوصي عمر به فاضطر عمر أن يمدّه بجيش ، ويتبنى جهاده لفتح العراق وإيران ، لكن لفترة !

ثم عزله عمر فلم يعزل ، بل فرض المشنى قيادته حتى على جرير وكل الصحابة الذين بعثهم عمر الى العراق . ثم رآه عمر ينتقد سياسته عندما قرر سحب المسلمين الى أطراف العراق الصحراوية ، ويترك العراق عملياً للفرس !

فقد يكون عمر دعا على المشنى فمات ، كما دعا سعد عبادة فقتلته الجن ، أو دعا على عتبة بن غزوان عندما اعترض على تأميره سعداً عليه ، فمات في محطة في طريقه الى العراق ! (تاريخ بغداد:1/168).

أو كما دعا على العلاء الحضرمي عندما خالفه وغزا جنوب إيران فمات في نفس المحطة في طريقه الى العراق ! « كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين أن سر إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله..وقد وليت قبلك رجلاً فمات قبل أن يصل، فإن يرد الله أن تلي وليت » ! (الطبقات:4/260).

أو كما دعا على بلال وجماعته ، وكانوا نحو ثلاثين صحابياً في الشام فاعترضوا على عمر لتوليته معاوية المتهتك ، فدعا عليهم دعوة واحدة ، فماتوا واحداً بعد الآخر ، فلم تدرْ عليهم السنة حتى ماتوا جميعاً. (سنن البيهقي: 9/138).

فقد يكون دعا على المشنى دعوة واحدة ، فاستجاب الله له ، ومات المشنى !

1. هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال الزهري رضي الله عنه، صحابي جليل، وخطيب مُفَوَّهٌ وبطلٌ شجاع، وشيوعيٌّ صلب .

كان ضخم الجثة بطلاً، قائداً في معركة أجنادين في فتح فلسطين، ومعركة اليرموك، وقد سارع بعدها بجيش وشارك في معركة القادسية، ثم قاد فتح المدائن، وفتح جلولاء، وفتح حلوان، وعدة مناطق من إيران .

وقلنا إنه نقيض أبيه، لأنه صاحب إيمان وتقوى، بينما أبوه عتبة بن أبي وقاص من عتاة قريش، وقد بقي على شركه وعداوته للنبي (صلى الله عليه وآله) حتى مات .

وقلنا إنه على عكس عمه سعد بن أبي وقاص، لأنه من أبطال الإسلام والتاريخ، وعمه سعداً بشهادة لم يبرز يوماً لفارس، ولا شارك بجندية في حملة أبداً! وإذا حضر المعركة يحفظ نفسه في الخط الخلفي في مكان آمن . وقد كان قائد معركة القادسية، فوكل بها رجلاً وقعد في قصر العذيب مدعيّاً أن في فخذه دُمّاً، حتى عبرته زوجته والمسلمون ووصفوه بالجبن!

وسُمِّي المرقال لأنه يرقل برايته في الحرب، أي يهرول فيها هرولة خاصة . وفي العبقات (3/39) عن القرطبي أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال له: أرقل يا ميمون!

وكان عمه سعد والياً على الكوفة، فاستفاد هاشم من ذلك، فكان يقود جيش المسلمين في المعارك، وكانت علاقته بعمه جيدة، وهذا من ذكاء هاشم، فهو شيعي ورأيه بعمه سيئ لكنه كان يداريه، وقد تزوج ابنته أم إسحاق . (المحبر/69) وكان سعد يفتخر بابن أخيه، لأنه قائد بطل، رغم أنه شيعي!

وقد انتصر له سعد عندما أهانه سعيد بن العاص ، وكان والياً على الكوفة فسأل حضّاره: «من رأى الهلال منكم؟ وذلك في فطر رمضان. فقال القوم: ما رأيناه ، فقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: أنا رأيته . فقال له سعيد: بعينك هذه العوراء رأيته من بين القوم؟ فقال هاشم: تعيرني بعيني وإنما فقتت في سبيل الله ! وكانت عينه أصيبت يوم اليرموك .

ثم أصبح هاشم في داره مفطراً وغدا الناس عنده ، فبلغ ذلك سعيد بن العاص فأرسل إليه فضربه وحرق داره ، فخرجت أم الحكم بنت عتبة بن أبي وقاص وكانت من المهاجرات ، ونافع بن عتبة بن أبي وقاص من الكوفة ، حتى قدما المدينة فذكرا لسعد بن أبي وقاص ما صنع سعيد بهاشم ، فأتى سعد عثمان فذكر له ذلك ، فقال عثمان: سعيد لكم بهاشم ، إضربوه بضربه ، ودار سعيد لكم بدار هاشم ، فأحرقوها كما حرق داره . فخرج عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وهو يومئذ غلام يسعى ، حتى أشعل النار في دار سعيد بالمدينة ، فبلغ الخبر عائشة فأرسلت إلى سعد بن أبي وقاص تطلب إليه وتسأله أن يكف ففعل . ورحل من الكوفة .» (تاريخ دمشق: 21/114)

2. مدح علماء السنة وأئمتهم هاشم المرقال وروى عنه الستة ، ووثقه ابن معين والنسائي، وأحمد والبخاري . وحدث عن ابن المسيب وعامر وعائشة ابني سعد بن مالك ، وإسحاق بن عبد الله ، وغيرهم . وعنه موسى بن يعقوب الزمعي ، ومالك وأبو أسامة وابن نمير ومردان بن معاوية وشجاع بن الوليد وأبو ضمرة وجماعة.(تهذيب التهذيب: 11/20). وعقدوا لمناقبه أبواباً كالحاكم في المستدرک (3/395).

وقال في الإستيعاب (4/1546): «كان من الفضلاء الخيار، وكان من الأبطال البهيم، فُقِّت عينه يوم اليرموك، ثم أرسله عمر من اليرموك مع خيل العراق إلى سعد كتب إليه بذلك، فشهد القادسية وأبلى بها بلاء حسناً، وقام منه في ذلك ما لم يقم من أحد، وكان سبب الفتح على المسلمين. وكان بهمةً من البهيم فاضلاً خيراً. وهو الذي افتتح جلولاء فعقد له سعد لواء ووجهه، وفتح الله عليه جلولاء ولم يشهدا سعد». والبُهْمَةُ الفارس الشديد البأس. (الصحاح:5/1875).

وروى المرقال أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) كحديث الغدير، وحديثاً صححه الحاكم والذهبي بشرط الشيخين (4/398): «عن أم سلمة أن رسول الله اضطلع ذات يوم فاستيقظ وهو خائر النفس، وفي يده تربة حمراء فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق للحسين، فقلت لجبريل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فهذه تربتها». .

وقال ابن حجر في الإصابة:6/404: «هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بن أهيب بن زهرة بن عبد مناف الزهري، الشجاع المشهور، المعروف بالمرقال، بن أخي سعد بن أبي وقاص. قال الدولابي: لقب بالمرقال لأنه كان يرقل في الحرب أي يسرع، من الإرقال وهو ضرب من العَدْو... قال الهيثم بن عدي: عقد له عمه سعد على الجيش الذي جهزه إلى قتال يزيد جرد ملك الفرس، فكانت وقعة جلولاء.. كانت راية علي يوم صفين مع هاشم بن عتبة. .



قال المرزباني: لما جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة، قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة علي! فقال: لا تعجل. فوضع هاشم يده على الأخرى فقال: هذه لعلي وهذه لي، وقد بايعت علياً (عليه السلام)، وأنشد:

أبايع غير مكترثٍ علياً \*\*\* ولا أخشى أميراً أشعرياً

أبايعه وأعلم أن سأرضي \*\*\* بذاك الله حقاً والنبيا».

وذكر ابن الأعمش (2/438) أن موقف هاشم في قصر الإمارة كان مطلب أهل الكوفة بعد بيعة علي (عليه السلام) في المدينة، فهو يدل على تخلف أبي موسى عن البيعة حتى ضغط عليه المسلمون: «فقامت الناس إلى أميرهم أبي موسى الأشعري فقالوا: أيها الرجل! لم لا تباع علياً وتدعو الناس إلى بيعته، فقد بايعه المهاجرون والأنصار؟ فقال أبو موسى: حتى أنظر ما يكون، وما يصنع الناس بعد هذا!»!

3. ومدحه علماء الشيعة، فوصفوه بأنه صحابي جليل، خَيْرٌ فاضلٌ رضي الله عنه من خواص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، شهد معه حرب الجمل، وكان حامل لوائه الأعظم يوم صفين، واستشهد فيها هو وعمار بن ياسر فصلى عليهما علي (عليه السلام) ودفنهما بثياهما ولم يُغسلهما، وأعطى لواءه لابنه عبد الله، وكان زعيماً في البصرة ورئيس الشيعة فيها. (معجم السيد الخوئي: 15/241، والمستدركات: 8/133).

وفي الطبقات (3/258 و362): «لما كان اليوم الذي قتل فيه عمار والراية يحملها هاشم بن عتبة، وقد قتل أصحاب علي ذلك اليوم حتى كانت العصر، ثم تقرب عمار من وراء هاشم يقدمه، وقد جنحت الشمس للغروب، ومع عمار ضياح من لبن، فكان وجوب الشمس أن يفطر، فقال حين وجبت الشمس وشرب

الضياح: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: آخر زادك من الدنيا ضياحٌ من لبن! قال: ثم اقترب فقاتل حتى قتل ، وهو يومئذ ابن أربع وتسعين سنة!

عن أبي إسحاق أن علياً (عليه السلام) صلى على عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة رضي الله تعالى عنهما ، فجعل عمار مما يليه وهاشماً أمام ذلك ، وكبر عليهما تكبيراً واحداً ، خمساً أو ستاً أو سبعاً ، والشك في ذلك من أشعث .».

وكانت الأنصار عامتها مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقريش عامتها مع معاوية ، ولم يكن مع علي (عليه السلام) إلا خمسة ، ولكنهم شخصيات .

ففي رجال الكشي (1/281) ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «كان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) من قريش خمسة نفر ، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية . فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر رحمة الله عليه ، أخته النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس . وكان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال . وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك . فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أبك . ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، والخامس سلفُ أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة ، وهو صهر النبي (صلى الله عليه وآله) أبو الربيع .».

4. فضَّله أمير المؤمنين (عليه السلام) على محمد بن أبي بكر مع حبه لمحمد ، رضي الله عنهما ، ففي نهج البلاغة (1/116): «من كلام له (عليه السلام) لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فمُلكت عليه ، فقتل: وقد أردتُ تولية مصر هاشم بن عتبة ، ولو وليته إياها لما خلى لهم العرصة ولا أنهزهم الفرصة. بلا ذم لمحمد بن أبي بكر ، فلقد كان إليّ حبيباً

وكان لي ربيباً». «رحم الله محمداً، كان غلاماً حدثاً. أما والله لقد كنت أردت أن أولي المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مصر. والله لو أنه وليها لما خلى لعمر وبن العاص وأعوانه العرصة، ولما قتل إلا وسيفه في يده بلا ذم لمحمد بن أبي بكر، فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه. فقيل لعلي (عليه السلام): لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين! قال: وما يمنعني؟ إنه كان لي ربيباً وكان لبيبي أخاً، وكنت له والداً، أُعِدُّه ولداً». (الغارات للثقفى: 1/300).

5. بقي هاشم في الكوفة بعد أن تركها عمه سعد، ثم جاء مع علي (عليه السلام) إلى البصرة، وأرسله الإمام (عليه السلام) من ذي قار برسالة إلى عامله على الكوفة أبي موسى الأشعري ليستنهض المسلمين لموافاته في ذي قار.

قال في فتح الباري (13/48): «كان عليٌّ أقرَّ أبا موسى على إمرة الكوفة، فلما خرج من المدينة أرسل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إليه أن أنهض من قبلك من المسلمين، وكن من أعواني على الحق، فاستشار أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فقال: إتبع ما أمرك به. قال: إني لا أرى ذلك! وأخذ في تخذيل الناس عن النهوض! فكتب هاشم إلى علي بذلك وبعث بكتابه مع محل بن خليفة الطائي، فبعث على عمار بن ياسر والحسن بن علي، يستتفران الناس».

ورواه في شرح النهج (14/9)، وفيه: «فأبى ذلك، وحبس الكتاب وبعث إلى هاشم يتوعده ويخوفه. قال السائب: فأتيت هاشماً فأخبرته برأي أبي موسى، فكتب إلى علي (عليه السلام): لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة أما بعد يا أمير المؤمنين فإني قدمت بكتابك على امرئ مشاق بعيد الود، ظاهر الغل والشنآن، فتهددني بالسجن وخوفني بالقتل، وقد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحل بن خليفة

أخي طئ ، وهو من شيعتك وأنصارك ، وعنده علم ما قبلنا فاسأله عما بدا لك ، واكتب إلى برأيك. والسلام...فقال علي (عليه السلام) : والله ما كان عندي بمؤتمن ولا ناصح، ولقد أردت عزله ، فأتاني الأشر فسالني أن أقره ، وذكر أن أهل الكوفة به راضون ، فأقرته».

وروى الطبري (3/501) أن الأشر ذهب الى الكوفة بعد عمار والإمام الحسن (عليه السلام) «فأقبل الأشر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول: إتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس، فاقتحم القصر فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويشبطهم ، يقول: أيها الناس إن هذه فتنة عمياء صماء تطأ خطامها . النائم فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي ، والساعي فيها خير من الراكب . إنها فتنة باقرة كداء البطن ، أتتكم من قبل مأمنكم تدع الحلیم فيها حيران كابن أمس ، إنا معاشر أصحاب محمد أعلم بالفتنة ، إنها إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت أسفرت !

وعمار يخاطبه ، والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أم لك ، وتتح عن منبرنا . وقال له عمار: أنت سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟ فقال أبوسى: هذه يدي بما قلت . فقال له عمار: إنما قال لك رسول الله (صلى الله عليه و آله) هذا خاصة ، فقال: أنت فيها قاعداً خير منك قائماً ! ثم قال عمار: غلب الله من غالبه ، وجاحده !

عن أبي مريم الثقفي قال: والله إني لفي المسجد يومئذ وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول ، إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدون ، ينادون يا أبا

موسى هذا الأشر قد دخل القصر فضرربنا وأخرجنا . فنزل أبو موسى فدخل القصر، فصاح به الأشر: أخرج من قصرنا لا أم لك ، أخرج الله نفسك ، فوالله إنك لمن المنافقين قديماً! قال: أجلني هذه العشية . فقال: هي لك ، ولا تبيتن في القصر الليلة . ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فمنعهم الأشر ، وأخرجهم من القصر وقال: إني قد أخرجته . فكف الناس عنه .».

أقول: وافي ألوف المسلمين من الكوفة أمير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار ، وساروا معه الى البصرة. ولم يؤثر فيهم تشييط أبي موسى ، فقد واجهه عمار بالتكذيب وفضحه بأنه من أصحاب العقبة الذين أرادوا قتل النبي (صلى الله عليه وآله) فلعنه ليلتها! فلم ينكر ذلك أبو موسى، بل قال لعمار: إن النبي (صلى الله عليه وآله) استغفر له بعد ذلك! فأجابه عمار: لقد شهدت اللعن، ولم أشهد الإستغفار! ثم واجهه الأشر رضي الله عنه بقوته وتأثيره في الكوفة .

أما هاشم المرقال «فجرد معه من بنيه من كان منهم قد أثبت ، وخرج بهم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ذي قار ، فكان أول من قدم عليه .» (أخبار الشعراء للمرزباني/ 38).

6. وكان هاشم بصيراً بمعاوية والقرشيين المخالفين لعلي (عليه السلام) ويرى أنهم طلاب دنيا فقد روى نصر بن مزاحم في وقعة صفين/92: «لما أراد علي (عليه السلام) المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال: أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحق ، مباركو الفعل والأمر. وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم. فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جد خبير، هم لك ولأشباعك أعداء ، وهم لمن

يطلب حرث الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يقون جهداً ، مشاحة على الدنيا ، وضناً بما في أيديهم منها . وليس لهم إربة غيرها إلا ما يخذعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان . كذبوا ليسوا بدمه يثأرون ولكن الدنيا يطلبون . فسر بنا إليهم فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال . وإن أبوا إلا الشقاق فذلك الظن بهم . والله ما أراهم يباعدون وفيهم أحد ممن يطاع إذا نهى ويسمع إذا أمر» .

7. كان هاشم المرقال صاحب راية علي (عليه السلام) في حرب صفين ، أي القائد العام لجيشه ففي وقعة صفين/326: «دفع على الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكانت عليه درعان ، فقال له على كهينة المازح: أيا هاشم ، أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟ قال: ستعلم يا أمير المؤمنين . والله لألفرنَّ بين جماجم القوم لفَّ رجل ينوي الآخرة . فأخذ رمحاً فهزه فانكسر ، ثم آخر فوجده جاسياً فألقاه ثم دعا برمح لين فشده به لواءه» .

8. وقاتل هاشم في أيام صفين قتال الأبطال ، حتى استشهد هو وعمار في يوم واحد! ففي وقعة صفين/353: «عن أبي سلمة ، أن هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل . فأقبل إليه ناس فشده في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً ، فقاتل قتالاً شديداً ثم قال لأصحابه: لا- يهولنكم ماترون من صبرهم ، فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها ، وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق» .

يا قوم إصبروا وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدونا على توده رويداً واذكروا الله ، ولا- يسلمن رجل أخاه ، ولا- تكثروا الإلتفات ،  
وجالدوهم

محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . قال أبو سلمة: فيينا هو وعصابة من القراء يجالدون أهل الشام ، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان \*\*\* والدائن اليوم بدين عثمان

أنبأنا أقوامنا بما كان \*\*\* أن علياً قتل ابن عفان

ثم شد فلا يثنى يضرب بسيفه ثم يلعن علياً ويشتمه ويسهب في ذمه ! فقال له هاشم بن عتبة: إن هذا الكلام بعده الخصام ، وإن هذا القتال بعده الحساب . فاتق الله فإنك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به .

قال: فإنني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي ، وأنكم لا تصلون . وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله .

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمد وقراء الناس، حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في أمور المسلمين . وما أظن أن أمر هذه الأمة ولا أمر هذا الدين عنك طرفة عين قط !

قال الفتى: أجل أجل ، والله لا أكذب ، فإن الكذب يضر ولا ينفع ، ويشين ولا يزين . فقال له هاشم: إن هذا الأمر لا علم لك به ، فخله وأهل العلم به . قال: أظنك والله قد نصحتني . وقال له هاشم: وأما قولك إن صاحبنا لا يصلي فهو أول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأفقها في دين الله ، وأولاه برسول الله .

وأما من ترى معه فكلهم قارئ الكتاب ، لا ينامون الليل تهجداً . فلا يغرك عن دينك الأشقياء المغرورون !

قال الفتى: يا عبد الله إني لأظنك امرأ صالحاً وأظنني مخطئاً أثماً، أخبرني هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم، تب إلى الله يتب عليك، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويحب التوابين ويحب المتطهرين.

قال: فذهب الفتى بين الناس راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي! قال: لا، ولكن نصحني العراقي.» .

«ولما دفع على الراية إلى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: أقدم هاشم، يكررها، ثم قال: مالك يا هاشم قد انتفخ سحرك، أعوراً وجُبناً؟ قال: من هذا؟ قالوا: فلان. قال: أهلها وخير منها، إذا رأيتني قد صرعتُ فخذها. ثم قال لأصحابه: شدوا شسوع نعالكم وشدوا أزركم، فإذا رأيتموني قد هزرت الراية ثلاثاً، فاعلموا أن أحداً منكم لا يسبقني إليها... ثم نظر هاشم إلى عسكر معاوية فرأى جمعاً عظيماً فقال: من أولئك؟ قيل أصحاب ذي الكلاع.. قال: من عند هذه القبة البيضاء؟ قيل معاوية وجنده. قال فإني أرى دونهم أسودة؟ قالوا: ذاك عمرو بن العاص وابناه ومواليه. وأخذ الراية فهزها فقال له رجل من أصحابه: أمكث قليلاً، ولا تعجل. فقال هاشم:

قد أكثروا لومي وما أقلأ \*\*\* إني شريت النفس، لن أعتلا

أعور يبغي نفسه محلاً \*\*\* لا بد أن يقل أو يُقلا

قد عالج الحياة حتى ملا \*\*\* أشدُّهم بذي الكعوب شلا

مع ابن عم أحمد المعلى \*\*\* فيه الرسول بالهدى استهلا

أول من صدقه وصلى \*\*\* فجاهد الكفار حتى أبلَى.».



وقال (رحمة الله): أيها الناس، إني رجل ضخم فلا يهولنكم مسقطي إن أنا سقطت، فإنه لا يفرغ مني أقل من نحر جزور حتى يفرغ الجزار من جزرها». (صفين/353).

وفي الأخبار الطوال/183: «فلما أصبح عليّ غادى أهل الشام القتال، ودفع رايته العظمى إلى هاشم بن عتبة فقاتل بها نهاره كله، فلما كان العشي انكشف أصحابه انكشافه، وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجدة، فحمل عليهم الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه طعنة جائفة، فلم ينته عن القتال. ووفاه رسول علي (عليه السلام) يأمره أن يقدم رايته، فقال للرسول: أنظر إلى ما بي، فنظر إلى بطنه فرآه منشقاً! فرجع إلى علي فأخبره، ولم يلبث هاشم أن سقط، وجال أصحابه عنه وتركوه بين القتلى، فلم يلبث أن مات.

وحال الليل بين الناس وبين القتال، فلما أصبح علي (عليه السلام) غلّس بالصلاة، وزحف بجموعه نحو القوم على التعبية الأولى، ودفع الراية إلى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة، وتزاحف الفريقان فاقتتلوا. فروي عن القعقاع الظفري أنه قال: لقد سمعت في ذلك اليوم من أصوات السيوف ما الرعد القاصف دونه. وعلي رضي الله عنه واقف ينظر إلى ذلك ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين.

ثم حمل علي بنفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم، فانصرف مخضباً بالدماء، فلم يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه، وجرح عليّ (عليه السلام) خمس جراحات، ثلاث في رأسه واثنان في وجهه.

«وقاتل هاشم هو وأصحابه قتالاً شديداً حتى أتت كتيبة لتتوخ، فشدوا على الناس فقاتلهم وهو يقول: أعور يبغي أهله محلاً.. الخ. حتى قتل تسعة نفر أو عشرة، وحمل عليه الحارث بن المنذر التتوخي فطعنه فسقط». (صفين/155).

وفي أسد الغابة (5/49): «فقطعت رجله يومئذ، وجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول: الفحل يحمى شوله معقول. وقيل فيه يقول أبو الطفيل عامر بن وائلة: يا هاشم الخير جزيت الجنة... قاتلت في الله عدو السنة».

وفي وقعة صفين/359، وفتوح ابن الأعمش: 3/119: «وفي قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيل عامر بن وائلة وهو من الصحابة، وقيل إنه آخر من بقي من صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشهد مع علي (عليه السلام) صفين، وكان من مخلصي الشيعة:

يا هاشمَ الخير جزيت الجنة \*\*\* قاتلت في الله عدوَّ السنه

والتاركي الحق وأهل الطَّنَّة \*\*\* أعظم بما فزت به من منه

صيرني الدهر كأني شنه \*\*\* يا ليت أهلي قد علوني رنه

من حَوْبَةٍ وعمَةٍ وكنَّه

«ولما قتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً، وأصيب معه عصابة من أسلم من القراء، فمرَّ عليهم علي (عليه السلام) وهم قتلى حول أصحابه الذين قتلوا معه، فقال:

جزى الله خيراً عصبَةً أسلميةً \*\*\* صباحَ الوجوه صرَّعُوا حولَ هاشم

يزيدٌ وعبد الله بشرٌ ومعبدٌ \*\*\* وسفيانُ وابنا هاشم ذي المكارم

وعروة لا يبعد ثناه وذكره \*\*\* إذا اخترطت يوماً خفاف الصوارم

ثم قام عبد الله بن هاشم، وأخذ الراية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس، إن هاشماً كان عبداً من عباد الله، الذين قدر أرزاقهم، وكتب آثارهم،

وأحصى أعمالهم ، وقضى آجالهم ، فدعاه ربه الذي لا يعصى فأجابه، وسلم لأمر لله ، وجاهد في طاعة ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأول من آمن به ، وأفقههم في دين الله ، المخالف لأعداء الله المستحلين ما حرم الله ، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد ، واستحوذ عليهم الشيطان ، فزين لهم الإثم والعدوان، فحق عليكم جهاد من خالف سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعطل حدود الله ، وخالف أولياء الله .

فجودوا بمهج أنفسكم في طاعة الله في هذه الدنيا ، تصيبوا الآخرة والمنزل الأعلى، والملك الذي لا يبلى. فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار، لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية ، ابن أكالة الأكباد . فكيف وأنتم ترجون ما لا يرجون». (وقعة صفين /356)

9. كان هاشم من خاصة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد كان يمازحه ، وأخبره بيوم شهادته ، وبشره بأنه سيأكل هذا اليوم من طعام الجنة .

قال نصر/346: «ثم إن علياً (عليه السلام) دعا في هذا اليوم هاشم بن عتبة ومعه لواءه، وكان أعور، فقال له: يا هاشم ، حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء؟! فقال هاشم: لأجهدن على ألا أرجع إليك أبداً! قال علي (عليه السلام) : إن يازانك ذا الكلاع وعنده الموت الأحمر. فتقدم هاشم ، فلما أقبل قال معاوية: من هذا المقبل؟ فقيل هاشم المرقال . فقال: أعور بني زهرة قاتله الله.. فأقبل هاشم وهو يقول:

أَعُوْرُ يَبْغِي نَفْسَهُ خَلَاصًا \*\*\* مِثْلَ الْفَنِيْقِ لِأَبْسًا دَلَاصًا

قَدْ جَرِبَ الْحَرْبَ وَلَا أَنْصَا \*\*\* لَا دِيَّةً يَخْشَى وَلَا قِصَاصًا

كُلُّ أَمْرِي وَإِنْ كَبَا وَحَاصَا \*\*\* لَيْسَ يَرَى مِنْ مَوْتِهِ مَنَاصَا

وحمل صاحب لواء ذي الكلاع وهو رجل من عذرة ، وهاشم حاسر وهو يقول:

يا أعور العين وما بي من عورٌ \*\*\* أثبت فإني لست من فرعي مضر

نحن اليمانون وما فينا خور \*\*\* كيف ترى وقع غلام من عذر

ينعي ابن عفان ويلحى من غدر \*\*\* سيان عندي من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم فقتله ، وكثرت القتلى وحمل ذو الكلاع فاجتلد الناس ، فقتلا جميعاً . وأخذ ابن هاشم اللواء ، وهو يقول:

أهاشم بن عتبة بن مالك \*\*\* أعزز بشيخ من قريش هالك

تخبطه الخيالات بالسنايك \*\*\* في أسود من نفعهن حالك

أبشر بحور العين في الأرائك \*\*\* والروح والريحان عند ذلك».

10. وصفوا شجاعته في الفتوحات وصفين ، ومن ذلك ما في الأخبار الطوال/174: «وخرج يوماً آخر المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خيل ، فخرج إليه أبو الأعور السلمي في مثل ذلك ، فاقتتلوا بين الصفين جل النهار . فلم يفر أحد».

«فحمل يومئذ يرقل إرقالاً.. فجعل عمرو بن العاص يقول: إني لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً.. لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم.. والتقى الزحفان فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله.. عن أبي السفرقال: لما التقينا بالقوم في ذلك اليوم وجدناهم خمسة صفوف قد قيدوا أنفسهم بالعمائم ، فقتلنا صفاً صفاً حتى قتلنا ثلاثة صفوف ، وخلصنا إلى الصف الرابع ، ما على الأرض شامي ، ولا عراقي يولي دبره» . (وقعة صفين/327).

وقال نصر في وقعة صفين/326: (ودفع على الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكانت عليه ذلك اليوم درعان ، فقال له على كهينة المازح: أيا هاشم ،

أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟ قال: ستعلم يا أمير المؤمنين ، والله لألقتن بين جماجم القوم لف رجل ينوي الآخرة».

وفي الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/422: «قال المؤيد الخوارزمي: كان عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة وعبد الله بن بديل فرسان العراق ، ومردة الحرب ، ورجال المعارك ، وسيوف الأقران ، وأمراء الأخيار ، وأمراء أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد أوقعوا بأهل الشام ما بقى ذكره على مرّ الأحقاب حتى احتالوا لقتلهم . وفيهم يقول الأشر ذاكراً لهم متأسفاً عليهم:

أبعد عمارٍ وبعد هاشم \*\*\* وابن بديلٍ فارس الملاحم

أرجو البقاء ضلّ حلم الحالم

وفي فتوح ابن الأعمش: 3/43: ( وخرج عمرو بن العاص فجعل يقول:

لا عيش إن لم ألق يوماً هاشماً \*\*\* ذاك الذي أحشمني المجاشما

ذاك الذي يشتم عرضي ظالماً \*\*\* ذاك الذي أقام فينا الماتما

ذاك الذي إن ينج مني سالماً \*\*\* يكن شجى حتى الممات لازماً

قال: فما لبث عمرو أن خرج إليه هاشم المرقال وهو يرتجز ويقول:

لا عيش إن لم ألق يومي عمراً \*\*\* ذاك الذي نذرت فيه النذرا

ذاك الذي أعدرت فيه العذرا \*\*\* ذاك الذي ما زال ينوي الغدرا

أو يحدث الله لأمر أمراً \*\*\* لا تجزعي يا نفس صبراً صبوا

ضرباً إذا شئت وطعنأ شزراً \*\*\* يا ليت ما تحتي يكون قبراً

قال: ثم حمل هاشم على عمرو بن العاص واختلفا بطعنتين ، فطعنه هاشم طعنة جرحه منها جراحة منكرة، فرجع عمرو إلى معاوية وجراحته تشخب دماً»

«وقد كان قال معاوية لعمرو: ويحك ، إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة ، وقد كان من قبل يرقل به إرقالاً ، وإنه إن زحف به اليوم زحفاً ، إنه لليوم الأطول لأهل الشام ، وإن زحف في عنق من أصحابه إني لأطمع أن تقتطع . فلم يزل به عمار حتى حمل ، فبصر به معاوية فوجه إليه حماة أصحابه ومن يزن بالبأس والنجدة منهم في ناحيته ، وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعه يومئذ سيفان ، قد تقلد واحداً وهو يضرب بالآخر ، وأطافت به خيل علي (عليه السلام) فقال عمرو: يا الله ، يا رحمن ، إني إني ! قال: ويقول معاوية: صبراً صبراً فإنه لا بأس عليه . قال عمرو: ولو كان يزيد بن معاوية ، إذاً لصبرت ! ولم يزل حماة أهل الشام يذبون عنه حتى نجا هارباً على فرسه ومن معه ، وأصيب هاشم في المعركة .» (وقعة صفين/340).

11. خاض هاشم المرقال رضي الله عنه معارك الجهاد ، وقادها ، لمدة ربع قرن ، في فتوح فلسطين ، والشام ، ومصر ، والعراق ، وإيران ، ثم في حروب علي (عليه السلام) وهي مدة طويلة ، والأهم من بطولاته: إيمانه وإخلاصه (رحمة الله) !

فقد أرسله أبو بكر قائداً في فتح فلسطين والشام ، قال ابن الأعمش: 1/85 ، ملخصاً: «دعا أبو بكر بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وهو ابن أخي سعيد بن أبي وقاص فقال: يا هاشم إن من سعادة جِدِّك ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها ، وممن يثق الوالي بوفائه وصدقه ونصحه وبأسه وشجاعته. وقد بعث أبو عبيدة بن الجراح والمسلمون يخبرونني باجتماع الكفار عليهم ، فاخرج فعسكر حتى أندب إليك الناس.. قال هاشم: أفعل ذلك إن شاء الله . فعندها قام أبو بكر في الناس خطيباً فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ،

ثم قال: أيها الناس، إن إخوانكم من المسلمين الذين أغزيناهم إلى الشام إلى جهاد عدوهم معافون، مدفوع عنهم مصنوع لهم، قد ألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم، وقد جاءني كتاب أبي عبيدة يخبرني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم ونزوله مدينة أنطاكية، وقد اجتمع عليه خلق كثير من النصرانية. وقد رأيت أن أمد إخوانكم بجند منكم فيشد الله عز وجل بكم ظهورهم، ويكتب بكم أعداءهم ويلقى الرعب في قلوبهم، فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واحتسبوا في ذلك الأجر العظيم فإنكم إن قاتلتم ونصرتهم فهو الفلاح والغنيمة، وإن هلكتم فهو الشهادة والسعادة. قال: فانتدب لأبي بكر خلق كثير من همدان وأسلم وغفار ومزينة ومراد والأزد، وجميع القبائل».

وقال ابن الأعمش: 1/95: «ثم سار هاشم بن عتبة في ثلاثة آلاف مجهز، حتى قدم على أبي عبيدة بن الجراح، قال: فسَدَّ أبو عبيدة وجميع المسلمين بقدوم هاشم بن عتبة ومن معه سروراً شديداً».

وكانت أول مشاركة لهاشم في معركة أجنادين، وهي المعركة الفاصلة التي فتحت على أثرها فلسطين، وقادها هاشم مع خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهما، فكان هو قائد الميسرة في معارك فتح وفلسطين والشام: أجنادين ومرج الصُّفَر وفحل واليرموك، وكان خالد بن سعيد قائد الخيل كلها، في المعارك الأربعة.

ففي تاريخ دمشق: 16/66: «عن سهل بن سعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة، كانت بالشام وكانت في سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى، فذكر بعض أمرها، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها، قال: فتركوا مرج الصُّفَر، فصمد المسلمون صمدهم، وخرج إليهم أهل القوة

من أهل دمشق وصحبهم ناس كثير من أهل حمص ، فالقوم نحو من خمسة عشر ألفاً . فلما نظر إليهم خالد عباً لهم كتعبئة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل ، وترك أبا عبيدة في الرجال ، وزحف إليهم ..». وقد صحح ابن عساكر إسم سعيد بن زيد بخالد بن سعيد ، وهو الصحيح ، كما يأتي .

وفي تاريخ اليعقوبي: 2/140: « وقد كان الروم لما بلغهم إقبال أبي عبيدة تحولوا إلى فحل ، فعبا أبو عبيدة المسلمين فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الرجالة سعد بن زيد ، وعلى الخيل خالد بن الوليد (بن سعيد) وأقبلت الروم فكان أول من لقيهم خالد (بن سعيد لأنه في جيش شرحبيل) فهزم الله الروم وطلبوا الصلح ، على أن يؤدوا الجزية ، فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك وانصرف ، وخلف عمرو بن العاص على باقي الأردن ».

وقال بن الأعمش: 1/151: « ثم حمل خالد بن الوليد وحمل معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، في زهاء ألف رجل من أهل الصبر واليقين ، فنقضوا تعبئة الكفار وكسروا صفوفهم بعضها على بعض » . وخالد هنا هو ابن سعيد كما يأتي .

وقال البلاذري: 1/160: « وذهبت يوم اليرموك عين الأشعث بن قيس ، وعين هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، وهو المرقال ، وعين قيس بن مكشوح . واستشهد عامر بن أبي وقاص الزهري ، وهو الذي كان قدم الشام بكتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بولايته الشام » .



12. وبعد اليرموك مباشرة سارع هاشم في نخبة من جيش المسلمين من الشام الى العراق ، للمشاركة في معركة القادسية .

ففي تاريخ اليعقوبي: 2/144: «ثم أصبحوا من غدٍ فوافاهم ستة آلاف من جيش أبي عبيدة بن الجراح ، وهم الذين كانوا مع خالد بن الوليد: خمسة آلاف من مضر وربيعة ، وألف من أفناء المسلمين ، عليهم المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكان فتح الشام قبل القادسية بشهر ، فأصبحوا في اليوم الثالث على موافقهم ، وأخرج رستم الفيلة فلما نظرت إليها الكتائب كادت أن تفترق ، ثم حمل المسلمون عليها ففكأوا أعينها وقطعوا مشافرها .

وزحف المسلمون وأصبحوا في اليوم الرابع وللمسلمين العلو ، وقتل رستم ، وقع عليه عدل كان على بغل فقتله ، وكان الذي طرح عليه العدل هلال بن علفة ، وصعد على سريره وصاح: قتلت رستم ورب الكعبة ، إليّ إليّ ! وقيل قتله زهير بن عبد شمس بن أخي جرير بن عبد الله ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وانكشفوا مدبرين ، وجمعت الأموال والأسلاب ويبيع سلب رستم فبلغ سهم الرجل لكل فارس أربعة عشر ألفاً ، وسهم الراجل سبعة آلاف ومائة ، ورضخ لعيال الشهداء من صلب الفئ ، ورضخ للنساء من صلب الفئ ، فأما العبيد فإنهم عفواً ، وأوفد سعد إلى عمر وفداً فأجازهم عمر ثمانين ديناراً ثمانين ديناراً .

وكان بالقادسية من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أهل بدر سبعون رجلاً ، ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ، ومن أصحاب رسول الله مائة . ونفرت جميع الفرس إلى المدائن منهزمين ، لا يلوون على شئ ، ويزدجرد

الملك بها ، فاتبعهم سعد(أي هاشم ) بالمسلمين فحاصرهم شهراً وخمسة عشر يوماً ثم خرج الفرس هاربين ، وفتحت المدائن، وقيل إن ذلك كان في سنة 16».

وفي الطبري:2/627: «قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن اصرف جند العراق إلى العراق وأمرهم بالحث ، إلى سعد بن مالك . فأمر على جند العراق هاشم بن عتبة ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنبيه عمر بن مالك الزهري وربيعي بن عامر ، وضربوا بعد دمشق نحو سعد ، فخرج هاشم نحو العراق في جند أهل العراق ، وخرج القواد نحو فحل ، وأصحاب هاشم عشرة آلاف ، إلا من أصيب منهم ، فأتموهم بأناس ممن لم يكن منهم ، منهم قيس والأشتر».

يقصد أن الأشتر وقيساً ولعله قيس بن سعد بن عبادة ، كانا جريحين فبقيا في الشام ، ولم يشاركا في القادسية ، لكن الأشتر كان يطارد جيش الروم ، حتى وصل بهم إلى جبال اللكام في تركيا ، كما سيأتي في محله .

وفي تاريخ الطبري:3/60: «قدم هاشم في أهل العراق من الشام ، فتعجل في أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفر ، منهم ابن المكشوح ، فلما دنا تعجل في ثلاث مائة ، فوافق الناس وهم على موافقتهم فدخلوا مع الناس في صفوفهم .

قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عماس ، فكان لا يقاتل إلا على فرسن أثى لا يقاتل على ذكر ، فلما وقف في الناس رمى بسهم فأصاب أذن فرسه ، فقال: واسواتاه من هذه ، أين ترون سهمي كان بالغا ولم يصب أذن الفرس؟ قالوا: كذا وكذا . فأجال فنزل وترك فرسه ، ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا».

وفي تاريخ دمشق:49/496: «وأمدهم يعني أبا عبيدة بن الجراح لأهل القادسية بتسعة عشر رجلاً ممن شهد اليرموك ، منهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي ،

وطليحة بن خويلد الأسدي، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، والأنثعث بن قيس الكندي، وقيس بن مكشوح المرادي».

وفي تاريخ الطبري: 3/59: فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل وطلعت نواصيها كَبَّرَ وكبر الناس وقالوا جاء المدد، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها، فجاؤوا من قبل خفان فتقدم الفرسان وتكتبت الكتائب، فاختلفوا الضرب والطنع ومددهم متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم وقد طلوعوا في سبع مائة، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه، فعبا أصحابه سبعين سبعين فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث، ولم يكن من أهل الأيام إنما أتى من اليمن اليرموك فانتدب مع هاشم، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب كَبَّرَ، كبر المسلمون وقد أخذوا مصافهم ..

وقد بات المشركون في علاج توابعهم حتى أعادوها وأصبحوا على موافقهم، وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وُصِدَتْ نُها، ومع الرجالة فرسان يحمونهم، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا بهم خيلهم، فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس، لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش، وإذا أطافوا به كان أنس، فكان القتال كذلك حتى عدل النهار، وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً، العرب والعجم فيه على السواء، ولا- يكون بينهم نقطة إلا تعاورها الرجال بالأصوات (كالبريد) حتى تبلغ يزدجرد، فيبعث إليهم أهل النجدات، ممن بقى عنده فيقوون بهم، وأصبحت عنده للذي لقي

بالأمس الإمداد على البرد، فلولا الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين، وأتاح لهم بهاشم لكسر ذلك المسلمين».

وفي تاريخ الطبري: 3/60: «قدم هاشم بن عتبة من قبل الشام معه قيس بن المكشوح المرادي في سبع مائة بعد فتح اليرموك ودمشق، فتعجل في سبعين فيهم سعيد بن نمران الهمداني. قال مجالد: وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة هاشم.. فتعجل في أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا- نفر، منهم ابن المكشوح، فلما دنا تعجل في ثلاث مائة فوافق الناس وهم على موافقتهم فدخلوا مع الناس في صفوفهم.. كان اليوم الثالث يوم عماس ولم يكن في أيام القادسية مثله، خرج الناس منه على السواء كلهم على ما أصابه كان صابراً».

وفي تاريخ الطبري: 3/16: «فانهزموا حتى انتهوا إلى الصرارة، فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن، فكان المسلمون بكوثى وكان مسلحة المشركين بدير المسلاخ، فأتاهم المسلمون فالتقوا فهزم المشركون حتى نزلوا بشاطئ دجلة، فمنهم من عبر من كلواذى ومنهم من عبر من أسفل المدائن.. وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة».

### حصار المسلمين للمدائن

13. وحاصر المسلمون المدائن شهوراً، وقيل تسعة أشهر، وقيل أكثر من ذلك وكانوا يترامونهم بالمنجنيق والسهام. قال في معجم البلدان: 1/515: «بَهْرٌ سَيْرٌ.. إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن.. كأن معناه خير مدينة أردشير، وهي في غربي دجلة، وقد خربت مدائن كسرى ولم يبق ما فيه عمارة غيرها،

وهي تجاه الإيوان ، لأن الإيوان في شرقي دجلة وهي في غريبه..وفي كتاب الفتوح: لما فرغ سعد بن أبي وقاص من القادسية سار حتى نزل بهر سير ففتحها وأقام عليها تسعة أشهر وقيل ثمانية ، حتى أكلوا الرطب مرتين ، ثم عبر دجلة فهرب منهم يزدجرد ، وذلك في سنة خمس عشرة وست عشرة».

وفي فتوح البلاذري: 2/338: «لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة القادسية ، وجه إلى المدائن فصالح أهل الرومية وبهرسير ، ثم افتتح المدائن وأخذ أسبانيبر وكردبنداذ عنوة ، فأنزلها جنده فاحتووها».

وفي تاريخ الطبري: 3/117: «نزل المسلمون على بهرسير وعليها خنادقها وحرسها وعدة الحرب فرموهم بالمجانيق والعرادات ، فاستصنع سعد شيرزاد المجانيق فنصب على أهل بهرسير عشرين منجنيقاً ، فشغلوهم بها».

وفي فتوح الواقدي: 2/197: «فلما نظر سعد إلى ذلك دعا سرزاد وقال له: إن أهل هذا البلد لم يتركوا للصالح موضعاً ، وأريد منكم أن تصنعوا لنا مجانيق ففعل سرزاد وعمل مجانيق ، فما مضت ثلاثة أيام حتى صنع له ذلك ونصب له ذلك على نهمشير ، أكثر من عشرين منجنيقاً فأشغلوهم بها عن قتال المسلمين ، والعرب فرحت بذلك ، فلما طال على البلد الحصار خرجوا يقاتلون المسلمين وتبايعوا على الصبر ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وترامت الفرس بنشابها والعرب بنبالها».

وهنا ظهرت شجاعة هاشم وبطولته ، مقتدياً بإمامه ومولاه أمير المؤمنين (عليه السلام) : قال الواقدي: (2/197): «فلما ترتبت الصفوف كان أول من برز واشتهر وسما

وافتحرو فيروز ووطن بالفارسية وقال: يا هؤلاء العرب لقد أطمعتم أنفسكم فيما لا تصلون اليه ، وساءت ظنونكم وزعمتم أنكم تملكون العراق وتأخذونه من أيدي الأكاسرة ، وهذا ظن لا يصير أبداً! ونحن كتيبة كسرى أولوا الشدة والبأس والقوة والمراس ، وأنا مقدمهم والرئيس فيهم ، فليبرز إليّ مقدمكم ويفعل مثل ما فعلت أنا من بين قومي . قال فما استتم كلامه حتى خرج اليه هاشم بن المرقال يجر قناته من ورائه ، وحمل عليه وحصل بينهما حرب يشيب منها الطفل ، ثم إن هاشماً طعنه في صدره فأطلع السنان من ظهره ! قال: فلما قتله هاشم ورجع إلى المسلمين قبّله سعد بين عينيه . فكتب سعد إلى أمير المؤمنين . وإنا نزلنا على نهمشير بعد ما لقينا فيما بين القادسية ونهمشير عسكرياً مع قرط بن فيروز ، وظفرنا الله به وبمن معه ، وإن فيروز قتله هاشم ، وانهمز من بقي معه ، ونزلنا بعد ذلك على نهمشير ، وبثنا عساكرنا فأصابوا من الفلاحين ألف نفر فما رأيك فيهم؟» .

ثم ذكر الواقدي أن المسلمين حاصروا المدينة شهرين ، حتى هرب يزيدجرد ، فدخلوها بدون مقاومة .

وقال الواقدي في فتوح الشام: 2/209: «لما انهزمت الفرس من المدائن واستولى عليها سعد بن أبي وقاص . . وأنشد عاصم بن عمر في ذلك:

شهدنا بعون الله أفضل مشهد \*\*\* بأكرم من يقوى على كل موكب

ركبنا على الجرد الجياد سوابحاً \*\*\* بكل قناة بل بكل مقضب

وكننا بعون الله لا نرعوى إذا \*\*\* تبادر طعن كالغمام المشطب

ص: 272

وكان جهاداً قد ملكنا بأمره \*\*\* من الملك مستعلى البناء المذهب

ترانا وإنما في الحروب أسودها \*\*\* لنا العزم لا يخفى لكل مجرب

نجول ونحمي والرماح شوارع \*\*\* ونطعن يوم الحرب كل مخبب

قدمنا على كسرى بشدة حربنا \*\*\* وما حربنا في النائبات بمختبي».

14. وبعد قيادته فتح المدائن ، قصد هاشم تجمع الفرس في جلولاء وخانقين، ففي تاريخ الطبري: 3/79: «ثم إن الفرس هربت من ديرة إلى المدائن يريدون نهاوند ، واحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والفرند والحرير والسلاح وثياب كسرى وبناته ، وخلوا ما سوى ذلك ، وأتبعهم سعد الطلب من المسلمين ، فبعث خالد بن عرفطة حليف بني أمية ، ووجه معه عياض بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى يسرتهم زهرة بن حوية التميمي ، وتخلف سعد لما به من الوجع ، فلما أفرق سعد من وجعه ذلك اتبع الناس بمن بقي معه من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة على بهر سير .

فلما وضعوا على دجلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها حتى أتى سعداً علج من أهل المدائن فقال: أدلكم على طريق تدركونهم قبل أن يمعنوا في السير، فخرج بهم على مخاضة بقطر بل فكان أول من خاض المخاضة هاشم بن عتبة في رجله فلما جاز اتبعته خيله ، ثم أجاز خالد بن عرفطة بخيلة ، ثم أجاز عياض بن غنم بخيله ، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا ، فزعموا أنه لم يهتد لتلك المخاضة بعد .

ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم سابط فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو فتردد الناس وجبنوا عنه ، فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ، فلما أجاز الأح للناس بسيفه ، فعرف الناس أن ليس به شئ تخافونه ، فأجاز بهم خالد بن عرفطة ، ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس فكانت وقعة جلولاء بها فهزم الله الفرس ، وأصاب المسلمون بها من الفئ أفضل مما أصابوا بالقادسية ، وأصيب ابنة لكسرى يقال لها منجانة ، ويقال بل ابنة ابنه . « والصحيح أن سعداً لم يكن في الجيش الذي قصد جلولاء .

وفي تاريخ الطبري: 3/113: « ثم إن سعداً ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله.. ثم أتبعهم هاشم بن عتبة وقد ولاه خلافته عمل خالد بن عرفطة ، وجعل خالداً على الساقة ، ثم أتبعهم وكل المسلمين فارس مؤد ، قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح وكراع ومال ، لأيام بقين من شوال ..».

وفي تاريخ الطبري: 3/116: «ثم إن سعداً قدّم زهرة إلى بهرسيير (المدائن) فمضى زهرة من كوثي في المقدمات حتى ينزل بهرسيير ، وقد تلقاه شيرزاد بسابط بالصلح وتأدية الجزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه وتبعته المجنبات .

وخرج هاشم وخرج سعد في أثره ، وقد فلّ زهرة كتبية كسرى بوران حول المظلم ، وانتهى هاشم إلى مظلم سابط (كالنفق) ووقف لسعد حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المُقرّط أسدً كان لكسرى قد ألّفه وتخيّره من أسود المظلم (أسود حماية النفق) وكانت به كتائب كسرى التي تدعى بوران ، وكانوا يحلفون بالله كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا . فبادر المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فنزل إليه هاشم فقتله ، فقبّل سعد رأس هاشم .».



«وقيل نظر هاشم إلى الناس قد أحجموا ووقفوا فقال: ما لهم؟ فقيل له: أسد قد منعهم، ففرج هاشم الناس وقصد له فتاوره الأسد وضربه هاشم فقطع وصلبه كأنما احتدم غضباً، ووقعت الضربة في خاصرته». (الروض المعطار/297).

أقول: الذي فلَّ كتيبة كسرى أو كتيبة بوران بقتل قائدها هو هاشم رضي الله عنه، وليس زهرة بن حوية، كما نصت الروايات.

15. وقاد هاشم المرقال جيش المسلمين في معركة جلولاء الكبرى، وبعدها، في تاريخ الطبري: 3/134، عن محفّز قال: «إني لفي أوائل الجمهور مدخلهم سباط ومظلمها، وإني لفي أوائل الجمهور حين عبروا دجلة ودخلوا المدائن، ولقد أصبت بها تمثالاً لو قسم في بكر بن وائل لسد منهم مسداً، عليه جوهر فأديته، فما لبثنا بالمدائن إلا قليلاً حتى بلغنا أن الأعاجم قد جمعت لنا بجلولاء جمعاً عظيماً، وقدموا عيالاً تنهم إلى الجبال، وحبسوا الأموال».

أقول: تقع جلولاء في شمال شرق بغداد قرب الحدود العراقية الإيرانية، وتبعد عن بغداد 180 كيلومتراً، وقد اتخذها الفرس مركزاً لتجميع القوات الآتية من أنحاء إيران لنجدة يزيدجرد في المدائن. وعندما انهزم يزيدجرد في المدائن هرب إلى خاتقين مع من بقي من جيشه، ثم هرب في مجموعة قليلة إلى حلوان، ثم إلى أصفهان.

وتجمّع في جلولاء جيش الفرس في مئة ألف كما روي، وجاءهم جيش المسلمين وكان اثني عشر ألفاً بقيادة هاشم المرقال، وروي أربع وعشرون ألفاً.

وفي الطبري: 3/134: «فصّل هاشم بن عتبة بالناس من المدائن في صفر سنة ست عشرة في اثني عشر ألفاً، منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب، ممن

ارتد وممن لم يرتد، فسار من المدائن إلى جلولاء أربعاً، حتى قدم عليهم وأحاط بهم، فحاصرهم وطاولهم أهل فارس، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً، كل ذلك يعطى الله المسلمين عليهم الظفر، وغلبوا المشركين على حسك الخشب، فاتخذوا حسك الحديد».

والحسك، قطع مسننة من حديد أو خشب ترمى على الأرض لتدوسها الخيل فتعقر أقدامها أو تصاب .

16. وانشغل سعد بخزائن كسرى في المدائن، وكتب له هاشم والمسلمون يطلبون حضوره اليهم فحضر على مضض، ورجع ولم يذهب معهم الى حلوان! قال ابن الأعمش في الفتوح(1/216): «ورحل المسلمون من جلولاء إلى خانقين فنزلوها يومهم ذلك، ثم رحلوا منها إلى قصر شيرين فنزلوها، وكتبوا إلى سعد بن أبي وقاص يستأذنونهم في التقدم إلى حلوان، ويحثونه على المصير إليهم ليكون لهم ملجأ وسنداً يلجؤون إليه ويشاورونه في أمورهم، وقد كان سعد عليلاً فتباطأ عنهم ولم يصر إليهم، وكتب إليهم يأمرهم بالتقدم إلى حلوان!

قال: فغضب المسلمون لعود سعد عنهم وإبطائه عن نصرتهم، ثم أنشأ إبراهيم بن حارثة الشيباني يقول في ذلك:

أما بال سعد خامٍ عن نصر جيشه \*\*\* لقد جئت يا سعد ابن زهرة منكرا

وأقسم بالله العلي مكانه \*\*\* لو ان المثنى كان حياً لأصحرا

وقاتل فيها جاهداً غير عاجز \*\*\* وطاعن حتى يحسب الجون أحمرأ

كشداته يوم البجيلة معلماً \*\*\* يريد بما يبلي الثواب الموفرا

وضارب بالسيف الحسام مقدماً \*\*\* جموع الأعادي خشية أن يعيرا

ولكن سعداً لم يرد أجر يومه \*\*\* ولم يأتنا في يوم بأس فيعدرا

قال: فبلغت سعداً هذه الأبيات فكأنه تحرك للمسير على علقته ، ثم دعا سلمان الفارسي فاستخلفه على المدائن ، وأوصاه بحفظ الغنائم ، وصار فيمن معه من أصحابه حتى لحق بالمسلمين ، وهم يومئذ نزول بقصر شيرين فنزل معهم يومهم ذلك . فلما كان من غد نادى في الناس بالرحيل إلى حلوان ، فرحل ورحل الناس معه ، وبلغ ذلك منوشهر بن هرمزدان المقيم بحلوان ، فخرج عن حلوان هارباً حتى لحق بيزدجرد وهو في جمع أصحابه .

وأقبل سعد بن أبي وقاص وعلى مقدمته جرير بن عبد الله البجلي ، حتى دخل حلوان ، فأنشأ عبد الله بن قيس الأزدي يقول:

فأبلغ أبا حفص بأن خيولنا \*\*\* بحلوان أضحت بالكماة تُجمجمُ

ونحن دهمناها صباحاً بفيلقٍ \*\*\* جريرٍ علينا في الكتيبة معلّم

ونحن أبداً الفرس في كل موطن \*\*\* بجمع كمثل الليل والليل مظلم

نقاتل حتى أنزل الله نصره \*\*\* وسعدٌ بباب القادسية مُعصم

فأبنا وقد أيّمت نساءً كثيرةً \*\*\* ونسوة سعد ليس فيهن أيّم

أولئك قومي إن سمعت بمعشري \*\*\* وموضع أيسارى إذا نيل مغنم.

أقول: لاحظ أن ابراهيم بن المثنى رضي الله عنهما كان في جلولاء ، وأنه كان ممن هجا سعداً لعدم مشاركته المسلمين في الحرب ، وعيّرهُ بأبيه المثنى ، فتحرك سعد !

وقال البلاذري: 2/324: « فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة ، وعمرو بن معدى كرب على الخيل ، وطليحة بن خويلد على الرجال ، وعلى الأعاجم يومئذ خرزاد أخورستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، رمياً بالنبل وطعناً بالرماح حتى تقصفت ، وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت .

ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم وهزموهم ، فولوا هارين ، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى حال الظلام بينهم ، ثم انصرفوا إلى معسكرهم .

وجعل هاشم بن عتبة جرير بن عبد الله بجلولاء في خيل كثيفة ليكون بين المسلمين وبين عدوهم . فارتحل يزدجرد من حلوان ، وأقبل المسلمون يغيرون في نواحي السواد ، من جانب دجلة الشرقي ، فأتوا مهرود ، فصالح دهقانها هاشماً على جريب من دراهم .»

17. بقي هاشم المرقال القائد العام لجيش المسلمين من القادسية الى نهاوند ، فقد جعله عمه سعد خليفته والقائد العام لجيش الفتح ، بدل خالد بن عرفطة ، قال الطبري: 3/113: «ثم إن سعداً ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله وبعد تقدم زهرة بن الحوية في المقدمات إلى اللسان ، ثم أتبعه عبد الله بن المعتم ، ثم أتبع عبد الله شرحبيل بن السمط ، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة ، وقد ولاه خلافته عمل خالد بن عرفطة ، وجعل خالداً على الساقية ، ثم أتبعهم .»

فقد كان سعد والي العراق ، لكنه لا يباشر الحرب بنفسه ، بل اعتمد على خالد بن عرفطة العذري وهو كالمراسل عنده فجعله خليفته في معركة القادسية. ولما جاء ابن أخيه هاشم من اليرموك جعله خليفته بدل ابن عرفطة .

ثم ذهب سعد الى المدائن ، لكن بعد فتحها أو بعد أن حاصرها المسلمون شهوراً ، وظهرت علائم فتحها .

ثم أرسل سعد هاشم الجيش بقيادة المرقال الى جلولاء ، فكانت معركة شديدة انتصر فيها المسلمون ، وألحوا على سعد بالحضور فحضر .  
ثم أرسل الجيش الى حلوان ، ورجع هو الى المدائن ، وقسم الغنائم ورجع الى الكوفة .

وكان هاشم يباشر المعركة بنفسه ويديرها ، واستمر في منصبه القيادي حتى بعد أن عزل عمر سعداً عن ولاية الكوفة ، وولى عمار بن ياسر ،  
فقد اعتمد عمار على هاشم أيضاً في الإعداد لمعركة نهاوند .

18. كان الإعداد لمعركة نهاوند على عاتق عمار وهاشم ، ثم النعمان وحذيفة ، فقد كان فتح المدائن ضربة موجعة للفرس هرب بسببها  
ملكهم يزدجرد ، واستطاع المسلمون أن يحتلوا بقية العراق ، وابتصروا على بقية جيشه في جلولاء وخانقين وحلوان . هذا من جهة بغداد  
والكوفة ، أما من جهة البصرة فقد فتحوا أكثر الأهواز ، فاتصلت فتوحاتهم من الجانبين .

لكن الفرس رغم ذلك استعادوا المبادرة ، وجمعوا قوات كبيرة في نهاوند بلغت مئة وخمسين ألفاً ، واستعادوا كثيراً من المناطق التي فتحها  
المسلمون داخل إيران وكتب عمار بن ياسر والي الكوفة الى عمر بن الخطاب ، كما في فتوح ابن الأعمش: 2/291: «قد اجتمعوا بأرض  
نهاوند في خمسين ومائة ألف ، من فارس وراجل من الكفار ، وقد كانوا أمروا عليهم أربعة من ملوك الأعاجم ، منهم ذو الحجاب خرزاد بن  
هرمز ، وسنفاد بن حشروا ، وخهانيل بن فيروز ، وشروميان بن إسفنديار ، وإنهم قد تعاهدوا وتعاهدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتواثقوا على  
أنهم يخرجوننا من أرضنا ويأتونكم من بعدنا . وهم جمع عتيد وبأس شديد ودواب فره وسلاح شاك ، ويد الله فوق أيديهم . فإني أخبرك يا  
أمير المؤمنين

أنهم قد قتلوا كل من كان منا في مدنتهم ، وقد تقاربوا مما كنا فتحناه من أرضهم ، وقد عزموا أن يقصدوا المدائن ويصيروا منها إلى الكوفة ، وقد والله هالنا ذلك وما أتانا من أمرهم وخبرهم».

وفي الأخبار الطوال/133: «ثم كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين ، وذلك أن العجم لما قُتلوا بجلولاء ، وهرب يزدجرد فصار بقم ، ووجه رسله في البلدان يستجيش ، فغضب له أهل مملكته ، فتحلبت إليه الأعاجم من أقطار البلاد ، فأتاه أهل قومس وطبرستان وجرجان وديناوند والري وأصبهان وهمذان والماهين ، واجتمعت عنده جموع عظيمة ، فولى أمرهم مردان شاه بن هرمز ، ووجههم إلى نهاوند . وكتب عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فخرج عمر بن الخطاب ، ويده الكتاب حتى صعد المنبر...».

وقد ذكرنا جانباً من أدوار هؤلاء الشيعة الأربعة في معركة نهاوند رضوان الله عليهم.

19. وذكر الواقدي أن هاشم المرقال شارك بعد القادسية في فتوح الشام ومصر قال الواقدي في فتوح الشام: 1/147: «وقسم الأمير أبو عبيدة عسكر المسلمين أربع فرق ، فبعث فرقة مع المسيب بن نجبة الفزاري ، فنزل بهم على باب الجبل مما يلي باب الصغير ، وبعث فرقة أخرى مع المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فنزل بهم على باب الرستق ، وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبي سفيان ، فنزل على باب الشام . ونزل الأمير أبو عبيدة وخالد بن الوليد على باب الصغير . وزحف المسلمون إليهم من كل مكان وقتلوهم بقية يومهم هذا ، وسهام الروم

تصل إليهم فيتلقونها بالحجف ، ونبال العرب تصل إليهم والى من بأعلى السور فأثرت لأجل ذلك ..» .

وفي فتوح الشام: 1/151: «قال الواقدي: عن ثابت بن قيس بن علقمة قال: كنت ممن حضر عند أبي عبيدة ، فعند ذلك دعا أهل الرأي والمشورة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال لهم: إن هذا حصن شديد منيع ليس لنا إلى فتحه سبيل إلا بالحيلة والخديعة ، وأريد أن أجعل منكم عشرين رجلاً في عشرين صندوقاً ، وتكون الأقفال عندهم من باطنها ، فإذا صاروا في المدينة فتوروا على اسم الله تعالى ، فإنكم تنصرون على من فيها من المشركين . فقال خالد بن الوليد فإذا عزمتم على ذلك فلتكن الأقفال ظاهرة ويكون أسفل الصناديق أنثى في ذكر من غير شئ يمسكها ، فإذا حل أصحابنا في حصن من هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون فإن النصر مقرون بالتكبير ، فأجابه أبو عبيدة إلى ذلك ، وأخذ صناديق الطعام المنتخبة عند الروم ، ففض أسافلها وجعلها ذكراً في أنثى فأول من دخل في الصناديق ضرار بن الأزور ، والمسيب ابن نجبة ، وذو الكلاع الحميري ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والمرقال هاشم بن عتبة ، وقيس بن هبيرة ، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ومالك بن الأشتر ، وعوف بن سالم وصابر بن كلكل ، ومازن بن عامر ، والأصيد بن سلمة ، وربيعة بن عامر وعكرمة بن أبي جهل ، وعتبة بن العاص ، ودارم بن فياض العبسي ، وسلمة بن حبيب ، والغازع بن حرملة ، ونوفل بن جرعل ، وجندب بن سيف ، وعبد الله بن جعفر الطيار ، وجعله أميراً عليهم، وسلموا الصناديق إلى الروم . فلما حطت الصناديق في الرستن ألقاها نقيطاس في قصر إمارته ، وارتحل الأمير أبو

عبيدة، وسار حتى نزل في قرية يقال لها السودية، فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد بجيش الزحف إلى الرستن ينظر ما يكون من أصحابه، وما فعلت الصحابة، فسار خالد بن الوليد برجاله حتى وصل القنطرة وإذا بالصياح قد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن .

قال الواقدي: كان من أمر الصحابة أنه لما ركهم نقيطاس في دار إمارته ركب إلى البيعة مع بطارقه وأهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر، لأجل رحيل المسلمين عنهم، وارتفعت أصواتهم بقرأة الإنجيل وسمع أصواتهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرجوا من الصناديق وشدوا على أنفسهم وشهروا سلاحهم، وقبضوا على امرأة نقيطاس وحريمه، وقالوا نريد مفاتيح الأبواب فسلمتها إليهم، فلما حصلت المفاتيح في أيديهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير، وكبس القوم على أبواب مدينتهم فلم يجسروا عليهم لأنهم بدون عدة وسلاح، وبعث عبد الله بن جعفر الطيار ربيعة بن عامر والأصيد بن سلمة وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص والفارح بن حرملة، وسلم إليهم المفاتيح وقال: افتحوا الأبواب وارفعوا أصواتكم بالتهليل وإخوانكم المسلمين من حول المدينة كاملون، فتبادر الخمسة إلى الباب القبلي، وهو باب حمص وفتحوه، ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة، وإذا هم بعسكر الزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد، فأجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة، وسمع أهل الرستن أصوات أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعلموا أنهم في قبضتهم، وأن مدينتهم قد أخذت من أيديهم فاستسلموا جميعاً..».



وقال الواقدي:1/230: «ثم دعا بالمرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وضم اليه خمسة آلاف فارس مع جمع من المسلمين ، وسرحه على أثر شرحبيل بن حسنة ، وقال له: إنزل على حصنها(بيت المقدس)وأنت منعزل عن أصحابك».

وقال الواقدي:2/222: «وكانت الصحابة لما فتحت مصر والوجه البحري قد تفرقوا ، فمنهم في الإسكندرية وأمسوس ودمياط ورشيد وبلبيس ، وكان أكثرهم بوسط البحيرة في المكان المعروف بالمنزلة ، مثل القعقاع بن عمرو التميمي ، وهاشم بن المرقال ، وميسرة بن مسروق العبسي ، والمسيب بن نجبة».

أقول: الرستن هو نهر العاصي ، وهذه المدينة التي قال الواقدي إنهم فتحوها بهذه الحيلة ، هي مدينة العاصي قرب حمص ، ولا نعرف وجود مدينة بهذا الاسم هناك ، وأكبر ظني أن القصة من الموضوعات !

وينبغي التنبيه الى أمثال هذه القصة في فتوح العراق والشام ومصر ، والمرجح أنها موضوعة لإثبات بطولة المسلمين وذكر المعجزات التي رافقت الفتوحات ، أو البطولات الخارقة لبعض القادة والفرسان ، وقد يكون الواحد منهم ميثاقاً قبل تلك القصة المدعاة بسنين كضرار بن الأزور ! وقد تتضمن القصة أو الأسطورة خللاً تاريخياً أو جغرافياً واضحاً فاضحاً !

لذلك لا يمكننا قبول معركة الرستن ولا معركة فتح دمشق والقدس ، لأن كل هذه المدن سقطت بهزيمة الروم في اليرموك ، وتوديع هرقل لسوريا ، وانسحابه منها الى القسطنطينية . وكذلك انسحب الروم من مصر فكان فتحها صلحاً بدون قتال . أما معركة ذات الصواري فكانت بعد فتح مصر ببضع عشرة سنة ، وقد وقعت مع الروم وليس مع الأقباط .

والقاعدة العامة لفهم واقع الفتوحات: أن نطلق من الأحداث والمعارك القطعية وهي في العراق غارات المثنى على الحاميات الفارسية والمحلية ، ومعركة بابل والجسر والبويب والقادسية وجلولاء ونهاوند .

وفي فلسطين: معركة أجنادين ومرج الصفر وفحل واليرموك .

20. كان لهاشم المرقال إخوة قادة ، وكان أبناؤه أكثر شبيهاً به وكانوا شيعة مثله ومن إخوته حمزة بن عتبة ، وكان مع علي (عليه السلام) في صفين واستشهد فيها. كما في وقعة صفين/278، وذكر الحاكم نافع بن عتبة: 3/430، وذكر ابن حبان في ثقافته: 3/412، وذكر أن له صحبة ورواية ، وأنه هو الذي استشهد في صفين .

وذكر البخاري في تاريخه الصغير: 2/72، ابنه هاشم بن هاشم ، وذكره ابن حبان في ثقافته: 2/342، والذهبي في سيره: 6/206. وذكر خليفة/185، ابنه إسحاق بن هاشم . وذكر ابن حجر في الإصابة: 3/201، ابنه سليمان ، وفي تقريب التهذيب: 1/229، ابنه حفصاً .

كما ذكروا له ابنين استشهدا معه في صفين ، وأنهما المقصودان بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في رثائه: وابنا هاشم ذي المكارم . لكن في رواية شرح النهج: 8/34: وابنا معبد ذي المكارم .

وذكر له في تاريخ دمشق: 33/347، ثلاثة أولاد ، قال: (عبد الرحمن وعبد الله وعبد الملك، وأمهم أمية بنت عوف.. من الأزد). وذكر الإصابة: 4/601، ابنته درة .

لكن أشهر أبنائه عبد الله ، الذي نص ابن مزاحم وغيره من المؤرخين على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أعطاه الراية في صفين بعد شهادة أبيه فخطب خطبة بليغة سجلها الرواة . واشتهر في أجوبته المفحمة لمعاوية وعمرو بن العاص ، لما قبض عليه بعد صفين . وكان وجيه الشيعة في البصرة .

ففي شرح النهج: 8/32، ومروج الذهب: 3/8، عن أبي عبيد الله المرزباني قال: «إن معاوية لما تم له الأمر بعد وفاة علي (عليه السلام) بعث زياداً على البصرة ونادى منادى معاوية: أمن الأسود والأحمر بأمان الله، إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة!

فمكث معاوية يطلبه أشد الطلب ولا يعرف له خبراً، حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له: أنا أدلك على عبد الله بن هاشم بن عتبة، أكتب إلى زياد فإنه عند فلانة المخزومية! فدعا كاتبه فكتب: من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان، أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حي بني مخزوم ففتشه داراً داراً حتى تأتي إلى دار فلانة المخزومية، فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها، فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده وغل يده إلى عنقه واحمله على قتب بعير بغير وطاء ولا غطاء، وانفذ به إلي... فاقتحم الدار واستخرج عبد الله منها، فأنفذه إلى معاوية، فوصل إليه يوم الجمعة وقد لاقى نصباً كثيراً، ومن الهجير ما غير جسمه، وكان معاوية يأمر بطعام، فيتخذ في كل جمعة لأشراف قريش ولأشراف الشام ووفود العراق.

فلم يشعر معاوية إلا وعبد الله بين يديه وقد ذبل وسههم وجهه فعرفه ولم يعرفه عمرو بن العاص، فقال معاوية: يا أبا عبد الله، أتعرف هذا الفتى؟ قال لا، قال: هذا ابن الذي كان يقول في صفين:

إني شَرَيْتُ النفسَ لما اعتَلَّ \*\*\* وأكثرَ اللومَ وما أقلَّ

أعور يبغي أهله محالاً \*\*\* قد عالج الحياة حتى ملأ

لا بد أن يُفَلَّ أو يُفَلَّ \*\*\* أشلُّهم بذي الكعوب شلا

لا خير عندي في كريمٍ ولَّى

فقال عمرو متمثلاً:

وقد ينبتُ المرعى على دمن الثرى \*\*\* وتبقى حَزازاتُ النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب ، فاشخب أوداجه على أسباجه ، ولا تردّه الى أهل العراق ، فانه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وحزب إبليس ليوم هيجاء ، وأن له هوى سيرديه ، ورأياً سيطغيه ، وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .

فقال عبد الله: يا عمرو إن أُقْتل فرجلاً أسلمه قومه وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ، ونحن ندعوك الى النزال ، وأنت تلوذ بسمال النطاف ، وعقائق الرصاف ، كالأمة السوداء ، والنعجة القوداء ، لا تدفع يد لأمس !

فقال عمرو: أما والله لقد وقعت في لهاذم شذقم للأقران ذي لبد ، ولا أحسبك منفلتاً من مخاليب أمير المؤمنين.

فقال عبد الله: أما والله يا ابن العاص إنك لبطر في الرخاء ، جبان عند اللقاء ، غشوم إذا وليت ، هيابة إذا لقيت ، تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد ، بين مجرى الشول لا يستعجل في المدة ، ولا يرتجى في الشدة ، أفلا كان هذا منك إذا غمرك أقوام لم يعنفوا صغاراً ، ولم يمزقوا كباراً ، لهم أيدي شداد ، وألسنة حداد ، يدعمون العوج ، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزون الذليل ، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزون الذليل!

فقال عمرو: أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه ، وتبق أمعاؤه ، وتضطرب أطلاؤه ، كأنما انطبق عليه صمد .

فقال عبد الله: يا عمرو ، إنا قد بلوناك ومقاتلتك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يسامونك ، ولورمت المنطق في غير أهل

ص: 286

الشام لجحظ إليك عقلك ، ولتلجلج لسانك ، ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حملة . فقال معاوية: إيهأ عنكما ، وأمر باطلاق عبد الله ، فقال عمرو لمعاوية: أمرتُك أمراً حازماً فعصيتني ، وكان من التوفيق قتل ابن هاشم أليس أبوه يا معاوية الذي أعان علياً يوم حزّ الغلاصم فلم ينثني حتى جرت من دماننا بصفين أمثال البحور الخضارم ، وهذا ابنه والمرء يُشبهه شيخه ويوشك أن تفرع به سن نادم ! فقال عبد الله يجيبه:

معاويَ إن المرءَ عمراً أبْتُ له \*\*\* ضغينةُ صدرٍ غشُّها غير نائم

يرى لك قتلي يا ابن هند وإنما \*\*\* يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم

على أنهم لا يقتلون أسيرهم \*\*\* إذا منعت عنه عهدُ المسالم

وقد كان منا يوم صيِّقن نفرةً \*\*\* عليك جناها هاشم وابن هاشم

قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى \*\*\* ولا ما جرى إلا كأضغاث حالم

فإن تغفُ عني تغفُ عن ذي قرابةٍ \*\*\* وإن ترَ قتلي تستحل محارمي

فقال معاوية:

أرى العفو عن عليا قریش وسيلة \*\*\* إلى الله في يوم العصيب القماطر

ولست أرى قتلي الغداة ابن هاشم \*\*\* بإدراك ثأري في لؤي وعامر

بل العفو عنه بعدما بان جُرْمُه \*\*\* وزلت به إحدى الحدود العوائر

فكان أبوه يوم صفين جمرةً \*\*\* علينا فأردته رماح نهابر .»

أقول: كان معاوية يتحالم ، لأنه لا يريد أن يفتح معركة مع بني زهرة ، فيكون لهم ثأر عنده بقتل ابن المرقال . أما عمرو العاص فلا يعرف الحلم ولا التحالم .

1. نشأ سلمان في أصفهان على المجوسية ، ثم أعجبته المسيحية فهاجر إلى الشام، وعاش مع كبير علماء النصارى ، ثم ذهب إلى العراق ، ثم إلى تركيا ، حيث كان كبير علمائهم ، فأخبره بأنه سيظهر نبي في بلاد العرب ، فجاء سلمان إلى أرض العرب ينتظر ظهوره ، فوجد جماعة من اليهود ينتظرونه أيضاً.

ففي كمال الدين/161، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «كان بين عيسى وبين محمد (صلى الله عليه وآله) خمس مائة عام ، منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر . قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى (عليه السلام) . قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا مؤمنين . ثم قال: ولا تكون الأرض إلا وفيها عالم. وكان ممن ضرب في الأرض لطلب الحجة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فلم يزل ينتقل من عالم إلى عالم ومن فقيه إلى فقيه ، ويبحث عن الأسرار ويستدل بالأخبار ، منتظراً لقيام القائم سيد الأولين والآخرين محمد (صلى الله عليه وآله) أربع مائة سنة، حتى بشر بولادته فلما أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فسبى . « أي أخذ على أنه عبد وباعوه .

ووجد سلمان في المدينة امرأة فارسية جاءت قبله تنتظر النبي الموعود (صلى الله عليه وآله) ! «قال سلمان: لما قدمت المدينة رأيت امرأة إصبهانية كانت قد أسلمت قبلي ، فسألتها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهي التي دلّني على رسول الله». (طبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان: 1/123 ، والإصابة لابن حجر: 8/29 ، وأخبار إصبهان: 1/44).

وفي إعلام الوري:1/60: «وكان آخر من أتى أبي ، فمكث عنده ما شاء الله ، فلما

ظهر النبي (صلى الله عليه وآله) قال آبي: يا سلمان إن صاحبك الذي تطلبه بمكة قد ظهر ، فتوجه إليه سلمان .». أي آخر عالم نصراني عاش معه سلمان إسمه آبي .

وقال له الراهب: «أي بني والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه . ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم ، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل . وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه . فلما واريناه أقمت على خير حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب ، فقلت لهم: تحملوني معكم حتى تقدموني أرض العرب وأعطيكم غنمي هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم ، فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادي القرى .».

ثم باعه مالكة إلى بني قريظة في المدينة ، وبقي نحو سنتين حتى هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) : «فوالله إني لفي رأس عذق إذ جاء ابن عم له فقال: قاتل الله بني قَيْدَةَ، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي! فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء يقول الرعدة حتى ظننت لأسقطن على صاحبي ، ونزلت أقول: ما هذا الخبر وما هو؟ فرفع مولاي فلكنني لكمة شديدة وقال: ما لك ولهذا، أقبل قبل عملك! فقلت: لاشئ، إنما سمعت خبراً وأحببت أعلمه فلما أمسيت وكان عندي شئ من طعام فحملته وذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بقبا فقلت: إنه بلغني أنك رجل صالح وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شئ للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به فيها هو هذا فكل منه، فأمسك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده وقال لأصحابه: كلوا ولم يأكل ، فقلت في نفسي: هذه

خلة مما وصف لي صاحبي.. فاستدرت لأنظر إلى الخاتم في ظهره فلما رأني رسول الله (صلى الله عليه وآله) استدير عرف أنني أستثبت من شيء قد وصف لي ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي ، فأكبت عليه أقبلة وأبكي ! فقال: تحول يا سلمان هاكني، فتحولت فجلست بين يديه، وأحب أن يسمع أصحابه حديثي فحدثته». (سيرة ابن إسحاق: 2/68 وأحمد: 5/443) .

وقال سلمان: « فكنت أسقي كما يسقي البعير ، حتى دبر ظهري وصدري (جرح) من ذلك ، ولا أجد أحداً يفقه كلامي ، حتى جاءت عجوز فارسية تستقي فكلمتها ففهمت كلامي ، فقلت لها: أين هذا الرجل الذي خرج دليني عليه؟ قالت: سيمر بك بكرةً إذا صلى الصبح ». ( أخبار أصبهان: 1/76 ) .

2. كان سلمان رضي الله عنه في أعلى درجات الإيمان ، بعد المعصومين (عليهم السلام) ، ففي النخصال /447، عن عبد العزيز القراطيسي قال: « قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : يا عبد العزيز، إن الإيمان عشر درجات ، بمنزلة السلم ، يُصعد منه مِرْقَاةً بعد مِرْقَاةً ، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الاثنتين لست على شيء . حتى تنتهي إلى العاشرة . ولا تسقط من هو دونك فيسقطك الذي هو فوقك . وإذا رأيت من هو أسفل منك فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره ، فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره . وكان المقداد في الثامنة ، وأبو ذر في التاسعة ، وسلمان في العاشرة » .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : « أدرك سلمان العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحرٌ لا يُنزع، وهو منا أهل البيت.. وكان عنده الإسم الأعظم ». (الكشي: 1/52 و56).



وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «كان سلمان مُحدِّثاً. قال قلت: فما آية المحدث؟ قال: يأتيه مَلَكٌ فينكت في قلبه كيت وكيت». (بصائر الدرجات/342).

3. لم يرو المسلمون لأحد بعد النبي (صلى الله عليه وآله) من المعجزات والكرامات ، كما رووا لأهل البيت المعصومين (عليهم السلام) . ولم يرووا لأحد من الصحابة معجزات وكرامات كما رووا لسلمان الفارسي رضوان الله عليه . فشخصيته شبيهةً بشخصيات الأنبياء (عليهم السلام) في علمه ، ومنطقه ، وسيرته ، وبقية ملامح شخصيته .

فقد أعده الله تعالى من شبابه ونشأته ليكون من آيات رسوله (صلى الله عليه وآله) ، وعاش عمراً طويلاً ، ليكون شاهداً على وراثة النبي (صلى الله عليه وآله) لعيسى المسيح (عليه السلام) ورسالته .

وأعطاه من العلم والأسرار ما يعجز عن حمله أكثر الناس . ومن العقلانية والحكمة والصبر ما جعل النبي (صلى الله عليه وآله) يشترط على أبي ذر عندما آخى بينهما ، أن يطيعه ولا يعصيه ، وكان حذيفة وأمثاله تلاميذ بين يديه !

وأعطاه من قوة الإرادة والأعصاب أنه كان يحمل الإسم الأعظم ، فلا تردُّ له دعوة ، لكنه لا يدعو لأغراضه الشخصية ، بل لتبليغ الدين وهداية الناس !

وجعل معه ملكاً يحدثه ويوجهه كيف يتصرف ، فيقول له: إعمل كذا ، ولا تعمل كذا ، وقل كذا ، أو لا تقل ! وجعل الملائكة يسمعون كلامه ويطيعونه !

ففي أمالي الطوسي/128: «مرض رجل من أصحاب سلمان فافتقده فقال: أين صاحبكم؟ فقالوا: مريض. قال: إمشوا بنا نعوده فقاموا معه ، فلما دخلوا على الرجل إذا هو يجود بنفسه ، فقال سلمان: يا ملك الموت إرفق بولي الله . قال ملك

الموت بكلام يسمعه من حضر: يا أبا عبد الله ، إنني أرفق بالمؤمنين ، ولو ظهرت لأحد لظهرت لك !

وقد تبلغ كرامات سلمان ومعجزاته رضي الله عنه مئة معجزة ، من إخباره بغييب ، الى رده السهام بقراءة آية عندما كان يفاوض الرماة من أبراج قصر كسرى ، الى تكليمه الطباء ومجيئها اليه طائفة ، الى تسخير الكلاب لحراسة المدائن ودفن السراق .. الخ.

4. كان سلمان أبيض اللون ، بهيَّ الطلعة والشبية ، قويَّ البنية ، عاش طويلاً ، وروي أنه عاش نحو 500 سنة ، وأدرك حواربيي المسيح (عليه السلام) ، وقيل 360 سنة ، وأقل قول في عمره 250 سنة . وروي أنه إسمه روز به (الواقدي: 2/204) أي النهار الحسن ، وفي ذكر أخبار إصبهان: 1/48 ، إسمه ماهويه بن بدخشان بن آذرجشنس ، من ولد منوشهر الملك . وقد آمن بالنبى (صلى الله عليه و آله) عند هجرته ، واشتراه النبي (صلى الله عليه و آله) من مالكة وأعتقه ، فهو مولى رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

ففي مسند أحمد: 5/354: (وكان لليهود فاشتراه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بكذا وكذا درهماً ، على أن يغرس نخلاً فيعمل سلمان فيها حتى تطعم . قال: فغرس رسول الله (صلى الله عليه و آله) النخل إلا نخلة واحدة غرسها عمر ، فحملت النخل من عامها ولم تحمل النخلة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : ما شأن هذه؟ قال عمر: أنا غرستها يا رسول الله . قال فنزعها رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم غرسها فحملت من عامها » .

واكتمل تحرير سلمان رضي الله عنه بعد حرب أحد ، فشهد حروب النبي (صلى الله عليه و آله) بعدها ، وكان من خواص أصحابه وحوارييه .

5. كان سلمان يعمل في حفر الخندق بقدر عشرة رجال فأصابوه بالعين فعالجه النبي (صلى الله عليه وآله) ! ففي الإمتاع (1/226) وسبيل الهدى (4/365): «وجعل لسلمان خمس أذرع طولاً وخمساً في الأرض ففرغها وحده ، وهو يقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.. وكان سلمان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه قيس بن أبي صعصعة ، فلبط به (أصابه بالعين فصرع) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : مروه فليتوضأ له وليغتسل به سلمان ، وليكفئ الإناء خلفه ، ففعل فكأنما حلّ من عقال».

ولبط به الأرض: «صرع من عين أو حمى أو أمر يغشاه شبه مفاجأة». (العين: 7/431).

ومروه فليتوضأ له: أي يغسل الذي أصابه بالعين يديه في طشت أو إناء ، فيصبه سلمان على بدنه ، ويلقي ما بقي منه خلفه . ففعلوا ذلك فصح سلمان ونهض .

وروى البيهقي بمعناه (9/351) أن عامر بن ربيعة مرّ على سهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة (أي لا تصل الى جماله الجارية المخدرة)!

فما لبث أن لبط به، فأتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقيل له: أدرك سهلاً صريعاً، فقال: من تتهمون به؟ قالوا عامر بن ربيعة، فقال على م يقتل أحدكم أخاه! إذا رأى ما يعجبه فليدع بالبركة . وأمره أن يتوضأ ويغسل وجهه ويديه إلى مرفقيه وركبتيه وداخله إزاره ، ويصب الماء عليه . قال معمر قال الزهري: ويكفئ الإناء من خلفه).

وفي المناقب: 1/75: «وكان الناس يحفرون الخندق وينشدون ، سوى سلمان، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : اللهم أطلق لسان سلمان ولو على بيتين من الشعر، فأنشأ سلمان:

مالي لسانٌ فأقول شعراً \*\*\* أسأل ربي قوةً ونصراً

على عدوي وعدو الطهرا \*\*\* محمد المختار حاز الفخرا

حتى أنال في الجنان قصرًا \*\*\* مع كل حوراء تحاكي البدرا

فضج المسلمون وجعلت كل قبيلة تقول: سلمان منا، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): سلمان منا أهل البيت).

6. اشتهر تشيع سلمان رضي الله عنه بمواقفه واحتجاجه عند وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد رويت عنه أحاديث كثيرة احتج بها على أهل السقيفة، واستنكر إقصاءهم لعلي (عليه السلام) وبيعتهم لأبي بكر، وقال: كرديد ونكرديد، حق علي را برديد! أي فعلتم وما فعلتم، حق علي (عليه السلام) غصبتهم!

وقال: «أما والله لقد فعلتم فعلةً أطمعتم فيها الطلقاء ولعناء رسول الله (صلى الله عليه وآله)! ولو بايعتم علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم».

قال ابن عمر: فلما سمعت سلمان يقول ذلك أبغضته وقلت: لم يقل هذا إلا بغضاً منه لأبي بكر. فأبقاني الله حتى رأيت مروان بن الحكم يخطب علي منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت: رحم الله أبا عبد الله، لقد قال ما قال بعلم كان عنده».

(أنساب الأشراف للبلاذري: 1/591، والثاقب في المناقب/129، والإيضاح/457).

وفي الإحتجاج: 1/151، عن الإمام الصادق (عليه السلام): «خطب سلمان الفارسي بعد أن دفن النبي (صلى الله عليه وآله) بثلاثة أيام فقال: ألا- يا أيها الناس: إسمعوا عني حديثي ثم اعقلوه عني، ألا- وإني أوتيت علماً كثيراً، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) لقاتل طائفة منكم هو مجنون، وقالت طائفة أخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان! ألا إن لكم منايا تتبعها بلايا، ألا وإن عند علي (عليه السلام) علم المنايا والبلايا وميراث الوصايا، وفصل الخطاب، وأصل الأنساب، على منهج هارون بن عمران من موسى إذ يقول له رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنت وصيي في

أهل بيتي وخليفتي في أمتي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى !

ولكنكم أخذتم سنة بني إسرائيل، فأخطأتم الحق ، فأنتم تعلمون ولا تعلمون! أما والله لتركبن طبقاً عن طبق ، حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة !

أما والذي نفس سلمان بيده لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أقدامكم ، ولو دعوتهم الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتهم الحيتان من البحار لأتتكم ، ولما عال ولي الله ، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله .

ولكن أيتهم فوليتموها غيره ، فأبشروا بالبلايا ، واقنطوا من الرخاء ، وقد نابذتكم على سواء ، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاة !

عليكم بآل محمد فإنهم القادة إلى الجنة ، والدعاة إليها يوم القيامة .

عليكم بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ، فوالله لقد سلمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مراراً جمّة مع نبينا ، كل ذلك يأمرنا به ويؤكدنا علينا ! فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه ، وقد حسد هاييل قابيل فقتله ! وكفاراً قد ارتدت أمة موسى بن عمران ، فأمر هذه الأمة كأمر بني إسرائيل ، فأين يذهب بكم !

أيها الناس: ويحكم ما لنا وأبو فلان وفلان؟! أجهلتم أم تجاهلتم؟ أم حسدتم أم تحاسدتم؟ والله لترتدن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة ، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة !

ألا وإني أظهرت أمري وسلمت لنبيي (صلى الله عليه وآله) ، واتبعت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علياً أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وقائد الغر المحجلين ، وإمام الصديقين ، والشهداء والصالحين .»

أقول: ركز سلمان في احتجاجة على أهل السقيفة على علم علي (عليه السلام) ، وأن الذين يريدون عزله ليس عندهم علم الكتاب ولا علوم رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ثم ركز على الرخاء والرفاهية والنتائج المادية التي سيحققونها لو ولوا علياً (عليه السلام) .

7. شهد سلمان رضي الله عنه جميع حروب النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أن تحرر من العبودية ثم شارك في فتوحات العراق وإيران والشام ومصر ، وكان في فتح العراق وإيران داعية المسلمين ورائدهم ، أي المفاوض عنهم ، وكان وجوده مؤثراً في إقناع بعض قادة الفرس بالتسليم وعدم الحرب ، وإقناع بعضهم بالإسلام .

قال الطبري في تاريخه: 3/9: «بعث عمر الأظبة ، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور ، وجعل إليه الأقباض وقسمة الفئ ، وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي » .

وفي تاريخ الطبري: 3/124: «عن عطية بن الحارث وعطاء بن السائب ، عن أبي البخترى قال: كان رائد المسلمين سلمان الفارسي ، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس . قال عطية: وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بهر سير . وأمره يوم القصر الأبيض فدعاهم ثلاثاً . قال عطية وعطاء: وكان دعاؤه إياهم أن يقول: إني منكم في الأصل ، وأنا أرقُّ لكم ، ولكم في ثلاث أدعوكم إليها ، ما يصلحكم: أن تسلموا ، فإخواننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإلا فالجزية ، وإلا نأبذناكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين . قال عطية: فلما كان اليوم الثالث في بهر سير أبوا أن يجيبوا إلى شيء ، فقاتلهم المسلمون حين أبوا . ولما كان

اليوم الثالث في المدائن، قبل أهل القصر الأبيض وخرجوا، ونزل سعد القصر الأبيض، واتخذ الإيوان مصلى، وإن فيه لتمثيل جص فما حركها».

وفي سنن الترمذي: 3/52، وذكر أخبار إصبهان: 1/55: «عن أبي البخترى: أن جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي، فحاصروا قصرًا من قصور فارس فقليل: يا أبا عبد الله ألا تهتد إليهم؟ قال: دعوني أدعوهم كما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوهم. قال: فاتاهم سلمان فقال لهم: إنما أنا رجل منكم فارسي ترون العرب تطيعني، فإن أسلمتم فلکم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه، وأعطيتمونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وأنتم غير محمودين. وإن أبيتم نابذناكم على سواء. قال: فرطن لهم بالفارسية. رواه زائدة عن عطاء فيه فقالوا: وما الجزية قال: درم وخاكت بسر».

ومعناه: أن تعطي المال وأنت ذليل. وهذا يدل على أن سلمان كان قائداً في الفتح، مضافاً إلى أنه داعية المسلمين ورائدهم. ونستطيع أن نقدر له أدواراً غير معلنة، ونرجح أن يكون ساعد في إقناع الفرس بعدم المقاومة، وفي دخول شخصيات منهم في الإسلام، وربما كان منهم الهرمزان الذي هو خال شيرويه ابن كسرى، وكان حاكم الأهواز وقائداً في معركة القادسية وغيرها، ثم استأسر للمسلمين في معركة تستر، وأخذه عمار بن ياسر إلى المدينة، وأمنه عمر، وأسلم على يد علي فصار مولى علي (عليه السلام).

8. أتقن سلمان العربية فكان يتكلم بها وقد ينظم الشعر، لكن بقيت عنده لُكْنَةٌ فارسية، ولذلك كان يقدم أحد الصحابة الفصحاء ليخطب الجمعة ويصلي

بالناس ، ففي طبقات ابن سعد: 6/124، عن أبي قدامة: «أنه كان في جيش عليهم سلمان الفارسي ، فكان يؤمهم زيد بن صوحان ، يأمره بذلك سلمان».

وفي مصنف ابن أبي شيبة: 8/17: «كان سلمان أمير المدائن ، فإذا كان يوم الجمعة قال لزيد: قم فذكر قومك».

أقول: هذا من فقه سلمان رضي الله عنه وتقواه ، فهو يقدم من هو أفصح منه ، للخطبة والصلاة . وفي قوله لزيد: ذكر قومك ، إلفاتٌ الى حسن كون القارئ والخطيب من نفس القوم الذين يذكركم ، كما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ، وقال تعالى: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ .

لكن سلمان رضي الله عنه كان يعرف دقائق القرآن وأحكامه أفضل من زيد .

ففي مصنف ابن أبي شيبة: 7/152: «عن خليلد العصري قال: لما قدم علينا سلمان أتيناها ليستقرئنا القرآن فقال: القرآن عربي فاستقرؤوه رجلاً عربياً ، فاستقرأنا زيد بن صوحان ، فكان إذا أخطأ أخذ عليه سلمان ، فإذا أصاب قال: أيم الله».

وفي تاريخ دمشق: 19/439: «كان يقرؤنا زيد بن صوحان ، ويأخذ عليه سلمان ، فإذا أخطأ رد عليه سلمان . هذا لفظ المحاملي ، وقال الجروي: فإذا أخطأ غير علة ، فإذا أصاب قال: إي والله».

أقول: خُليلد بن حسان العصري ، من كبار التابعين ، وهو شيخ قتادة المفسر ، وبنو عصر بطن من عبد القيس ، وكان خليلد في البصرة وسكن بخارى (تاريخ دمشق: 47/104، وتاريخ الذهبي: 10/168) فمعنى قوله: لما قدم علينا سلمان ، أي الى البصرة . ولعل ذلك في فتح الأهواز ، لما استأسر الهرمزان ، وفتحت تستر .



9. ورووا «أن قوماً من الفرس سألوه أن يكتب لهم شيئاً من القرآن، فكتب لهم فاتحة الكتاب بالفارسية». (مجموع النووي: 3/380، ومناهل العرفان: 2/115).

ولعله ترجم لهم كل القرآن، أو قسماً منه، فهو أول مترجم للقرآن الى غير العربية، ولا بد أن يكون لذلك تأثير كبير في إقبال الفرس على الإسلام.

وروى ابن سعد (4/84) أن سلمان رضي الله عنه سكن الكوفة في زمن عمر، وكانت الكوفة مقصد الفرس الذين يريدون أن يتعلموا الإسلام.

10. أخفى رواة السلطة دور سلمان في الفتوحات والمفاوضات مع الفرس! وتتعجب عندما تقرأ في معركة القادسية وفتح المدائن وغيرها أن الملك يزيدجرد أو رستم طلبوا من المسلمين أن يرسلوا لهم ممثلاً ليتفاوض معه، فأرسلوا المغيرة بن شعبة، أو وفداً من فلان وفلان وبعضهم حديثوا الإسلام، ووصفوا لباسهم وذهابهم وحديثهم مع يزيدجرد ورستم، ورجوعهم، ولم يذكروا سلمان مع أنه كان «رائد المسلمين وداعيتهم» الرسمي بمرسوم الخليفة عمر، وقد تقدمت رواية وفدهم في معركة القادسية!

وغاية ما ذكره أن قالوا: «كان رائد المسلمين سلمان الفارسي، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس. وقد كانوا أمره بدعاء أهل بهرسير. وأمره يوم القصر الأبيض فدعاهم ثلاثاً». (الطبري: 3/124).

قال الطبري (3/121): «فانتهينا إلى القصر الأبيض وفيه قوم قد تحصنوا، فأشرف بعضهم فكلّمنا، فدعوناهم وعرضنا عليهم فقلنا: ثلاث تختارون منهن

أيتهن شتتم. قالوا: وما هن؟ قلنا: الإسلام فإن أسلمتم فلکم ما لنا وعليکم ما علينا. وإن أبيتتم فالجزية ، وإن أبيتتم فمناجزتکم حتى يحکم الله بيننا وبينکم.

فأجابنا مجيبهم: لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ولكن الوسطى.. عن عطية بمثله قال: والسفير سلمان».

لاحظ أن الرواية ذكرت مفاوضة المسلمين مع حامية قصر كسرى ، ولم تذكر سلمان الفارسي ، بينما ذكرته رواية عطية ، وهذا يدل على سياسة الحكومات في كتابة الفتوحات ، وتعمدهم طمس دور سلمان وأمثاله من شيعة علي (عليه السلام) !

11. ورووا معجزة لسعد بن أبي وقاص وسلمان رضي الله عنه في فتح المدائن ، وذلك لما حاصروها ، وكان نهر دجلة يفصلهم عنها ، فقالوا إن سعداً أمر الناس بالعبور وكان معه سلمان ، فعبرت خيولهم الماء .

قال الطبري: 3/121: «فلما استنوا على الفراض هم وجميع كتبية الأهوال (كتبية عمرو بن معديكرب) بأسرهم، أقحم سعد الناس ، وكان الذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسي، فعامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ، وليهزم من الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغياً أو ذنوب تغلب الحسنات. فقال له سلمان: الإسلام جديد ، ذُلَّلت لهم والله البحور كما ذُلَّلت لهم البر . أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً. فطبقتوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطئ ، ولهم فيه أكثر حديثاً منهم في البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحد».

أقول: دلت روايات فتح المدائن على أنه لم تقع معركة فيه إلا مع كتيبة كسرى الخاصة التي كانت في موقع يدعى «مظلم ساباط» قبل المدائن ، فخرج قائدها وطلب المبارزة ، فبرز له هاشم المرقال رضي الله عنه وقتله ، فانهزمت الكتيبة ، وتقدم المسلمون نحو المدينة الرومية ، ثم الى قصر كسرى في المدائن .

وروي أن بعض فرسان المسلمين كحجر بن عدي رضي الله عنه ، عبر بفرسه: «فتقدم حجر وقرأ: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا- وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ. وأقحم فرسه وهو يقول: باسم الله ، فعبر وعبر المسلمون على أثره ! فلما رأهم العدو قالوا: ديوان ديوان (جمع ديو: الغول) يعني شياطين شياطين ! فهربوا فدخلنا عسكرهم». (تفسير ابن كثير: 1/419) .

وروي أن عامر بن مالك الأشعري (تاريخ قم/268، وأسد الغابة: 4/282) أول من عبر بفرسه نهر دجلة الى المدائن ، وقال في ذلك مرتجزاً:

إمضوا على البحر إن البحر مأمور \*\*\* والأول القاطع منكم ماجور

قد خاب كسرى وأبوه سابور \*\*\* ما تصنعون والحديث مأثور

وروا أن شخصاً دلاً المسلمين على معبر ، فعبروا منه . فأين معجزة سعد ؟ كما روا أن سعد بن أبي وقاص لم يكن في الجيش الذي توجه الى المدائن ، بل كان بقيادة خالد بن عرفطة ، وهاشم المرقال .

قال البلاذري(2/323): «وجه سعد بن أبي وقاص خالد بن عرفطة على مقدمته ، فلم يرد سعد حتى فتح خالد ساباط . ثم قدم فأقام على الرومية حتى صالح أهلها على أن يجلو من أحب منهم ويقيم من أقام على الطاعة والمناصحة ، وأداء

الخراج ، ودلالة المسلمين ، ولا ينظوا لهم على غش . ولم يجد معابر فدُلَّ على مخاضة عند قرية الصيادين فأخاضوها الخيل ، فجعل الفرس يرمونهم فسلموا غير رجل من طيى يقال له سليل بن يزيد بن مالك السنبسي ، لم يصب يومئذ غيره .

ورواية البلاذري هذه مقدمة على رواية الطبري التي تقول إن سعداً أمرهم بالعبور بدوابهم وأثقالهم فعبروا سالمين . لأنها تريد إثبات معجزة لسعد ، وقد استعانت بسلمان رضي الله عنه لأجل تصديقها .

كما أنها لاتنافي رواية البلاذري بعبور بعضهم سباحة بخيولهم ، كحجر بن عدي وعامر بن مالك . وشاهدنا حضور سلمان رضي الله عنه في فتح المدائن، حضوراً مميزاً.

12. رووا نموذجاً من عمل سلمان ، وأنه أقنع كتيبة المرازبة باعتراف الإسلام ! قال الواقدي في فتوح الشام: 2/204: «خرجنا بعد فتح القصر الأبيض وكان قد تحصن به رجال من المرازبة ، وكانوا أشد جلدأً وأقوى عزيمة من جميع الفرس ، وتحالفوا أنهم لا يسملون أبداً ، والذين حصلوا وتولوا حصارهم كتيبة الأهوال وهي كتيبة القعقاع ، فلما رأينا عزمهم على الموت بُعِدْنَا عن نَشَابِهِمْ وحجارة مجانيقهم ، وطال علينا ذلك وشكونا ذلك إلى سعد وقلنا له: قد حرمتنا الجهاد بحصارنا لهؤلاء الأعلاج . فقال سعد لسلمان: تقدم إليهم ودبر شيئاً فيه مصلحة المسلمين وأمنهم. فتقدم إليهم سلمان رضي الله عنه وكلمهم بالفارسية فأمسكوا عن رميه وقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا رسول من المسلمين ، إعلموا أن الرجل يقاتل عن نفسه وماله وولده إذا رجا الخلاص ، وما أرى لكم من خلاص قط

وهذا الملك قد انهزم وأخذنا مملكته وخزائنه ، وما بقي في المدائن أحد غيركم فاتقوا الله في أنفسكم ولا تهلكوها ، وسلموا لنا هذا الحصن ، ولكم الأمان إلى أي جهة توجهتم ، لا يعارضكم منا أحد .

قال: فلما سمعوا قوله قالوا: لا نسلم حتى نهلك عن آخرنا ، ثم رموا سلمان بالنشاب فقراً: وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ، وأشار إلى النشاب بيده فذهبت السهام يميناً وشمالاً ولم يصبه منها شيء! قال: فلما رأوا ذلك قالوا: زنهار (إنتبه وأمسك) فبحق ما تشير اليه من أنت؟ قال: أنا روزبه ، وقد عمرت أربع مائة سنة ولحقت آخر أيام عيسى بن مريم ، وطففت الأرض حتى لحقت بنبي هذه الأمة ، فلما أتيت أكرمني وخدمته ، فعظمني حتى أنه جعلني من أهل بيته فقال: سلمان منا أهل البيت . فلما سمعوا قوله وحققوا معرفته ، علموا أنه كان من عظماء أهل دينهم ، قال: فصقعوا له ، وقالوا: والله ما نخفي عليك شيئاً من أمرنا ، وسبب قتالنا ليس بسبب مال ولا متاع ، وإنما الملك قد مضى يريد نهاوند ، ولم يقدر على أخذ ابنته معه ، وهي مريضة ، وقد سلمها إلينا ، فلزمنا من أمرها ما لزم. فإن كنتم تعطون الأمان عليها سلمنا لكم ، وإلا نموت يداً واحدة!

فلما سمع سلمان منهم ذلك قال: دعوا هذا الأمر حتى أشاور الأمير ، ثم عاد وحدث سعداً بما سمعه فقال: يا أبا عبد الله إن المسلمين قد انتشروا في العراق ونخاف أن يقع بهم أحد فلا يبقى عليهم . ولكن قل لهم: لكم علينا أن نذب عنكم وتكونوا في ذمامنا حتى تجاوزوا أي جهة تريدونها ، وبعد ذلك لا نضمن

لهم ما يأتي عليهم . قال: فحدثهم سلمان بما قاله الأمير ، فقال العقلاء منهم: لولا أن العرب على حق ما نصرنا علينا ، ومن الرأي أن نرجع إلى دين هؤلاء العرب ونعيش في ظلهم ، وإن القوم لا يريدون ملكاً ، وقد رأيتم هذا الرجل وما ظهر لكم من كرامته .

قال: ففتحوا باب السر وخرجوا إلى العسكر ، وأتوا إلى سلمان فأتى بهم إلى سعد ، وأسلموا على يديه . فلما جرى ذلك بكى سعد وقال: اللهم انصر الإسلام ، وقرأ قوله تعالى: **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** .

وبعث إلى صاحب الأقباض فأخذ جميع ما في القصر الأبيض من الأموال وخزانة الملك ، فلما قسم الغنائم على المسلمين ، أعطى أولئك أوفى نصيب ، وأنزلهم منازل كسرى ، وسائر دور المدائن .»

أقول: تلاحظ أن رواية الواقدي عن المتحصنين في القصر ، هي نفس رواية الطبري التي طمسوا فيها دور سلمان رضي الله عنه . وأن سلمان بإيمانه حوّل هؤلاء المرازبة (كتيبة حراس الحدود) وهم من كبار الموظفين ، من أعداء مقاتلين إلى مسلمين مؤمنين .

أما حضور سعد يومها فقد يكون صحيحاً لأن حصارهم للمدائن طال شهوراً ، وقد يكون سعد حضر في آخر الحصار .

13. جمعوا أموال قصور كسرى وبيوت المدائن، وجعلوها بيد سلمان الفارسي ، ففي تاريخ الطبري: 3/125: «وكل بالأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن ، وأمره بجمع ما في القصر والإيوان والدور وإحصاء ما يأتيه به الطلب ، وقد كان أهل المدائن تناهبوا عند الهزيمة غارة ، ثم طاروا في كل وجه فما أفلت أحد منهم

بشيء لم يكن في عسكر مهراڤ بالنهروان ولا بخيط ، ألع عليهم الطلب فتنقذوا ما في أيديهم ورجعوا بما أصابوا من الأقباض فضموه إلى ما قد جمع ، وكان أول شيء جمع يومئذ ما في القصر الأبيض ، ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن».

وفي الإصابة:3/192: «عن غلام لسلمان يقال له سويد وأثنى عليه خيراً ، قال: لما فتحت المدائن أصبت سلة ، فقال سلمان: هل عندك شيء؟ قلت: سلة ، قال: هاتها فإن كان طعاماً أكلناه ، أو مالاً رفعناه إلى هؤلاء . قال: ففتحناها فإذا أرغفة حوارى وجبنة ، فكان أول ما رأته العرب الحوارى».

وقد تقدم في ترجمة هاشم أن سعداً بقي في المدائن ، ولم يذهب الى جلولاء إلا بعد أن هجاه المسلمون ، ومنهم ابراهيم بن المثنى بن حارثة ، فذهب على مضض ، ثم رجع من هناك ، ولم يذهب مع جيشه الى حلوان!

14. وصار الفارسي المشرد حاكماً لعاصمة كسرى ، ونموذجاً للحاكم المسلم قال ابن الأعمش:1/220: «كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يولي سلمان الفارسي المدائن وما والاها ، ويرجع هو إلى الكوفة».

وروى في تاريخ دمشق:21/435 ، أنه كتب الى عمر يعتذر عن تولي المدائن فلم يقبل منه ، فقد قال لمن سأله لماذا قبلت الولاية: «إن عمر أكرهني ، فكتبت إليه فأبى مرتين ، وكتبت إليه فأوعدني»!

واستقبله الناس ومهدوا له قصر الإمارة ، فقال: إستأجروا لي حانوتاً في السوق أحكم بين الناس، فاستمر على هذا الحال حتى فاضت دجلة وخربت أكثر المنازل». (نفس الرحمن في فضائل سلمان/551).

وفي تاريخ دمشق:21/436: «قال حذيفة لسلمان: ألا نبني لك مسكناً يا أبا عبد الله؟ قال: لم تجعلني مَلِكاً، أو تجعل لي بيتاً مثل دارك التي بالمدائن؟ قال: لا، ولكن نبني لك بيتاً من قصب ونسقفه بالبردي، إذا قمت كاد أن يصيب رأسك وإذا نمت كاد أن يمس طرفيك! قال: فكأنك كنت في نفسي!»!

وفي الطبقات: 4/90: «كان سلمان يقول لنفسه: سلمان بمير . يقول: مُت!»!

وكان لا يأكل إلا من عمل يده، فكان يتصدق براتبه أو عطائه، وكان أربعة آلاف درهم في السنة (البلاذري:3/559) أو ستة آلاف درهم (ابن أبي شيبه:7/616).

ويصنع من الخوص حصراً وزنايل، ويقول: «أشترى خوصاً بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهماً فيه، وأنفق درهماً على عيالي، وأتصدق بدرهم. ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت». (الطبقات:4/89).

و«كان إذا سَجَدَ له العجم طأطأ رأسه وقال: خشعت لله». (الطبقات:4/88).

وكان لا يميز عن فقراء المسلمين بلباسه، وقد حسبه بعضهم فقيراً أو حمالاً ففي الطبقات:4/88: «كان سلمان أميراً على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم الله، معه حمل تينٍ وعلى سلمان أندرورد (سروال) وعباءة، فقال لسلمان: تعال إحمل، وهو لا يعرف سلمان، فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير! قال: لم أعرفك..!»!



وعن شيخ من بني عبس: «أتيت السوق فاشترت علفاً بدرهم ، فرأيت سلمان ولا أعرفه فسخرته فحملت عليه العلف ، فمر بقوم فقالوا: نحمل عنك يا أبا عبد الله . فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سلمان صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) . فقلت: لم أعرفك ضعه عافاك الله ، فأبى حتى أتى منزلي ، فقال: قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك» .

وقيل له: «مايكرهك الإمارة؟ قال: حلاوة رضاعها ، ومرارة فطامها» . (الطبقات: 4/88) . أي أكره الإمارة لمرارة عاقبتها ، وحساب الإنسان عليها .

وروي أن سراق المدائن استهانوا به ، فسلط عليهم الكلاب ! « لما أرسل سلمان إلى المدائن والياً على أهلها جلس في مسج ، وجعل يسف الخوص بيده لأجل قوته فلما علم به الرعية إن مثل هذا حاكم عليهم ، لم يعبؤوا به ، وكثرت السرقة والفساد فيهم ، فخرج من المسجد فرأى كلباً فأومى إليه فجاء الكلب فتكلم معه ، فرجع الكلب مسرعاً وصعد على مرتفع وعوى بصوت مرتفع ، فاجتمعت عليه كلاب البلاد فسارّها ، ثم تفرقت في البلاد ، ثم إن سلمان أرسل رجلاً ينادي في البلاد: من خرج بعد ساعة كذا من الليل فإنه يقتل ، فخرجت اللصوص ولم يبالوا بأمر حاكمهم ، فمزقتهم الكلاب ، ولم تبق منهم أحداً» . (نفس الرحمن في فضائل سلمان/358) .

15 . واختار سلمان مكان الكوفة منزلاً ومصرّاً للمسلمين ، بما عنده من علم فقد ذكرت بعض مصادر الحكومات أن الذي اختار مكان الكوفة للمسلمين

سعد بن أبي وقاص أو عمر ، والصحيح أن الذي اختارها سلمان رضي الله عنه بما عنده من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتوجيهات أمير المؤمنين (عليه السلام) .

فقد روى الكشي (1/73) عن المسيب بن نجبة الفزاري قال: «لما أتانا سلمان الفارسي قادمًا تلقيته فيمن تلقاه ، فسار حتى انتهى إلى كربلاء فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: كربلاء ، فقال: هذه مصارع إخواني ، هذا موضع رحالهم ، وهذا مناخ ركابهم ، وهذا مهراق دمائهم ، قُتل بها خير الأولين ، ويقتل بها خير الآخرين!

ثم سار حتى انتهى إلى حروراء فقال: ما تسمون هذه الأرض؟ قالوا: حروراء فقال: حروراء خرج بها شر الأولين ويخرج بها شر الآخرين . ثم سار حتى انتهى إلى بانقيا وبها جسر الكوفة الأول فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: بانقيا . ثم سار حتى انتهى إلى الكوفة قال: هذه الكوفة؟ قالوا: نعم . قال: قبة الإسلام»!

أقول: لم أعرف المقصود بخير الأولين الذي قتل في كربلاء . وكذا شر الأولين ، الذين خرجوا في حروراء . ويحتمل أن يكون خير الأولين هايل (عليه السلام) .

وقد ذكرنا في سلسلة القبائل العربية أن الكوفة كانت معروفة للنبي وأهل بيته (صلى الله عليه وآله) وأن إبراهيم (عليه السلام) كما أسس القدس وجدد الكعبة لذريته ، أسس القادسية وهي النجف والكوفة والسهلة والنخيلة لولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، واشترى أرض كربلاء لولده الحسين (عليه السلام) .

وبهذا العلم اختار سلمان رضي الله عنه الكوفة منزلاً ومدينة للمسلمين .

روى في كامل الزيارات/78 ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «عُرِجَ بي إلى السماء ، وإنني هبطت إلى الأرض فأهبطت إلى مسجد أبي نوح (عليه السلام) وأبي إبراهيم وهو مسجد الكوفة ، فصليت فيه ركعتين » .

وفي تاريخ الطبري:3/145: «كتب عمر إلى سعد: أنبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم؟ فكتب إليه: إن العرب خددهم وكفأ ألوانهم وخومة المدائن ودجلة فكتب إليه إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان ، فابعث سلمان رائداً وحذيفة ، وكانا رائدي الجيش ليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ، ولم يكن بقى من أمر الجيش شئ إلا وقد أسنده إلى رجل فبعث سعد حذيفة وسلمان فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار ، فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة . وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة .

والكوفة على حصباء وكل رملة حمراء ، يقال لها سهلة ، وكل حصباء ورمل هكذا متخلطين فهو كوفة ، فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة: دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة وخصاص خلال ذلك ، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا وقال كل واحد منهما: اللهم رب السماء وما أظلت ، ورب الأرض وما أقلت ، والرياح وما ذرت ، والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، والشياطين وما أضلت ، والخصاص وما أجت ، بارك لنا في هذه الكوفة ، واجعله منزل ثبات . وكتب إلى سعد بالخبر » .

وفي فتوح البلاذري(2/354) أن سلمان رضي الله عنه قال: « الكوفة قبة الإسلام ، يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهو بها ، أو يهوي قلبه إليها ».

وفي تاريخ دمشق:37/15: «عن عبد الملك بن أبي ذر الغفاري ، قال: أمرني أبي بصحبة سلمان الفارسي ، فصحبته إلى الشام فربطنا بها ، حتى إذا انقضى ربطنا أقبلنا نريد الكوفة ، فلما أتينا إلى النجف قال لي سلمان: أهى هي؟ قال: قلت لا ، وكانت أبيات الحيرة . قال: فسرنا حتى بدت لنا أبيات الكوفة فقال لي: أهى هي؟ قال: قلت نعم . قال: وها لك أرض البلية ، وأرض التقية ! والذي نفس سلمان بيده إنني لأعلم أن لك زماناً لا يبقى تحت أديم السماء مؤمن إلا وهو فيك أو يحن إليك . والذي نفس سلمان بيده كأنني أنظر إلى البلاء يصب عليك صباً ، ثم يكشفه عنك قاصم الجبارين . والذي نفس سلمان بيده ما أعلم أنه تحت أديم السماء أبيات يدفع الله عنها من البلاء والحزن إلا دون ما يدفع عنك ، إلا أبياتاً أحاطت ببيت الله الحرام أو بقبر نبيه (عليه السلام) . والذي نفس سلمان بيده كأنني أنظر إلى المهدي قد خرج منك في اثني عشر ألف عنان لا يرفع له راية إلا أكبها الله لوجهها ، حتى يفتح مدينة القسطنطينية».

أقول: يذكر هذا النص سفر سلمان الى الشام وبيروت والصرفندة ، لمشاركة المرابطين على ثغور الدولة الإسلامية ، مقابل الروم والفرنجة ، وتشبيهم بأبيات القرآن وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقد رويت عنه أحاديث هناك .

كما يدل كلامه عن الكوفة على أن مروره عليها كان قبل مجيئه هو وحذيفة لاختيارها مركزاً للمسلمين وتمصيرها .

أما كلامه عن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأن الكوفة عاصمته فهو من أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله)، ولا بد أن يكون معنى قوله إنه يفتح القسطنطينية أنه يفتح بلاد الروم . ولعله قال يفتح الروم كما في بعض الأحاديث ، فطبقها الراوي على القسطنطينية .

16. قدم سلمان نموذج الحاكم المسلم الذي ينبغي أن يقتدي به كل الحكام ، فقد كان يتصدق بمخصصاته من بيت المال ، ويصرف من كسب يده ، ويعيش كأدنى مستوى في الذين يحكمهم ، في مأكله وملبسه ومسكنه ، فكان له بيت متواضع ، وقطعة أرض صغيرة يزرع فيها الخضروات ، وتوفيت زوجته الكندية فتزوج أمه له: « وتزوج مولاة له يقال لها بئيرة... فأتاه يطلبه فأخبره أنه في مقله له ، فتوجه إليه فلقيه معه زبيل فيه بقل ، قد أدخل عصاه في عروة الزبيل وهو على عاتقه ، فقال: يا أبا عبد الله...» . (مسند أحمد: 5/439).

«كان يأكل من عمل يده ويطحن مع الخادمة ، ويعجن عنها إذا أرسلها في حاجة ويقول: لا تجمع عليها عملين . وكان يعمل من الخوص قفافاً، فيبيع ذلك بثلاثة دراهم فيرد درهماً في الخوص وينفق على عياله درهماً ويتصدق بدرهم ، وكان لا يأكل من صدقات الناس ويقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: سلمان منا أهل البيت» . (الدرجات الرفيعة/261).

وفي الطبقات: 4/90: «أن رجلاً دخل على سلمان وهو يعجن قال فقال: أين الخادم؟ قال: بعثناها لحاجة فكرهنا أن نجتمع عليها عملين . قال: إن فلاناً يقرؤك السلام. فقال له سلمان: منذ كم قدمت؟ قال: منذ ثلاثة أيام . قال: أما إنك لو لم تؤدها لكانت أمانة لم تؤديها» .

17. وكان وهو والٍ على المدائن يخرج الى الجهاد والغزو قائداً ويرجع الى المدائن ففي تاريخ دمشق: 21/429: «أن سلمان الفارسي مر بجسر المدائن غازياً وهو أمير الجيش ، وهو ردف رجل من كندة على بغل موكوف ، فقال أصحابه: أعطنا اللواء أيها الأمير نحمله عنك فيأبى ويقول: أنا أحق من حملة ، حتى قضى غزاته ورجع وهو ردف ذلك الرجل الكندي ، على ذلك البغل الموكوف»!

وستأتي مشاركته في غزوة بلنجر سنة 22 أي بعد 4 سنوات من حكمه المدائن.

وفي الطبقات: 4/87: «عن رجل من عبد القيس قال: كنت مع سلمان الفارسي وهو أمير على سرية ، فمرّ بفتيان من فتيان الجند فضحكوا وقالوا: هذا أميركم ! فقلت: يا أبا عبد الله ، ألا ترى هؤلاء ما يقولون ؟ قال: دعهم ، فإنما الخير والشر فيما بعد هذا اليوم» !

18. وشارك سلمان رضي الله عنه في فتح إرمينيا والقفقاز في سنة 22 هجرية ، قال ابن الأثير في الكامل: 4/42: «وكان زهير بن القين البجلي قد حج ، وكان عثمانياً ، فلما عاد جمعهما الطريق وكان يساير الحسين (عليه السلام) من مكة ، إلا أنه لا ينزل معه ، فاستدعاه يوماً الحسين فشق عليه ذلك ، ثم أجابه على كره ، فلما عاد من عنده نقل ثقله إلى ثقل الحسين (عليه السلام) ، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد ، وسأحدثكم حديثاً: غزونا بلنجر ففتح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا ، وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا: إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم !

فأما أنا فاستودعكم الله ، ثم طلق زوجته وقال: لها إلهي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك في سببي إلا خير ، ولزم الحسين (عليه السلام) حتى قتل معه» .

وروى نحوه الحميري في الروض المعطار/94، والطبري في تاريخه:4/298، لكنه جعل القائل سلمان الباهلي . ومن المؤكد أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان في تلك الغزوة ، فقد تقدم من الطبقات (4/92) وغيرها أنه غنم فيها عطراً ، ولم نجد أنه كان فيها جندياً أو قائداً ، أما سلمان بن ربيعة الباهلي فكان فيها قائداً وقتل فيها . ولعلمهم فتحوها أولاً ثم جمع لهم حاكمها جيشاً ففتحوها ثانية ، فقتل سلمان بن ربيعة الباهلي في الفتح الثاني .

وقال البكري في معجمه:1/276: « بَلَنْجَر..مدينة ببلاد الروم ، شهد فتحها عدد من الصحابة . قال زهير بن القين البجلي: غزوت بلنجر وشهدت فتحها ، فسمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: أفرحتم بفتح الله لكم ، فإذا أدركتم شباب آل محمد ، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم..الخ.».

وكان فتح بلنجر سنة22هجريه ، وذكرت بعض الروايات أنها تقع في أرمينيا ، وبعضها أنها تقع في بلاد الروم . ولا توجد اليوم مدينة بهذا الإسم .

وقال بعض المؤرخين إنها كانت مكان مدينة بُوَيُنَاكْس الفعلية ، الواقعة جنوبي بحر الخزر . وقال بعضهم إنها تقع في دولة داغستان في شرق آسيا ، قرب نهر سولاك . ولا فائدة مهمة في تحقيق ذلك .

والمهم في القصة أن سلمان رضي الله عنه كان عنده من علم النبي (صلى الله عليه وآله) أن الحسين (عليه السلام) يقتل ، وأن بعض الذين كانوا معه في فتح بلنجر ، كزهير بن القين ، سيدركون خروجه ، فدعاهم الى الجهاد معه !

وقد حدث تحول سريع في موقف زهير رضي الله عنه من العثمانية الى ولاية العترة النبوية ، وانضم الى الحسين (عليه السلام) بيقين وشوق كأنه وجد ضالته في كلام سلمان معه قبل ثمانية عشرة سنة ! ولا يبعد أن يكون الحسين (عليه السلام) ذكَّره به !

ونبهه الى خطأ وقعت فيه بعض المصادر وكتب المقاتل نسبت هذا الحديث الى سلمان بن ربيعة الباهلي ، وقد كان فعلاً في قائداً فتح بلنجر وقتل في أرمينية ، لكن نص البكري وغيره على أن الحديث مع سلمان الفارسي رضي الله عنه .

19. كان سلمان رضي الله عنه يزور الشام ، فيستقبلونه بإجلال كاستقبالهم للخليفة فقد روى البخاري في التاريخ الصغير: 1/98، وابن عساكر في تاريخ دمشق: 12/374، عن القاسم أبي عبد الرحمن قال: «زارنا سلمان وخرج الناس يتلقونه كما يتلقى الخليفة فلقيناه وقد صلى بأصحابه العصر وهو يمشي، فتوقفنا نسلم عليه ، فلم يبق فيها شريف إلا عرض عليه أن ينزل به ، فقال: جعلت في نفسي مرتي هذه أن أنزل على بشير بن سعد . فلما قدم سألت عن أبي الدرداء فقالوا هو مرابط ، فقال: وأين مرابطكم؟ فقالوا: بيروت . قال فتوجه قبَّله فقال لهم سلمان: يا أهل بيروت ، ألا أحدثكم حديثاً يذهب الله به عنكم غرض الرباط: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر ، وجرى له صالح ما كان يعمل إلى يوم القيامة» .



أقول: هذا النص يدلنا على المكانة العظيمة لسلمان رضي الله عنه عند المسلمين ، ولا عجب في ذلك ، لأنهم رأوا منه معجزات وسلوكاً لم يروه من غيره من الصحابة ، فسلمان بعد المعصومين (عليهم السلام) أكثر الصحابة كرامات ومعجزات !

كما يدل هذا النص على أنه رضي الله عنه ذهب الى الشام عدة مرات التي أقام فيها مدة طويلة في أول شبابه . وكان يأتي ليقوي إيمان المسلمين وعقيدتهم ، ويحدثهم عن النبي (صلى الله عليه وآله) رغم منع الخلافة للتحديثي وتدوين الحديث .

روى عبد الله بن المبارك في كتابه الجهاد/160، أن سلمان زارهم وهم محاصرون لحصن في بلاد الروم . قال شرحبيل بن السمط الكندي: «طال رباطنا وإقامتنا على حصن ، فاعتزلت من العسكر أنظر في ثيابي لما آذاني منه ، قال فمر بي سلمان فقال: ماتعالج يا أبا السمط؟ فأخبرته فقال: إني لأحسبك تحب أن تكون عند أم السمط ، فكانت تعالج هذا منك . قلت: إي والله . قال: لا تفعل فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: رباط يوم وليلة أو يوم أو ليلة كصيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً أجرى عليه مثل ذلك من الأجر ، وأجرى عليه الرزق ، وأمن من الفتان ، وقرؤوا إن شئتم: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ). وفتح التقدير: 3/466، وفيه: حصن بأرض الروم .

20. أخى النبي (صلى الله عليه وآله) بينه وبين أبي ذر: « واشترط على أبي ذر أن لا يعصي سلمان» (الكافي: 8/ 162). كما أخى بينه وبين أبي الدرداء ، فسكن أبو الدرداء الشام ، وكانا يتراسلان ويتزاوران: « كتب أبو الدرداء إلى سلمان: أما بعد فإني أدعوك

إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد ، قال فكتب إليه سلمان: أما بعد فإنك قد كتبت إلى تدعوني إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد ، ولعمري ما الأرض تقديس أهلها ، ولكن المرء يقدره عمله . (مصنف ابن أبي شيبة: 8/182).

وكتب سلمان الى أبي الرداء: « إنما العلم كالينابيع فينفع به الله شاء ، ومثل حكمة لا يتكلم بها كجسد لاروح له ، ومثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا ينفق منه ، ومثل العالم كمثل رجل أضاء له مصباح في طريق ، فجعل الناس يستضيئون به وكل يدعوه بالخير . » (مصنف ابن أبي شيبة: 8/1179).

21. مرّت علاقة سلمان بعمر في مراحل ، من عدا الى صداقة ، ثم الى عدا ، فقد: «دخل مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم فعظموه وقدموه وصدره ، إجلالاً لحقه وإعظاماً لشيبته ، فدخل عمر فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب؟! فصعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) المنبر فخطب فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط ، لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى ، سلمان بحر لا ينزف ، وكنز لا ينفد ، سلمان منا أهل البيت ، سلسل يمنح الحكمة ، ويؤتى البرهان .» (الإختصاص للمفيد/341).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) : «جلس عدة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينتسبون وفيهم سلمان الفارسي ، وإن عمر سأله عن نسبه وأصله ، فقال: أنا سلمان بن عبد الله كنت ضالاً فهداني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) ، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) . وهذا حسبي ونسبي . ثم خرج رسول

الله (صلى الله عليه وآله) فحدثه سلمان وشكى إليه ما لقي من القوم وما قال لهم. فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا معشر قريش، إن حسب الرجل دينه، ومروته وأصله عقله، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُرُوعًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. يا سلمان ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل». (الكافي: 8/181).

وروا أن سعد بن أبي وقاص هو الذي عير سلمان بنسبه، فانتصر له عمر! ففي تاريخ دمشق: 21/424: «كان بين سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي شيء فقال سعد وهم في مجلس: إنتسب يا فلان فانتسب، ثم قال للآخر انتسب، ثم قال للآخر حتى بلغ سلمان فقال: إنتسب يا سلمان. فقال: ما أعرف لي أباً في الإسلام، ولكني سلمان بن الإسلام. فمني ذلك إلى عمر فقال عمر لسعد ولقيه: إنتسب يا سعد. فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين. قال: وكأنه عرف، فأبى أن يدعه حتى انتسب. ثم قال للآخر، حتى بلغ سلمان فقال: إنتسب يا سلمان. فقال: أنعم الله عليّ بالإسلام فأنا سلمان بن الإسلام. فقال عمر: قد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية، وأنا عمر بن الإسلام، أخو سلمان بن الإسلام». وذكر البلاذري (10/17) أن حذيفة هو الذي شكى سعداً.

وقد ساءت علاقة سلمان مع عمر عند وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وإدانته السقيفة وبيعتهم لأبي بكر، فقد خطب سلمان، ومما قال: «فأين يذهب بكم؟! ما أنا وفلان وأبو فلان! ويحكم والله ما أدري أتجهلون أم تتجاهلون، أم نسيتم أم تناسون!

أنزلوا آل محمد (صلى الله عليه وآله) منكم منزلة الرأس من الجسد ، بل منزلة العينين من الرأس ، والله لترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة ويشد الناجي على الكافر بالنجاة ، ألا اني أظهرت أمري وآمنت بربي وأسلمت بنبيي ، واتبعت مولاي ومولى كل مسلم». (رجال الكشي/88).

ثم وصلت علاقته بهم الى حد الصدام، في آخر احتجاجات أمير المؤمنين (عليه السلام) عليهم بعد أيام: «وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر! سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهاتين الأذنين وإلا صُمَّتًا، يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه، إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار يريدون قتله وقتل من معه ، فلست أشك إلا وإنكم هم! فهمم به عمر بن الخطاب ، فوثب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض، ثم قال: يا ابن صهاك الحبشية! لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم ، لأريتك أينا أضعف ناصرًا وأقل عددًا! ثم التفت إلى أصحابه فقال: إنصرفوا رحمكم الله ، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخوأي موسى وهارون إذ قال له أصحابه: فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ . والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو لقضية أفضيها ، فإنه لا- يجوز لحجة أقامها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يترك الناس في حيرة!» والإحتجاج:1/105.

وفي عهد أبي بكر وعمر خف التوتر وساعد على ذلك جلالة سلمان واحترام المسلمين له. وكان يحضر في مجلس عمر في دار الخلافة ، وكان عمر يزوره:

ففي مجمع الزوائد (8/174) عن أنس: «دخل عمر على سلمان الفارسي فألقى له وسادة فقال: ما هذا يا أبا عبد الله؟ فقال سلمان الفارسي: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ما من مسلم يدخل عليه أخوه المسلم فيلقى له وسادة إكراماً وإعظماً إلا غفر الله له».

وكان علي (عليه السلام) يرسله في الأمور المهمة الى عمر، ففي الخرائج (1/233) قال سلمان: «دعاني علي (عليه السلام) فقال: صر إلى عمر فإنه حمل إليه مال من ناحية المشرك ولم يعلم به أحد، وقد عزم أن يحتبسه فقل له: يقول لك علي: أخرج ما حمل إليك من المشرك ففرقه على من جعل لهم، ولا تحبسه فأفضحك!»

قال سلمان: وأدبت إليه الرسالة فقال: حيرني أمر صاحبك فمن أين علم هو به؟ قلت: وهل يخفى عليه مثل هذا. فقال: ياسلمان إقبل مني ما أقول لك: ما عليّ إلا ساحر، وإني لمشفق عليك منه، والصواب أن تفارقه وتصير في جملتنا. قلت: بئس ما قلت، لكن علياً قد ورث من آثار النبوة ما قد رأيت منه وما هو أكبر منه. قال: إرجع إليه فقل له: السمع والطاعة لأمرك...».

وروي أن سلمان خطب من عمر ابنته: «فرده، ثم ندم فعاد إليه، فقال: إنما أردت أن أعلم ذهبت حمية الجاهلية عن قلبك، أم هي كما هي»! (الكشي: 1/62).

وروي في ذلك روايات مضطربة، منها أن عمر وافق لكن ابنه عبد الله «شكاه إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أردُّه عنك. فقال: إن رددته بما يكره أغضبت أمير المؤمنين، قال: عليّ أن أردّه عنك راضياً، فأتى سلمان فضرب بين كتفيه بيده ثم قال: هنيئاً لك أبا عبد الله هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك! فالتفت إليه مغضباً وقال: أبا يتواضع! واللّه لا أتزوجها أبداً». (عيون الأخبار لابن قتيبة: 1/380).

ثم روى أن سلمان قال: «إنكم معشر العرب لا تتقدمكم في صلاتكم، ولا تنكح نساءكم. إن الله فضلكم علينا بمحمد (صلى الله عليه وآله)». (إرواء الغليل: 6/278، وجودة).

وهم بذلك يريدون الدفاع عن عمر، وعن رأيه في تحريم زواج العربية من غير عربي، لأنه بزعمه ليس كفواً لها!

وروى في سبل السلام (3/130): «عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على سلمان الفارسي». وأن سلمان تزوج امرأة من كندة! (عبد الرزاق: 6/153).

لكن هذه الأحداث لم تؤثر كثيراً على علاقة سلمان بعمر، فقد كانت مكانته وأخلاقه وليونته الفارسية تفرض على عمر احترامه والطمع فيه. وقد عينه والياً على المدائن، ولما جاء سلمان إلى المدينة خرج عمر مع المسلمين لاستقباله.

ففي شعب الإيمان للبيهقي: 7/378: «كتب عمر بن الخطاب إلى سلمان أن زرني. قال فخرج سلمان إليه، فلما بلغ عمر قدومه قال لأصحابه: هذا سلمان قد قدم فانطلقوا لتلقاه. قال: فلقية عمر فالتزمه، وسأله، ثم رجعا إلى المدينة».

وكان عمر يسأل سلمان عن بعض أمور دينه، فقد قال له: «بلغني أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما من وال يلي شيئاً من أمور الناس إلا يأتي به يوم القيامة يده مغلولة إلى عنقه، فيوقف على جسر من النار ينتفض ذلك الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب، فإن كان محسناً نجاه إحسانه، وإن كان مسيئاً انحرف به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفاً!

قال له: ممن سمعت هذا؟ قال من أبي ذر وسلمان، فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا: نعم سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال عمر: واعمراه، من يتولاها بما

فيها؟ فقال أبو ذر: من أرغم الله أنفه وألصق خده بالأرض! قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه، ثم بكى وانتحب حتى أبكاني». (شعب الإيمان: 6/32).

وكان عند عمر سؤال يسأله دائماً: هل أنا ملك من ملوك الدنيا، أم خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقد روى الطبري: 3/279، أن عمر سأله: «أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر، ثم وضعت في غير حقه، فأنت ملك غير خليفة. فاستعبر عمر».

وفي تاريخ المدينة: 2/702، أن عمر سأله عندما خرج من المدينة لا-ستقباله: «فقال عمر لسلمان: أبا عبد الله أتراني مستحقاً لهذا الاسم؟ قال: نعم، ما لم تستأثر على الناس بتمرة، فقال عمر: الله أكبر».

22. ثم ساءت علاقة سلمان بعمر في أواخر حياته، كما تدل رسالة سلمان إليه، وقد روى نصها في الإحتجاج: (1/185): «بسم الله الرحمن الرحيم. من سلمان مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى عمر بن الخطاب: أما بعد، فإنه أتاني منك كتاب يا عمر تؤنّبني وتعيّرني، وتذكر فيه أنك بعثتني أميراً على أهل المدائن، وأمرتني أن أقصّ أثر حذيفة وأستقصي أيام أعماله وسيرته، ثم أعلمك قبيحها، وقد نهاني الله عن ذلك يا عمر في محكم كتابه حيث قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ. وما كنت لأعصي الله في أثر حذيفة وأطيعك. وأما ما ذكرت أنني أقبلت على سفّ الخوص وأكل الشعير، فما هما مما يعيّر به مؤمن ويؤنّب عليه، وأيم الله يا عمر لأكل الشعير وسفّ

الخصوص والإستغناء به عن رفيع المطعم والمشرب ، وعن غضب مؤمن حقه وادعاء ما ليس له بحق ، أفضل وأحب إلى الله عز وجل وأقرب للتقوى . ولقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أصاب الشعير أكل وفرح به ولم يسخطه .

وأما ما ذكرت من عطائي ، فإنني قدمته ليوم فاقتي وحاجتي . ورب العزة يا عمر ما أبالي إذا جاز طعامي لهواتي وانساغ في حلقي ، ألباب البر ومخ المعز كان أو خشارة الشعير .

وأما قولك: إني ضعفتُ سلطان الله وَوَهَّنتُهُ وأذلت نفسي وامتهنتها ، حتى جهل أهل المدائن إمارتي واتخذوني جسراً يمشون فوقني ، ويحملون عليّ ثقل حمولتهم ، وزعمت أن ذلك مما يوهن سلطان الله ويذله .

فاعلم أن التذلل في طاعة الله أحب إليّ من التعزز في معصيته ، وقد علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتألف الناس ويتقرب منهم ويتقربون منه في نبوته وسلطانه ، حتى كأنه بعضهم في الدنو منهم ، وقد كان يأكل الجشب ويلبس الخشن ، وكان الناس عنده قرشيهم وعربيهم وأبيضهم وأسودهم سواء في الدين .

وأشهد أنني سمعته يقول: من ولي سبعة من المسلمين بعدي ثم لم يعدل فيهم ، لقي الله وهو عليه غضبان . فليتني يا عمر أسلم من إمارة المدائن مع ما ذكرت أنني أذلت نفسي وامتهنتها ، فكيف يا عمر حال من ولي الأمة بعد رسول الله وإني سمعت الله يقول: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . إعلم أنني لم أتوجه ، أسوسهم وأقيم حدود الله فيهم إلا بإرشاد دليل عالم ، فنهجت فيهم بنهجه ، وسرت فيهم بسيرته .



واعلم أن الله تبارك وتعالى لو أراد بهذه الأمة خيراً، أو أراد بهم رشداً، لولى عليهم أعلمهم وأفضلهم .

ولو كانت هذه الأمة من الله خائفين ، ولقول نبي الله متبعين ، وبالحق عالمين ، ما سموك أمير المؤمنين ، فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا !

ولا تغتر بطول عفو الله عنك وتمديده ذلك ، من تعجيل عقوبته . واعلم أنه سيدركك عواقب ظلمك في دنياك وآخرتك ، وسوف تسأل عما قدمت وأخرت ، والحمد لله وحده .»

أقول: لانعلم تاريخ هذه الرسالة ، لكن يظهر أنها كانت قبيل وفاة سلمان ووفاة عمر بقليل . ولم أجد رواية عن ردة فعل عمر على هذه الرسالة الصريحة ، ويبدو أن عمر تحملها في الظاهر ولم يعزله ، فقد توفي سلمان رضي الله عنه وهو والي المدائن .

23. تزوج سلمان امرأة من كندة ورزق منها أولاداً ذكروا منهم محمداً وعبد الله وعبد الرحمن . روى الكشي: 1/68، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تزوج سلمان امرأة من كندة فدخل عليها ، فإذا لها خادمة وعلى بابها عباءة ، فقال سلمان: إن في بيتكم هذا لمريضاً ، أوقد تحولت الكعبة فيه؟ فقيل: المرأة أرادت أن تستر على نفسها فيه . قال: فما هذه الجارية؟ قالوا: كان لها شيء فأرادت أن تُخدم . قال: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أيما رجل كانت عنده جارية ، فلم يأتها أولم يزوجها من يأتها ثم فجرت ، كان عليه وزر مثلها .»

وعاشت معه حتى توفيت في المدائن ، فكتب له أمير المؤمنين (عليه السلام) يعزيه: «بسم الله الرحمن الرحيم ، قد بلغني يا أبا عبد الله مصيبتك بأهلك ، وأوجعني بعض ما

أوجعك . ولعمري لمصيبة يتقدم أجرها خير من نعمة يسأل عن شكرها ولعلك لا تقوم بها ، والسلام عليك» . (تاريخ دمشق:21/429).

وتزوج بعدها أمةً له إسمها بقيرة وكانت عنده حتى توفي . (الطبقات:4/92).

ورزق من زوجته الكندية أولاداً ، فقد رواه عن ابنه عبد الله ، كما في تاريخ دمشق: 21/403، وذكر أخبار إصبهان:1/52، والمنفردات لمسلم 105/ . وعن ابنه عبد الرحمن ، كما في أسد الغابة:5/440، وعن ابنه محمد ، كما في مستدركات رجال الحديث:7/114.

ورواه عن ابنه يحيى بن سلمان ، كما في تاريخ دمشق: 227/ 5 . وعامر بن سلمان ، كما في المنفردات لمسلم بن الحجاج /104 . ولعله هو عمر بن سلمان كما في كشف الظنون:2/ 1488 . ورواه عن ابنه زاذان بن سلمان ، كما في الدر النظيم /321 .

وذكر في فهرست منتجب الدين/52، ذريةً له من ولده محمد هو: الشيخ بدر الدين الحسن بن علي بن سلمان بن أبي جعفر بن أبي الفضل... بن محمد بن سلمان الفارسي رضي الله عنه صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، نزيل أشناباد السد من الري ، واعظ فصيح صالح .

وقال في مستدركات رجال الحديث:2/454: (ينتهي إلى إبراهيم بن سلمان بن محمد بن سلمان الفارسي بعشرين واسطة).

وفي نفس الرحمن في فضائل سلمان/561: «قيل إنه (سلمان) عاد إلى إصفهان في زمان عمر ، وقيل: كان له أخ بشيراز له نسل ثمّ ، وبنت بإصفهان لها نسل ، وبنتان بمصر ، وقيل كان له ابن يقال له: كثير» .

24. علم سلمان بوفاته ، وجاء علي (عليه السلام) من المدينة وصلى عليه ورجع من يومه ، روى الكشي (1/66) بسنده عن ابن أبي عمير عن عمر بن يزيد ، قال: «قال سلمان: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا حضرك أو أخذك الموت ، حضر أقوامٌ يجدون الريح

ولا يأكلون الطعام ، ثم أخرج صرة من مسك فقال: هبةً أعطانيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال: ثم بلها ونضحها حوله ، ثم قال لامرأته: قومي أجيفي الباب ، فقامت وأجافت الباب ، فرجعت وقد قبض رضي الله عنه « !

وفي رواية الطبقات:4/92: «أصاب سلمان صِدْرَةَ مسك يوم فتحت جلولاء فاستودعها امرأته ، فلما حضرته الوفاة قال: هاتي هذه المسكة فمرسها في ماء ، ثم قال: إنضحيتها حولي فإنه يأتيني زوار الآن . قال ففعلت ، فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قبض » . وفي رواية: أصاب مسكاً عند فتح مدينة بلنجر في أرمينيا ، وهي اليوم في داغستان . فكان الرواة استكثروا عليه هدية النبي (صلى الله عليه وآله) فجعلوا المسك من مناطق شارك في فتحها ، لكن مع وجود العطر من النبي (صلى الله عليه وآله) فلا يفضل سلمان ولا الملائكة عليه عطراً آخر . والأمر المهم في الموضوع أن سلمان رضي الله عنه يعرف وقت وفاته ، ويستقبل ملائكة الموت بالعطر !

وفي الطبقات:4/92: «لما حضرته الوفاة دعاني وهو في عِلِّيَّةٍ له لها أربعة أبو أب فقال: إفتحي هذه الأبواب يا بقيقة، فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ ، ثم دعا بمسك له فقال أديفيه في تنور ففعلت ، ثم قال: إنضحيه حول فراشي ، ثم انزلي فامكثي ، فسوف تطلعين فتريني على فراشي . فاطلعت فإذا هو قد أخذت روحه ، فكانما هو نائم على فراشه» .

وفي رواية: يحضرني خلق من خلق الله يجدون الريح ولا يأكلون الطعام ، ثم اجفني عليّ الباب وانزلي . قالت: ففعلت وجلست هنيهة فسمعت هسهسة . قالت: ثم صعدت فإذا هو قد مات « .

وقد توفي سلمان في خلافة عمر ، وقيل في خلافة عثمان . (الطبقات:4/93).

وروى في الخرائج (2/562) «أن علياً (عليه السلام) دخل المسجد بالمدينة غداة يوم وقال: رأيت في النوم رسول الله (صلى الله عليه وآله) البارحة ، وقال لي: إن سلمان توفي ، ووصاني بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، وها أنا خارج إلى المدائن لذلك .

فقال عمر: خذ الكفن من بيت المال . فقال علي (عليه السلام) : ذاك مكفيٌّ مفروغٌ منه . فخرج والناس معه إلى ظاهر المدينة ، ثم خرج وانصرف الناس ، فلما كان قبل الظهر رجعت وقال: دفنته . وكان أكثر الناس لم يصدقوه ، حتى كان بعد مدة ووصل من المدائن مكتوب: إن سلمان توفي ليلة كذا ، ودخل علينا أعرابي فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه ، ثم انصرف ! فتعجبوا كلهم» .

وفي الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/219، أن جابر بن عبد الله الأنصاري وغلّامه قنبر ذهبا مع علي (عليه السلام) الى المدائن لتغسيل سلمان ، فدخل علي (عليه السلام) وكشف الرداء عن وجهه فتبسم سلمان وهمّ أن يجلس ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : عد إلى موتك . فلما صلى عليه كنا نسمع تكبيراً شديداً، وكنت رأيت معه رجلين فسألته عنهما، فقال: أحدهما أخي جعفر والآخر الخضر ، ومع كل واحد منهما سبعون صفاً من الملائكة . وقد أشار إلى هذه الحكاية أبو الفضل اليمنى في قوله:

سمعت منى يسيراً من عجائبه \*\*\* وكل أمر عليّ لم يزل عجباً

درّيت عن ليلة سار الوصيّ بها \*\*\* إلى المدائن لما أن لها طلباً

فألحد الطهر سلماً عاداً وعاد إلى \*\*\* عراض يثرب والإصباح ما قرباً

كأصفٍ قبل ردّ الطرف من سبأ \*\*\* بعرض بلقيس وافى يخرق الحجباً

أراك في آصف لم تغل فيه بلى \*\*\* بحيدر أنا غال أورد الكذباً !

إن كان أحمد خير المرسلين فذا \*\*\* خير الوصيين أو كل الحديث هباً).

## حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه

1. حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه ، صحابيٌ جليل ، وفارسٌ من كبار قادة الفتوحات ، كان كثير العبادة ، حتى وصفوه براهب الصحابة .

قال الحاكم في المستدرک:3/468: «ذكر مناقب حجر بن عدي رضي الله عنه ، وهو راهب أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله)» .

وكان باراً بأمه محباً لها: فكان يرتب لها مكان نومها بيديه ، ثم ينام فيه ليطمئن أنه ممهد! (تاريخ دمشق:12/212 ، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا/76) .

2. كان فارساً قائداً في فتح العراق وإيران والشام ، فكان في معركة القادسية قائد الميسرة . وفي معركة فتح المدائن، ومعركة جلولاء أو خانقين . وشارك في فتح الشام ، وهو الذي فتح مرج عذراء ، الذي حبسه فيه معاوية وقتله فيه! (المحبر/292 والطبري:3/135 ، وابن الأعمش:1/211 ، والطبقات:6/217 ، والغارات:2/812) .

وفي مذيّل الطبري /149: «وفد إلى النبي (صلى الله عليه وآله) مع أخيه هانئ بن عدي ، وشهد القادسية . وهو الذي افتتح مرج عذراء» .

وكان قائد الميمنة في معركة جلولاء . قال البلاذري:2/324: (فقال المسلمون: ينبغي أن نعاجلهم قبل أن تكثر أمدادهم فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة) . والأخبار الطوال/127 .

وفي فتح حلوان: «عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت: لما قتل معاويةً حجر بن عدي الكندي ، قال أبي: لورأى معاوية ما كان من حجر في قنطرة حلوان ، لعرف أن له عَنَاءً عظيماً عن الإسلام» . (فتوح البلاذري:2/370).

وجاء في معركة جلولاء الكبرى (البلاذري: 2/324): « فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة، وعمرو بن معدى كرب على الخيل، وطليحة بن خويلد على الرجال وعلى الأعاجم يومئذ خرزاد أخورستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله، رمياً بالنبل وطعناً بالرمح حتى تقصفت، وتجالدوا بالسيوف حتى اثنت . ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم وهزموهم فولوا هاربين، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً.. وكانت وقعة جلولاء في آخر سنة ست عشرة» .

3. كان شجاعاً تقياً، وظهرت له كرامات في حروبه وشهادته، وكان أول من اقتحم بفرسه نهر دجلة العريض في فتح المدائن، فقد طال اصطفاة المسلمين والفرس، وكان الفرس على الضفة الأخرى لدجلة، فتقدم حجر وقرأ: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّجَلًّا وَمَنْ يَرِدِ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدِ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَعَجَزِي الشَّاكِرِينَ. وأقحم فرسه وهو يقول باسم الله، فعبر وعبر المسلمون على أثره! فلما رأهم العدو قالوا: ديوان ديوان! يعني شياطين شياطين (ديوان: جمع ديوان: الغول) فهربوا فدخلنا عسكرهم». (كرامات الأولياء اللالكائي/152، وتفسير ابن كثير: 1/419)

4. كان حجر من كبار أصحاب علي (عليه السلام)، وأراد أن يوليه رئاسة كنده، ويعزل الأشعث بن قيس، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار، فأبى حجر بن عدي أن يتولى الأمر والأشعث حيّ». (الأخبار الطوال: 224).

وكان يكتب الحديث عن علي (عليه السلام) ولا يطيع أمر تحريم تدوين السنة! (قال: ناولني الصحيفة من الكوفة، فقراً: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما سمعت علي بن أبي

طالب يذكر: إن الطهور نصف الإيمان». (الغارات: 2/812) .

وكان في صفين قائد ميمنة علي (عليه السلام): (تاريخ الطبري: 4/63). وقائد قوات كندة (تاريخ خليفة 146 ، والغارات: 1/51) .

وهو أول من خرج لرد غارات معاوية على مسالح العراق: «وطارد الضحاك بن قيس فلحقه في تدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ، وقُتل من أصحابه رجلان، وحال بينهم الليل فهرب الضحاك وأصحابه». (تاريخ الطبري: 4/104) .

5. كان مع بعض أصحابه يشتمون أهل الشام ، فنهاهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال حجر: يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك ، ونتأدب بأدبك .

ففي بحار الأنوار: 32/399: «روى نصر عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يُظهران البراءة من أهل الشام، فأرسل علي (عليه السلام) إليهما أن كُفَّا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقين؟ قال: بلى . قال: فلم منعنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لَعَّانين شتامين تشتمون وتبرؤون ، ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر . وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم أحقن دماءهم ودماءنا ، وأصلح ذات بينهم وبيننا ، واهددهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم من جهله ، ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من لج به ، لكان أحب إلي وخيراً لكم . فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك ونتأدب بأدبك» .

6. وحجر هو الذي فضح تآمر الأشعث رئيس كندة في قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) . ففي مقاتل الطالبين/20: «والأشعث في بعض نواحي المسجد ، فسمع حجر بن

عدي الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء لحاجتك ، فقد فضحك الصبح ، فقال له حجر: قتلته يا أعور ، وخرج مبادراً إلى علي (عليه السلام) .»

7. وكان حَجْرٌ معتمدَ الإمام الحسن (عليه السلام): « تحرك الحسن (عليه السلام) وبعث حجر بن عدي فأمر العمال بالمسير ، واستتفر الناس للجهاد فتثاقفوا عنه ، ثم خَفَّ معه أخلاط من الناس». (الإرشاد: 2/10، ومقاتل الطالبين/39) .

8. وقتله معاوية بدون أي حجة إلا تشييعه لعلي (عليه السلام) ، وبعد أن وَقَّع في صلحه مع الإمام الحسن (عليه السلام) أن لا يتعقب أحداً من شيعة علي (عليه السلام) .

واعترف بجريمته وقال: «ما قتلت أحداً إلا- وأنا أعرف فيمَ قتلتُه وما أردت به ! ما خلا حجر بن عدي ، فإنني لا أعرف فيمَ قتلتُه». (تاريخ دمشق: 12/231)

وكان قتله في صفر سنة إحدى وخمسين هجرية: (الطبري: 4/187، وتاريخ خليفة بن خياط/160، ومستدرک الحاكم: 3/468، ومعارف ابن قتيبة/178).

9. وغضب الإمام الحسين (عليه السلام) لقتل حجر ، وعائشة والصحابة وأخير الأمة . ففي الإحتجاج: 2/19: «عن صالح بن كيسان قال: لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقي الحسين بن علي (عليه السلام) فقال: يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال (عليه السلام) : وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم! فضحك الحسين (عليه السلام) ثم قال: خَصَّ مَكَّ القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم ! ولقد بلغني وقيعتك في عليٍّ وقيامك ببغضنا ، واعتراضك بني هاشم بالعيوب ، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ثم سلها الحق عليها ولها ،



فإن لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترن غير قوسك ولا ترمين غير غرضك ، ولا ترمننا بالعداوة من مكان قريب ، فإنك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه ولا حدث نفاقه ولا نظر لك! فانظر لنفسك أو دع». يقصد عمرو العاص ، الذي له دور أساسي في خطط معاوية !

وقالت له عائشة: «يامعاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلتهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم!» (الطبري: 4/208، والإستيعاب: 1/331، وأنساب الأشراف/1265. وفي الطبقات: 6/219، أن عائشة بعثت رسالة الى معاوية وأنها وصلت بعد قتله ! والروض الأنف: 3/366، وفيه: (فقال أوأنا؟ ! إنما قتلهم من شهد عليهم) !

يقصد بذلك شهدوا عليهم بأنهم طعنوا في معاوية وخرجوا من بيعته !

قال ابن سيرين: «أربع خصال كنَّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتزأه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ! واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير . وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : الولد للفراش وللعاهر الحجر . وقتله حجراً وأصحاب حجر ، فيا ويلاً له من حجر ! ويا ويلاً له من أصحاب حجر » . (الطبري: 4/208).

10. كان الربيع بن زياد المذحجي من القادة أبطال الفتح ، وهو يشبه حجر بن عدي الكندي رضي الله عنهما ، وعندما قتل حجر كان حاكم خراسان .

قال ابن سعد في الطبقات (6/159): «وكان عمر يقول: دلوني على رجل إذا كان في القوم وهو أمير ، فكأنه ليس بأمير ، وإذا كان فيهم وهو غير أمير فكأنه أمير . فقالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد بن أنس ، وكان متواضعاً خيراً ، وقد ولي

وقد نزل عليه قتل حجر بن عدي كالصاعقة ، فقال: ذلت العرب بعد قتل حجر صبراً! قال الطبري: 4/216: « فقال: لا تزال العرب تُقتل صبراً بعده ، ولو نَفَرَتْ عند قتله لم يقتل رجل منهم صبراً ، ولكنها أقرت فذلت! فمكث بعد هذا الكلام جمعة ، ثم خرج في ثياب بياض في يوم جمعة فقال: أيها الناس إني قد مللت الحياة ، وإني داع بدعوة فأمنوا . ثم رفع يده بعد الصلاة وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً ، وأمن الناس ، فخرج فما توارت ثيابه حتى سقط ، فحمل إلى بيته واستخلف ابنه عبد الله ، ومات من يومه».

11. وكان حجرٌ يردد عند موته الحديث النبوي: الموت في حب علي (عليه السلام) شهادة! ففي مختصر أخبار الشعراء للمرزباني/49: «لما قَدِمَ حجر عذراء قال: ماهذه القرية؟ فقيل: عذراء . فقال: الحمد لله ، أما والله إني لأول مسلم ذكر الله فيها وسجد ، وأول مسلم نبج عليه كلابها في سبيل الله ، ثم أنا اليوم أحمل إليها مصفداً في الحديد! ثم قال حجر للذي أمر بقتلهم: دعني أصلي ركعتين خفيفتين ، فلما سلم انفتل إلى الناس فقال: لولا أن يقولوا جزع من الموت لأحببت أن يكونا أنفس مما كانتا وأيم الله لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني ما هاتان بنافعتي شيئاً ، ثم أخذ ثوبه فتحزّم به ، ثم قال لمن حوله من أصحابه: لاتحلوا قيودي فإني أجتتمع ومعاوية على هذه المحجة! ثم مشى إليه هدية الأعور بالسيف ، فشخص إليه حجر فقال: ألم تقل إنك لم تجزع من الموت؟ فقال: أرى كفنأ منشوراً ، وقبراً محفوراً ، وسيفاً مشهوراً ، فما لي لا أجزع! أما والله لئن جزعت لا أقول ما يسخط الرب! فقال له: فابراً من علي وقد أعد لك معاوية جميع ما

تريد إن فعلت! فقال: ألم أقل إنني لأقول ما يسخط الرب! والله لقد أخبرني حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيومي هذا! ثم قال: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه، فقدمه فضربت عنقه، فقبل له: تعجلت الشكل! فقال: خفت أن يرى هؤل السيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي (عليه السلام) فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين!

ولما حمل عبد الرحمن بن حسان العنزي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وكانا من أصحابه، قال العنزي: يا حجر لا تبعد ولا يبعد ثوابك، فنعم أخو الإسلام كنت. وقال الخثعمي: يا حجر لا تبعد ولا تُتقد، فلقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم ذهب بهما فأتبعهما حجر بصره، وقال:

كفى بشفاة القبر بعداً لهالكٍ وبالموت قطعاً لحبل القرائن

ثم التفت إلى بقية أصحابه فرأى منهم جزءاً، فقال: قال لي حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا حجر تقتل في محبة علي صبراً، فإذا وصل رأسك إلى الأرض مادت وأنبتت عين ماء فتغسل الرأس! فإذا شاهدتم ذلك فكونوا على بصائرکم، وقدم فضربت عنقه فلما وصل رأسه إلى الأرض مادت من تحته وأنبتت عين ماء فغسلت الرأس! قال: فجعل أصحابه يتهافتون إلى القتل فقال لهم أصحاب معاوية: يا أصحاب علي، ما أسرعكم إلى القتل! فقالوا: من عرف مستقره سارع إليه! «

وعندما كان محبوساً في بستان في مرج عذراء أصابته جنابة، فقال للسجان أعطني من الماء شرابي اليوم وغداً لأنظهر به، ولا أطلب منك شيئاً. قال: أخاف أن تموت عطشاً فيقول معاوية أنت قتلتته! قال: فبنى حجر حجاراً (حوضاً) ودعا الله فأسكبت سحابة فصبت من الماء ما أراد، فتطهر حجر! فقال له بعض أصحابه: لو دعوت الله أن يخلصنا لفعل! فقال حجر: اللهم خِر لنا،

ثلاثاً» . (فيض القدير:4/166، والغارات:2/812، ومختصر أخبار شعراء الشيعة/49):

وقيل إن شجر ذلك البستان جفَّت من يوم شهادته! (شرح الأخبار:2/171).

12. وقُتل مع حجر خمسة من أصحابه ضربت أعناقهم رضي الله عنهم وهم: شريك بن شداد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، ومحرز بن شهاب السعدي ثم المنقري ، وكدام بن حيان العنزي . أما السابع عبد الرحمن بن حسان العنزي ، فأعادته معاوية إلى زياد بن أبيه ، وأمره أن يدفنه حياً في الكوفة ليُرهب به الناس !

وتوسط لهم الصحابة وزعماء القبائل والشخصيات ، فلم يقبل معاوية وساطتهم إلا في سبعة فأطلقهم ، وهم: كريم بن عفيف الخثعمي ، وعبد الله بن حوية التميمي ، وعاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سمي البجلي ، والأرقم بن عبد الله الكندي ، وعتبة بن الأحنس من بني سعد بن بكر، وسعيد بن نمران الهمداني» . (تاريخ دمشق:8/27)

13. وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) بأن حجر بن عدي سيقتل ويغضب الله له روت عائشة كما في تاريخ دمشق:12/226: «عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين أني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة وأن بقاءهم فساد للأمة!فقالت:سمعت رسول الله يقول: سيقتل بعداء ناس يغضب الله لهم أهل السماء». وفيض القدير:4/166.

وفي تاريخ دمشق:12/227: «عن ابن زبير الغافقي عن علي (عليه السلام) قال: يا أهل الكوفة، سيقتل فيكم سبعة نفر خياركم، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود».

وقال حجر: «قال لي علي (عليه السلام): كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعنتي؟ قلت له: كيف أصنع؟ قال: إلعني ولا تبرأ مني فإنني على دين الله». (البحار:39/324).

14. أرسل إليه معاوية مجرمًا كبيرًا فأحضره إليه ثم قتله! «سمعت أبا داود قال: قتل حجر بن عدي على يدي أبي الأعور السلمي». (سؤالات الأجرى:1/331)

وفي تاريخ الطبري:4/190: «فشدَّ في الحديد ثم حُمِلَ إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له معاوية: أمير المؤمنين! أما والله لا أقيلك ولا أستقيلك ، أخرجوه فاضربوا عنقه! فأخرج من عنده ، فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتى أصلي ركعتين فقالوا: صلِّه فصلِّ ركعتين خفف فيهما ، ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه ، لأحببت أن تكونا أطول مما كانتا ، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خير فما في هاتين خير . ثم قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عني حديدًا ولا تغسلوا عني دمًا فإنني ألقى معاوية غدًا على الجادة ، ثم قدم فضربت عنقه».

معناه أن حجر قال له إني بايعتك بأمر الإمام الحسن (عليه السلام) ولم أنتقض بيعتي ، وقد افتري عليَّ عاملك على الكوفة وقال إنه نقض بيعتك! فقال له معاوية: لا أقبل منك وسأقتلك!

15. وأصيب معاوية بالهلوسة قبل موته ، فكان يهذي باسم علي (عليه السلام) ، وحجر ، وعمرو بن الحمق . قال ابن الأَعمش في الفتوح:4/344: «وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به...وكان في مرضه يرى أشياء لا تسره! حتى كأنه ليهذي هذيان المدنف وهو يقول: إسقوني إسقوني فكان يشرب الماء الكثير فلا يروى! وكان ربما عُشِيَ عليه اليوم واليومين ، فإذا أفاق من عُشوته ينادي بأعلى صوته: ما لي ومالك يا

حجر بن عدي! مالي وما لك يا عمرو بن الحمق! مالي ومالك يا ابن أبي طالب!

وقال الطبري في تاريخه: 4/191: «قال ابن سيرين: بلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالموت وهو يقول: يومي بك يا حجر يوم طويل». ونهاية الإرب/4459.

16. ووقد حاول معاوية وواليه أن يلعن حجرَ علياً (عليه السلام) ويتبرأ منه فلم يفعل، ففي شرح النهج: 4/58: «وأمر المغيرة بن شعبة وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية، حجرَ بن عدي أن يقوم في الناس فليلعن علياً! فأبى ذلك فتوعده فقام فقال: أيها الناس، إن أميركم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه! فقال أهل الكوفة: لعنه الله، وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد».

وفي رجال الكشي: 1/319، أنه قال مثل ذلك عندما طلب منه حاكم اليمن أن يلعن علياً (عليه السلام) في صنعاء! وفي الغدير: 9/119: «قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً، حتى قتلوا ستة». (الطبري: 6/141، والنهاية: 7/49).

17. وأوصى حجر أن يدفنه بثيابه ودمائه، ليخاصم معاوية وهو مضرج بدمه ففي مصنف ابن أبي شيبة: 3/139: «قال حجر بن عدي لمن حضره من أهل بيته: لا تَغسلوا عني دماً، ولا تُطلقوا عني حديداً، وادفوني في ثيابي، فإني ألتقي أنا ومعاوية على الجادة غداً!». ( ونحوه في تاريخ دمشق: 12/225، والطبقات: 6/219).

وبعد أن قتل معاوية حجراً، أمر عامله فهدم داره بالكوفة! (الطبري: 4/536).

18. كان حجر رئيس قبائل كندة، أو في مرتبة رئيسها، وقد تحمل الإضطهاد أو القتل معه عدد من أصحابه من رؤساء القبائل وشخصيات الإسلام

ص: 336

وفرسانه ، الذين فتحوا العراق والشام ، فمنهم مثلاً: «سعيد بن نمران الهمداني الناعطي، كان كاتباً لعلي (عليه السلام) وأدرك من حياة النبي (صلى الله عليه وآله) أعواماً وشهد اليرموك ، وسار إلى العراق مدداً لأهل القادسية ، وكان من أصحاب حجر بن عدي ، وسيّره زياد مع حجر إلى الشام ، فأراد معاوية قتله مع حجر ، فشفع فيه حمزة بن مالك الهمداني فخلّى سبيله». (أسد الغابة:2/316).

وكفى بذلك دليلاً على اضطهاد قادة الفتح وفرسانه بيد الحكام السياسيين والإداريين ، فالعسكريون يضحون ويحققون النصر للمسلمين ويفتحون البلاد ، ويسلمونها إلى الخليفة ، فيسلمها إلى أناس يختارهم لإدارتها ، وهم عادة من أجبن الناس وأبعدهم عن الجهاد والفروسية وأخلاقها ، فيصادرون جهود غيرهم ، ويضطهدونهم ، ثم يزعمون أنهم هم الذين جاهدوا وفتحوا!

وقد كان لاعتقال حجرٍ وسجنه ثم قتله تأثير كبير على المجتمع الإسلامي آنذاك ، رغم سيطرة معاوية . وقد روى الطبري:4/191، والبلاذري في أنساب الأشراف/1256، وغيرهما مواقف حجر مع حاكم الكوفة المغيرة بن شعبة ، ومع ابن زياد ، وتفاصيل حملة اعتقاله وأصحابه ، وتسفيرهم إلى الشام ، وما كذبه عليهم .

وقال الشعراء كثيراً في رثاء حجر الشهيد رضي الله عنه ، ورووا قصائد عديدة في أمهات المصادر كالطبري وابن عساكر . وقال ابن سعد:6/220: «وقد كانت هند بنت زيد الأنصارية ، وكانت شيعية ، قالت حين سير بحجر إلى معاوية:

ترفع أيها القمر المنيرُ \*\*\* ترفع هل ترى حجراً يسيرُ

يسير إلى معاوية بن حرب \*\*\* ليقتله كما زعم الخبير

تجبرت الجبابر بعد حجر \*\*\* وطاب لها الخورنق والسدير

وأصبحت البلاد له محولا \*\*\* كأن لم يحيها يوماً مطير..(الخ).

## حذيفة بن اليمان أمين سرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)

1. عُرفَ حذيفة رضي الله عنه بأنه صاحب سرّ النبي (صلى الله عليه وآله) علّمه بعض المغيبيات وأسماء المنافقين، خاصة الصحابة الذين حاولوا اغتياله (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة في طريق رجوعه من تبوك . وقد سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن حذيفة كما في الإحتجاج (1/388)، فقال: «ذاك امرؤٌ علّم أسماء المنافقين ، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عالماً» .

وفي تاريخ دمشق: 12/275: «امرؤٌ علّم المعضلات».

وأضاف فيه في تاريخ دمشق: 12/275، و: 21/422: «وسأل عن المعضلات حين غُفل عنها، فإن تسألوه تجدوه بها عالماً . قالوا: فحدثنا عن سلمان؟ قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم! ذاك امرؤٌ منا وإلينا أهل البيت ، أدرك العلم الأول وعلم الآخر ، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر ، بحر لا ينزف» .

وفي أمالي الطوسي/222، قال حذيفة: «إن الناس كانوا يسألون رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، فأنكر ذلك القوم عليه فقال: سأحدثكم بما أنكرتم: إنه جاء أمر الإسلام ، فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية ، وكنت أعطيت من القرآن فقهاً ، وكانوا يجيئون فيسألون النبي (صلى الله عليه وآله) فقلت أنا: يا رسول الله ، أيكون بعد هذا الخير شر؟ قال: نعم . قلت: فما العصمة منه . قال: السيف . قال: قلت: وهل بعد السيف بقية؟ قال: نعم ، تكون إمارة على إقذاء وهدنة على دخن . قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم تقشو دعاة الضلالة ، فإن رأيت يوماً خليفة عدل فالزمه ، وإلا فمت عاصباً على جذل شجرة» .



وفي صحيح البخاري: 4/178 و8/93، قال: «كان الناس يسألون رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دُخْنٌ. قلت: وما دُخْنُهُ؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها! قلت: يا رسول الله صفهم لنا. فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»!

وفي كتاب الفتن لابن حماد/17: «قلت: وما دُخْنُهُ؟ قال قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر».

2. وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على صحابي مات إلا إذا صلى عليه حذيفة، ففي سنن البيهقي: 8/200: «كان عمر بن الخطاب في خلافته إذا مات رجل يظن أنه من أولئك الرهط، أخذ بيد حذيفة فاقتاده إلى الصلاة عليه، فإن مشى معه حذيفة صلى عليه، وإن انتزع حذيفة يده فأبى أن يمشي معه، انصرف عمر معه فأبى أن يصلي عليه».

وفي شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 1/44: «كان عمر لا يصلي على ميت حتى يصلي عليه حذيفة، يخشى أن يكون من المنافقين».

وذكر ابن كثير في السيرة النبوية: 4/35، أن عمر سأل حذيفة عن نفسه هل هو من المنافقين! قال: «ورويانا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال

لحذيفة: أقسمت عليك بالله أنا منهم؟ قال: لا. ولا أبرى بعدك أحداً. يعني حتى لا يكون مفشياً سر النبي (صلى الله عليه وآله)». «.

أقول: لقد استفاد عمر من علم حذيفة بالمنافقين والفتن استفادةً محدودةً جداً وكذلك فعل أبو بكر وعثمان ، وهذا لا يتناسب مع عقيدتهم وإجماعهم على أن حذيفة خبير بالمنافقين وبالفتن، وموثق من النبي (صلى الله عليه وآله) ، فكان يجب عليهم الاستفادة من علمه الخطير ، وسؤاله عن المنافقين لاستبعادهم عن مناصب الدولة ، وعن الفتن لتوقي ما يمكن توقيه منها ! فلماذا يا ترى لم يفعلوا ذلك ؟

الجواب: أنه لا يناسبهم العمل بعلمه لأن رأيه منحاز لعلي وعترته النبي (صلى الله عليه وآله) يرى أنهم ورثة علم النبي (صلى الله عليه وآله) و آل (صلى الله عليه وآله) الذي لا تنجو الأمة بدونه ، وأنهم أولياء الأمة وأئمتها بأمر الله تعالى ، ولانجاة من المنافقين والفتن والضلال إلا بتسليم قيادتها لهم وطاعتهم .

قال الباحث حسن بن فرحان المالكي في كتابه: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي/184: «كما أنه من المعلوم أن أعلم الناس بالفتنة حذيفة بن اليمان ، وقد أوصى باتباع علي في الفتنة ، ولم يأمر بالإعتزال . فكان يقول: « عليكم بالطائفة التي تدعو إلى أمر علي بن أبي طالب فإنها على الحق » رواه البزار وصححه الحافظ ابن حجر . وحذيفة أعلم بالفتن من المعتزلين ، بل هو أعلم الصحابة مطلقاً بأخبار الفتن وما يجب فيها .»

3. اشتهر حذيفة بتشيعه لأمر المؤمنين (عليه السلام) ، وهو أحد الأركان الأربعة للتشيع الذين ثبتوا مع أمير المؤمنين (عليه السلام) واستعدوا للموت في مواجهة مؤامرة السقيفة .

قال العلامة في الخلاصة/131: «حذيفة بن اليمان العبسي (رحمة الله) عداده في الأنصار، أحد الأركان الأربعة، من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)».

وروى عنه في الكافي: 8/32، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب بعد السقيفة خطبة بليغة، جاء فيها: «أيها الأمة التي خُدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها فأصرت على ما عرفت، واتبعت أهواءها، وضربت في عشواء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدت عنه، والطريق الواضح فتكبته...»

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد علمتم أني صاحبكم والذي به أمرتم، وأنني عالمكم والذي بعلمه نجاتكم، ووصي نبيكم وخيرة ربكم ولسان نوركم، والعالم بما يصلحكم، فعن قليل رويداً ينزل بكم ما وعدتم، وما نزل بالأمر قبلكم، وسيسألكم الله عز وجل عن أئمتكم، معهم تحشرون وإلى الله عز وجل غداً تصيرون... قال ثم خرج من المسجد فمر بصيرة فيها نحو من ثلاثين شاة، فقال: والله لو أن لي رجالاً ينصحون لله عز وجل ولرسوله (صلى الله عليه وآله) بعدد هذه الشياه لأزلت ابن آكلة الذبان عن ملكه. قال: فلما أمسى بايعه ثلاث مائة وستون رجلاً على الموت، فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام): أغدوا بنا إلى أحجار الزيت مُحَلَّقِينَ، وحَلَّقَ أمير المؤمنين (عليه السلام)، فما وافى من القوم محلقةً إلا أبو ذر والمقداد وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر، وجاء سلمان في آخر القوم.

فرجع يده (عليه السلام) إلى السماء فقال: اللهم إن القوم استضعفوني، كما استضعفت بنو إسرائيل هارون، اللهم فإنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى عليك شئ في الأرض ولا في السماء، توفي مسلماً وألحقني بالصالحين».

وأحاديث تشيع حذيفة رضي الله عنه، وتشدده في الشيع ، كثيرة تزيد على مئة حديث ، وفيها متواتر ، وقد روت مصادر الطرفين عدداً منها!

فمن ذلك ما رواه محمد بن سليمان في المناقب: 1/222 ، بسنده عن ربيعة السعدي ، وروته مصادر الطرفين ، قال ربيعة: « أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إنا نتحدث في علي وفي مناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم لتفرون في علي وفي مناقبه ، فهل أنت تحدثني في علي بحديث ؟ فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) في كفة الميزان من يوم بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفة الأخرى ، لرجح عمله على جميع أعمالهم!

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد! فقال حذيفة: وكيف لا يُحتمل هذا يا ملكعان (يا أحمق)! أين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ثكلتك أمك ، وجميع أصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ود ينادي للمبارزة؟ فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً فقتله الله على يديه؟! والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمة محمد (صلى الله عليه وآله) إلى يوم القيامة » .

ومن ذلك: فرحته قبل أن يموت لما بلغه بيعة المسلمين لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، فخطب خطبة بليغة صريحة ، روى منها في مروج الذهب: 2/383 ، فقال: «وقد كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ست وثلاثين ، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال: أخرجوني وادعوا الصلاة جامعةً فوضع على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ، ثم قال:

أيها الناس، إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً ووازره فوالله إنه لعلى الحق آخراً وأولاً، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي الى يوم القيامة، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال: اللهم اشهد اني قد بايعت علياً، وقال: الحمد لله الذي أبقاني الى هذا اليوم. وقال لابنيه صفوان وسعد: إحملا نبي وكونا معه، فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معه، فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل. ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام، وقيل: بأربعين يوماً».

وروى هذه الخطبة بتفصيلها الديلمي في إرشاد القلوب: 2/323: وفيها: «صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وآل محمد، ثم قال: الحمد لله الذي أحيا الحق وأمات الباطل وجاء بالعدل ودحض الجور وركبت الظالمين.

أيها الناس إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً، وخير من نعلمه بعد نبينا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأولى الناس بالناس، وأحقهم بالأمر، وأقربهم إلى الصديق وأرشدهم إلى العدل، وأهداهم سبيلاً، وأدناهم إلى الله وسيلة وأقربهم برسول الله (صلى الله عليه وآله) رحماً. أنبيوا إلى طاعة أول الناس مسلماً، وأكثرهم علماً، وأصدقهم طريقة، وأسبقهم إيماناً، وأحسنهم يقيناً، وأكثرهم معروفاً، وأقدمهم جهاداً، وأعزهم مقاماً...

فقام الناس بأجمعهم فبايعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) بأحسن بيعة وأجمعها.

فلما استتمت البيعة، قام إليه فتى من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمد بن عمار بن التيهان أخي أبي الهيثم بن التيهان، يقال له مسلم متقلداً سيفاً، فناداه

من أقصى الناس: أيها الأمير ، إنا سمعناك تقول في أول كلامك إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً ، تعريضاً بمن كان قبله من الخلفاء أنهم لم يكونوا أمراء المؤمنين حقاً ، فعرفنا ذلك أيها الأمير رحمك الله ، ولا تكتننا ، فإنك ممن شهد وغبنا ، ونحن مقلدون ذلك في أعناقكم ، والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأمتكم ، وصدق الخبر عن نبيكم (صلى الله عليه وآله) .

قال حذيفة: أيها الرجل ، أما إذا سألت وفحصت هكذا فاسمع وافهم ما أخبرك به . أما من تقدم من الخلفاء قبل علي بن أبي طالب ممن تسمى بأمر المؤمنين ، فإنهم تسموا بذلك ، وسماهم الناس به .

وأما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإن جبرائيل سماه بهذا الإسم عن الله تعالى وشهد له الرسول (صلى الله عليه وآله) عن جبرائيل بإمرة المؤمنين ، وكان أصحاب رسول الله يدعونه في حياة رسول الله بأمر المؤمنين . قال الفتى: أخبرنا كيف كان ذلك ، يرحمك الله.

قال حذيفة... وذكر حديث النبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك وهو طويل وفيه موقف أبي بكر وعمر وأبي عبيدة من أمر النبي (صلى الله عليه وآله) .. وقال للفتى: هذه أنباء ما سألتني عنه .

فقال الفتى: لا جزى الله الذين شاهدوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسمعوه يقول هذا القول في عليّ ، خيراً ، فقد خانوا الله ورسوله وأزالوا الأمر عن رضي به الله وأقروه فيمن لم يره الله ولا رسوله لذلك أهلاً ، لا جرم والله لن يفلحوا بعدها أبداً! ونزل حذيفة عن منبره فقال: يا أبا الأنصار إن الأمر كان أعظم مما تظن! إنه عزب والله البصر، وذهب اليقين، وكثر المخالف، وقل الناصر لأهل الحق!

فقال له الفتى: فهلا انتصيتم أسيافكم ووضعتموها على رقابكم ، وضربتم بها الزائلين عن الحق قدماً قدماً حتى تموتوا ، أو تدركوا الأمر الذي تحبونه من طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله) ؟

فقال له: أيها الفتى إنه أخذ والله بأسماعنا وأبصارنا وكرهنا الموت ، وزينت عندنا الحيرة وسبق علم الله بإمرة الظالمين ، ونحن نسأل الله الصفح لذنوبنا ، والعصمة فيما بقي من آجالنا ، فإنه مالك رحيم .

ثم انصرف حذيفة إلى منزله وتفرق الناس .

ثم قال الراوي وهو عبد الله بن سلمة: فبينما أنا ذات يوم عند حذيفة أعوده في مرضه الذي مات فيه وقد كان يوم قدمت فيه من الكوفة وذلك من قبل قدوم علي (عليه السلام) إلى العراق ، فبينما أنا عنده إذ جاء الفتى الأنصاري فدخل على حذيفة فرحب به.. ثم ذكر حديث حذيفة مع الفتى الأنصاري ، وهو طويل وفيه حقائق كثيرة عن إخبار النبي (صلى الله عليه وآله) بما يجري بعده على علي والعترة (عليهم السلام) ، وإتمامه الحجّة على المخالفين لهم .

4. وكان حذيفة رضي الله عنه يستعمل أسلوب المداراة والتقية ، مع الحاكم ، روى عنه ذلك الموالون والمخالفون ، قال الذهبي في سيره: 2/361: « حذيفة بن اليمان ، من نجباء أصحاب محمد ، وهو صاحب السر... كان يقول: ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشترى بعض دينه ببعض ! قالوا: وأنت ؟ قال: وأنا والله » ! إنني لأدخل على أحدهم وليس أحد إلا فيه محاسن ومساوئ

ص: 345

فأذكر من محاسنه ، وأعرض عما سوى ذلك ، وربما دعاني أحدهم إلى الغداء فأقول: إني صائم ، ولست بصائم .».

ومعنى شراء بعض دينه ببعض: أنه كان يكتفم أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) ويكتفم رأيه في الحاكم الذي يعتقد بنفاقه ، حتى لا يعاديه ويمنعه من خدمة الإسلام وأمته ، وقيادة معارك الفتوحات ! ويدل قوله (رحمة الله) إنه صائم وليس بصائم، على أنه يرى جواز الكذب للتخلص من أكل الحرام أو المشبوه .

قال السرخسي في المبسوط: 24/46: «وقد كان حذيفة رضي الله عنه ممن يستعمل التقية على ما روى أنه يداري رجلاً فقيل له إنك منافق ! فقال: لا ، ولكنني أشتري ديني بعضه ببعض ، مخافة أن يذهب كله .».

وقال السرخسي: 30/214: «عن النزال بن سيدة قال: جعل حذيفة يحلف لعثمان رضي الله عنه على أشياء بالله ما قالها ، وقد سمعناه يقولها ، فقلنا له: يا أبا عبد الله سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها ، وقد سمعناك قلتها ! فقال: إني أشتري ديني بعضه ببعض ، مخافة أن يذهب كله . وإن حذيفة رضي الله عنه من كبار الصحابة ، وكان بينه وبين عثمان رضي الله عنه بعض المداراة ، فكان يستعمل معاريض الكلام فيما يخبره به ويحلف له عليه ، فلما أشكل على السامع سأله عن ذلك فقال: إني اشتري ديني بعضه ببعض ، يعني أستعمل معاريض الكلام على سبيل المداراة ، أو كأنه كان يحلف ما قالها ويعنى ما قالها في هذا المكان ، أو في شهر كذا.. فهذا ونحوه من باب استعمال المعاريض .».



ومعنى المعاريض: التورية تقيّةً وتخلصاً من الكذب ، لكن الظاهر من كلام حذيفة أنه يستحل الكذب للضرورة ، وأن الضرورة عنده واسعة ، فهي تشمل التعايش مع الحاكم ومدحه لأغراض دينية .

ومع أن علاقة حذيفة مع الخلفاء كانت جيدة ، وكانوا يحترمونه احتراماً خاصاً ، فقد كان بعضهم يتجسس عليه لينم عليه عند الخليفة .

روى الترمذي:3/253: « عن همام بن الحارث قال: مر رجل على حذيفة بن اليمان فقبل له هذا يبلغ الأمراء الحديث عن الناس ، فقال حذيفة: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا يدخل الجنة قَتَاتٌ . أي جاسوس نام .

وقد وصف حذيفة تسلط المنافقين بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) .

قال البخاري في صحيحه:8/100: «عن حذيفة بن اليمان قال: إن المنافقين اليوم شرُّ منهم على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) ، كانوا يومئذ يُسْرُونَ ، واليوم يجهرون » !

وفي صحيح البخاري:4/34: «ابتلينا حتى أن الرجل ليصلي وحده وهو خائف» .

وفي صحيح مسلم:1/91: «فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً» .

وقال ابن حجر في شرحه في فتح الباري:6/124: «وأما قول حذيفة: فلقد رأيتنا ابتلينا إلى آخره ، فيشبهه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان من ولاية بعض أمراء الكوفة كالوليد بن عقبة ، حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها ، وكان بعض الورعين يصلي وحده سراً ثم يصلي معه خشية من وقوع الفتنة.وقيل كان ذلك حين أتم عثمان الصلاة في السفر أو كان بعضهم يقصر سراً وحده أ خشية الإنكار» .

أقول: يدل قول حذيفة على أن تحريف الحكام وصل في عهده الى الوضوء والصلاة!

ولا ننس أن حذيفة من كبار الفقهاء ، فقد اختصم جيراناً في ملكية جدار قصب بينهم فبعثه النبي (صلى الله عليه وآله) ليقضي بينهم ، فقضى أن معاهد القصب من جهة أحدهم أمانة على ملكيته ، فأمضى ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) وصار قاعدة في أمارات اليد والملكية . (العروة الوثقى: 6/649، ومغني ابن قدامة: 5/43)

5. قال حذيفة إن النبي (صلى الله عليه وآله) حذّر من اثني عشر إماماً ، وبشّر باثني عشر إماماً! روى ابن حماد في كتاب الفتن/15، عن حذيفة قال: «ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاث مائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة ، كل ذلك مما علمنيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)» .

وقال كما في صحيح مسلم: 8/122، قال النبي (صلى الله عليه وآله) : « في أصحابي اثنا عشر رجلاً منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط » .

وفي كفاية الأثر/136، قال: «صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته ، فمن عمل بها فاز وغنم ، ومن تركها حلت به الندامة ، فالتمسوا بالتقوى السلامة من أهوال يوم القيامة ، فكأنني أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ، ومن تمسك بعترتي من بعدي كان من الفائزين ، ومن تخلف عنهم كان من الهالكين . فقلت: يا رسول الله على من تخلفنا؟ قال: على من خلف موسى بن عمران قومه؟ قلت: على وصيه يوشع بن

نون . قال: فإن وصي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب ، قائد البررة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره مخذول من خذله .

قلت: يا رسول الله فكم الأئمة من بعدك؟ قال: عدد نساء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين ، أعطاهم الله علمي وفهمي... ثم رفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعته فيما يقول: اللهم اجعل العلم والفقہ في عقبی وعقب عقبی ، وفي زرعي وزرع زرعي» .

6. كان حذيفة (رحمة الله) يخبر المسلمين بغرائب ستحدث ، فيدهشون ويتحIRON ، فقد روى ابن حماد بسند صحيح عندهم في كتابه الفتن/45، أن حذيفة قال: « لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم أتصدقوني؟ قالوا أو حق ذلك؟ قال حق! »

وفي إرشاد القلوب/337: عن حذيفة قال: « أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) خادمةً لأم سلمة فقال: إجمعي لي هؤلاء يعني نساءه ، فجمعتهن له في منزل أم سلمة ، فقال لهن: إسمعن ما أقول لكن ، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب ، فقال لهن: هذا أخي ووصيي ووارثي ، والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي ، فأطعنه فيما يأمركن به ، ولا تعصينه فتهلكن لمعصيته . ثم قال: يا علي أوصيك بهن ، فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك ، وأنفق عليهن من مالك ، وأمرهن بأمرك ، وانتهن عما يريبك ، وخل سبيلهن إن عصينك . فقال علي (عليه السلام) : يا رسول الله إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي . فقال (صلى الله عليه وآله) : إرفق بهن ما كان الرفق أمثل ، فمن عصاك منهن فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها . قال: كل نساء النبي (صلى الله عليه وآله) قد صمتن فما يقلن شيئاً ، فتكلمت عائشة فقالت: يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بشئ فنخالفه

إلى ما سواه! فقال لها: بلى قد خالفت أمري أشد خلاف! وأيم الله لتخالفين قولِي هذا ولتعصينه بعدي، ولتخرجين من البيت الذي خلفتك فيه متبرجة فيه، قد حف بك فتأم من الناس، فتخالفينه ظالمة له عاصية لربك ولتبتحنك في طريقك كلاب الحوَاب. ألا أن ذلك كائن! ثم قال: قمن فانصرفن إلى منازلكن. فقمن فانصرفن! «

وفي أمالي المفيد/58: «سمعت حذيفة بن اليمان قبل أن يقتل عثمان بن عفان بسنة وهو يقول: كأني بأمكم الحميراء قد سارت، يساق بها على جمل وأنتم آخذون بالشوى والذنب، معها الأزد أدخلهم الله النار، وأنصارها بنوضبة جدَّ الله أقدامهم! قال: فلما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لا يبدأن أحد منكم بقتال حتى آمركم. قال: فرموا فينا فقلنا: يا أمير المؤمنين قد رمينا، فقال: كُفوا، ثم رمونا فقتلوا منا، قلنا يا أمير المؤمنين قد قتلونا، فقال: إحملوا على بركة الله. قال: فحملنا عليهم فأنشب بعضنا في بعض الرماح حتى لو مشى ماش لمشي عليها، ثم نادى منادي علي: عليكم بالسيوف فجعلنا نضرب بها البيض فتنبوا لنا، فنادى منادي أمير المؤمنين: عليكم بالأقدام. قال: فما رأينا يوماً كان أكثر قطع أقدام منه.

قال: فذكرت حديث حذيفة أنصارها بنوضبة جدَّ الله أقدامهم فعلمت أنها دعوة مستجابة. ثم نادى منادي أمير المؤمنين (عليه السلام): عليكم بالبعير فإنه شيطان. قال: فعقره رجل برمحه، وقطع إحدى يديه رجل آخر فبرك ورغا، وصاحت عائشة صيحة شديدة، فولى الناس منهزمين، فنادى منادي أمير المؤمنين (عليه السلام): لا

تجيزوا على جريح ، ولا تتبعوا مدبراً ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن» .

7. روى عنه مديحاً لبعض الخلفاء ، فإن صح فلا بد أن يكون من باب التقية كالذي رواه الذهبي في سيره: 1/478: «عن حذيفة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد» .

والذي رواه البخاري: 1/133: «سمعت حذيفة قال: كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الفتنة؟ قلت.. ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر . قال إذاً لا يغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة . إنى حدثته بحديث ليس بالأعاليط ، فهبنا أن نسأل حذيفة ، فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر» . على أن هذا إخبار عما سيحدث أكثر منه مدحاً .

8. شارك في حرب أحد وما بعدها ، واستشهد فيها أبوه (رحمة الله) وكان شيخاً كبيراً!

في معجم الطبراني الكبير: 3/162: «عن عامر بن سعد أنه أقبل حذيفة وأبوه يوم بدر فلقبهم أبو جهل وأصحابه ، فقالوا لهما: لعلكما تريدان محمداً ، قالا قلنا: لا . قال: فأخذ علينا أن لا نعين عليهم . فلما أتينا النبي (صلى الله عليه وآله) ذكرنا ذلك له وقلنا: يا نبي الله إن القوم قد أخذوا علينا ، وإن أمرتنا أن نقاتل معك فعلنا . فقال: بل نستعين الله ونفي لهم» . ونحوه الحاكم: 3/201 .

وقال ابن هشام في السيرة النبوية: 3/604: « لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أحد ، زُفِعَ حَسِيلُ بنِ جَابِرٍ وهو اليمَانُ أَبُو حذيفة بن اليمان ، وثابث بن وقش ، في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبأ لك ما تنتظر! فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار إنما نحن هامة اليوم أوغد ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله) لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فأخذنا أسيافهما ثم خرجا، حتى دخلا في الناس ولم يُعلم بهما . فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حَسِيلُ بنِ جَابِرٍ فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة: أباي! فقالوا: والله إن عرفناه ، وصدقوا. قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يَدِيَهُ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله خيراً .» .

وفي أنساب الأشراف: 1/322: « والثبَّتْ سيوف المسلمين على أبي حذيفة بن اليمان وهو حَسِيلُ بنِ جَابِرٍ فقتل ، وحذيفة يقول: أباي أباي ! ثم قال: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . ويقال إن الذي أصابه عتبه بن مسعود ، فوهب حذيفة دمه للمسلمين .. وأظهر المسلمون الشعار بعدُ .» .

وكان لحذيفة أدوار تضحية في معارك النبي (صلى الله عليه وآله) ، منها: أن النبي (صلى الله عليه وآله) اختاره يوم الخندق ، وأمره أن يذهب ليلاً ، ويدخل إلى معسكر المشركين ويأتيهم بخبرهم !

قال الإمام الصادق (عليه السلام) ، كما في الكافي: 8/277: «قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) على التل الذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب ، في ليلة ظلماء قرّة (باردة) فقال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة؟ فلم يقم أحد ، ثم أعادها فلم يقم أحد!

فقال أبو عبد الله بيده: وما أراد القوم ، أرادوا أفضل من الجنة؟!

ثم قال: من هذا؟ فقال: حذيفة ، فقال: أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلم! أقبرت؟! فقام حذيفة وهو يقول: الْقَرُّ وَالصُّرُّ جعلني الله فداك منعني أن أجيبك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم ، فلما ذهب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده . وقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ، فأخذ سيفه وقوسه وحجفته .

ص: 353

قال حذيفة: فخرجت وما بي من ضُر ولا قَر ، فمررت على باب الخندق وقد اعتراه المؤمنون والكفار . (تواجدوا عليه) .

فلما توجه حذيفة قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونادى: يا صريخ المكروبين ، ويا مجيب المضطرين ، إكشف همي وغمي وكربي ، قد ترى حالي وحال أصحابي .

فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا رسول الله إن الله عز ذكره قد سمع مقالتك ودعاءك ، وقد أجابك وكفأك هول عدوك . فجثى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ، ثم قال: شكراً شكرياً كما رحمتني ورحمت أصحابي .

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : قد بعث الله عز وجل عليهم ريحاً من السماء الدنيا فيها حصى ، وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل .

قال حذيفة: فخرجت فإذا أنا بنيران القوم ، وأقبل جند الله الأول ريحاً فيها حصى ، فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها ، ولا خبأً إلا طرحته ، ولا رمحاً إلا ألقته حتى جعلوا يتترسون من الحصى ، فجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة ، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين ، فقام إبليس في صورة رجل مطاع في المشركين ، فقال: أيها الناس إنكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذاب ، ألا وإنه لن يفوتكم من أمره شيء ، فإنه ليس سنة مقام ، قد هلك الخف والحافر فارجعوا ، ولينظر كل رجل منكم من جلسه ، قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضربت بيدي فقلت: من أنت؟ فقال: معاوية . فقلت للذي عن يساري: من أنت؟ فقال سهيل بن عمرو!

قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم ، فقام أبو سفيان إلى راحلته ثم صاح في قريش: النجاء النجاء! وقال طلحة الأزدى: لقد زادكم محمد بشراً! ثم قام إلى راحلته وصاح في بني أشجع: النجاء النجاء! وفعل عيينة بن حصن مثلها ، ثم فعل الحرث بن عوف المزني مثلها ، ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها ، وذهب الأحزاب ، ورجع حذيفة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره الخبر . قال أبو عبد الله (عليه السلام) : إنه كان ليشبه يوم القيامة .

وفي رواية الواقدي: 1/488: «فكان حذيفة بن اليمان يقول: لقد رأيتنا في الخندق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ليلة شديدة البرد ، قد اجتمع علينا البرد والجوع والخوف ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من رجل ينظر لنا ما فعل القوم جعله الله رفيقي في الجنة . فقال حذيفة: يشرط له رسول الله (صلى الله عليه وآله) الجنة والرجوع فما قام منا رجل! ثم عاد



يقول ذلك ثلاث مرات ، وما قام رجلٌ واحدٌ من شدة الجوع والقر والخوف. فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك لا يقوم أحد دعاني فقال: يا حذيفة! قال: فلم أجد بداً من القيام حين فوّه باسمي ، فجنّته ولقلبي وجبانٌ في صدري، فقال: تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم! فقلت: لا والذي بعثك بالحق إن قدرت على ما بي من الجوع والبرد . فقال: اذهب فانظر ما فعل القوم ولا ترمين بسهمٍ ولا بحجر ولا تطعن برمح ولا تضربن بسيفٍ حتى ترجع إلي . فقلت: يا رسول الله ما بي يقتلونني ، ولكنني أخاف أن يمثلوا بي . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ليس عليك بأس! فعرفت أنه لا بأس عليّ.. فأقبلت فجلست على نارٍ مع قوم ، فقام أبو سفيان فقال: إحذروا الجواسيس والعيون ، ولينظر كل رجلٍ جلسه . قال فالتفتُ إلى عمرو بن العاص فقلت: من أنت وهو عن يميني . فقال: عمرو بن العاص . والتفتُ إلى معاوية بن أبي سفيان فقلت: من أنت فقال: معاوية بن أبي سفيان . ثم قال أبو سفيان: إنكم والله لستم بدار مقام ، لقد هلك الخف والكراع وأجذب الجناب ، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ، وقد لقينا من الريح ما ترون! والله ما يثبت لنا بناءً ، ولا تطمئن لنا قَدْر ، فارتحلوا فإني مرتحل.. الخ.».

ومنها: مشاهدته الصحابة المنافقين الذين شاركوا في مؤامرة اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقد روى مسلم في صحيحه: 8/123، عن أبي الطفيل قال: «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك! قال: كنا نُخَبِّرُ أنهم أربعة عشر ،

فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد! وعَدَرَ ثلاثة قالوا: ما سمعناه منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا علمنا بما أراد القوم! وقد كان في حرّة فمشى فقال: إن الماء قليل فلا يسبني إليه أحد، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ».

يقصد الراوي أن النبي (صلى الله عليه وآله) عَدَرَ ثلاثة منافقين كانوا في أعلى الجبل مع الذين كمنوا لقتله، وقبل قولهم إنهم لم يسمعوا منادي النبي (صلى الله عليه وآله) في جيش تبوك بأن يمروا من خلف الجبل ولا يمر أحد من طريق العقبة، الذي أراد أن يسلكه!

أما قصة الذين سبقوا النبي (صلى الله عليه وآله) الى الماء وشربوا فلعنهم، فهي حادثة منفصلة عن مؤامرة العقبة في المكان والزمان، وقد شرب منه بعض أصحاب العقبة، فلعنهم النبي (صلى الله عليه وآله) ثانيةً، بعد لعنة العقبة!

وقد أنزل الله في مؤامرة العقبة: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ..

واتفق الرواة على أن غزوة تبوك كانت في الصيف، وكانوا يسIRON ليلاً اتقاء الحر، وكان أمامهم طريق مختصر من العقبة لا يصلح لجيش من ثلاثين ألفاً فسلك الجيش طريق الوادي، وقرر النبي (صلى الله عليه وآله) أن يسلك طريق العقبة، وأحس بشئ، فنادى مناديه أن لا يسلك أحد العقبة.

فبادر المتآمرون وصعدوا الجبل ليدخرجوا صخوراً كبيرة عليه فتقتله، أو تنفر ناقته فتسقط في الوادي، وكان مسلكاً ضيقاً يتسع في نقطة منه لجمل واحد، وكان واديه عميقاً، روي أنه مقدار ألف رمح! (البحار: 82/267).

ومعنى رواية صحيح مسلم الرسمية أن المتأمرين كانوا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بين المسلمين ، وكان حذيفة وعمار يعرفانهم . وقد أمر الله نبيه (صلى الله عليه وآله) أن لا يعاقبهم وأن يكتفم أسماءهم ، لأن قتلهم يسبب ارتداد قريش وبعض العرب !

قال الواقدي: 2/1042: «فلما أصبح قال له أسيد بن الحضير...يا رسول الله فقد اجتمع الناس ونزلوا، فمُر كل بطن أن يقتل الرجل الذي همّ بهذا . فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله . وإن أحببت والذي بعثك بالحق فنبئني بهم فلا تبرح حتى آتيكم برؤوسهم ، وإن كانوا في البيت فكفيتكمهم ، وأمرت سيد الخزرج فكفأك من في ناحيته ، فإن مثل هؤلاء لا يتركون يا رسول الله ! حتى متى ندهانهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة ، وضرب الإسلام بجرانه ، فما تستبقي من هؤلاء؟! قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا أسيد إني أكره أن يقول الناس إن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين ، وضع يده في قتل أصحابه ! فقال: يا رسول الله فهؤلاء ليسوا بأصحاب ! قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم ! قال: أليس يظهرون أنني رسول الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم ! قال: فقد نهيت عن قتل أولئك» .

وفي تاريخ دمشق: 32/93، عن حكيم قال: «كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: مالي ولك أأست أخاك؟ قال: ما أدري ، إلا أنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلعنك ليلة الجبل ! قال: إنه قد استغفر لي ! قال عمار: قد شهدت اللعن ، ولم أشهد الإستغفار!

9. شارك حذيفة في فتوح الشام ، وجاء ببشارة النصر في اليرموك ، الى عمر ، ففي أسد الغابة: 1/391: « شهد حذيفة فتح الجزيرة ، ونزل نصيبين وتزوج بها ».

وقال الواقدي في فتوح الشام: 2/165: (وأرسل النعمان بن معرف إلى أهل أنكل فأسلموا ، وسميت باليمانية لأنها فتحت على يد حذيفة بن اليمان ».

وفي تاريخ يعقوبي: 2/141: «وأوفد أبو عبيدة إلى عمر وفداً ، فيهم حذيفة بن اليمان ، وقد كان عمر أرقّ عدة ليال واشتد تطلعه إلى الخبر ، فلما ورد عليه الخبر خرَّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي فتح على أبي عبيدة ، فوالله لو لم يفتح لقال قائل: لو كان خالد بن الوليد ».

وقال الواقدي في فتوح الشام: 1/227: «ودعا ( أبو عبيدة) بحذيفة بن اليمان ودفع الكتاب اليه ، وضم اليه عشرة من المهاجرين والأنصار وقال لهم: سيروا بكتاب الفتح والبشرى إلى أمير المؤمنين وبشروه بذلك وأجركم على الله ، فأخذ حذيفة الكتاب وسار هو والعشرة من وقتهم وساعتهم ، يجدون السير ليلاً ونهاراً ».

10. سكن حذيفة في الكوفة وشارك في فتح المدائن ومعركة جلولاء وخانقين ففي أعيان الشيعة: 4/595: «وأقطع (سعد في الكوفة) حذيفة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري ، وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين . وكان تمصير الكوفة سنة 15 من الهجرة ، وكان حذيفة في الجيش الذي فتح العراق ، فلما أقطعه سعد الآري ابنتى داراً وسكنه مع عشيرته ».

وقد ذكرنا في ترجمة سلمان أنه استطلع هو وحذيفة رضي الله عنهما الأماكن في العراق ، فاختارا الكوفة منزلاً للمسلمين فَمَصَّرُوهَا.

وقال الطبري:3/145:« كتب حذيفة إلى عمر: إن العرب قد أترفت بطونها وخفت أعضادها وتغيرت ألوانها ، وحذيفة يومئذ مع سعد..كتب عمر إلى سعد.. فابعث سلمان رائداً وحذيفة، وكانا رائدي الجيش ليرتادا منزلاً برياً بحرياً ، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر.».

وقال ابن حجر في الإصابة:2/40: «وفي الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة . وفيهما عن عمر أنه سأل حذيفة عن الفتنة . وشهد حذيفة فتوح العراق وله بها آثار شهيرة.».

ثم ذهب حذيفة الى الشام وشارك في معركة اليرموك ، وجاء بخبر النصر فيها الى المدينة ، ثم رجع الى الشام ثم الى العراق ، فشارك في فتح المدائن وما بعدها .

قال الطبري:3/16، في فتح المدائن: «وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة... فبعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على أهل الكوفة..».

قال البلاذري:2/334: «أن عمر بعث حذيفة وابن حنيف إلى خانقين ، وكانت من أول ما افتتحوا ، فختما أعناق أهل الذمة ، ثم قبضا الخراج» .

11. ثم توغل جيش المسلمين داخل إيران ، فشارك حذيفة في معركة تستر قال ابن الأعمش:2/277: «وعزم المسلمون على حرب أهل تستر ، فوثب أبو موسى يعبي أصحابه، فكان على ميمنته جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرته النعمان بن مقرن المزني ، وعلى الجناح البراء بن عازب ، وعلى أعنة الخيل عمار بن

ياسر ، وعلى رجالته حذيفة بن اليمان . ثم إنه زحف بخيله ورجله نحو تستر ، ورجل من المسلمين يقرأ هذه الآية: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا . قال: وخرج الهرمزدان صاحب تستر إلى حرب المسلمين في الأساورة والمرازبة ، وبين يديه قواد الأعاجم ، وكذلك عن يمينه وشماله ، فقال رجل من المسلمين: اللهم تعلم أنني أحب لقاءك وأبغض أعدائك ، فانصرنا عليهم ، واقبضني إليك يا رب ، إنك على كل شيء قدير ، قال: ثم إنه حمل على أهل تستر فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ، ثم وقف في ميدان الحرب ، قال: ثم حمل ثانية على أهل تستر ، فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمة الله عليه .

قال: واشتبك الحرب بين الفريقين فاقتتلوا ساعة من النهار ، وحمل رجل من الفرس يقال له مراد شاه في زهاء ألف فارس من أبطال الفرس على ميسرة أهل الكوفة ، وفيهم يومئذ بنو بكر بن وائل وجماعة من كنده ، قال: وانكشف الكوفيون بين يدي الفرس كشفاً أطمعهم في أنفسهم ، ثم رجعوا عليهم فطردوهم بين أيديهم طرداً وكدوهم بحملتهم عليهم كدأً ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، قال: ثم وقعت الهزيمة على أهل تستر ، فانهزموا والسيوف يأخذهم حتى دخلوا مدينتهم. فلما كان من غد ، عبأ أبو موسى أصحابه كما عبأهم بالأمس ، ثم زحف بهم نحو باب تستر .

قال: وخرج الهرمزدان صاحب تستر إلى قتال المسلمين ، وقد عبأ أصحابه تعبئة خلاف تعبئته بالأمس ، وعلى يمينته رجل من قواد يزدجرد يقال له

مهريار في نيف من عشرة آلاف من الأساورة، وعلى ميسرته رجل من الري يقال له شيرواهات في أربعة آلاف من الفرس، وبين يديه ملك من ملك الأهواز يقال له خرشيد بن بهرام في نيف عن عشرة آلاف فارس، ما يبين منهم شئ سوى حوافر الخيل من كثرة السلاح والتجافيف، والهزمزدان يومئذ في القلب في جماهير الأعاجم، عليه جوشن مذهب وبيضة مذهب وسيف محلى بالذهب، وقد التحف بدرقة مذهب، وفي يده طبرزين مذهب، وكل ذلك مما أتخفه به يزدجرد حين قاتل معه يوم جلولاء». إلى آخر ما ورد في وصف معركة تستر.

12. ثم قاد حذيفة معركة نهاوند، أكبر معارك فتح فارس، وحقق فيها النصر،

فقد كانت معارك المسلمين المهمة مع الفرس خمسة: معركة الجسر، والبُويب، والقادسية، وجلولاء، ونهاوند. وأكبرها نهاوند، وسميت فتح الفتوح.

فقد جمع الفرس فيها قواتهم من أنحاء البلاد وقيل بلغت مئة وخمسين ألف مقاتل، ونووا أن يقصدوا المدينة المنورة لاستئصال أصل دين العرب بزعمهم!

فكتب عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان والي الكوفة إلى بخبرهم إلى عمر، فخاف عمر وجمع الصحابة.

قال ابن الأعمش (2/291): «فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه وفهم ما فيه، وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع المسلمون أطيظ أضراسه. ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد، وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار! ألا فاجتمعوا رحمكم الله، وأعينوني أعانكم الله».

ص: 361

فأشاروا عليه بآراء مختلفة ، فقال له علي (عليه السلام) : «فأقم بالمدينة ولا تبرحها ، فإنه أهيب لك في عدوك ، وأرعب لقلوبهم ، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضهم لبعض: إن ملك العرب قد غزانا بنفسه لقلته أتباعه وأنصاره ، فيكون ذلك أشد لقلبهم عليك وعلى المسلمين ، فأقم بمكانك الذي أنت فيه وابعث من يكفيك هذا الأمر والسلام .

قال فقال عمر رضي الله عنه: يا أبا الحسن !فما الحيلة في ذلك ، وقد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاوند في خمسين ومائة ألف يريدون استئصال المسلمين؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحيلة أن تبعث إليهم رجلاً مجرباً قد عرفته بالبأس والشدة ، فإنك أبصر بجندك وأعرف برجالك ، واستعن بالله وتوكل عليه واستنصره للمسلمين ، فإن استنصره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها ، فإن أظفر الله المسلمين فذلك الذي تحب وتريد ، وإن يكن الأخرى وأعوذ بالله من ذلك، تكون ردةً للمسلمين وكهفاً يلجؤون إليه، وفئة ينحازون إليها . قال فقال له عمر: نعم ما قلت يا أبا الحسن...

فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته ، أقبل على الناس وقال: ويحكم عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ! والله لقد كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفسي .ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن ! فأشر علي الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً ، أستكفيه من هؤلاء الفرس فقال علي رضي الله عنه: قد أصبته . قال عمر: ومن هو؟ قال: النعمان بن مقرن المزني ، فقال عمر وجميع المسلمين:



أصبت يا أبا الحسن! وما لها من سواه . قال: ثم نزل عمر رضي الله عنه عن المنبر ودعا بالسائب بن الأقرع بن عوف ..».

وقال الطبري (4/122): «وكتب (عمر) إلى النعمان وكان بالبصرة، أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه، والأُمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن، فإذا قتل فحذيفة بن اليمان، فإن قتل فجرير بن عبد الله، فإن قتل فقيس بن مكشوح، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة. وقيل لم يُسم منهم، والله أعلم».

كما روى الطبري (3/203) أن النعمان بن مقرن: «عبأ كتائبه وخطب الناس فقال: إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان، وإن أصيب فعليكم جرير بن عبد الله، وإن أصيب جرير بن عبد الله، فعليكم قيس بن مكشوح».

وقال الطبري: 3/207: «ثم هز اللواء الثالثة، فحمل كل إنسان على من يليه من العدو، قال: فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر فحملنا حملة واحدة، وثبتوا لنا فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة، فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قياد (سلسلة) فيقتلون جميعاً وجعل يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوا خلفهم».

فقال النعمان رضي الله عنه: قدموا اللواء فجعلنا تقدم اللواء ونقتلهم ونهزمهم فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح، جاءته نشابة فأصابت خاصرته فقتلته . قال: فجاء أخوه معقل فسجى عليه ثوباً وأخذ اللواء فقاتل، ثم قال:

تقدموا تقتلهم ونهزمهم ، فلما اجتمع الناس قالوا: أين أميرنا؟ قال معقل: هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح ، وختم له بالشهادة . قال: فبايع الناس حذيفة .»

وقال ابن الأعمش: 2/303: «وتقدم أخوهما الأصغر واسمه سويد بن مقرن ، قال: وجعل سويد بن مقرن يقاتل حتى أثخن بالجراحات ولم يقتل ، فرجع بالراية فدفعها إلى حذيفة بن اليمان ، قال: فأخذها حذيفة فرفعها للمسلمين ، ثم قال: إني حامل ، وحمل حذيفة وحمل الناس معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلك ، إلى أن جاء الليل فحجز بينهم ، ورجع الفريقان بعضهم عن بعض .

قال: فلما أصبح القوم زحف بعضهم إلى بعض ، وتقدم رجل من الأساورة على فرس له لا ينال من طوله حتى وقف بين الجمعين ، ثم نادى: يا معشر العرب ! أنا بودان بن أرديه فهلموا إلى البراز ! قال: فلما سمعه الناس وهو يتكلم بالعربية كأنهم هابوه فلم يخرج إليه أحد ، قال: ونظر الفارسي أنه ليس يخرج إليه أحد فحمل على المسلمين حملة فشق الصفوف وخرج من الجانب الآخر ، ثم كر راجعاً على المسلمين فخالطهم واستلب منهم رجلاً عن فرسه فجعل يركض به والرجل معلق بيده حتى صار به إلى أصحابه فرمى به إليهم فقتل الرجل !

ثم أقبل بودان حتى صار إلى الموضع الذي كان فيه بدياً . قال: فاغتم المسلمون لذلك وجعل عمرو بن معد يكرب يرتجز ، ثم حمل بودان على المسلمين ليفعل كفعلته الأولى ، وحمل عليه عمرو بن معد يكرب من ورائه فضربه بالصمصامة ضربة على بيضته فقد البيضة والهامة ، ومرت الصمصامة تهوي حتى صارت

إلى جوف بوزان فسقط قتيلًا ، فنزل إليه عمرو فسلبه ما كان عليه ، فيقال إنه كان في وسط بوزان منطقة قُوِّمت بسبعة آلاف دينار .

قال: ودنت الفرس حتى تقاربت من صفوف المسلمين في خلق عظيم ، فجعلوا يرمون بالنشاب حتى جرحوا جماعة ، وهمّ المسلمون بالحملة عليهم فقال حذيفة: لا- تعجلوا حتى آذن لكم ، قال: فصبر المسلمون ساعة والفرس في خلال ذلك لا يفترون من الرمي ، وما يسقط منهم نشابة إلا في رجل من المسلمين ، فلما رأوا ذلك وإن الجراحات قد فشت فيهم تركوا وصية حذيفة ، ثم كبروا وحملوا على الفرس فكشفوهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم رجعوا إلى مراكزهم . قال: ورجعت إليهم الفرس كأنهم السباع الضارية في جموع لم يروا مثلها قبل ذلك ، فصاح عمرو بن معد يكرب: يا معاشر العرب والموالي ! ويا أهل الإسلام والدين والقرآن ! إنه لا ينبغي لكم أن يكون هؤلاء الأعاجم أصبر منكم على الحرب ، ولا أحرص منكم على الموت ، ففتناسوا الأولاد والأزواج ، ولا تجزعوا من القتل فإنه موت الكرام ومنايا الشهداء .

قال: ثم نزل عمرو عن فرسه ونزل معه أبطال بني عمه ، قال: والأعاجم في الآلة والأسلحة ، وبين أيديهم ثلاثون فيلاً ، على كل فيل منهم جماعة من أساورة الفرس ، قال: ونظر عامة المسلمين إلى عمرو بن معد يكرب وأصحابه وقد ترجلوا ، فنزل الناس وترجلوا ، ثم تقدموا نحو الخيل والفيلة ، فلم يكن إلا ساعة من أول النهار حتى إحمرت الأرض من دماء الفرس ، وقتلت الفيلة بأجمعها ، فما أفلت منها واحد . قال: فتراجعت الفرس إلى ورائها ، وإذا بفيلة

أخرى من الفرس قد أقبلت في قريب من عشرة آلاف بمطاردها وأعلامها ، وبين أيديهم رجل من قواد كسرى يقال له لرداود بن ادركرد ، وكان من أهل قاشان ، قال فتقدم على فيل له مزين وعلى رأسه تاج له يلمع بالجواهر ، وعن يمينه خمسة فيلة وعن يساره كذلك ، على كل فيل منها جماعة من أساورة الفرس . قال : ونظر إليهم قيس بن هبيرة المرادي فلم يكذب أن حمل على ذلك الفيل المزين ، فضرب خرطومه ضربة وقطعه ، ثم تأخر عنه وطعنه في عينه طعنة فإذا الفيل تقهقر إلى ورائه حتى أنه مر بساقية فيها ماء فعثر بها وسقط عنه لرداد بن ادركرد . قال : وتقدم قائد من قواد نهاوند يقال له هرمزد بن داران في نيف على خمسة آلاف فارس من نخبة الأعاجم حتى وقف بين الجمعين ، فأقبل حذيفة بن اليمان على الناس فقال : أيها المسلمون ! إن هؤلاء الأعاجم ليست معهم نَصَمَةٌ أن يخرج منهم رجل إلى رجل ، وذلك أنه إذا خرج منهم قائد لم يجد بداً من أن يخرج معه كل أصحابه ، وهذا عسكر لجب قد برز إليكم في مثل هذه التعبئة من الخيل والجنود والفيلة ، فثقوا بربكم وقاتلوا عن دينكم وصلوا على نبيكم . قال : فكان أول من خرج إلى هرمزد وأصحابه رجلان من قيس عيلان من بني مضر يقال لأحدهما بكير والآخر مالك ، فخرجا على فرسين لهما ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال له : يا أخي أعلم أنني حامل على هذا الجيش ولست أطلب منهم إلا عميدهم وكبيرهم هرمزد بن داران ، فما الذي ترى ؟

فقال أخوه : أرى أنني معك أحمل إذا حملت ، ومعك أقتل إن قتلت ، ومعك أرجع إن رجعت . قال : فخرجا جميعاً نحو هرمزد وأصحابه فطعنا في الخيل

ساعة حتى فروا هائمين يمينة ويسرة ، ثم إنهما حملا على هرمزد بن داران ، هذا عن يمينه وهذا عن يساره فطعناه فسقط إلى الأرض قتيلاً!  
قال: وتكاثر الفرس من كل ناحية على هذين الفتيين بكير ومالك ، فقتلا جميعاً ، رحمة الله عليهما..». إلى آخر وصف المعركة ، وقد  
واصلها حذيفة حتى كتب الله لهم النصر المبين ، وسميت فتح الفتوح ، لما ترتب عليها من انهيار قوة الفرس ، وهرب ملكهم يزجرد ،  
وانفتاح الطريق أمام المسلمين لاستكمال فتح إيران .

قال البلاذري: 2/274: (فسمي ذلك الفتح فتح الفتوح . وكان فتح نهاوند في سنة تسع عشرة يوم الأربعاء . ويقال في سنة عشرين).

وفي معجم البلدان: 5/314: «وذلك أول سنة 19، لسبع سنين من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل: كانت سنة 20، والأول أثبت»..

وقال في الأخبار الطوال/133: «كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين».

13. ثم قاد حذيفة أغلب معارك فتح إيران ، من الشرق والغرب والوسط ، من نهاوند إلى همدان وأصفهان والري وخراسان وجرجان ، ثم  
إلى بلاد آسيا التي خلف إيران ! ويكفي أن تقرأ قول خليفة بن خياط/107: «مضى حذيفة بن اليمان بعد نهاوند ، إلى مدينة نهاوند فصالحه  
دينار على ثمان مائة ألف درهم في كل سنة . ثم غزا حذيفة بن اليمان مدينة الدينور فافتتحها عنوة ، وقد كانت فتحت لسعد فانتقضت . ثم  
غزا حذيفة ماسبذان فافتتحها عنوة ، وقد كانت

فتحت لسعد فانتقضت ، وقد قيل في ماه غير هذا ، ويقال أبو موسى افتتح ماه دينار ، ويقال السائب بن الأقرع افتتح ماه دينار..

عن طارق بن شهاب قال: غزا أهل البصرة ماه ، فأمدهم أهل الكوفة وعليهم عمار، فأرادوا أن يشتركوا في الغنائم فأبى أهل البصرة ، فكتبوا إلى عمر فكتب عمر: إن الغنيمة بين من شهد الواقعة .

قال أبو عبيدة: غزا حذيفة همذان فافتتحها عنوة ولم تكن فتحت قبل ذلك . ثم غزا الري فافتتحها عنوة ولم تكن فتحت قبل ذلك ، وإليها انتهت فتوح حذيفة . قال أبو عبيدة: فتوح حذيفة هذه كلها في سنة اثنتين وعشرين».

ويقصد ابن خياط أن فتوح حذيفة في تلك السنة انتهت، وإلا فقد واصل جهاده .

وقال الحافظ الأصفهاني في أخبار إصبهان:1/63: «لما قتل النعمان بنهاوند وولي حذيفة فتح الله على يده الجبل ، فبعث(عبد الله بن) بديل بن ورقاء ومجاشع بن مسعود فتوجها نحو إصبهان ، فعدلا عن مدينتها فأخذ بديل إلى الطبسين وفتحها ، ثم خرج يريد قهستان من أرض خراسان .

وأقبل مجاشع إلى قاسان ففتح القاسانيين ، وأتى حصن أبروز فحاصر من فيه فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وكان أبو موسى أمير البصرة فخرج أبو موسى يريد ما يليه من الأرض ، فوافى أبو موسى من قبل الأهواز يريد إصبهان».

وقال الطبري:3/321: «أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت ، وأمر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمشير إلى أرض فارس وكرمان وأصبهان، وبعض من كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها

إلى أصبهان وأذربيجان والري ، وكان بعضهم يقول إنما كان ذلك من فعل عمر في سنة ثمان عشرة».

أقول: كان رأي عمر أن لا يتوسع المسلمون داخل إيران ، وأن يحصنوا حدود العراق مع الفرس ، فأقنعه علي (عليه السلام) فغير رأيه .

وروى ابن الأعمش في الفتوح (2/78): أن علياً (عليه السلام) حدّث عمر عن خراسان ومدنها، فقال عمر: «يا أبا الحسن لقد رغبتني في فتح خراسان ، قال علي (عليه السلام) : قد ذكرت لك ما علمت منها مما لا شك فيه».

وروى الطبري (3/ 246) « عن أبي الجنوب الشكري عن علي بن أبي طالب قال: لما قدم على عمر فتح خراسان ، قال لوددت أن بيننا وبينها بحراً من نار ، فقال علي: وما يشتد عليك من فتحها ، فإن ذلك لموضع سرور !

وفي الطبري: 3/222: «بدا له (عمر) أن يأذن في الإنسياح...لما رأى عمر أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حرباً ، وقيل له لا يزال هذا الدأب حتى يخرج من مملكته . أذن الناس في الإنسياح في أرض العجم حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في يدي كسرى . فوجه الأمراء من أهل البصرة بعد فتح نهاوند ، ووجه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند...وولى عمار بن ياسر .. وقدمت الألوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن.. إلى خراسان . وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله وعقد لهما على أذربيجان.. وجعل مكانهما حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف حذيفة على ما سقت دجلة وما وراءها وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعاً...»

وكتب إلى أهل الكوفة إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى».

وقال الطبري: 3/308: «ثم إن الوليد (بن عقبة والي عثمان على الكوفة) صالح أهل آذربيجان على ثمان مائة ألف درهم، وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة. ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر، فلما ولي عثمان وولى الوليد بن عقبة الكوفة سار حتى وطأهم بالجيش، فلما رأوا ذلك انقادوا له وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح، ففعل فقبض منهم المال وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات».

وقال الطبري في تاريخه: 3/324، عن فتح خراسان وشمال إيران: «غزا سعيد بن العاص (والي الكوفة) من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه الحسن والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير..»

وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيداً (بن العاص) ونزل أبرشهر، وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً فنزل سعيد قومس، وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف.

ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف، فقال لحذيفة: كيف صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره، فصلى بها سعيد صلاة الخوف



وهم يقتتلون ، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم فسألوا الأمان ، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً ، وحوى ما كان في الحصن»!

أقول: ذكرنا في فصل تأصيل الفتوحات ، عدم صحة مشاركة الحسن والحسين (عليهما السلام) في الفتوحات ، فلا يمكن قبول هذه الفقرة من الرواية .

وقال البلاذري: 2/400: «إن المغيرة بن شعبة قدم الكوفة والياً من قبل عمر بن الخطاب ، ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية أذربيجان ، فأنقذه إليه وهو بنهاوند أو بقرها ، فسار حتى أتى أربيل ، وهي مدينة أذربيجان وبها مرزبانها وإليه جباية خراجها ، وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان وميمذ والنرير وسراة والشيز والميانج وغيرهم . فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً ، ثم إن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على ثمان مئة ألف درهم وزن ثمانية ، على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسيبه ولا يهدم بيت نار ، ولا يعرض لأكراد البلاسجان وسبلان وساترودان ، ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن في أعيادهم ، وإظهار ما كانوا يظهرونه . ثم إنه غزا موقان وجيلان ، فأوقع بهم وصالحهم على أتاوة» .

ثم ولاء عمر أذربيجان فعقد صلحاً مع أهل أربيل وجيلان ، ففي فتوح البلاذري: 2/400: «أن المغيرة بن شعبة قدم الكوفة والياً من قبل عمر بن الخطاب ، ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية أذربيجان ، فأنقذه إليه وهو بنهاوند أو بقرها ،

فسار حتى أتى أربيل ، وهي مدينة أذربيجان وبها مرزبانها ، وإليه جباية خراجها . وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان وميمذ والنرير وسراة والشيز والميانج وغيرهم ، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً ، ثم إن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على ثمان مئة ألف درهم وزن ثمانية ، على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسببه ولا يهدم بيت نار ، ولا يعرض لأكراد البلاسجان وسبلان وساتردان ، ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه . ثم أنه غزا موقان وجيلان ، فأوقع بهم وصالحهم على أتاوة» .

وفي تاريخ جرجان للسهمي/46: «باب ذكر من دخل جرجان من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) : منهم أبو عبد الله الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وحذيفة بن اليمان وسعيد بن العاص ، وسويد بن مقرن ، وعبد الله بن أبي أوفى وأبو هريرة ، وعبد الله بن الزبير ، ويقال الحسن بن علي ، وسواد بن قطبة ويقال سواده بن قطبة ، وسماك بن مخرمة ، وهند بن عمرو ، وعتيبة بن نهاس... عن سليم بن عبد قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان ومعه حذيفة بن اليمان وأصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) فقال: من سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: صُفَّ صفاً مما يليك وصفاً مما يلي العدو فصل بمن يليك ركعة وسجدتين، ثم ينطلق هؤلاء يصلون معك ركعة وسجدتين ، ثم سلم». وتقدم نفي مشاركة الحسنين (عليهما السلام) بنفسيهما في الفتوح .

وقال الطبري: 3/333: «صرف (عثمان) حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج معه سعيد بن العاص ، فبلغ معه آذربيجان وكذلك كانوا يصنعون ، يجعلون للناس رداءً ، فأقام حتى قفل حذيفة ثم رجعا».

وقال في: 3/375: «ورجع العمال إلى أعمالهم ومضى حذيفة إلى الباب».

وقال الطبري: 3/353: «استعمل (والي الكوفة) على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان ، وكان على ذلك الفرج (أرمينيا وما حاذها) قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة القرشي... فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة ، فلما أحس حذيفة أقر وأقروا ، فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات ، فقتل عثمان في الثالثة ، ولقيهم مقتل عثمان».

وفي صحيح بخاري: 6/99: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اليهود والنصارى».

وسياتي دور حذيفة رضي الله عنه في توحيد نسخة القرآن الكريم .

والنتيجة: أن حذيفة رضي الله عنه قاد جيش المسلمين بعد نهاوند في الفتوحات سنين متطاولة، حتى أنه عندما قتل عثمان كان يفتح مناطق جديدة في آسيا الوسطى .

وقد كان دوره وافرأ في معارك فتح إيران: ففي معركة جلولاء التي كان قائدها وبطلها هاشم المرقال ، كان حذيفة فيها قائداً . ثم قاد حذيفة معركة حلوان وفتحها. ثم كان في معركة تستر قائداً .

14. شارك حذيفة في فتح أرمينيا وكان والياً عليها لفترة ، في زمن عمر وعثمان ذكر ابن الأعمش: 2/346 ، أن عثمان عزل حبيب بن مسلمة عن أرمينية وولى عليها حذيفة بن اليمان ، فدعا حذيفة برجل من بني عمه يقال له صلة بن زفر العبسي ، فوجه به إلى بلاد أرمينية وجعله خليفة لها بها ، وأقام حذيفة بالمدينة ، وأقبل صلة بن زفر العبسي إلى بلاد أرمينية فأقام بها حولاً كاملاً ، وجعل يذل ملوكها بغاية الذل والهوان ، حتى أذعنوا له بالسمع والطاعة .

ثم عزل عثمان حذيفة من أرمينية وولى عليها المغيرة بن شعبة مع آذربيجان ، ثم عزله عثمان وولى مكانه الأشعث بن قيس ، فكان بها إلى أن قتل عثمان بن عفان، فكان الأشعث على أرمينية وآذربيجان يجبي خراجها ويحمله إلى عثمان.

بينما قال الطبري(3/353): «فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات ، فقتل عثمان في الثالثة ، ولقيهم مقتل عثمان» .

والجمع بين هاتين الروايتين بأن الأشعث كان والياً على الخراج ، وكان حذيفة يتولى غزو المناطق الباقية . وإسم أرمينية يشمل في روايات الفتوحات عدة دول في آسيا الشرقية ، فقد ورد أن بلنجر مدينة في أرمينية ، وهي الآن مدينة في منطقة داغستان .

15. وكان حذيفة والي المدائن مع سلمان رضي الله عنهما ، ومسح أرض العراق في الطبري: 3/222: «وكتب (عمر) إلى أهل الكوفة إنني بعثت إليكم عمار بن ياسر

أميراً، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى».

وفي تاريخ يعقوبي: 2/152: «وجه (عمر) عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان، فمسحوا السواد، وأمرهما أن لا يحملأ أحداً فوق طاقته، فاجتبي خراج السواد ثمانين ألف ألف درهم، وأجرى على عثمان بن حنيف خمسة دراهم في كل يوم وجراباً من دقيق، وأمره أن لا يمسح تلاً ولا أجمةً ولا مستنقع ماء ولا ما لا يبلغه الماء. وأن يمسح بالذراع السوداء وهو ذراع وقبضة وأقام إبهامه فوق القبضة شيئاً يسيراً، فمسح عثمان كل شئ دون جبل حلوان إلى أرض العرب وهو أسفل الفرات، فكتب إلى عمر: إني وجدت كل شئ بلغه الماء من عامر وغير عامر، بلغه الماء، عمله صاحبه أو لم يعمله درهماً وقيظاً وعلى الكرم عشرة دراهم، وعلى الرطاب خمسة دراهم. وفرض على رقابهم: على الموسر ثمانية وأربعين، وعلى من دون ذلك أربعة وعشرين، وعلى من لا يجد اثني عشر درهماً، وقال: درهم في الشهر لا يعوز رجلاً! فحمل من خراج السواد، في أول سنة، ثمانون ألف ألف درهم، وحمل من قابل عشرون ومائة ألف ألف درهم».

وقال البلاذري: 2/333: «مسح حذيفة سقى دجلة، ومات بالمدائن. وقناطر حذيفة نسبت إليه وذلك أنه نزل عندها ويقال جدها».

وروي أن حذيفة كان في تلك الفترة يتردد على الكوفة وعلى المدينة، وفي تاريخ دمشق: 12/294: «سمعت أبا إسحاق يقول: كان حذيفة يجرى كل جمعة من المدائن إلى الكوفة. قال أبو بكر: فقلت له يستطيع أن يجرى من المدائن إلى الكوفة؟ قال: نعم».

كانت له بغلة فارهة». والمسافة بين الكوفة والمدائن نحو مئة كيلو متر، لكن الفرس أو البغلة السريعة يمكن أن تقطعها في بضع ساعات .

وفي تاريخ الطبري:3/88: «عن سعيد بن جبير قال: بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات أنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها . فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك؟ فكتب إليه: لا بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلافة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم ، فقال الآن . فطلقها».

16. ومضافاً الى بطولات حذيفة في الفتوحات ، كان بطل توحيد نسخة القرآن فعندما كان قائداً لجيش المسلمين في فتح أرمينيا ، وقع اختلاف بين جند الشام وجند العراق في ألفاظ في قراءة القرآن ، فكان بعضهم يقول إن ما تقرأه لم ينزله الله تعالى وليس قرآناً ، ويجيبه الآخر كذلك ، فكادت تقع بينهم حرب !

فهدأهم حذيفة وقصد الى المدينة يطلب من عثمان توحيد نسخة القرآن ، فكلفه أن يجمع نسخة أبي بن كعب التي عند ابنه محمد ، ونسخة عمر التي عند حفصة ونسخة أبي موسى الأشعري من البصرة، ونسخة عبدالله بن مسعود في الكوفة فنهض حذيفة بذلك .

وكلف عثمان سعيد بن العاص وزيد بن ثابت أن يكتبوا النسخة المعتمدة ، فكتبوا كثيراً منها عن نسخة علي (عليه السلام) ، ثم أرسلها عثمان الى الأمصار .

وسبب ما وقع من خلاف في ألفاظ القرآن أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يصحح للمسلمين قراءتهم للقرآن ، لأنه نزل بصيغة واحدة لا تقبل التغيير ولا التعدد .

وبعد وفاته (صلى الله عليه وآله) كان الناس يراجعون الخليفة فيقول لهم عمر: إقرؤوا كيفما شئتم ، فالقرآن كله صواب ! ثم سمع أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، أي أقسام: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص ، فاتخذها عمر حجة للتوسع في نص القرآن ، وقال إن القرآن نزل على سبعة أحرف أي يتسع لسبعة أنواع من القراءة ! فتتج عن ذلك التفاوت في القراءات حتى انفجر ذلك بين المسلمين في فتح أرمينيا ! (تدوين القرآن للمؤلف/192).

روى عمر بن شبة في تاريخ المدينة: 3/991: « عن ابن شهاب قال: حدثني أنس بن مالك ، أنه اجتمع لغزوة أرمينية وأذربيجان أهل الشام وأهل العراق ، فتذاكروا القرآن ، فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة ، فركب حذيفة بن اليمان إلى عثمان لما رأى من اختلافهم في القرآن ، فقال: إن الناس قد اختلفوا في القرآن حتى والله إنني لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ! ففرغ لذلك عثمان فزعاً شديداً... فإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ، ويأتون بما لم يسمع أهل الشام ، ويقراء أهل الشام بقراءة أبي بن كعب ويأتون بما لم يسمع أهل العراق ، فيكفرهم أهل العراق.. أن ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية ، فإذا قرأها قال: فإني أكفر بهذه ! »

ووصف ابن شبة مصادرة حذيفة مصحف أبي موسى الأشعري بما فيه من زيادات ! فقال في تاريخ المدينة: 3/998: « استأذن رجل على ابن مسعود فقال الأذن: إن القوم والأشعري (جالسين معه) وإذا حذيفة يقول لهم: أما إنكما إن شئتما أقمتما هذا الكتاب على حرف واحد ، فإني قد خشيت أن يتهون الناس فيه تهون أهل

الكتاب ، أما أنت يا أبو موسى فيطيعك أهل اليمن ، وأما أنت يا ابن مسعود فيطيعك الناس . قال ابن مسعود: لو أنني أعلم أن أحداً من الناس أحفظ مني لشددت رحلي براحتي حتى أنيخ عليه . قال: فكان الناس يرون أن حذيفة رضي الله عنه ممن عمل فيه حتى أتى على حرف واحد.. أتيت دار أبي موسى الأشعري فإذا حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري فوق إجار (دكة) فقلت: هؤلاء والله الذين أريد ، فأخذت أرتقي لهم فإذا غلام على الدرجة فمنعني أن أرتقي إليهم فنازعته حتى التفت إليّ بعضهم فأتيهم حتى جلست إليهم ، فإذا عندهم مصحف أرسل به عثمان فأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه ، فقال أبو موسى: ما وجدتكم في مصحفي هذا من زيادة فلا تنقصوها ، وما وجدتكم من نقصان فاكتبوه فيه ! فقال حذيفة: فكيف بما صنعنا ، والله ما أحد من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشيخ يعني ابن مسعود ، ولا أحد من أهل اليمن يرغب عن قراءة هذا الآخر يعني أبا موسى . وكان حذيفة هو الذي أشار على عثمان أن يجمع المصاحف على مصحف أحد». انتهى.

(راجع تفصيل ذلك في كتاب تدوين القرآن/177، وكتاب قرآن علي للمؤلف) .

17. ذكر بعضهم أن حذيفة كان عامل النبي (صلى الله عليه وآله) على دُبا وهي عاصمة قديمة لعمان ، لأنهم أزد يون وحذيفة عبسي وعبس من الأزد .

قال ابن سعد في الطبقات: 5/527: «قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعامله على دُبا حذيفة بن اليمان». والصحيح أنه حذيفة آخر ، وقد ورد اسمه في بعض الروايات: حذيفة بن محصن البارقي . (البلاذري: 1/92).

ص: 378



وقال في الطبقات: 7/101: « وُدُّبَاءُ فِيمَا بَيْنَ عَمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ ، وَقَدْ كَانُوا أَسْلَمُوا وَقَدِمُوا وَفَدَّهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُقْرَبِينَ بِالْإِسْلَامِ ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ مُصَدِّقًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانَ الْأَزْدِيُّ مِنْ أَهْلِ دُبَاءَ ، وَكَتَبَ لَهُ فَرَائِضَ الصَّدَقَاتِ ، فَكَانَ يَأْخُذُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَيُرْدِيهَا عَلَى فَقْرَائِهِمْ ، فَلَمَّا تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ارْتَدَوْا وَمَنَعُوا الصَّدَقَةَ فَكَتَبَ حَذِيفَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ ، فَوَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ إِلَيْهِمْ فَالْتَقَوْا فَاقْتَتَلُوا ، ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ عِكْرَمَةَ عَلَيْهِمُ الظَّفَرَ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَأَكْثَرَ فِيهِمُ الْقَتْلَ ، وَمَضَى فَلَهُمْ إِلَى حِصْنِ دُبَاءَ فَتَحَصَّنُوا فِيهِ ، وَحَصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي حِصْنِهِمْ ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى حَكْمِ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانَ الْأَزْدِيِّ فَقَتَلَ مِائَةَ مِنْ أَسْرَافِهِمْ وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ ، وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ وَفِيهِمْ أَبُو صَفْرَةَ غَلَامٌ لَمْ يَبْلُغْ يَوْمَئِذٍ ».

أقول: نصت الرواية على أن حذيفة هذا من أهل دبا ، وحذيفة بن اليمان عسبي أزدي لكنه من عسب في الحجاز ، وليس من عمان .

18. من صفات حذيفة: أن النبي (صلى الله عليه وآله) خيَّره بين أن يكون مهاجراً أو أنصارياً فاختار أن يكون أنصارياً ، لأنه عسبي أسلم وهاجر ، ولأن أباه ترك بني عسب لصراع بينهم وقد قتل منهم رجلاً وهرب إلى المدينة ، وتحالف مع الأنصار وسمي اليماني لأنه حالف الأنصار اليمانيين ، (الطبقات: 3/441، والإصابة: 2/39)

وتقدم ذكر أبيه واستشاده في أحد ، وأمه أنصارية هي الرباب بنت كعب بن عدي بن عبد الأشهل . وقال ابن سعد: ولدت لليمان حذيفة وسعداً وصفوان ومدلجاً وليلى . (الإصابة: 8/131).

وأولاده: صفوان وسعيد ، فآا بالشهادة بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) بوصية أبيهما رضي الله عنهم. وعمران بن حذيفة ، كان من مقدمي أصحاب المختار في ثورته لأخذ ثأر الحسين (عليه السلام) وقتله مصعب بن الزبير بعد قتل المختار. (الكامل:4/280).

وله ابن آخر هو ربيعة ، نسب إليه: إبراهيم بن مسلم الحذيفي ، وهو ابن مسلم بن عثمان ، بن مسلم ، بن مسعود ، بن مسلم ، بن ربيعة ، بن حذيفة بن اليمان العبسي ، بغدادي سكن همدان. (اللباب لابن الأثير: 1/351 ، وتاريخ بغداد:6/184).

وذكر ابن سعد بنته أم موسى بنت حذيفة (6/297) وبنته أم سلمة وأنها روت عن أبيها (8/477) وذكر زوجته جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري (8/482).

ص: 380

1- إسمه الضحاك ، بن قيس ، بن معاوية ، بن الحصين «مقاعس» بن عبادة ، بن النزال، بن مرة بن عبيد، بن الحارث بن كعب، بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

أدرك النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يره (أسد الغابة: 1/55) وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث رجلاً يدعو بني سعد إلى الإسلام وكان الأحنف فيهم ، فجعل يعرض عليهم الإسلام فقال الأحنف: والله إنه يدعو إلى خير ويأمر بالخير ، وما أسمع إلا حسناً ، وإنه يدعو إلى مكارم الأخلاق ، وينهى عن ملامئها ، فذكر الرجل ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله) فقال: اللهم اغفر للأحنف .

2- وفد إلى المدينة على عهد عمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعري ، الذي كان والياً على البصرة آنذاك، ليرفعوا إليه بعض حوائج أهل البصرة ، فلم يتكلم أحد سوى الأحنف ، وكان مما قال: « وإنا أناس بين سبحة وبين بحر أجاج ، لا يأتينا طعامنا إلا في مثل حلقوم النعامة ، فأعد لنا قفيزنا ودرهمنا ، فأعجب منه ذلك عمر ، لكنه أعرض عنه لحدثه سنه ، فقال له أجلس يا أحنف فغلب لقبه على إسمه .» (تاريخ دمشق: 24/312).

قال الأحنف بن قيس: « قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني حولاً ، فقال: يا أحنف ، إني قد بلوتك وخبرتك وخبرت علانيتك ، فلم أر إلا خيراً ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وإنا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم ، فإذا أنت مؤمن عليم اللسان .» (تهذيب الكمال: 2/285).

أقول: لا وجه لحبس عمر للأحنف لمدة سنة إلا مزاج عمر ، وقد أثبت بصره أنه فهم مزاج عمر ، وأثبت أنه صاحب عقل وافر . وقد سماه عمر الأحنف ، فغلب عليه هذا الإسم ، والأحنف: الذي في مشط قدمه مَيْلٌ أو تشوه . (الصحاح:4/1374).

3- يضرب به المثل في الحلم والحكمة والنبيل فيقال: أحلم من الأحنف بن قيس وله في ذلك أخبار مأثورة . (الغارات:2: 754). واشتهر بالحكمة ، ورويت عنه حكم كثيرة ، منها أنه قال: الكامل من عدت هفواته . (ربيع الأبرار:2/100).

وقال: جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام ، فإني أبغض الرجل يكون وصافاً لبطنه وفرجه . (ربيع الأبرار:2/252).

وقال: إني لأجالس الأحمق ساعة ، فأتبين ذلك في عقلي . (ربيع الأبرار:2/40).

وقال: لا صديق لملول ، ولا وفاء لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة لبخيل ، ولا سؤدد لسئ الخلق . (عيون الأخبار لابن قتيبة:2/13).

وقال: «أربع من كن فيه كان كاملاً، ومن تعلق بخصلة منها كان صالحاً: دين يرشده، أو عقل يسدده ، أو حسب يصونه، أو حياء يحجزه». (معدن الجواهر للكراچكي/45). وقال: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال . (ربيع الأبرار:2/215).

وقال: لقد مرت على مائة هنة كلها أطأطى لها رأسي فتجوزني ، ولو نصبت لإحداهن لاصطلمتني . (ربيع الأبرار:2/226).

وقال: لست حليماً وإنما أنا صبور . (ربيع الأبرار:3/96).

وقيل لشيخ: علّمني الحلم، قال: هو يا ابن أخي، الذل أفتصبر عليه!

وقال الأحنف: مايسرني بنصبي من الذل حمر النعم! فقال له رجل: أنت أعز العرب فقال: إن الناس يرون الحلم ذلاً». (عيون الأخبار لابن قتيبة: 1/407).

وقال الحسن البصري: ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف. وقال سفيان: ما وزن عقل الأحنف بعقل إلا وزنه. (تاريخ دمشق: 4/316)

وفي ربيع الأبرار: 2/135: «قيل لرجل: بم سادكم الأحنف فوالله ما كان أكبركم سنأ ولا بأكثركم شيئاً؟ قال: بقوة سلطانه على نفسه».

وفي مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا/109: «صعد الأحنف بن قيس فوق بيته فأشرف على جاره، فقال: سوءة سوءة! دخلت على جاري بغير إذن! لا صعدت فوق هذا البيت أبداً». وبقي الأحنف سيداً لتميم أربعين سنة.

وتوفي الأحنف في الكوفة سنة سبع وستين، ودفن في الثوية. (الغارات: 2/754).

وفي معجم البلدان: 1/55: «قال المدائني: إن الأحنف لم يكن له ولد إلا بحر، وبه كان يكنى، وبننت، فولد بحر ولداً ذكراً ودرج ولم يعقب، وانقرض عقبه من ابنته أيضاً».

4- وعندما وصلت عائشة الى البصرة دعت لنصرتها، وأرسلت إليه أن يأتيها مرتين فأبى! «فكتبت إليه: يا أحنف ما عذرك في ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين، أمن قلّة عدد أو أنك لاتطاع في العشيرة؟ فكتب إليها: إنه والله ما طال العهد بي، ولا نسيت عهدي في العام الأول، وأنت تحرضين على جهاده، وتذكرين أن جهاده أفضل من جهاد فارس والروم»! (شرح الأخبار: 1/381).

5- كان الأحنف من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وروى عن أبي ذر (رحمة الله) قال: «كنا ذات يوم عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجد قبا، ونحن نقرّ من أصحابه فقال: معاشر أصحابي يدخل عليكم من هذا الباب رجل هو أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، قال فنظروا وكنت فيمن نظر ، فإذا نحن بعلي بن أبي طالب قد طلع ، فقام (صلى الله عليه وآله) فاستقبله وعانقه وقبّل ما بين عينيه ، وجاء به حتى أجلسه الى جانبه ، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقال: هذا إمامكم بعدي، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي وطاعتي طاعة الله ، ومعصيتي معصية الله عز وجل». (أمالي الصدوق/634).

6- كان أول من أجاب دعوة أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما دعا أهل البصرة لقتال معاوية ، فلما وصل كتاب أمير المؤمنين الى ابن عباس في البصرة ، قرأه للناس وقال: «أيها الناس استعدوا للشخص الى إمامكم، وانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم.. فلما أتت كلامه ، قام الأحنف فقال: نعم والله لنجيبك ، ونخرج معك على العسر واليسر ، والرضا والكره ، نحتسب في ذلك الأجر، ونأمل به من الله الثواب العظيم». (شرح النهج: 3/187).

وجاء الأحنف مع وجوه قومه وأشرف البصرة من القبائل الأخرى الى الإمام (عليه السلام) في الكوفة فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين إن تك سعد لم تنصرك يوم الجمل فإنها لم تنصر عليك ، وقد عجبوا أمس ممن نصرك وعجبوا اليوم ممن خذلك ، لأنهم شكوا في طلحة والزبير ، ولم يشكوا في معاوية ، وعشيرتنا بالبصرة ، فلو بعثتنا إليهم فقدموا إلينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم ، وأدركوا اليوم ما فاتهم بالأمس.. فقال (عليه السلام): أكتب الى قومك من بني سعد، فكتب الأحنف الى بني

سعد: «أما بعد ، فإنه لم يبق أحد من بني تميم إلا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم عصمكم الله برأيي حتى نلتم ما رجوتم ، وأمنتكم ما خفتكم ، وأصباحتم منقطعين من أهل البلاء ، لاحقين بأهل العافية ، وإني أخبركم بأننا قدمنا على تميم الكوفة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين ، بمسيرهم إلينا مع علي ، وإجابتهم إلى المسير إلى الشام، فأقبلوا إلينا ، ولا تتكلوا عليهم». (أعيان الشيعة: 1/466).

7- اقترح الأحنف على أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يكون مندوبه للتحكيم بعد صفين ، مقابل ابن العاص فقال: «يا أمير المؤمنين: إنك رُميت بحجر الأرض ، ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام ، وإني قد عجمت هذا الرجل ، يعني أبا موسى ، وحلبت شطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ، ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم ، فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعني ، وإن شئت فاجعني ثانياً أو ثالثاً ، فإن عمراً لا يعقد عقدة إلا حللتها ، ولا يحل عقدة إلا عقدت لك أشد منها ، فعرض الإمام ذلك على الناس فأبوه! وقالوا لا يكون إلا أبو موسى» (شرح النهج: 2/230).

ولما رأى الأحنف إصرار أهل الكوفة على تحكيم أبي موسى ، نصح أبا موسى عندما ودَّعه قائلاً: «يا أبا موسى إعرف خُطْبَ هذا الأمر ، واعلم إن له ما بعده وإنك إن أضعت العراق فلا عراق ، إتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك ، وإذا لقيت غداً عمراً فلا تبدأه بالسلام ، فإنها وإن كانت سنة إلا أنه ليس بأهلها ، ولا تعطه يدك فإنها أمانة ، وإياك أن يقعدك على صدر الفراش ، فإنها

خدعة ، ولا تلقه إلا وحده ، وأحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع ، تخبأ لك فيه الرجال والشهود .» (شرح النهج: 2/249).

8- قال له معاوية: « أنت الساعي على أمير المؤمنين عثمان ، وخاذل أم المؤمنين عائشة ، والوارد الماء على عليّ بصفين؟! فقال الأحنف: من ذلك ما أعرف ومنه ما أنكر ، أما أمير المؤمنين فأنتم معاشر قريش حضرتموه بالمدينة ، والدار مناعه نازحة ، وقد حضره المهاجرون والأنصار وكنتم بين خاذل وقاتل ، أما عائشة فإني خذلتها في طول باع ورحب سرب ، وذلك أني لم أجد في كتاب الله إلا أن تقرّ في بيتها . أما ورودي الماء بصفين ، فإني وردت حين أردت أن تقطع رقابنا عطشاً! فقام معاوية وأمر له بخمسين ألف درهم .» (شرح الأخبار: 1/745).

9- خطب شاميّ في مجلس معاوية: « فكان آخر كلامه أن لعن علياً (عليه السلام) فأطرق الناس! وتكلم الأحنف فقال لمعاوية: إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم ، فاتق الله ودع عنك علياً ، فقد لقي ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله ، وكان والله المبرز بسبقه ، الطاهر خلقه ، الميمون نقيته ، والعظيم مصيبيته . فقال معاوية: يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت بغير ما ترى ، وأيم الله لتصعدنّ المنبر فلتلعه طوعاً أو كرهاً !

فقال له الأحنف: إن تعفني فهو خير لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري به شفتاي أبداً . قال: فاصعد المنبر! قال الأحنف: أما والله لأنصفنك في القول والفعل . قال: وما أنت قائل يا أحنف؟ قال: أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله ، وأصلي على نبيه (صلى الله عليه و آله) ثم أقول: أيها الناس إن معاوية أمرني أن ألعن علياً ،



وإن علياً ومعاوية إختلفا واقتتلا- وأدعى كل واحد منهما أنه بغى على فئته ، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله ، ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، وألعن الفئة الباغية، اللهم العنهم لعناً كثيراً! يا معاوية: لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفاً، ولو كان فيه ذهاب نفسي ، فسكت معاوية وأعفاه عن ذلك». (مواقف الشيعة: 1/244).

«عن الحسن البصري قال: جلسوا عند معاوية فتكلموا وصمت الأحنف ، فقال معاوية: يا أبا بحر ، مالك لا تتكلم ؟ قال: أخافكم إن صدقتكم، وأخاف الله إن كذبت .» (عيون الأخبار لابن قتيبة: 2/195) .

وفي ربيع الأبرار للزمخشري: 2/61: «خطب معاوية فقال: إن الله يقول: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا-عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ، فعلام يلوموني إذا قصرت في عطياتكم؟ فقال الأحنف: إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ، ولكن على ما أنزله من خزائنه فجعلته أنت في خزانتك ، وحلّت بيننا وبينه!» !

10. «قال الأحنف: دخلت على معاوية فقدم إليّ من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه ، ثم قدم لونا ما أدري ما هو فقلت: ما هذا ؟ قال: مصارين البط محشوة بالمخ (بمخاخ العصافير)، قد قلت بدهن الفستق ، وذر عليه الطبرزد . فبكيت فقال: ما يبكيك؟ قلت: ذكرت علياً ، بينا أنا عنده فحضر وقت إفطاره ، فسألني المقام إذ دعا بجراب مختوم ، قلت: ما في الجراب ؟ قال: سويق شعير . قلت: خفت عليه أن يؤخذ أو يخلت به ؟ قال: لا ولا أحدهما ، ولكنني خفت أن يلبثه الحسن والحسين بسمن أو زيت . قلت: محرم هو يا أمير المؤمنين ؟ قال:

لا ، ولكن يجب على أئمة الحق أن يعتدوا أنفسهم من ضعفة الناس ، لئلا يطغى بالفقير فقره ! قال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله .» (التذكرة الحمودنية/69).

11- كان (رحمة الله) شجاعاً قائداً ، فقد جعله أمير المؤمنين (عليه السلام) أميراً على تميم البصرة كلها في معركة صفين . (شرح نهج البلاغة: 4/27) كما كان له دور قيادي في الفتوحات ، فكان أول من توجه الى فتح خراسان ، وطارد يزيدجرد وقاتله وهزمه ، وكان فتح مرو الروذ وغيرها على يديه . (تاريخ دمشق: 24/313) .

وكان على مقدمة الجيش في فتح هرات، وطخارستان، وطالقان، والجوزجان وغيرها . (شرح النهج: 4/27) . راجع ما كتبناه عنه في فتح إيران .

وفي عيون الأخبار لابن قتيبة: 1/330: «كتب معاوية إلى زياد: أنظر رجلاً يصلح لشعر الهند فولّه، فكتب إليه إن قبلي رجلين يصلحان لذلك: الأحنف بن قيس، وسان بن سلمة الهذلي . فكتب إليه معاوية: بأي يومي الأحنف نكافيه؟ أبخذلانه أم المؤمنين ، أم بسعيه علينا يوم صفين؟ فوجه سناناً .

فكتب إليه زياد: إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ، ما لا تنفعه الولاية ، ولا يضُرُّه العزل !»

1. شاء الله عز وجل أن يجعل من أبناء الفرعون أبي أحيحة، مسلمين مؤمنين! وأبو أحيحة هو سعيد بن العاص الأموي، من كبار أثرياء قريش، ومعنى الأحيحة الضغينة في الصدر، وروي أن ابنه أحيحة قتل في حرب الفجار.

والمعروف من أبنائه ابنه العاص الذي شهد بدرًا مع المشركين فقتله علي (عليه السلام)، وخالد، وعمرو، وأبان، والحكم، وسعيد، وقد أسلموا وختم الله لهم بالشهادة، وأفضلهم خالد. وانحصرت ذرية أبي أحيحة بحفيده سعيد بن العاص، وقيل إن خالدًا له عقب ولم يثبت ذلك.

«كان أبو أحيحة إذا اعتَمَّ بمكة لا يعتَم أحد بلون عمامته إعظاماً له، وكان يقال له: ذو التاج. وكان شديدًا على المسلمين، وكان أعز من بمكة، فمرض فقال: لئن الله رفعني من مرضي هذا، لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة! فقال ابنه خالد عند ذلك: اللهم لا ترفعه. فتوفي في مرضه ذلك». (أسد الغابة: 2/82).

2. أكرم الله خالدًا برؤيتين كانتا سبب هدايته قبل أن يصدع النبي (صلى الله عليه وآله) بدعوته! ففي الاستيعاب: 2/422: «عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: كان إسلام خالد بن سعيد قديمًا، وكان أول إخوته إسلامًا، وكان بدء إسلامه أنه رأى في النوم أنه وقف به على شفير النار، فذكر من سعتهما ما الله أعلم به، وكان أباه يدفعه فيها، ورأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) آخذًا بحقويه لا يقع فيها، ففزع وقال: أحلف بالله إنها لرؤيا حق».

وفي الطبقات: 1/166، وتاريخ دمشق: 16/67، قالت ابنته أم خالد المولودة في الحبشة: «لما كان قبيل مبعث النبي (صلى الله عليه وآله) بينا خالد بن سعيد ذات ليلة نائم، قال: رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه، فبينما هو كذلك إذ خرج نور من زمزم ثم علا في السماء فأضاء في البيت، ثم أضاء مكة كلها، ثم إلى نجد، ثم إلى يثرب فأضاءها حتى أنني لا أنظر إلى البُسْر (الرطب) في النخل! قال: فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد، وكان جَزَلَ الرأي (راجح الرأي) فقال: يا أخي إن هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب! ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم (زمزم) قال خالد: فإنه لمما هداني الله به للإسلام .

قالت أم خالد: فأول من أسلم أبي، وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا خالد أنا والله ذلك النور، وأنا رسول الله، فقص عليه ما بعثه الله به، فأسلم خالد، وأسلم عمرو . والمنمق/292، وكنز الفوائد/93 .

وفي طبقات ابن سعد (4/94 و95): «فلقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بأجناد فقال يا محمد إلى ما تدعو قال: أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لم يعبد! قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله . فسَرَّ رسول الله بإسلامه... وتغيب خالد، وعلم أبوه بإسلامه فأرسل بطلبه من بقي من ولده ممن لم يسلم، ورافعاً مولاه فوجدوه، فأتوا به إلى أبيه أبي أحيحة، فأنبه وبكَّته وضربه بمقرعة في يده حتى كسرهما على رأسه،

ثم قال: أتبع محمدًا وأنت ترى خلافه قومه ، وما جاء به من عيب آلهتهم ، وعيب من مضى من آبائهم ! فقال خالد: قد صدق والله واتبعته

فغضب أبو أحيحة ونال من ابنه وشتمه ، ثم قال: إذهب يا لكع حيث شئت فوالله لأمنعك القوت ! فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به. فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به ، فانصرف خالد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكان يلزمه ويكون معه» والحاكم: 3/248.

وفي الأحاد والمثاني: 1/387: « وكان جميلاً ، وسيماً ، قُتل وهو ابن نحو خمسين » .

3. هرب من سجن أبيه وعاش هو وزجته في مكة فترةً ، ثم هاجر إلى الحبشة. قال ابن سعد في الطبقات: 4/95: « كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص ثالثاً أو رابعاً ، وكان ذلك ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعو سراً.. فضربه أبو أحيحة بقراعة في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم أمر به إلى الحبس وضيق عليه وأجاعه وأعطشه ، حتى لقد مكث في حر مكة ثلاثاً ما يذوق ماء ، فرأى خالد فرجة فخرج ، فتغيب عن أبيه في نواحي مكة ، حتى حضر خروج أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الحبشة في الهجرة الثانية » .

أقول: أثبتنا في السيرة النبوية من مصادر الطرفين أن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث أولاً إلى بني هاشم خاصة فجمعهم لحمايته مقابل قريش ، التي أصرت على قتله ، ولم يدعُ الناس إلا بعد ثلاث سنوات عندما أنزل الله تعالى عليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . وجاء جبرئيل (عليه السلام) وقال له: لقد كفأك الله إياهم! وكانوا خمسة فراعنة فقتلهم الله في يوم واحد ، كما تقدم في ترجمة ابن الوليد .

وفي تلك السنوات الثلاث لم يؤمن إلا بعض بني هاشم وأبو ذر بكرامة رآها ، وسعيد بن العاص بكرامة رآها . وهذا يدل على مقامهما المميز رضي الله عنهما .

وفي الإستيعاب:2/420: «هاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته الخزاعية، وولد له بها ابنه سعيد بن خالد وابنته أم خالد...قالت..وشهد أبي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمرة القضاء وفتح مكة وحنيناً والطائف وتبوك، وبعثه رسول الله على صدقات اليمن، فتوفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي باليمن» .

أقول: لم ينقطع سعيد عن النبي (صلى الله عليه وآله) بعد هجرته ، ويظهر أنه كان مأموراً بالبقاء في الحبشة مع جعفر ، وكان يتحرك الى الشام واليمن بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) .

قال ابن سعد(4/99) وابن عساكر في تاريخه (16/71): « إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعثه في رهط من قريش إلى ملك الحبشة فقدموا عليه.. هو وأصحابه وقد فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من وقعة بدر ، فأقبل يمشي ومعه ابنته فقال: يا رسول الله لم تشهد معك بدرأ ، فقال (صلى الله عليه وآله) : أوما ترضى يا خالد أن يكون للناس هجرة ولكم هجرتان ثنتان ؟ قال: بلى يا رسول الله . قال: فذاك لكم . ثم إن خالدأ قال لابنته: إذهبي إلى عمك ، إذهبي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسلمي عليه ، فذهبت الجويرية حتى أتته من خلفه فأكبت عليه ، وعليها قميص أصفر فأشارت به إلى رسول الله تريه فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : سنه سنه ، يعني بالحبشية: أبلبي وأخلقي ثم أبلبي وأخلقي».

كما أن قول ابن عبد البر: «وبعثه رسول الله على صدقات اليمن» خطأ أو مسامحة . وقد أرسله (صلى الله عليه وآله) الى اليمن مرات ، منها في فتحها مع علي (عليه السلام) ، وآخرها والياً على صنعاء الى أن توفي النبي (صلى الله عليه وآله) ، قال ابن عساكر (16/77): «فاستعمل على

صنعاء خالد بن سعيد بن العاص». وفي مكاتيب النبي (صلى الله عليه وآله) للأحمدي: 1/303: «وكتب له (صلى الله عليه وآله) كتاب الفرائض».

4. أسلم خالد وأخوه عمرو ، وأقنعا بالمراسلة أحاهما أباناً ، فأسلم عند عودتهما من الهجرة وحسن إسلامه ، فولاه النبي (صلى الله عليه وآله) علي البحرين ، وبقي والياً عليها حتى توفي النبي (صلى الله عليه وآله) وشارك في فتح الشام ، واستشهد مع أخويه في السنة الرابعة عشرة للهجرة . (الإصابة: 1/169). وسيأتي الكلام في شهادة خالد !

ويفهم من شعر أبان أن زوجة خالد الخزاعية كان لها دور في إقناعه بالإسلام ، فقد بعث لأخويه خالد وعمرو رسالة إلى الحبشة ، كما في تاريخ دمشق: 6/129:

« ألا ليت ميتاً بالظريبة شاهداً \*\*\* لما يفترى في الدين عمرو وخالد

أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا \*\*\* يعينان من أعدائنا من نكابد

فأجابه أخوه خالد:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عرضه \*\*\* ولا هو عن سوء المقالة مقصر

يقول إذا اشتدت عليه أموره \*\*\* ألا ليت ميتاً بالظريبة ينشر

فدع عنك ميتاً قد مضى لسبيله \*\*\* وأقبل على الحي الذي هو أفقر »

ثم أسلم أبان وحسن إسلامه ، وكذا الحكم بن سعيد .

قال في دمشق: 29/57: «استشهد الحكم بن سعيد بن العاص يوم مؤتة مع جعفر بن أبي طالب ، واستشهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حصن الطائف سعيد بن سعيد بن العاص... وولد سعيد بن العاص أبو أحيحة ثمانية رجال ، لم يمت أحد منهم على فراشه ! فقتل ثلاثة مع المشركين ، وخمسة مع المسلمين ! قتل أحيحة

يوم الفجار ، وقتل العاص بن سعيد بن العاص ، وعبيدة بن سعيد بن العاص يوم بدر، وقتل سعيد بن سعيد يوم الطائف ، وقتل الحكم بن سعيد يوم اليمامة ، وكان يُعلم الحكمة بالمدينة ، وقتل خالد يوم مرج الصُّفَر ، وهو الذي يقول:

مَنْ فارسٌ كَرِهَ الطعان يعيرني \*\*\* رمحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَر

وقتل أبان وعمرو يوم أجنادين . وقال ابن الكلبي: قتل عمرو يوم فحل... قال علي بن محمد عن أبي معشر المدني في تسمية من استشهد من المسلمين يوم اليمامة: الحكم بن سعيد بن العاص بن أمية.. وذكر أبو بكر البلاذري أن الحكم قد استشهد يوم اليمامة ، قال: ويقال إنه قتل يوم مؤتة».

5. هاجر خالد إلى الحبشة فكان مع جعفر وكان يتردد على النبي (صلى الله عليه وآله) ويكلفه بمهمات ، فقد أرسله إلى قيصر، وتأثر به كبير الأساقفة. (تاريخ دمشق: 16/67).

وكان يتاجر إلى اليمن فجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) بمنجنيق من جرش (إمتاع الأسماع: 2/21).

وكان يكتب للنبي (صلى الله عليه وآله)، وهو أول من بدأ الرسائل بكتابة البسملة في أول كتب النبي (صلى الله عليه وآله) (الدر المنثور: 1/11) وتجد في مكاتبات النبي (صلى الله عليه وآله) بضعة عشر كتاباً ختمت بعبارة: « وكتبه خالد بن سعيد بن العاص » منها كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى بني عمرو من حمير (مكاتيب الرسول للأحمدي: 1/214) وكتابه إلى ثقيف (المصدر: 3/58) وكتابه إلى بني أسد (المصدر: 3/239) ولبنو عريض (المصدر: 3/255) وإلى بني غاديا (المصدر: 3/421) وإلى بني عوف من بني سليم (المصدر: 3/434) وإلى راشد بن عبد رب السلمي (المصدر: 3/436) وإلى بني جفال بن ربيعة بن زيد الجذاميين (المصدر: 3/447) وإلى العداء بن خالد بن هوذة (المصدر: 3/449) وإلى سعيد بن



سفيان الرعلي (المصدر: 3/ 475) والى عك ذي خيوان (سنن أبي داود: 2/40) والى يهود تيماء (الفاائق: 3/231) والى بني عمرو من حمير (الطبقات: 1/265) والى بني أسد (الطبقات: 1/269) والى بني عريض طعمة وهم قوم من يهود (الطبقات: 1/278).

وكان سفير النبي (صلى الله عليه وآله) والمفاوض عنه لثقيف ، وكتب عهدهم . (الدرر/248).

ومن حبه للنبي (صلى الله عليه وآله) صنع لنفسه في الحبشة خاتماً عليه إسمه فأعجب النبي (صلى الله عليه وآله) فأخذه منه ، وكان خاتمه الشريف .

وقال في الإستيعاب: 2/422: «ذكر البغوي.. أنه أتى النبي (صلى الله عليه وآله) وعليه خاتم من فضة مكتوب عليه: محمد رسول الله ، قال: فأخذه مني فلبسه وهو الذي كان في يده (صلى الله عليه وآله) .» وفي الإستيعاب: 3/1177: أنه كان خاتم أخيه عمرو بن سعيد ، وأنه بعد النبي (صلى الله عليه وآله) : «أخذه أبو بكر فكان في يده ، ثم أخذه عمر فكان في يده ، ثم أخذه عثمان فكان في يده عامة خلافته ، حتى سقط منه في بئر أريس .»

ورجع من الهجرة مع جعفر بن أبي طالب في سنة سبع . (الإستيعاب: 3/1177) .

6. شارك سعيد بفعالية في حروب النبي (صلى الله عليه وآله) وأمره في فتح مكة على سرية وأرسله قائد سرية الى ذي عرنة . (التنبيه والإشراف/233) .

وأرسله مع علي (عليه السلام) لفتح اليمن فجعله علي (عليه السلام) قائد مقدمته ، وبرز الى عمرو بن معدى كرب فنهاه علي (عليه السلام) ، وبرز اليه علي (عليه السلام) وصاح بعمر وصيحة علويةً فهرب ! ثم جاء عمرو واستأمن ، وأعطى سيفه المشهور الصمصامة الى خالد .

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) بعث خالد بن الوليد في جيش الى اليمن ، فبقي ستة أشهر ولم يستطع فعل شئ ، فأرسل علياً (عليه السلام) فقصده جهة ، فتحرك خالد ليسبقه اليها فنهاه فلم ينته ، فبعث اليه خالد بن سعيد فأجبره على طاعة أميره .(كشف الغمة:1/229).

وقال ابن حجر في الإصابة:2/203: «وثبت في ديوان عمرو بن معد يكرب أنه مدح خالد بن سعيد بن العاص لما بعثه النبي (صلى الله عليه وآله) مصدقاً عليهم بقصيدة يقول فيها:

فقلت لباعي الخير إن تأت خالداً \*\*\* تُسرَّ وترجع ناعمَ البال حامدا

وقال ابن إسحاق وخليفة والزبير بن بكار: استشهد خالد يوم مرج الصفر وكذا قال إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة . وقال محمد بن فليح عن موسى بن عقبة: استشهد يوم أجنادين . كذا قال أبو الأسود عن عروة . وقد اختلف أهل التاريخ أيهما كان قبل».

7. وعندما توفي النبي (صلى الله عليه وآله) جاء الى المدينة ، وتفاجأ ببيعة أبي بكر ، فغضب ، واستنكر عمل أهل السقيفة ، ووقف بقوة الى جانب علي (عليه السلام) وقال لبني هاشم: أنتم الظهار والبطان ، والشعار دون الدثار، والعصا دون اللحا ، فإذا رضيتم رضينا ، وإذا أسخطتم أسخطنا... وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها ، واضطغنها عليه عمر ، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام ، قال له عمر: أتولي خالداً وقد حبس عليك بيعته ، وقال لبني هاشم ما قال! .(شرح النهج:2/58).

وفي أسد الغابة:2/84:«فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر طيبوا الثمر ، ونحن تبع لكم . فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد وأبان . ثم استعمل أبو بكر

خالداً على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى الشام، فقتل بمرج الصُّفْر في خلافة أبي بكر».

وفي الإحتجاج:1/97، والخصال/461، عن أبان بن تغلب قال: « قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام): جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قال: نعم ، كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً. من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان ، وسهل وعثمان ابنا حنيف ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري.. وغيرهم، فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره فقال بعضهم: هلا- نأتيه فننزله عن منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم، وقال الله عز وجل: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، ولكن إمضوا بنا إلى علي بن أبي طالب نستشيريه ونستطلع أمره . فأتوا علياً (عليه السلام) فقالوا: يا أمير المؤمنين ضيعت نفسك وتركت حقاً أنت أولى به ، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فإن الحق حَقُّك ، وأنت أولى بالأمر منه ، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك .

فقال لهم علي (عليه السلام): لو فعلتم ذلك ما كنتم إلا حرباً لهم ، ولا كنتم إلا كالكحل في العين أو كالملاح في الزاد ، وقد اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها والكاذبة على ربها ! ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت ، لما تعلمون من

وغير صدور القوم ، وبغضهم لله عز وجل ولأهل بيت نبيه (صلى الله عليه وآله) ، وأنهم يطالبون بثارات الجاهلية!

والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال ، كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولبيوني ، وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك ، فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي ! وذلك أني ذكرت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا علي إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك ، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر ! ألا وإنهم سيغدرون بك لا محالة ، فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك ، فإن الأمة ستغدر بك بعدي ! كذلك أخبرني جبرئيل عن ربي تبارك وتعالى !

ولكن إئتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم (صلى الله عليه وآله) ، ولا تجعلوه في الشبهة من أمره ، ليكون ذلك أعظم للحجة عليه ، وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربه وقد عصى نبيه (صلى الله عليه وآله) وخالف أمره !

قال: فانطلقوا حتى حفوا بمنبر رسول الله يوم جمعة فقالوا للمهاجرين: إن الله عز وجل بدأ بكم في القرآن فقال: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فبكم بدأ . وكان أول من بدأ وقام ، خالد بن سعيد بن العاص يادلاله ببني أمية فقال: يا أبا بكر إتق الله فقد علمت ما تقدم لعلي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألا تعلم أن رسول الله قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة ، وقد أقبل على رجال منا ذوي قدر فقال: يامعشر المهاجرين والأنصار أوصيكم بوصية فاحفظوها ، وإني مؤد إليكم أمراً فأقبلوه ، ألا إن علياً أميركم من بعدي ، وخليفتي فيكم ،

أوصاني بذلك ربي. وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتؤووه وتصروه ، اختلفتم في أحكامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ، وولي عليكم الأمر شراركم !

ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون أمري ، القائمون بأمر أمتي ، اللهم فمن حفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي ، واجعل له من مرافقتي نصيباً يدرك به فوز الآخرة . اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها السماوات والأرض !

فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممن يُرضى بقوله. فقال خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب ، فوالله إنك لتعلم أنك تنطق بغير لسانك ، وتعتصم بغير أركانك !

والله إن قريشاً لتعلم أني أعلاها حسباً ، وأقواها أدباً ، وأجملها ذكراً ، وأنك الأمها حسباً ، وأقلها عدداً ، وأخملها ذكراً ، وأقلها من الله عز وجل ومن رسوله غنى . وإنك لجبانٌ عند الحرب ، بخيلٌ في الجذب ، لينمُ العنصر ، ما لك في قريش مفخر ! قال: فأسكته خالد فجلس !

ثم قام أبو ذر (رحمة الله) فقال ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد يا معشر المهاجرين والأنصار ، لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: الأمر لعلي بعدي ، ثم للحسن والحسين ، ثم في أهل بيتي من ولد الحسين ، فأطرحتم قول نبيكم ، وتناسيتم ما أوعز إليكم ، واتبعتم الدنيا وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا يهدم بنيانها ولا يزول نعيمها ، ولا يحزن أهلها ، ولا يموت سكانها .

وكذلك الأمم التي كفرت بعد أنبيائها بدلت وغيرت ، فحاذيتموها حذو القذة بالقذة ، والنعل بالنعل ، فحما قليل تذوقون وبال أمركم ، وما الله بظلام للعبيد !

ثم قام سلمان الفارسي (رحمة الله) فقال: يا أبا بكر إلى من تستند أمرك إذا نزل بك القضاء ، وإلى من تقزع إذا سئلت عما لا تعلم ، وفي القوم من هو أعلم منك وأكثر في الخير أعلاماً ومناقب منك ، وأقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قرابة وقدمه ، وفي حياته قد أوعز إليكم فتركتم قوله ، وتناسيتم وصيته ، فحما قليل يصفو لكم الأمر حين تزوروا القبور ، وقد أثقلت ظهرك من الأوزار ، لو حملت إلى قبرك لقدمت على ما قدمت ، فلو راجعت إلى الحق وأنصفت أهله لكان ذلك نجاة لك يوم تحتاج إلى عملك ، وتقرد في حفرتك بذنوبك بما أنت له فاعل ، وقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا ، فلم يردعك ذلك عما أنت له فاعل ، فالله الله في نفسك ، فقد أعذر من أنذر !

ثم قام المقداد بن الأسود (رحمة الله) فقال: يا أبا بكر إربع على نفسك ، وقس شبرك بفترك والزم بيتك ، وابك على خطيئتك ، فإن ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك ورُدَّ هذا الأمر إلى حيث جعله الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) ولا تركز إلى الدنيا ، ولا يغرنك من قد ترى من أوغادها ، فحما قليل تضحل عنك دنياك ، ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك . وقد علمت أن هذا الأمر لعلي وهو صاحبه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) . وقد نصحتك إن قبلت نصحي .

ثم قام بريدة الأسلمي فقال: يا أبا بكر، نسيت أم تناسيت أم خادعتك نفسك أما تذكر إذا أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسلمنا على علي بإمرة المؤمنين ، ونبينا عليه

السلام بين أظهرنا! فاتق الله ربك وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها من هلكتها، ودع هذا الأمر ووكله إلى من هو أحق به منك، ولا تمار في غيك، وارجع وأنت تستطيع الرجوع، فقد نصحتك نصحي، وبذلت لك ما عندي، فإن قبلت وفقت ورشدت!

ثم قام عبد الله بن مسعود فقال: يا معشر قريش قد علمتم وعلم خياركم أن أهل بيت نبيكم أقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) منكم، وإن كنتم إنما تدعون هذا الأمر بقرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقولون: إن السابقة لنا، فأهل نبيكم أقرب إلى رسول الله منكم وأقدم سابقة منكم. وعلي بن أبي طالب صاحب هذا الأمر بعد نبيكم فأعطوه ما جعله الله له، ولا ترتدوا على أعقابكم فتقلبوا خاسرين!

ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا أبا بكر، لا تجعل لنفسك حقاً جعله الله عز وجل

لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخالفه في أهل بيته، واردد الحق إلى أهله، يخفّ ظهرك وتقل وزرك، وتلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو عنك راض، ثم تصير إلى الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عما فعلت!

ثم قام خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: يا أبا بكر أأست تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قال: نعم، قال: فأشهد بالله أنني سمعت رسول (صلى الله عليه وآله) يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم!

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا أبا بكر أنا أشهد على النبي (صلى الله عليه وآله) أنه أقام علياً فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه ولي من كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مولاه، فقال (صلى الله عليه وآله): إن أهل بيتي نجوم أهل الأرض فقد موهم ولا تقدموهم .

ثم قام سهل بن حنيف فقال: أشهد أنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال على المنبر: إمامكم من بعدي علي بن أبي طالب، وهو أنصح الناس لأمتي .

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: إتقوا الله في أهل بيت نبيكم، وردوا هذا الأمر إليهم، فقد سمعتم كما سمعنا في مقام بعد مقام، من نبي الله (صلى الله عليه وآله) أنهم أولى به منكم . ثم جلس . ثم قام زيد بن وهب فتكلم، وقام جماعة من بعده، فتكلموا بنحو هذا ..

قال الصادق (عليه السلام): فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني!

فقال له عمر بن الخطاب: إنزل عنها يا لكع! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة. قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله، وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل (يقصد هياً ألفاً) فقال لهم: ماجلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل،



فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله، فقال عمر:

والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لناخذن الذي فيه عيناه! فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا ابن صهاك الحبشية بأسيافكم تهددوننا، أم بجمعكم تزعوننا، والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم، وإنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين، لأن حجة الله فينا.

والله لولا- أني أعلم أن طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وطاعة إمامي أولى بي، لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري! فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: أجلس يا خالد، فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك. فجلس.

وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر! سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهاتين الأذنين وإلا صُمَّتَا، يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه، إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار، يريدون قتله وقتل من معه، فلست أشك إلا وإنكم هم! فهمم به عمر بن الخطاب، فوثب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض، ثم قال: يا ابن صهاك الحبشية! لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم، لأريتك أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً!

ثم التفت إلى أصحابه فقال: إنصرفوا رحمكم الله، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون إذ قال له أصحابه: فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو لقضية أفضيها، فإنه لا يجوز لحجة أقامها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يترك الناس في حيرة! والإحتجاج: 1/104.

وتقدم بعضه في الفصل الأول ، والفقرة الأخيرة تحدد موقف علي (عليه السلام) من نظام الخلافة القرشية بدقة . وقد كان موقف خالد بن سعيد رضي الله عنه شديداً على أهل السقيفة، فقام علي (عليه السلام) وهدأه ، وإلا لاصطدم بعمر وأهل السقيفة واقتتلوا!

وينبغي الالتفات الى أن الفقرات التي نقلتها الرواية من خطب هؤلاء المهاجرين والأنصار هي بعض خطبهم ، ولا بد أنها تضمنت حججاً أخرى منها بيعة الغدير ، وقد احتجت بها الزهراء (عليها السلام) فقالت: وهل ترك أبي لأحد في غدير خم عذراً!؟

8. ووصف علي (عليه السلام) أيام السقيفة فقال: «فأتى رهط من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) يعرضون عليّ النصره ، منهم خالد وأبان ابنا سعيد بن العاص ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، والزيبر بن العوام ، وأبو سفيان بن حرب ، والبراء بن مالك الأنصاري . فقلت لهم: إن عندي من نبي الله العهد وله الوصية ، وليس لي أن أخالفه ، ولست أجاوز أمره وما أخذه علي لله ! لو خزموا أنفي لأقررت سمعاً وطاعة لله عز وجل .

فبينما أنا على ذلك إذ قيل: قد ائثال الناس على أبي بكر وأجفلوا عليه لبياعوه ، وما ظننت أنه تخلف عن جيش أسامة ، إذ كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد أمره عليه وعلى صاحبه ، وأمر أن يجهز جيش أسامة ، فلما رأيته قد تخلف وطمع في الأمانة ، ورأيت ائثال الناس عليه أمسكت يدي... فلبثت ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس ، رجعت عن الإسلام وأظهرت ذلك ، يدعون إلى محو دين الله وتغيير ملة محمد (صلى الله عليه وآله) ! فخشيت إن لم أنصر الإسلام وقعدت ، أن أرى فيه ثلماً وهدماً تكون مصيبته عليّ أعظم من فوت ولاية أموركم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وينقشع كما ينقشع السحاب .

ورأيت الناس قد امتنعوا بعودي عن الخروج إليهم، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فتألفته، ولولا أنني فعلت ذلك لباد الإسلام!

ثم نهضت في تلك الأحداث حتى انزاح الباطل وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره المشركون». (المسترشد/411 , طبعة 97، ودلائل الإمامة: 1/83، من منشور من بضع صفحات كتبه (عليه السلام) ليقراه المسلمون في بلادهم).

9. وعرض عليه أبو بكر وعلى إخوته أن يرسلهم ولاية على بلدان، فرفضوا، فقد روى في الإستيعاب: 2/422: «قال خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد: أخبرني أبي أن أعمامه خالداً، وأباناً، وعمراً، بني سعيد بن العاص رجعوا عن عمالتهم حين مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إرجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبداً. ثم مضوا إلى الشام (إلى الجهاد) فقتلوا جميعاً. وكان خالد على اليمن، وأبان على البحرين، وعمرو على تيماء وخيبر وقرى عربية، وكان الحكم يعلم الحكمة. ويقال: ما فتحت بالشام كورة إلا وجد فيها رجل من بني سعيد بن العاص ميتاً. وكان سعيد بن سعيد بن العاص قد قتل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالطائف». ونحوه الحاكم: 3/249 مختصراً.

10. واستشار أبو بكر علياً (عليه السلام) في غزو الروم فشجعه، وعين خالد بن سعيد قائداً عاماً لجيش الشام. ويظهر أنه عندما نهض علي (عليه السلام) لنصرة الإسلام ودفع هجوم القبائل على المدينة بعد ستين يوماً من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، كان معه خالد بن سعيد وإخوته، ولا بد أن أدوارهم كانت مميزة كعادتهم، وأن أبا بكر رأى

بطولتهم في رد هجوم أتباع طليحة ، وراهم رفضوا الولاية ، فعرض على خالد قيادة جيش فتح الشام ، واستشار خالد علياً (عليه السلام) فشجعه ، فكان أول لواء عقده أبو بكر لواء خالد ، وكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام ومعه سبعة آلاف ، ووصل إلى ذي المروة ، وهو قرب تيماء على بعد أربعة أيام من المدينة .

وفي تاريخ اليعقوبي: 2/133: «وأراد أبو بكر أن يغزو الروم ، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ، فقدموا وأخروا ، فاستشار علي بن أبي طالب ، فأشار أن يفعل فقال: إن فعلت ظفرت . فقال: بُشِّرَتْ بخير ! فقام أبو بكر في الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم ، فسكت الناس ، فقام عمر فقال: لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً ، لانتدبتموه ! فقام عمرو بن سعيد فقال: لنا تضرب أمثال المنافقين يا ابن الخطاب ، فما يمنعك أنت ماعبت علينا فيه؟

فتكلم خالد بن سعيد وأسكت أخاه فقال: ما عندنا إلا الطاعة ! فجزَّاه أبو بكر خيراً ، ثم نادى في الناس بالخروج وأميرهم خالد بن سعيد ، وكان خالد من عمال رسول الله باليمن ، فقدم وقد توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فامتنع عن البيعة ، ومال إلى بني هاشم ، فلما عهد أبو بكر لخالد قال له عمر: أتولي خالداً وقد حبس عنك بيعته وقال لبني هاشم ما قد بلغك؟ فوالله ما أرى أن توجهه ! فحل لواءه ودعا يزيد بن أبي سفيان ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص ، فعقد لهم وقال: إذا اجتمعتم فأمر الناس أبو عبيدة».

وفي تاريخ الطبري: 2/586، وشرح النهج: 2/58: «واضطغنها عليه عمر، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استتفر إلى الشام، قال له عمر: أتولي خالداً وقد حبس عليك بيعته، وقال لبني هاشم ما قال!»!

وروى البلاذري (1/128) عن أبي مخنف: «لما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد، كره عمر ذلك، فكلم أبا بكر في عزله وقال: إنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب. فعزله أبو بكر ووجه أبا أروى الدوسي لأخذ لوائه، فلقيه بذي المروة فأخذ اللواء منه وورد به على أبي بكر، فدفعه أبو بكر إلى يزيد بن أبي سفيان، فسار به ومعاوية أخوه يحمله بين يديه. ويقال بل سلم إليه اللواء بذي المروة فمضى على جيش خالد وسار خالد بن سعيد محتسباً في جيش شرحبيل».

وفي تاريخ دمشق: 65/244: «عن ابن عمر قال: لما عقد أبو بكر الأمراء على الشام كنت في جيش خالد بن سعيد بن العاص، فصلى بنا الصبح بذي المروة وهو على الجيوش كلها، فوالله إنا لعنده إذ أتاه آت فقال قدم يزيد بن أبي سفيان، فقال خالد بن سعيد: هذا عمل عمر بن الخطاب كلم أبا بكر في عزلي، وولى يزيد بن أبي سفيان! فقال ابن عمر: فأردت أن أتكلم ثم عزم لي على الصمت. قال: فتحولنا إلى يزيد بن أبي سفيان وصار خالد كرجل منهم. وقال محمد بن عمر (ابن عساكر): وهذا أثبت عندنا مما روي في عزل خالد وهو بالمدينة».

أقول: ذو المروة قرب أم القرى، وتبعد عن المدينة مسير أربعة أيام وأكثر، ومعناه أن خالداً بعد أن قطع بجيش الشام هذه المسافة وصله يريد أبي بكر، وكان عبد الله بن عمر في جيشه، فسلم الجيش إلى يزيد بن أبي سفيان، وعاد هو إلى المدينة.

11. رجع خالد بن سعيد الى المدينة وَعَتَبَ على أبي بكر ، فاعتذر منه واحترمه ، فقد روى ابن عساكر(16/81): «عن محمد بن إسحاق أن خالد بن سعيد لما بلغه قول أبي بكر ونزعه ، لبس ثيابه وتهيأ بأحسن هيئة ، ثم أقبل نحو أبي بكر وعنده المهاجرون والأنصار أجمع ماكانوا عنده ، وقد تهيأ الناس وأمروا بالنزول بالعسكر ، فسلم على أبي بكر ثم على المسلمين ثم جلس ، فقال لأبي بكر: أما أنت قد وليتني أمر المسلمين وأنت غير مُتَّهِمٍ لي ورأيك فيَّ حسن ، حتى خُوِّفَتَ أمراً ( أي خوفه عمر أن ينقلب عليه) والله لأن أخزَّ من رأس حائق وتخطفني الطير بين السماء والأرض أحب إلي من أن يكون مني.(كأن عمر اتهمه عمر بحركة انقلاب)!

والله ما أنا في الإمارة براغب ، ولا أنا على البقاء في الدنيا بحريص ، وإني لأشهدكم أني وإخوتي ومن خرجنا في وجهنا به من عون أو قوة في سبيل الله نقاتل به المشركين أبداً حتى يهلكوا أو نموت ، لا نريد به سلطاناً ولا عرضاً من الدنيا . قال: فقال له الناس خيراً ودعوا له .

فقال أبو بكر: أعطاني الله في نفسي الذي أحب لك ولإخوتك ، والله إني لأرجو أن تكون من فصحاء الله في عباده، وإقامة كتابه واتباع سنة رسول الله.

قال فخرج هو وإخوته وغلمانه ومن اتبعه، وكان أول من عسكر ، قال: ولما تهيأ الناس للخروج وترافق الناس وانضمت المتطوعة إلى من أحببت ، نزل خالد بن سعيد تحت لواء أبي عبيدة يسير معه ، قال فقال بعض الناس لخالد بن سعيد حين تهيأ للخروج مع أبي عبيدة: لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان . فقال: ابن عمي أحب إلي من هذا لقربته ، وهذا أحب إلي من ابن عمي

في دينه وقرابته . هذا كان أخي على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووليي وناصري قبل اليوم على ابن عمي ، فأنا به أشد استئناساً وإليه أشد طمأنينة .

فلما أراد أن يغدو سائراً إلى الشام لبس سلاحه ، وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم عمرو والحكم وغلمته ومواليه ، ثم أقبلوا من العسكر إلى أبي بكر الصديق فصلوا معه الغداة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما انصرفوا قام إليه إخوته فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه ثم قال: يا أبا بكر إن الله قد أكرمنا وإياك والمسلمين طراً بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة وأمات البدعة وعدل في السيرة الوالي على الرعية . كل امرئ من هذا الدين محقوق بالإحسان إلى إخوانه، ومعدلة الوالي أعم نفعاً، فاتق الله يا أبا بكر فيما ولاك الله من أمره ، وارحم الأرملة واليتيم ، وأعن الضعيف والمظلوم ، ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه أثر في الحق عندك منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب ما قدرت عليه فإن الغضب يجر الجور ، ولا تحقد وأنت تستطيع ، فإن حقدك على المسلم يجعله لك عدواً ، فإن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادت الرعية الراعي كان ذلك مما يكون إلى هلاكهم داعياً. ولئن للمحسن واشتد على المريب ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .

ثم قال: هلم يدك يا أبا بكر أودعك ، فإني لا أدري هل تلقاني في الدنيا أبداً أم لا ، فإن قضى الله لنا الإلتقاء فنسأل الله لنا عفوه وغفرانه ، وإن كانت هي الفرقة التي ليس بعدها لقاء ، فعرفنا الله وإياك وجه النبي (صلى الله عليه وآله) في جنات النعيم .

ثم أخذ أبو بكر بيده وبكى وبكى المسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة ، فطال بكأؤهم ! قال: ثم إن أبا بكر قال له: إنتظرنني حتى أمشي معك . قال: ما أريد أن تفعل . قال: لكنني أنا أريد ذلك ، ومن أرادته من المسلمين . وقام الناس معه مشيعين ، فما زال يمشي معه حتى كثر من يشيع خالداً .

قال: فما رأى الناس مشيعاً من المسلمين معه من الناس من الصالحين ، أكثر مما شيع خالد بن سعيد وإخوته يومئذ !

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر قد أنصفت لك إذ أوصيتني برشدي ، وقد وعيت وصيتك ، فأنا مرضيك فاسمع وصيتي: إنك امرؤ قد جعل الله لك شرفاً وسابقة في هذا الدين ، وفضيلة عظيمة في الإسلام ، والناس ناظرون إليك ومستمعون منك ، وقد خرجت في هذا الوجه ، وأنا أرجو أن يكون خروجك بنية صادقة ، فثبّت العالم وعلم الجاهل وعاتب السفیه المترف ، وانصح لعامة المسلمين .. ثم أخذ بيده فودعه ثم أخذ بأيدي إخوته بعد ذلك فودعهم واحداً واحداً وودعهم المسلمون ، ثم دعوا بإبلهم فركبوها ، وكانوا يمشون مع أبي بكر ثم قيدت خيلهم معهم بهيئة حسنة، فلما أدبروا قال أبو بكر: اللهم احفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ، واحفظ أوزارهم وأعظم أجورهم. ومضوا إلى العسكر الأعظم.. قال ابن إسحاق إن خالد بن سعيد خرج وهو بمرج الصُّفْر في يوم مطير ليستمطر فيه فقتله أعلام من الروم».



أقول: بهذا تعرف المكانة المميزة لخالد بن سعيد التي تجعله يعظ الخليفة أبا بكر فيسمع منه ، والتي لاتصل اليها مكانة خالد بن الوليد ، ولا عمرو والعاص ، ولا ابن وقاص.. وأمثالهم .

ومن الطبيعي أن خالداً لو التحق بجيش يزيد بن أبي سفيان لكان له موقع القائد ، لأنه أكبر منه سناً ، وهو صحابي قديم ويزيد من مسلمة الفتح ، وهو القائد والوالي من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) . وهو بعد ذلك ابن أبي أحيحة سعيد بن العاص ، الأعرق في قيادة بني أمية من أبي سفيان وأولاده .

ويظهر من كلام أبي بكر أنه كان يشعر بتأنيب الضمير لأنه أطاع عمر في عزله لكنه يريد كسب أبي سفيان الذي رفض بيعته حتى يعطيه مناصب لأولاده !

وقد وقع الإشتباه في هذه الرواية لأن الصحيح أن خالداً اختار الذهاب مع شرحبيل ، وليس مع أبي عبيدة . ويدل عليه توصية أبي بكر لشرحبيل به:

قال ابن سعد في الطبقات:4/98: «لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد ، أوصى به شرحبيل بن حسنة ، وكان أحد الأمراء فقال: أنظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك ، مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه ، لو خرج والياً عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام ، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) توفي وهو له والٍ ، وقد كنت وليته ثم رأيت عزله ، وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه . ما أغبط أحداً بالأمانة! وقد خيرته في أمراء الأجناد فاخترتك على غيرك على ابن عمه ، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي النبي الناصح ، فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وليكن خالد بن سعيد ثالثاً ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً . وإياك واستبداد الرأي عنهم أو تطوي عنهم بعض الخبر .

قال محمد بن عمر: فقلت لموسى بن محمد: رأيت قول أبي بكر: قد اختارك على غيرك؟ قال: أخبرني أبي أن خالد بن سعيد لما عزلته أبو بكر كتب إليه أي الأمراء أحب إليك؟ فقال: ابن عمي أحب إلي في قرابته وهذا أحب إلي في ديني، فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وناصري على ابن عمي، فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة».

أقول: شرحبيل صحابي عرف باسم أمه أو مربيته حسنة . واسم أبيه المطاع من قبيلة غوث من كندة ، ولد ونشأ في مكة وتحالف مع بني زهرة ، وأسلم وهاجر الى الحبشة ، وكان صديقاً لخالد بن سعيد يحترمه ويناصره ، ولذلك اختار خالد أن يكون معه ، فأعطاه شرحبيل قيادة الخيل ، وهي عصب القوة المقاتلة في الجيش ، ولا بد أن تكون خطط معركة أجنادين والمعارك التي خاضها شرحبيل من فكر خالد ، ولذا قلنا إن ثقل معركة أجنادين كان على عاتق خالد .

ومما يلاحظ أن خالد بن سعيد ، وهاشم المرقال ، وحفيدي عبد المطلب ، كانوا مع شرحبيل ، وأنهم نهضوا بثقل معركة أجنادين التي هي تبوك الثانية ، والثأر لجعفر بن أبي طالب ، كما يأتي .

وبعد فتح الشام ، ولى أبو عبيدة شرحبيل بن حسنة على الأردن .

ففي الإستيعاب:2/794: «وولّى أبو عبيدة حين فتح الشامات يزيد بن أبي سفيان على فلسطين ، وشرحبيل بن حسنة على الأردن ، وخالد بن الوليد على دمشق ، وحبيب بن مسلمة على حمص».

لكن شرحبيل لم يكن يعجب عمر ، فعزله ! ولا سبب إلا علاقته الحسنه مع خالد بن سعيد ، وأبي ذر ، وبلال ، وبقية الصحابة الذين يميلون الى علي (عليه السلام) ،

ولم يشفع له أنه أبلَى بلاءً حسناً في معركة أجنادين ومرج الصُّفَر واليرموك ، وغيرها من معارك فلسطين والشام والأردن !

قال الطبري: 3/165: «وعزل شرحبيل ، واستعمل معاوية ، وأمر أبا عبيدة وخالداً تحته! فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، إنك لكما أحب ، ولكن أريد رجلاً أقوى من رجل! قال: نعم ، فاعذرنني في الناس لا تدركني هِجْنة ، فقام في الناس فقال: أيها الناس إني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة ، ولكنني أردت رجلاً أقوى من رجل».

وتوفي شرحبيل في طاعون عمواس وعمره 67 سنة. (تاريخ دمشق: 22/464).

12. ظلموا خالد بن سعيد لأنه شيعي ونسبوا بطولة معركة أجنادين الى غيره! وتقع أجنادين قرب مدينة الخليل ، وقيل في وادي عَجُور على بُعد 37 كيلو متراً عن الخليل ، وثلاثين كيلو متراً عن الرملة. فهذه المنطقة بما فيها مؤتة ، كانت مركز قوات الروم المدافعة عن القدس .

وقد ذكرنا في السيرة النبوية عند أهل البيت (عليهم السلام) ، أن هرقل بعد انتصاره على كسرى حج ماشياً الى القدس ، وكان ينوي غزو المدينة المنورة ويجمع قوات العرب في الشام ودومة الجندل مقدمة لقوات الروم ، فأراد النبي (صلى الله عليه وآله) أن ينقل المعركة الى بلاد الشام، فأرسل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الثامنة للهجرة بجيش من ثلاثة آلاف مقاتل ، فاشتبك مع قوات هرقل في مؤتة .

وكانت معركة مؤتة غير متكافئة، وقد استبسل جعفر بن أبي طالب ورفاقه قادة الجيش الإسلامي حتى استشهدوا وانسحب المسلمون ، لكنهم أوصلوا رسالة

بليغة الى هرقل، وتبعتها في السنة التالية غزوة تبوك بقيادة النبي نفسه (صلى الله عليه وآله) فكانت رسالة أبلغ، فانسحب هرقل من تبوك الى حمص، وراسله النبي (صلى الله عليه وآله) فأجابه هرقل بجواب لئىن، ليتفادى المواجهة في تلك المرحلة .

ولم تقع مواجهة بين المسلمين والروم بعد تبوك إلا في أجنادين، وقد انتصر فيها المسلمون وانهزم الروم، وترتب عليها تحرير فلسطين .

وكان بطل أجنادين خالد بن سعيد، فقد ثأر فيها لصديقه الحميم جعفر بن أبي طالب شهيد مؤتة، فقد عاش معه خالد في الحبشة، وعمل معه في دعوة الروم الى الإسلام، وحمل رسالة النبي (صلى الله عليه وآله) الى هرقل .

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: 16/66: «عن سهل بن سعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة . كانت بالشام وكانت في سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى، فذكر بعض أمرها، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها، قال: فتركوا مرج الصُّفَر فصمد المسلمون صمدهم... فلما نظر إليهم خالد عبأ لهم كتعبنة يوم أجنادين، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى يسارته هاشم بن عتبة، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفييل، وترك أبا عبيدة في الرجال». وتقدم أن ابن عساكر صحح سعيد بن زيد بخالد بن سعيد .

قال البلاذري: 1/135: «ثم كانت وقعة أجنادين وشهدتها من الروم زهاء مئة ألف سرَّب هرقل أكثرهم، وتجمع باقوهم من النواحي وهرقل يومئذ مقيم بحمص».

وفي فتوح الواقدي: 1/48: «ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي، وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة... من بصرى يُعلم خالداً بمسير الروم اليه من أجنادين في تسعين ألف فارس.. وكان القادة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) متفرقين في سوريا والأردن وفلسطين، فكتب لهم أبو عبيدة أن يسيروا بقواتهم الى أجنادين، وأمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهواجج على ظهور الجمال، وساقوا الغنائم والأموال». وهذا يدل على أن جيش شرحبيل كان أقرب الى جيش الروم.

«واجتمعت الروم بأجنادين، وعليهم تذارق أخو هرقل لأبويه، وقيل كان على الروم القبقار». (الكامل: 2/417).

وفي فتوح البلاذري: 1/135: «ثم كانت وقعة أجنادين.. ثم إن الله هزم أعداءهم كل ممزق وقتل منهم خلق كثير. واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، وأخوه أبان بن سعيد وذلك الثبت، ويقال بل توفي أبان في سنة تسع وعشرين. وطُلب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي، بارزه عالج فضربه ضربة أبانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه، ثم غشيه الروم فقتلوه. وأمه أروى بنت عبد المطلب عممة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان يكنى أبا عدى. وسلمة بن هشام بن المغيرة، ويقال إنه قتل بمرج الصُّفَر. وعكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي. وهبَّار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، ويقال بل قتل يوم مؤتة. ونعيم بن عبد الله النحام العدوي، ويقال قتل يوم اليرموك. وهشام بن العاص بن وائل السهمي، ويقال قتل يوم اليرموك. وعمر بن الطفيل بن عمرو والدوسي، ويقال قتل يوم

اليرموك . وجندب بن عمرو الدوسي . وسعيد بن الحارث . والحارث بن الحارث . والحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي . وقتل سعيد بن الحارث بن قيس يوم اليرموك ، وقتل تميم بن الحارث يوم أجنادين ، وقتل عبيد الله بن عبد الأسد أخوه يوم اليرموك . قال: وقتل الحارث بن هشام بن المغيرة يوم أجنادين . قالوا: ولما انتهى خبر هذه الواقعة إلى هرقل ، نَحَبَ (صار خالياً) قلبه ، وسقط في يده وملئ رعباً ، فهرب من حمص إلى أنطاكية .» .

وفي الوافي: 13/153: «ولم يزل به عُمر حتى عزله ، واعتذر إليه (أبو بكر) ثم أوصى به الأُمراء ، وأبلى في حروب الشام بلاءً حسناً ، وقتل خالد بمرج الصُّفَر ، وقيل بأجنادين ، وقيل باليرموك ، وقال وهو يقاتل أعلاج الروم:

هل فارسُ كره النَّزال يُعيرُنِي \*\*\* رمحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَر .» .

والصحيح أنه لم يقتل في هذه المعارك ولا في اليرموك ، وأنهم قتلوه بعد ذلك .

قال ابن عساکر في تاريخ دمشق: 16/86: «خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قتل بأجنادين .. وذكر سيف بن عمر في الفتوح أن خالد بن سعيد شهد اليرموك ، وأنه لم يقتل بمرج الصُّفَر ، وذكر أبو حسان الزياتي أن خالد بن سعيد يكنى أبا سعيد ، وأنه قتل وهو ابن خمسين أو أكثر ، وكان وسيماً جميلاً» . وسيأتي خبر قتله .

وفي شرح النهج: 2/59: «ثم إنه بايع أبا بكر ، وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها ، واضطغنها عليه عمر ، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام قال له عمر: أتولى خالدًا وقد حبس عليك بيعته ، وقال لبني هاشم ما قال! وقد جاء بورق من اليمن وعبيد وحبشان ، ودروع ورماح! ما أرى أن توليه وما آمن

خلافه . فانصرف عنه أبو بكر ، وولى أبا عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيط بن حسنه .».

13. ونسبوا قيادة معركة أجنادين الى خالد بن الوليد لأنهم يحبون أباه الوليد ! بينما كانت القيادة مشتركة بين القادة الأربعة ، كل واحد منهم على جيشه . وكانت عمدة الإشتباك مع العدو لجيش شرحبيط بقيادة خالد بن سعيد .

قال خليفة في تاريخه/79: «قال ابن إسحاق: ثم ساروا جميعاً قبيل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين بيت جبريل ، والأمراء كلُّ على جنده . ويزعم بعض الناس أن عمرو بن العاص كان عليهم جميعاً . وعلى الروم الفنقلار ، فقتل الفنقلار . وهزم الله المشركين .».

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب:1/64: «كانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر الصديق قبل وفاة أبي بكر بدون شهر . ووقعة مرج الصُّفَر في صدر خلافة عمر سنة أربع عشرة . وكان الأمير يوم مرج الصُّفَر خالد بن الوليد ، وكان بأجنادين أمراء أربعة: أبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيط بن حسنة ، كلُّ على جنده . وقيل إن عمرو بن العاص كان عليهم يومئذ .».

أقول: الأمر الطبيعي أن يكون كل قائد على جنده ، لأن خالداً جاء من العراق بخمس مئة نفر وقيل ست مئة وقيل ثمان مئة ، وكان جيش شرحبيط سبعة آلاف ، وفيه أهل مكة وقدامى الصحابة ، ومنه أكثر شهداء أجنادين ، وجيوش القادة الثلاثة الآخرين شبيهة به ، ولم يعط أحدٌ منهم جيشه لابن الوليد ، لكن الرواة يكذبون

لمصلحته، لأن قريباً مسكونة بحبه لأنه ابن زعيمها الوليد بن المغيرة، فهي تحبه وتحترم أولاده، وتغض النظر عن وصف الله تعالى له بأنه  
عُتِلُّ زَينِم !

لاحظ رواية ابن عساكر في تاريخ دمشق: 2/113، و81: «وأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق وقد فتح الله عليه القادسية  
وجلولاء، فكتب له أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمد إخوانك بالشام والعجل العجل. قال: فنزل خالد على شرحبيل ويزيد وعمرو  
فاجتمع هؤلاء الأمراء الأربعة ...

فأقبل خالد مغزاً جواداً فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج إلى ضمير، فوجد المسلمين معسكرين بالجابية. وتسامع الأعراب الذين كانوا  
في مملكة الروم بخالد ففرزوا له.. فنزل خالد على شرحبيل بن حسنة ويزيد وعمرو، فاجتمع هؤلاء الأربعة أمراء، وسارت الروم من  
أنطاكية وحلب وقنسرين وحمص وما دون ذلك. وخرج هرقل كراهية لمسيرهم متوجهاً نحو الروم، وسار باهان الرومي ابن الرومية إلى  
الناس بمن كان معه».

فقد بلغ الأمر في الراوي أنه من حبه الأعمى لخالد نسي أنه جاء من العراق قبل أن تقع القادسية وجلولاء بسنتين!

ونسي أن جيش خالد كان بضع مئات فقط، قال البلاذري: 1/130: «لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة، خلف المشنى بن  
حارثة الشيباني على ناحية الكوفة وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمان مئة، ويقال في ست مئة، ويقال في خمس مئة».



ثم نسي رواة السلطنة أن عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد في أول يوم تولى فيه الخلافة بعد أبي بكر، وكان ذلك بعد معركة أجنادين، وقبل فتح دمشق! فتراهم يتحدثون عن خالد على أنه قائد الجيش وقائد المعارك بعد عزله!

ويظهر أنهم أخذوا من أخبار خالد بن سعيد في معركة أجنادين ومعركة فحل ومرج الصفر وفتح دمشق، ونسبوا إلى خالد بن الوليد!

والقاعدة لمعرفة ذلك، أنهم إذا نسبوا إليه أنه برز لأحد أو كان في الصف المشتبك مع العدو، فهذه صفات خالد بن سعيد، أما خالد بن الوليد فهو وعمرو العاص كما وصفه علي (عليه السلام): «فإذا كان عند البأس فزاجر وأمر، ما لم تأخذ السيوف مأخذها من الهام. فإذا كان ذلك فأكبر مكيدته أن يمرقظ ويمنح إسته، قبحه الله وترحّه». (الغارات للثقفى: 1/513).

وتظهر لك الحقيقة من اعترافهم بأن خالد بن الوليد كان في آخر جيش المسلمين، بعيداً عن المعركة! بينما كان خالد بن سعيد قائداً مقتحماً.

قال في تاريخ دمشق: 16/84: «حدثني إسحاق بن بشر قال: فبينما المسلمون قد طمعوا في فتح المدينة، إذ قيل لخالد هذا جيش قد أقبل مدداً لدمشق من ملك الروم بأنطاكية، فنادى خالد في الناس أن انصرفوا عن هذه المدينة إلى المدد الذي قد جاء من عند صاحب الروم، وعبأ خالد الناس فسيروا الأثقال والنساء، ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم وبين العدو، وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس، ثم رجعوا نحو الجيش وذلك الجيش خمسون ألفاً، فلما نظر إليهم خالد بن الوليد نزل فعبا أصحابه تعبئة القتال على تعبئة أجنادين

ثم زحف إليهم فوقف خالد بن سعيد في مقدمة الناس يحرض الناس على القتال ويرغبهم في الشهادة فحملت عليه طائفة من العدو فقاتلهم واستشهد (رحمة الله) . ومنهم من قال لم يستشهد خالد بن سعيد في هذا الموضع ، ولكنه قتل بمرج الصُّفْر ، وذلك أنه خرج في يوم مطير يستمطر فتفاوت عليه أعلاج من الروم فقتلوه .»

ومعنى قول الرواية إن خالد بن سعيد كان في مقدمة الناس ، وهو قائد خيل شرحبيل بن حسنة ، يكشف لك أن ثقل المعركة كان عليه .

بينما كان ابن الوليد من وراء الناس ، والناس هنا ثلاثون ألفاً ، أو خمسون ألفاً كما قالوا، فكيف يقاتل خالد أو أبو عبيدة جيش الروم من وراء الألوفا؟!

ثم انظر الى الرواية التي تبناها ابن الأعمش وفيها قيادة خالد لمعركة أجنادين ! فقد وصف ترتيبه للمعركة ، ولم يصف قتاله فيها ، ثم كتب عن لسانه رسالة الى أبي بكر يخبره عن مجرى الحرب وبارك له النصر .

قال ابن الأعمش: 1/115: «ذكر وقعة أجنادين ، وهي أول وقعة لخالد بن الوليد مع الروم . قال: فأصبح خالد يوم السبت يعيبي أصحابه ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته سعيد بن عامر بن جذيم ، وعلى جناح الميمنة يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة على جناح الميسرة ، وخالد بن سعيد بن العاص على الكمين ، ثم جعل خالد بن الوليد نساء المسلمين من وراء الصفوف وأمرهن فاحتزمن وتشمرن وأخذن في أيديهن الحجارة ، وجعلن يدعون الله ويستنصرنه على أعداء المسلمين . قال: وجعل خالد بن الوليد لا يقر

بمكان واحد ، ولكنه يقف على كتيبة كتيبة من المسلمين ويقول: إتقوا الله عباد الله ، وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تنكصوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين، ولا تهنوا ولا تجبنوا عن عدوكم، ولكن إقداماً كإقدام الأسد الضارية فإنكم أحرار كرام ، وارضضوا عنكم هذه الدنيا واطلبوا ثواب الآخرة ، وأنتم الأعلون والله معكم . وبعد فإنكم إن هزمتهم هؤلاء القوم كانت لكم هذه البلاد داراً للإسلام ما بقيتم أبداً ، مع رضوان الله والجنة .

قال: ودنت الروم من المسلمين بخيلها ورجلها في الآلة والسلاح الشاك ، وقد تعبوا ميمنةً وميسرةً وقلباً وجناحاً ، وبين أيديهم يومئذ بطريق من بطارقة الروم يقال له قلفط ، عليه ديباجة منسوجة وعلى رأسه تاج من ذهب ، وتحتة فرس أدهم مغرق السرج واللجام بالذهب .

قال: فقال أبو عبيدة بن الجراح: كبروا أيها المسلمون تكبيرة واحدة ، فإن الله عز وجل مهلكهم ومبدد شملهم ، قال: فكبر المسلمون وألقى الله الرعب في قلوب الكفار . قال: وهمَّ المسلمون بالحملة عليهم ، فقال خالد: لا تعجلوا حتى أحمل أنا، فإذا رأيتموني قد حملت فاحملوا . قال: فوقف المسلمون وجعلت سهام الروم تقع على عسكر المسلمين كالمطر ، فصاح رجل من المسلمين بخالد بن الوليد: أيها الأمير! لماذا قد نصبتنا لهؤلاء الأعلاج هدفاً يرموننا بنشابهم حتى قد جرحوا منا جماعة! فقال له خالد: ويحك! إنما أنتظر الوقت الذي كان النبي (صلى الله عليه وآله) يحارب فيه فإنه وقت مبارك .

قال: فوقف المسلمون لا يزول واحد منهم من موضعه والسهم تعمل في ذلك عملها، فقتل يومئذ بالسهم أبان بن سعيد بن العاص رحمة الله عليه، وقتل أيضاً هشام بن العاص، وسلمة بن هشام المخزومي، ونعيم بن صخر العدوي، وهبار بن سفيان الأزدي، وعبد الله بن عمر الدوسي، فعندها ضج المسلمون إلى خالد وأمره بالحملة، فعندها قال خالد: إحملوا ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم كبر وحمل وحمل المسلمون معه، وانكشفت الروم من بين أيديهم وأخذتهم السيوف، فقتل منهم في المعركة ألف وسبع مائة رجل، وقتل صاحبهم قلفط، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، ومر القوم منهزمين على وجوههم حتى تفرقوا في الحصون. واحتوى المسلمون على غنائم الروم فجمعوها، وقدم خالد من أسر منهم وهم يزيدون على ثمان مائة رجل، فضرب أعناقهم صبراً، وما أبقى على واحد منهم».

وأضاف ابن الأعمش: «ذَكَرَ كتاب خالد بن الوليد إلى أبي بكر رضي الله عنه بخبر وقعة أجنادين: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله بن عثمان خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على أعداء الله المشركين. سلام عليك! أما بعد فأني أخبرك أيها الصديق، أنا لقينا المشركين بموضع من أرض الشام يقال له أجنادين، وقد جمعوا لنا جموعهم ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم، وتقاسموا بأيمانهم أنهم لا يفرون ولا يبرحون ولا ينصرفون، حتى يقتلونا ويبيدونا ويخرجونا من بلادهم، فلقيناهم ونحن بالله واثقون وبجبله معتصمون وعليه متكولون، فطاعناهم بالرماح وكافحناهم بالصفاح،

وأرميناهم بالسهم ، وأذقناهم حر الحمام، فلم نزل كذلك حتى أعز الله عز وجل نصرته الإسلام وأظهر أمره وأنجز وعده وأفلح جنده وهزم الكافرين وحده ، فقتلنا في كل واد وحجر ، وتحت كل شجر ومدر ، فاحمد الله عز وجل يا خليفة رسول الله على إغزاز دينه وأوليائه ، وإذلال أعدائه ، وحسن صنعه بالمسلمين ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال: فلما قرأ أبو بكر الكتاب الذي لخالد بن الوليد ، تهلل لذلك وجهه فرحاً وفرحاً شديداً وسروراً ظاهراً ، ثم رمى بالكتاب إلى عمر بن الخطاب ، فلما قرأ الكتاب قَطَّبَ حاجبه وعبس وجهه ، ثم قال: قبح الله صلف خالد وتيهه وعجبه بنفسه ! يكتب إليك: من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على أعدائه . إن سيف الله هو الذي وضعه بذلك الموضع .

قال: فسكت أبو بكر هنيهة ثم قال: أبا حفص ! الحمد لله على نصر المسلمين فقرت بذلك عيوننا ، فقال عمر: نعم فالحمد لله على ذلك ، ولكن لا يجب أن يتسمى بسيف الله . قال: ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد كتاباً لطيفاً يشكره على فعله بالمشركين ويبشره بثواب الله عز وجل ، ويبشر من معه من المسلمين ، ويقوي عزمهم ، ويأمرهم بالشكر لله عز وجل وذكره كثيراً .»

أقول: لاحظ أن خالداً جاء من العراق ببضع مئات ، وتدعي الرواية أن الجميع سلموه جيوشهم ، فقادهم ووزع عليهم المسؤوليات ، ورتب المعركة ، وحقق النصر ، وكتب رسالة الى الخليفة بصفتة قائد الجميع .

وأنه وجه المسلمين ووعظهم ، وفيهم كبار الصحابة كأبي ذر وخالد بن سعيد الذي تقدمت موعظته للخليفة أبي بكر عندما خرج لوداعه في المدينة .

وذكرت الرواية أن ابن الوليد ترك المسلمين تحت السهام حتى يحين الزوال ، فقتل منهم عدد من الصحابة ، ثم أمرهم بالحملة . ولم تذكر أنه أمرهم بالصلاة !

كما حذفت الرواية من المعركة المبارزة ، وقد روت المصادر أن المعركة بدأت بمبارزة البطريق الفارس ، الذي قتله الصحابي ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله) وهو عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنهم .

كما جعلت الرواية المعركة حملة واحدة قتل فيها قائد الروم قلفط ، وألّف وسبع مئة منهم ، فانهزموا ، وأسر المسلمون منهم ثمان مئة فذبحهم خالد ، ولم يستعملهم ورقة تفاوض لمصلحة المسلمين .

ثم أورد ابن الأعمش نص رسالة خالد الى أبي بكر ، وذكر أنه بدأ فيها باسمه قبل إسم الخليفة ، والرسالة الموجودة بالعكس ، وذكر أن خالداً أعطى لنفسه لقب سيف الله ، وأن عمر رد هذا اللقب ، مما يكشف كذب قولهم إن النبي (صلى الله عليه وآله) لقبه به وإلا لما رده عمر أو لأجابه أبو بكر بأن النبي (صلى الله عليه وآله) لقبه به فكيف ترده .

الى غير ذلك من الملاحظات .

14. وجاء عمرو بن العاص ، فنسب الى نفسه قيادة معركة أجنادين وبطولتها ! قال ابن كثير في النهاية: 7/63: «كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ومناجزة صاحبها، فاجتاز في طريقه عند الرملية بطائفة من الروم، فكانت وقعة أجنادين، وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبد الله بن عمرو

وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي، من بني مالك بن كنانة، ومعه شرحبيل بن حسنة، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأربطون، وكان أدهى الروم وأبعدها غوراً وأنكأها فعلاً، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً وبايلاء جنداً عظيماً، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر. فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أربطون الروم بأربطون العرب، فانظروا عما تنفرج! وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي، ومسروق بن بلال العكي على قتال أهل إيليا، وأبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التذارق، فكانوا يازائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه، وجعل عمرو كلما قدم عليه إمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء.

وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأربطون على سقطة، ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته (مجلسه) حتى عرف ما أراد، وقال الأربطون في نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأطيب القوم بأمر هو أعظم من قتله. فدعا حرسياً فسأره فأمره بفتكه فقال: إذهب فقم في مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله، ففطن عمرو بن العاص، فقال للأربطون: أيها الأمير إنني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإنني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت. فقال الأربطون: نعم! فاذهب فأتني بهم، ودعا رجلاً فسأره

فقال: إذهب إلى فلان فزده . وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأربطون أنه عمرو بن العاص ، فقال: خدعني الرجل ، هذا والله أدهى العرب . وبلغت عمر بن الخطاب فقال: لله در عمرو !

ثم ناهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم ، ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو بن العاص ، وذلك حين أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد وكثر جيشه ، فكتب الأربطون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فارجع ولا تُغزّ فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية فبعثه إلى أربطون وقال إسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتب إليه معه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، وقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب ، فقالوا للأربطون: من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال: صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف !

فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال ، فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له: إني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً ، وبلاداً أدخرت لك ، فرأيك . فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر علمه ، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس « .



أقول: لاحظ أن الراوي يقول إن عمر ابن العاص بفتح القدس ، فكانت أجنادين في طريقه ، كأنها معركة عابرة ، أو نزهة !

وقد نسي الراوي المحترم التاريخ ، فجعل معركة أجنادين بعد معركة اليرموك مع أنها قبلها بسنة وأشهر! وأهمل وجود جيش أبي عبيدة بن الجراح ، وجيش يزيد بن أبي سفيان ، وجنود خالد بن الوليد ، لكنه ذكر شرحبيل بن حسنة حتى لا يفتضح ، لأن الأبطال الذين قاتلوا وقطفوا النصر في أجنادين كانوا في جيش شرحبيل مثل قائد خيله خالد بن سعيد وإخوته ، وحفيدي عبد المطلب ، وقائد مسيرته هاشم المرقال ، وغيرهم .

ونلاحظ أن أرطبون عمرو يعرف المستقبل ، ويعرف إسم من يفتح القدس! وقد افترض الراوي وجود قوات رومية في القدس ، مع أن أقرب قواتهم إليها كانت في أجنادين ، ولم يكن في القدس قوة تذكر ، وبعد أجنادين هزم المسلمون الروم في مرج الصُّفَر وفحل ، ثم في اليرموك ، فأعلن هرقل انسحابه من سوريا وفلسطين ، وودعها ، وذهب من أنطاكية الى القسطنطينية . وبذلك تحررت سوريا وفلسطين ومصر من الروم نهائياً ، وتحررت القدس بلا ضربة سيف ، بل جاس المسلمون خلال ديار اليهود ، عملاء الروم ، كما وصف الله تعالى !

ثم انضم إمامهم ابن حبان الى الإمام ابن الأعمش والإمام ابن كثير ، في وصف بطولة عمرو العاص ، فقال في كتابه الثقات: 2/185: «ونزل عمرو بن العاص في قصره بغمر العربات ، ونزل الروم بثنية جلق بأعلى فلسطين في سبعين ألفاً ، عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه ، فكتب عمرو بن العاص إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمده ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يمد أهل الشام فيمن معه

من أهل القوة ، ويستخلف على ضعفة الناس رجلاً منهم، فلما أتاها كتاب أبي بكر ، قال خالد: هذا عمل الأعمى بن أم شملة ، يعنى عمر بن الخطاب ، حسدني أن يكون فتح العراق على يدي ، فسار خالد بأهل القوة من الناس ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة ، وأمر عليهم عمير بن سعد الأنصاري ، واستخلف على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني... واجتمع خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان... ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمر بن العاص وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمع الروم باجتماع المسلمين لعمر بن العاص فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين ، وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين ، وسار المسلمون إلى أجنادين وكان الأمراء أربعة والناس أرباعاً إلا عمرو بن العاص كان يزعم أنه على جميعهم».

أقول: كيف يثق الباحث بنصوص الفتوح وهو يرى هذه التناقضات في رواية معركة تحرير فلسطين ، بسبب التعصب لإثبات فضيلة لخالد بن الوليد ، أو لعمر والعاص ، وهما متنافسان مواليان للسلطة ، ويرى أحدهما يغمط حق الآخر ويهمل هو ، أو يخمل الراوي لمصلحته ، بطولة الأبطال وتضحيات المضحين ، ويصادر النصر من المسلمين ويكتبه لمن لم يضرب بسيف ولا رمح!

وكأن مهمة هذه المصادر أن تظلم الأبطال الأبرار ، وتصنع أبطالاً من ابن الوليد الذي تفرد بغارات القتل والنهب على العرب والفلاحين العزّل ، وأجاد فيهم الغدر والتكتيف والتقتيل ، وهرب من الفرس والروم!

وتصنع الأسطورة من عمرو العاص ، الذي لا يجيد إلا الحيلة والمكيده ، وقد شهد فيه الصادق الأمين علي (عليه السلام) فقال: «إذا كان عند البأس فزاجر وأمر ، ما لم تأخذ السيوف مأخذها من الهام . فإذا كان ذلك فأكبر مكيدته أن يُمَرِّقَ ويمنح إسته ، قبحه الله وترَّحَه » . (الغارات للثقفى:1/513).

وقد كشفنا في ترجم عمرو زيف عدد من ادعاءاته وادعاءات الرواة له .

قال الطبري:2/610: «وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح ، وشرحيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين حتى عسكروا عليهم » .

وفي تاريخ دمشق: 2/66: «وكان جند عمرو الذين خرجوا معه من المدينة ثلاثة آلاف ، فيهم ناس كثير من المهاجرين والأنصار ، وخرج أبو بكر الصديق يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول: يا عمرو إتق الله في سر أمرك وعلانيته واستحيه ، فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقة منك ، ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ولا تكشفن الناس عن أستارهم واكتف بعلاانيتهم ، وكن مجدداً في أمرك وأصدق اللقاء إذا لاقيت ، ولا تجبن وتقدم » .

أقول: لم يكن لعمرو وجنده دور يذكر في أجنادين ، فالذي اشتبك مع الروم هو جيش شرحيل . كما أن وصية أبي بكر له بأن يصدق اللقاء ولا يجبن ، تشير الى عادة عمرو في اللجوء الى الحيل ، لا إلى الشجاعة!

ومن حيله اختراعه قصة «أرطوبون» وأنه تنكّر وذهب إليه ، وعرفوه فنجا بأعجوبة ، ثم كتب الى عمر بن الخطاب ، فشكره على ذلك !

وقد بحثنا أسطورة الأرطوبون في ترجمة عمرو ، ومما يكشف زيفها أن وقعة أجنادين كانت في خلافة أبي بكر ، وليس في خلافة عمر !

15. واعترفوا بأنه كان القائد في معركة مرج الصُّفَر مع وجود القادة الأربعة !

في تاريخ خليفة/120: «قال ابن إسحاق: في هذه السنة وقعة مرج الصُّفَر يوم الخميس لاثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، والأمير خالد بن سعيد . وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: استشهد يوم مرج الصُّفَر خالد بن سعيد بن العاص».

وقال الذهبي في تاريخه عن معركة مرج الصُّفَر: 3/84: « قال خليفة: كانت لاثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى ، والأمير خالد بن سعيد . قال ابن إسحاق: وعلى المشركين يومئذ قلع ، وقتل من المشركين مقتلة عظيمة ، وانهزموا».

أقول: كانت مرج الصُّفَر امتداداً لمعركة أجنادين ، وهي موضع بين دمشق والجولان ، وكان عدد الروم فيها شبيهاً بعددهم في أجنادين .

وإن تنازل القادة الأربعة ابن الجراح وابن أبي سفيان وابن العاص وشرجيل ، عن قيادتهم للمعركة وتسليمها الى خالد بن سعيد ، يدل على أنهم رأوا منه في أجنادين من صحة الرأي والبطولة ما جعلهم يسلمون له القيادة في المعركة التالية ، التي كانت بعدها بنحو عشرين يوماً .

كما اعترف الرواة لخالد بأنه كان قائد الخيل في فتح الشام ، وفي معركة فحل .

روى ابن عساكر: 16/66: «عن سهل بن سعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة . كانت بالشام وكانت في سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى ، فذكر بعض أمرها ، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها ، قال: فتركوا مرج الصُّفَر فصمد المسلمون صمدهم ، وخرج إليهم أهل القوة من أهل دمشق، وصحبهم ناس كثير من أهل حمص فالتوم نحو من خمسة عشر ألفاً فلما نظر إليهم خالد عبأ لهم كتعبئة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته هاشم بن عتبة، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفييل ، وترك أبا عبيدة في الرجال ، وزحف إليهم فذهب خالد فوقف في أول الصف يريد أن يحرض الناس ، ثم نظر إلى الصف من أوله إلى آخره ، فحملت لهم خيل على خالد بن سعيد بن زيد وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ثم ينقض عليهم ، فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل . كذا في الكتاب: ابن سعيد بن زيد ، وإنما هو خالد بن سعيد بن العاص .»

أقول: صحح ابن عساكر إسم قائد الخيل في المعركة الى خالد بن سعيد بن العاص . وقد جعله الراوي ابن سعيد بن زيد بن نفييل ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وهو صاحب حديث العشرة المبشرة في الجنة ، الذي كذبه علي (عليه السلام) ، وروي أن سعيداً هذا حضر في بعض الفتوحات ، لكن لم يكن من قادة الفتح . وسبب وضع إسمه بدل إسم خالد ، ما يأتي من أمر خالد مع عمر .

وقال الذهبي في العبر: 1/17: «وكانت وقعة هائلة استشهد فيها جماعة».

16. كان عدد الروم في أجنادين نحو سبعين ألفاً والمسلمين نحو ثلاثين ألفاً، قال الطبري: 2/600: « ونزلت الروم بثنيّة جُلّق بأعلى فلسطين ، في سبعين ألفاً ، عليهم تدارق أخو هرقل لأبيه وأمه » .

وفي تاريخ دمشق: 16/84: «وعبأ خالد الناس فسيروا الأثقال والنساء ، ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو ، وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس ثم رجعوا نحو الجيش ، وذلك الجيش خمسون ألفاً » .

وفي معجم البلدان: 1/103: «وقالت العلماء بأخبار الفتوح: شهد يوم أجنادين مائة ألف من الروم» .

وفي فتوح الشام للواقدي: 1/22: «واغتم عمرو بن العاص لفقدتهم اغتماماً شديداً فلما أصبح النهار أمر عمرو الناس بجمع الغنائم ، وأن يخرجوا إخوانهم من بين الروم وبني الأصفر ، فالتقطوهم مائة وثلاثين رجلاً ، ثم صلى عليهم عمرو بن العاص ومن معه من المسلمين ثم أمر بدفنهم . وكان مع عمرو بن العاص من المسلمين تسعة آلاف رجل . وأرسل عمرو إلى أبي بكر كتاباً.. إني وصلت إلى أرض فلسطين ، ولقينا عسكر الروم مع بطريق يقال له روماس في مائة ألف رجل ، فمنّ الله علينا بالنصر وقتلنا منهم أحد عشر ألفاً ، وقتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلاً » .

أقول: هذه الرواية تريد إثبات قيادة عمرو العاص للمعركة ، وكأنه لا يوجد غيره ، وزعمت أن جنوده تسعة آلاف وهم ثلاثة آلاف .

وتبالغ كتب المغازي والفتوحات في أعداد المقاتلين والقتلى والأسرى ، وتقليل القتلى من المسلمين ، فيحتاج الباحث الى تخمين ذلك ، من مجموع الروايات .

وقد كان قادة فتح الشام أربعة: شرحبيل بن حسنة ، وأبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، ومع كل واحد منهم نحو سبعة آلاف ، وعمرو بن العاص ، ومعه ثلاثة آلاف . أما خالد بن الوليد فقد جاء من العراق بأقل من ألف .

ولو فرضنا التحاق عدة ألوف بهم ، فيكون المجموع نحو ثلاثين ألفاً .

أما جيش الروم ، فذكر الرواة أنه كان مئة ألف ، وقد يكون خمسين أو سبعين ألفاً ، بقرينة أن هرقل استعمل هذا العدد في معاركه مع الفرس .

أما خسائر المسلمين ففي الإستيعاب: 3/1083: «استشهد من المسلمين بأجنادين ثلاثة عشر رجلاً ، منهم عكرمة بن أبي جهل ، وهو ابن اثنتين وستين سنة» .

بينما قالت رواية البلاذري (1/141) في معركة مرج الصُفَر التي هي شبيهة بأجنادين أو أقل منها: «وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف» .

ويصعب قبول أن عدد الشهداء ثلاثة عشر فقط ، وينبغي أن لا يقل عن مئة شهيد ، حتى يتناسب مع الأربعة آلاف جريح .

ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن قائد الروم قتل في المعركة ، وقتل القائد والقادة يُسرَّعُ في انهيار الجيش وحدث الهزيمة .

ومما يدل على سرعة هزيمة الروم في أجنادين بسبب قتل القائد الملكي وبقية القادة ، أن الروم لم يقبلوا بهذه الهزيمة السريعة ، فأعادوا تنظيم قواتهم ، وفتحوا معركة مرج الصُفَر بين دمشق والجولان ، بعد أجنادين بعشرين يوماً .

17. افتتح معركة أجنادين حفيدان لعبد المطلب ، ثاراً لجعفر بن أبي طالب ، فقد كان الزبير أكبر أبناء عبد المطلب ، وكان وصي أبيه رضي الله عنهما ، وهو صاحب حلف الفضول لنصرة المظلوم وحفظ حرمة الكعبة ، وقد حضره النبي (صلى الله عليه وآله) قبل بعثته ، مدحه وأقره بعد بعثته ، وتوفي الزبير قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) .

وابنه عبدالله كان مسلماً ، وكان من الذين ثبتوا مع النبي (صلى الله عليه وآله) في حنين .

قال المفيد في الإرشاد: 1/141: «ومن ثبت معه من بني هاشم يومئذ وهم ثمانية أمير المؤمنين تاسعهم: العباس بن عبد المطلب عن يمين رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند ثغر بغلته. وأمير المؤمنين (عليه السلام) بين يديه بالسيف ، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث ، و عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب حوله. وقد ولت الكافة مديريين ». ونحوه تاريخ دمشق: 41/15.

وذكرت مصادر المغازي أن عبد الله كان أول من برز يوم أجنادين فقد جاء بطريق مُعَلَّم ودعا إلى المبارزة ، وكانوا يعطون للفارس الشجاع درجة بطريق ، وكان مُعلماً أي عنده درجة في الفروسية ، فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، فاختلفا ضربات ثم قتله عبد الله بن الزبير ، ولم يتعرّض لسلبه مع أنهم كانوا يحرصون على سلب هذا النوع من الفرسان ، وقد يختلفون على سلبه إذا اشترك في قتله أكثر من فارس ، لأنه يلبس قلنسوة مُدَهَّبة ، وحزاماً عريضاً مُذهباً ، يسمى مَنطقة .



لكن حفيد عبد المطلب رضي الله عنهما أعرض عنه ، لأنه رأى بطلاً رومياً آخر جاء يطلب المبارزة فبرز إليه ، فتشاورا بالرمحين ، ثم صارا إلى السيفين ، وكان الرومي مُدْرَعاً ، فحمل عليه عبد الله فضربه على عاتقه ، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب ! فشقت ضربته الدرع ، وأسرع السيف في منكب الرومي ، فولى منهزماً ، ثم سقط . وقيل لعبد الله كفاك هذا فلا تقاتل ! فقال: لا أجدني أصبر ، وحمل على الروم وقتل عدداً من فرسانهم . وبحث المسلمون عنه بعد المعركة فوجدوه مثنخاً بالجراح ، في وجهه ثلاثون ضربة سيف ، وحوله عشرة من الروم مجندين ، ووجدوا سيفه بيده لاصقاً ، فعالجوه حتى نزعه بعد عناء .

وذكروا أن أمه مخزومية ، وله عدة أخوات ولا عقب له رضي الله عنه وأرضاه . (الإستيعاب:3/904، والإصابة:4/78، وتاريخ دمشق:8/138).

أما الحفيد الثاني لعبد المطلب ، الذي برز واستشهد في أجنادين فهو: طُليّب بن عمير بن وهب من بنى عبد بن قصي: «أمّه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . يكنى أبا عديّ . وعبد بن قصي هو أخو عبد الدار بن قصي ، وعبد مناف بن قصي ، وعبد العزى بن قصي بن كلاب . هاجر طُليّب بن عمير إلى أرض الحبشة ثم شهد بدرًا.. وكان من خيار الصحابة. قال الزبير بن بكار: كان طليّب بن عمير بن وهب من المهاجرين الأولين ، وشهد بدرًا ، قتل بأجنادين شهيداً ، ليس له عقب . وقال مصعب: قتل يوم اليرموك ». (الإستيعاب:2/772).

وفي تاريخ دمشق:25/145: «عن برة بنت أبي تجرة ، قالت: عرض أبو جهل وعدة معه من كفار قريش للنبي (صلى الله عليه وآله) فأذوه ، فعمد طُليّب بن عمير إلى أبي جهل

فضربه ضربة شجّه ، فأخذه فأوثقوه ، فقام دونه أبو لهب حتى خلاه ، فقيل لأروى: ألا ترين ابنك طليباً قد صير نفسه غرضاً دون محمد !

فقلت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله وقد جاء بالحق من عند الله تعالى .

فقالوا: ولقد اتبعت محمداً؟ فقلت: نعم ، فخرج بعضهم إلى أبي لهب فأخبره فأقبل حتى دخل عليها، فقال: عجباً لك ولا تباعك محمداً ولتركك دين عبد المطلب! فقلت: قد كان ذلك ، فقم دون ابن أخيك فاعضده وامنعه ، فإن يظهر أمره فأنت بالخيار أن تدخل معه ، أو تكون على دينك ، وإن تصب كنت قد أعذرت في ابن أخيك .

فقال أبو لهب: ولنا طاقة بالعرب قاطبة ، جاء بدين محدث! ثم انصرف أبو لهب . قال محمد: وسمعت غير محمد بن عمر يذكر أن أروى قالت يومئذ:

إن طليباً نصر ابن خاله \*\*\* آسأه في ذي دمه وماله .

وقال البلاذري (1/135): «واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخوه أبان بن سعيد ، وذلك الثبت ، ويقال بل توفي أبان في سنة تسع وعشرين . وطليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، بارزه عالج فضربه ضربة أبانت يده اليمنى ، فسقط سيفه مع كفه ، ثم غشيه الروم فقتلوه . وذكروا أنه لم يعقب ، رضي الله عنه .

وذكر ابن عساكر (25/142) أن عمره عندما كان استشهد خمساً وثلاثين سنة .

«وقد انقرض جميع ولد عبد بن قصي وكان آخر من مات منهم رجل مات في أيام بني العباس فورثه بالقعدد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وإسماعيل بن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزوم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي .  
(جمهرة أنساب العرب/128).

أقول: قلنا إن هذين الصحابييين كانا يطلبان من الروم دم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) جعل دم جعفر هدفه في غزوة تبوك !

قال اليعقوبي في تاريخه: 2/ 67: « سار رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشام يطلب بدم جعفر بن أبي طالب (رحمة الله) ، ووجه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد ، وحض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل الغنى على النفقة ، فأنفقوا نفقات كثيرة ، وقوا الضعفاء » .

وفي تاريخ ابن خلدون: 2 ق 1 / 224: « وَجَدَ النَّبِيَّ (حَزَنَ) عَلَى مَنْ قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا كَوَجْدَهُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ تَلَاةً ، ثُمَّ أَمَرَ بِالنَّاسِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ بَعْدَ الْفَتْحِ وَحَنِينَ وَالطَّائِفِ أَنْ يَتَهَيَّؤُوا لْغَزْوِ الرُّومِ، فَكَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكِ» .

والمعنى أن حزنه (صلى الله عليه وآله) على جعفر كان عميقاً ، لأنه من ذخائره القديمة العزيرة .

18. وقاد خالد بن سعيد والمرقال ، معركة أجنادين ومَرْجِ الصُّفْرِ وفحل ونهضاً بثقل معاركها ، وحققا النصر للمسلمين ، وكذا في محاصرة دمشق !

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: 66/ 16: « فلما نظر إليهم خالد (في مرج الصُّفْر) عبأ لهم كتعبئة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نقييل (خالد بن سعيد) وترك أبا عبيدة في الرجال وزحف إليهم فذهب خالد فوقف في أول الصف يريد أن يحرض الناس ثم نظر إلى الصف من أوله إلى آخره ، فحملت لهم خيل على خالد بن

سعيد بن زيد ، وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ، ثم يتقض عليهم ، فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل . كذا في الكتاب ابن سعيد بن زيد وإنما هو خالد بن سعيد بن العاص» .

وسعيد بن زيد بن نقييل هو ابن عم عمر ، ولم يذكر أحد أنه كان في هذه المعارك !

وقال ابن سعد في الطبقات:4/98: «حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفحل ومرج الصُّفَر» .

وفي تاريخ دمشق:16/84: «وعبأ خالد الناس فسيروا الأثقال والنساء ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس ثم رجعوا نحو الجيش وذلك الجيش خمسون ألفاً .

فلما نظر إليهم خالد بن الوليد نزل فعبأ أصحابه تعبئة القتال على تعبئة أجنادين ثم زحف إليهم فوقف خالد بن سعيد في مقدمة الناس يحرض الناس على القتال ويرغبهم في الشهادة، فحملت عليه طائفة من العدو فقتلته واستشهد (رحمة الله) ومنهم من قال لم يستشهد خالد بن سعيد في هذا الموضع ولكنه قتل بمرج الصُّفَر وذلك أنه خرج في يوم مطير يستمطر (يجمع ماء المطر) فتفاوت عليه أعلاج من الروم فقتلوه «! وسيأتي كثرة مكذوباتهم في سبب موته .

وقال البلاذري:1/141: «ثم اجتمعت الروم جمعاً عظيماً ، وأمدتهم هرقل بمدد . فلقبهم المسلمون بمرج الصُّفَر وهم متوجهون إلى دمشق ، وذلك لهلال المحرم سنة أربع عشرة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى جرت الدماء في الماء وطحنت بها

الطاحونة، وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف . ثم ولي الكفرة منهزمين مفلولين لا يلوون على شيء».

19. غَضِبَ عمر على خالد بن سعيد فعزله ثم قتله ، وانهاالت عليه الإتهامات ! وقد بدأ توتر العلاقة بينه وبين عمر بن الخطاب ، عندما رجع خالد من اليمن وكان والياً للنبي (صلى الله عليه وآله) عليها ، فتفاجأ بخبر أن ثلاثة مهاجرين هم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة صفقوا على يد أبي بكر في السقيفة ، وأعلنوه خليفة ، وتجمهر حولهم الطلقاء وأخذوا يجبرون الناس على بيعته بالسيف !

قال الجوهري في كتابه السقيفة/48: «لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر بيباعه ، شاء ذلك أو أباي» !

فاستكر ذلك خالد لأن النبي (صلى الله عليه وآله) نصب علياً (عليه السلام) خليفة بعده ، فقام هؤلاء باستغلال فرصة انشغاله والمسلمين بجنائز النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقاموا بهذه الفعلة !

فتشاور مع علي (عليه السلام) هو وأحد عشر من كبار المهاجرين والأنصار ، وقرروا أن يخطبوا في المسجد ، ويلزموا أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بإرجاع الحق الى أهله !

وكان «أول من قام خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية فقال: يا أبا بكر إتق الله فقد علمت ما تقدم لعلي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألا تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة ، وقد أقبل على رجال منا ذوي قدر فقال: يامعشر المهاجرين والأنصار أوصيكم بوصية فاحفظوها ، وإني مؤد إليكم أمراً فأقبلوه ، ألا إن علياً أميركم من بعدي ، وخليفتي فيكم ، أوصاني بذلك ربي . وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتؤازروه وتنصروه ، اختلفتم في أحكامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ، وولي عليكم الأمر شراركم ! ألا

وإن أهل بيتي هم الوارثون أمري ، القائمون بأمر أمتي ، اللهم فمن حفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي ، واجعل له من مرافقتي نصيباً يدرك به فوز الآخرة . اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي ، فاحرمه الجنة التي عرضها السماوات والأرض ! فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممن يُرضى بقوله . فقال خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب ، فوالله إنك لتعلم أنك تنطق بغير لسانك، وتعتصم بغير أركانك ! والله إن قريشاً لتعلم أنني أعلاها حسباً ، وأقواها أدباً ، وأجملها ذكراً ، وأنت الأملها حسباً ، وأقلها عدداً ، وأخملها ذكراً ، وأقلها من الله عز وجل ومن رسوله غنى . وإنك لجبان عند الحرب ، بخيل في الجذب ، ليثم العنصر ، ما لك في قريش مفخر ! قال: فأسكته خالد فجلس « (الإحتجاج:1/104).

وبعد ثلاثة أيام جاء أهل السقيفة الى المسجد وقد هيؤوا قوات الطلقاء وبنو أسلم ، فوقف عمر وقال: «والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لناخذن الذي فيه عيناه ! فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا ابن صهناك الحبشية بأسيافكم تهددوننا ، أم بجمعكم تفزعوننا، والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم ، وإنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين ، لأن حجة الله فينا . والله لولا أنني أعلم أن طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وطاعة إمامي أولى بي ، لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري ! فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: أجلس يا خالد ، فقد عرف الله لك مقامك ، وشكر لك سعيك . فجلس « . (الإحتجاج:1/97، والخصال/461).

وروى الحاكم (3/250) وصححه على شرط مسلم: «قدم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتربص ببيعته شهرين يقول: قد أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم لم يعزلني حتى

قبضه الله عز وجل ، وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عبد مناف فقال: يا بني عبد مناف ، طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم! فنقلها عمر إلى أبي بكر ، فأما أبو بكر فلم يحملها عليه وأما عمر فحملها عليه . ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام فكان أول من استعمل على ريع منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول: أتومره وقد صنع ما صنع وقال ما قال؟! فلم يزل بأبي بكر حتى عزله ، وأمر يزيد بن أبي سفيان .»

أقول: هذا التصرف من عمر رد فعل طبيعي على هجوم خالد الكاسح عليه ، فعمر لم يواجه كل عمره مثل موقف خالد بن سعيد! بل إن تأمير أبي بكر لخالد على جيش الشام كان غير طبيعي، بعد إدانته الشديدة لعملهم في السقيفة!

وهنا يظهر الفرق بين شخصية أبي بكر وعمر ، فأبو بكر أوسع صدرًا من عمر لمن خالفه ، ويستطيع إخفاء غيظه أكثر من عمر!

ولذلك اختلفا في بعض الأمور والأشخاص ، منهم المثني بن حارثة الشيباني ، وخالد بن الوليد ، وخالد بن سعيد ، ولم يستطع عمر أن يفرض عليه رأيه في خالد بن الوليد ، بل وبخه أبو بكر .

قال ابن الجوزي في المنتظم:4/80: «كان عمر يحرض أبا بكر على عزله ، وأن يقيد منه ، فقال أبو بكر: مه يا عمر، ما هو بأول من أخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، ثم ودى مالكا» .

أي كان يحرضه على أن يقتل خالدًا قصاصاً بقتله مالك بن نويرة وأخذه زوجته ، فوبخه أبو بكر وأعطى دية مالك!

لكن عمر بقي مصرًا على عزل خالد فكان أول مرسوم كتبه عندما صار خليفة عزل خالد ، لكنه لم يذكر أن السبب قتله لمالك بن نويرة ، بل صرح أن السبب كلام خالد في نفي أم عمر من بني مخزوم ، فقد كتب عمر إلى أبي عبيدة: «إن أكذب خالد نفسه

فيما كان قاله فله عمله ، وإلا فانزع عماّمته وشاطره ماله . فشاور خالد أخته فقالت:والله ما أراد ابن حنّمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك ، فلا تفعلن». (اليعقوبي:2/139).

لكن أبا بكر أطلع عمر في خالد بن سعيد فعزله ، والسبب أن ابن الوليد من الكوادر الخاصة لأبي بكر ، بينما غرضه من تأمير ابن سعيد أن يكسب بني أمية ، وهذا يحقّقه استبداله بأموي آخر مقبول عندهم ، فأمرّ بدله يزيد بن أبي سفيان .

20. وتكاد تظمن بأن خالد بن سعيد مات مقتولاً بمؤامرة وليس بيد الروم ! وذلك لكثرة الروايات وتناقضها في مكان قتله وسببه ! فقيل إنه قتل في معركة أجنادين ، وقيل في معركة مرج الصفر ، وقيل في معركة فحل ، وقيل في معركة اليرموك . وقيل لم يقتل في المعركة ، بل كان في المعسكر فخرج يستقي الماء فقتله رومي ، وقيل إن الرومي رأى نوراً ساطعاً من جنازته فأسلم !

وهكذا ضيعوا مكان شهادته ، وزمانها ، وسببها ، وهذا جزء من يخالف الخليفة !

وقد يكون عمر دعا على خالد بن سعيد فمات ، كالمثني بن حارثة الشيباني ، وقد رووا أنه دعا على بلال وجماعته ، وكانوا نحو ثلاثين صحابياً كانوا في الشام فاعترضوا على عمر ، فدعا عليهم دعوة واحدة ، فماتوا واحداً بعد الآخر ، فلم تُدرْ عليهم السنة حتى ماتوا جميعاً. (سنن البيهقي: 9/138) .

قال في تاريخ دمشق:16/67: «فواقع الروم بمرج الصفر فقيل إنه قتل به ، وقيل لم يقتل به وبقي حتى شهد اليرموك».

وقال الطبري:2/601: «ثم كانت مرج الصفر ، استشهد فيه خالد بن سعيد بن العاص أتاهاهم أدرنجار في أربعة آلاف وهم غارون ، فاستشهد خالد وعدة من



المسلمين . قال أبو جعفر: وقيل إن المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد بن سعيد ، وإن خالداً انحاز حين قتل ابنه .» .

وقالوا إنه خرج يستمطر فقتله الروم ! (الطبري: 2/601، وفيض القدير: 5/280).

أي خرج تحت المطر لكي يغتسل ، أو يجمع الماء ويأتي به . وخروجه غير مفهوم لأنه كان في جيشه ، ومعه غلمانه وخدمه ، ومعه إخوته وابنه ، فكيف يخرج وحده ويقتل ، ولا يتحرك منهم أحد ؟!

وقالوا لما قتل الرومي خالد بن سعيد ، قلب ترسه وأسلم واستأمن ! وقال من الرجل الذي قتلنا ، فإني رأيت له نوراً ساطعاً في السماء ؟! (تاريخ دمشق: 16/83) وإذا صح ذلك فقد يكون هذا الرومي مستأجراً لقتل خالد ، فاحتال بإعلان إسلامه لينجو من القصاص ، وأخفى من وراءه إسمه !

ثم نقضوا ذلك بقولهم (تاريخ دمشق: 21/45 و46) إن ابنه سعيداً كان قائد كردوس في اليرموك ، وهو الذي خرج مستمطراً فقتل ، وليس أباه !

ثم تزداد شكاً في قصة قتل خالد بن سعيد ، عندما تجد أنه تزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، أخ أبي جهل ، وزوجة عكرمة بن أبي جهل ، وبنت عم خالد بن الوليد . وهي امرأة مخزومية معروفة ، كانت من نساء قريش المعدودات اللاتي جئن مع أزواجهن المشركين الى بدر . ولما فتح النبي (صلى الله عليه وآله) مكة هرب زوجها عكرمة ، فأخذت له أماناً من النبي (صلى الله عليه وآله) وذهبت اليمن وجاءت به . ولا بد أن عمرها عندما تزوجها خالد نحو أربعين سنة .

قال ابن سعد في الطبقات: 4/98: «شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفحل ومرج الصُّفَر، وكانت أم الحكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل، فقتل عنها بأجنادين، فأعدت أربعة أشهر وعشراً، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدتها يتعرض للخطبة فحطت إلى خالد بن سعيد فتزوجها على أربع مائة دينار.

فلما نزل المسلمون مرج الصُّفَر أراد خالد أن يعرس بأم حكيم فجعلت تقول: لو أخرت الدخول حتى يفيض الله هذه الجموع، فقال خالد: إن نفسي تحدثني أنني أصاب في جموعهم. قالت: فدونك. فأعرس بها عند القنطرة التي بالصُّفَر، فيها سميت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها في صبح مدخله فدعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها صفوفاً خلف صفوف، وبرز رجل منهم معلم يدعو إلى البراز، فبرز إليه أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري فنهاه أبو عبيدة، فبرز حبيب بن مسلمة فقتله حبيب ورجع إلى موضعه وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل، وشدت أم حكيم بنت الحارث عليها ثيابها وعدت وإن عليها لدرعاً والخلوق في وجهها... وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد معرساً بها. وكانت وقعة مرج الصُّفَر في المحرم سنة أربع عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب». انتهى.

وهي رواية متهافئة، لأن معركة مرج الصُّفَر كانت بعد أجنادين بعشرين يوماً وعدتها بعد مقتل زوجها في أجنادين أربعة أشهر وعشراً، فلا يصح أن يكون زواجهما في مرج الصُّفَر.

وأوهى منها رواية تاريخ دمشق:70/226: «وقتل خالد بن سعيد بن العاص بمرج الصفر شهيداً، وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، دخل بها بمرج الصفر فخرج وهو عروس، فقاتل فقتل وخرجت هي بعمود فقتلت سبعة من الروم، وكانت قبله تحت ابن عمها عكرمة بن أبي جهل، فقتل عنها يوم فحل، فلما انقضت عدتها خطبها يزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد فحطت إلى خالد ثم تزوجها عمر بن الخطاب».

فإذا كان قتل عكرمة في معركة فحل، وهي بعد معركة مرج الصفر ومعركة أجنادين، فيجب أن تكون العدة بعد ذلك.

على أن السؤال هنا: لماذا تكشف أم الحكم المخزومية علاقتها الزوجية مع زوجها خالد، الذي أمضت معه سبعة أيام، وقتل في اليوم الثامن، كما في رواية.

ولماذا مديح الرواة لزوجته وشجاعته وأنها قتلت من الروم الذين قتلوا زوجها سبعة فرسان بعمود! ومتى تزوجها بعده عدوه الخليفة عمر بن الخطاب، فولدت له فاطمة بنت عمر. (تاريخ دمشق:70/225). راجع: الكافي:5/572، والموطأ:2/545، والمستدرک:3/241، وفتح الباري:8/9، والتوايين لابن قدامة/123، والطبقات:5/50.

وآخر ما نسجله من روايات السلطة، قولها إن خالد بن سعيد شارك في معركة اليرموك، وجرح فيها، ثم اختفى فلا يدرى أين مات؟!

قالت رواية الطبري:2/597: «عن أبي عثمان: وخالد كان ممن أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك، عكرمة وعمرو بن عكرمة، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد (جرح) فلا يدرى أين مات!»!

وهنا نصل الى شهادة مهمة: لأحد كبار أئمة الزيدية الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (245 - 298) في كتابه تثبيت الإمامة/18، بأن خالد بن سعيد قتله الخليفة لموقفه من السقيفة، قال: «وأيّن الإجماع، وكثير من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) قد أبوا البيعة منهم: خالد بن سعيد، كان ولاءه رسول الله (صلى الله عليه وآله) زبيداً حين ارتد عمرو بن معديكرب، فأخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لحربهم، فلما هزمهم وأمكن الله منهم ولى عليهم خالد بن سعيد رضي الله عنه وأرضاه وكان على مقدمتهم، فلم يزل فيهم حتى قبض رسول (صلى الله عليه وآله) ثم قدم بزكواتهم، فدفعها إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأبى أن يسلمها إلى أبي بكر، فأرسل أبو بكر إلى علي (عليه السلام) فقبض منه الزكاة. ودعا أبو بكر خالد بن سعيد رضي الله عنه للبيعة فأبى، فأمره أن يلحق بأطراف الشام! ثم زعم أصحاب الحديث والأخبار أنه أمر بقتله فقتل. وزعم بعضهم أنه قُتل في وقعة كانت هنالك، والصحيح أنه لم يكن ثمَّ وقعة. وغيره ممن لم يبايع كثير» .

ويؤيد ذلك روايتهم بأنه خرج يستمطر، وأن الرومي الذي قتله قد أسلم!

وقد يفهم من الرواية التالية أنه استقبل عمر، لما زار الشام. ففي الطبقات(4/99): «أن خالد بن سعيد بن العاص وهو من المهاجرين قتل رجلاً من المشركين ثم لبس سلبه ديباجاً أو حريراً، فنظر الناس إليه وهو مع عمر، فقال عمر: ما تنظرون! من شاء فليعمل مثل عمل خالد، ثم يتلبس لباس خالد!»!

والنتيجة: أن المرجح أن الصحابي خالد بن سعيد ، المجاهد البطل فاتح فلسطين والشريك في فتح الشام ، قد قتل بعد مشاركته في معركة اليرموك ، فيكون شارك في جميع معارك فتح فلسطين وبلاد الشام . رضي الله عنه .

والمظنون أن لزوجته أم الحكم المخزومية يداً في سمه ، فهي شبيهة بزوجة المثنى بن حارثة الشيباني ، التي تقدم ذكرها .

21. واضطربت السلطة ورواتها ف وقعت في تناقضات فاضحة في موت خالد وسببه أن خالد بن سعيد رضي الله عنه شخصية مهمة ، يوازي في ميزان قريش وبني أمية شخصياتها الكبرى كعتبة بن الوليد والد هند ، أي أنه أكبر من أبي سفيان وأولاده ، لأنه ابن أبي أحيحة ، الثري الذي كان يلقب بذي التاج !

وهو في ميزان الحرب قائد معارك المسلمين في فتح الشام ، فبالرغم من أن أبا بكر عزله وجعل مكانه يزيد بن أبي سفيان ، لكنك لاتسمع ببطولة ليزيد ، بل رأيت أن يزيداً هذا وأبا عبيدة وخالد بن الوليد وابن العاص أعطوا قيادة معركة مرج الصفر الى خالد بن سعيد ! ويندر في التاريخ ، أن يعطي قادة أربعة جيوش قيادة معركة تشارك فيها جيوشهم ، الى قائد غير رسمي !

فقد فرض خالد نفسه على أولئك القادة ، ببطولته مع جماعته الفرسان مثل إخوته عمرو وأبان وابنه سعيد ، وزميله هاشم المرقال ، ثم انضم اليهم في معركة اليرموك مالك الأشر ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، ومجموعة فرسان النخع ، وكلهم ملتفون حول خالد ، كما كانوا في اليمن !

وهؤلاء هم الذين قطفوا النصر في اليرموك ، وكان في مقدمتهم بدل خالد بن سعيد أو معه ، مالك الأشتر ، الذي قتل أحد عشر أو ثلاثة عشر من قادة الروم قبل المعركة ، فاضطرب جيشهم ، وكانت الحملة ومعها هزيمتهم !

قال الكلاعي الأندلسي في الإكتفاء: 3/273: « إن الأشتر كان من جلداء الرجال وأشدائهم وأهل القوة والنجدة منهم ، وإنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارتهم ، قتل منهم ثلاثة مبارزة !»

وكان أول الذين قتلهم الأشتر قائد الروم المشهور باهان ، ثم برز آخر فقتله ، ثم ثالث ، ثم حمل على القادة أصحاب الرايات حملة حيدرية ، فقتل تسعة منهم واضطرب جيشهم مذعوراً ! فحمل عليهم المسلمون وكانت الهزيمة .

وقد نسبوا البطولة والنصر الى خالد بن الوليد وأبي عبيدة ، مع أنهما كاعا عن مبارزة باهان وغيره . ونسبوه الى ضرار بن الأزور صاحب خالد وقاتل مالك بن نويرة بأمره ، مع أنه قُتل قبل سنين في حرب اليمامة !

فقد لمع نجم خالد إذن في معارك الشام ، ومعه مجموعته الفرسان المميزون ! ويكفي أن يسطع نجم أحد وهو مخالف للخليفة ، حتى يتوجه اليه خطر التصفية !

ثم تتوجه اليه أنواع التهم الظالمة ، وهذا ما لاقاه خالد بن سعيد رضي الله عنه .

22. وكذب رواة السلطة على خالد بن سعيد واتهموه بأنه جبان في الحرب ! وقالوا إنه انهزم من الروم وظل يركض مئات الأميال حتى وصل الى تيماء ، فغضب عليه أبو بكر ومنعه من دخول المدينة ! ثم تفضل وسمح له بدخولها !

قال ابن كثير في النهاية: 7/39: «وأمره الصديق على بعض الفتوحات كما تقدم . قتل يوم مرج الصفر في قول ، وقيل بل هرب فلم يمكنه الصديق من دخول المدينة تعزيراً له ، فأقام شهراً في بعض ظواهرها حتى أذن له» .

وجعلت رواية في الطبري (2/333) هزيمة خالد بن سعيد المزعومة في مرج الصفر مع أنه كان قائدها العام وحقق فيها النصر ، فقالت: « اقتحم على الروم طلب الحظوة (أي للفخر) وأعرى ظهره ، وبادر الأمراء بقتال الروم ، واستطرد له باهان فأرز هو ومن معه إلى دمشق ، واقتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى ينزل مرج الصفر من بين الواقصة ودمشق ، فانطوت مسالح باهان عليه ، وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في الناس فقتلوه ، وأتى الخبر خالداً فخرج هارباً في جريدة فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن عسكرهم ، ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذي المروة (قرب تيماء) وأقام عكرمة في الناس ردءاً لهم فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه» .

وفي رواية تاريخ دمشق: 2/83: «كان أبو بكر قد وجه خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق ، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً ، أن خالد بن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم واستجلب الناس وعزَّ فهابته الروم ، وأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبي بكر ، ولكن توردها فاستطردت له الروم حتى أوردوه الصفرين ، ثم تعطفوا عليه بعدما أمن فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطراً فوافقوه فقتلوه ومن معه ، وأتى الخبر

خالداً (أباه) فخرج هارباً حتى أتى البر فنزل منزلاً ، واجتمعت الروم إلى اليرموك فنزلوا به وقالوا والله لنشغل أبا بكر في نفسه عن تورده بلادنا بخيوله !

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان به ، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص وكان في بلاد قضاة بالسير إلى بلاد اليرموك ففعل ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان ، وأمر كل واحد منهما بالغارة وأن لا توغلا حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوكم .

وقدم عليه شرحبيل بن حسنة بفتح من فتوح خالد (ابن الوليد) فسرحه نحو الشام في جند ، وسمى لكل واحد من أمراء الأجناد كورة من كور الشام فتوافوا باليرموك ، فلما رأَت الروم توافيهم ندموا على الذي ظهر منهم ، ونسوا الذي كانوا يتواعدون أبا بكر به ، واهتموا وهمتهم أنفسهم وأشجوهم وشجوا بهم ثم نزلوا الواقصة . وقال أبو بكر: والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي فوق هذا الحديث وأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس ، وإذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع إلى عمك بالعراق .» ورواه الطبري: 2/603.

وقالت رواية في الطبري: 2/104: «اقتحم على الروم طلب الحضوة وأعرى ظهره وبادر الأمراء بقتال الروم ، فاستطرد له باهان فأررز (هرب) هو ومن معه إلى دمشق واقتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى نزل بالمرج مرج الصفر بين الواقصة ودمشق ، فانطوت مسالح باهان عليه وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في



الناس فقتلوهم ، فأتى الخبر خالداً فخرج هارباً في جريدة فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن  
عسكرهم ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذي المروة ، وأقام عكرمة في الناس رداءً لهم فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه .»

وقالت رواية أخرى للطبري: 2/587: «عن المغيرة ومحمد عن أبي عثمان قالوا: أمر أبو بكر خالداً بأن ينزل تيماء.. وقد أمره أبو بكر أن لا  
يبرحها وأن يدعو من حوله للانضمام إليه ، وأن لا- يقبل إلا ممن لم يرتد ولا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمره ، فأقام فاجتمع إليه جموع  
كثيرة وبلغ الروم عظم ذلك العسكر ، فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام إليهم ، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك وبنزول  
من استنفرت الروم ، ونفر إليهم من بهراء وكتب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان من دون زيزاء بثلاث ، فكتب إليه أبو بكر أن أقدم ولا  
تحجم واستنصر الله ، فسار إليهم خالد فلما دنا منهم تفرقوا وأعرؤا منزلهم فنزله ودخل عامة من كان تجمع له في الإسلام ، وكتب خالد  
إلى أبي بكر بذلك فكتب إليه أبو بكر أقدم ولا- تقتحمين ، حتى لا- توتى من خلفك فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به من  
طرف الرمل ، حتى نزلوا فيما بين آبل وزيزاء والقسطل ، فسار إليه بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان فهزمه وقتل جنده ، وكتب بذلك إلى  
أبي بكر واستمده».

وقالت رواية ثالثة للطبري: 2/588 و589، عن عروة بن الزبير: «أن عمر بن الخطاب لم يزل يكلم أبا بكر في خالد بن الوليد وفي خالد بن  
سعيد ، فأبى أن يعطيه في

خالد بن الوليد وقال لأشيم سيفاً سله الله على الكفار. وأطاعه في خالد بن سعيد ، بعد ما فعل فعلته...لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة وأتى أبا بكر الخبر ، كتب إلى خالد أقم مكانك فلعمري إنك مقدام محجام ، نجا من الغمرات لا تخوضها إلى حق ولا تصبر عليه ! ولما كان بعد وأذن له في دخوله المدينة قال خالد: أعذرنى ! قال: أخطل وأنت أمر ، وجبان لدى الحرب ! فلما خرج من عنده قال: كان عمر وعلي أعلم بخالد ، ولو أطعتهما فيه اختشيتيه واتقيته».

أقول: الرواية الأخيرة تبرر إصرار عمر على عزل خالد ، وهي تزعم أن أبا بكر اكتشف صحة رأي عمر . وقد حشرت الرواية إسم علي (عليه السلام) لهذا الغرض .

وكل هذه الروايات تقول إن خالد بن سعيد كان جباناً، ولم يتقيد بأمر أبي بكر ولا عمر فسبب هزيمة المسلمين أمام الروم ، وهرب منهم مئات الأميال ، فأخذ أبو بكر الموقف بالأبطال الشجعان مثل عكرمة وأبي عبيدة ، وخاصة خالد بن الوليد ، وأقسم أبو بكر أن ينسي الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فأرسل اليه فحضر من العراق وأنساهم وساوس الشيطان !

والحمد لله أنه لا حافظة لكذوب ، فقد نسي واضعوها أن أبا بكر توفي بعد معركة أجنادين ببضعة أيام، وأن عمر عزل خالد بن الوليد في أول يوم تولى فيه الخلافة ، وأن ابن الوليد جاء من العراق ببضع مئات فلم يكن له دور في معارك الشام الأساسية الأربعة: أجنادين ، ثم مرج الصفر ، ثم فحل ، ثم اليرموك . وأن خالد بن سعيد وإخوته وأصحابه هم الذين انسوا الروم وساوس الشيطان وفرضوا إعجابهم على قادة الجيوش ، فسلموه قيادتها في معركة مرج الصفر، فكتب الله على يد النصر المبين!

ففي تاريخ خليفة/120: «قال ابن إسحاق: في هذه السنة وقعة مرج الصُّفَر يوم الخميس لاثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، والأمير خالد بن سعيد . وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: استشهد يوم مرج الصُّفَر خالد بن سعيد بن العاص».

وقال الذهبي في تاريخه:3/84: « قال خليفة: كانت لاثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى والأمير خالد بن سعيد . قال ابن إسحاق: وعلى المشركين يومئذ قلقط ، وقتل من المشركين مقتلة عظيمة ، وانهمزوا».

كما أن رواياتهم في اتهام خالد تناقضت فيما بينها في الأسباب والأحداث وتاريخها ، وخلطت بين عهدي أبي بكر وعمر ، وبين القادة والأحداث .

فقد قال بعضها إن أبا بكر منع خالد بن سعيد من دخول المدينة ، لأنه انهزم أما الروم هزيمة قبيحة ، وقال بعضها لأنه قرأ آيات من القرآن بقراءة مغايرة ، ولا علاقة لمنعه بهزيمته ! قال الطبري:2/623: «عن أبي سعيد قال: لما قام عمر رضي عن خالد بن سعيد والوليد بن عقبة فأذن لهما بدخول المدينة . وكان أبو بكر قد منعهما لقراءتهما التي قرآها وردهما إلى الشام وقال: ليبلغني عنكما عناء إبلاؤكما فانضمما إلى أي أمرائنا أحببتما ، فلحقا بالناس فأبليا وأغنيا » .

ولم تذكر الرواية أي آيات وكيف قرآها ، لكنها تدل أن منع خالد المزعوم من دخول المدينة ، كان لسبب عقائدي وليس لهزيمته المزعومة !

وغرض الرواية تريد تبرئة عمر من عداوته لخالد بن سعيد ، خوفاً من بني أمية الذين يحرص على علاقته معهم في مواجهة بني هاشم !

وقال بعض رواياتهم إن خالداً جاء من اليمن لابساً جبة ديباج ، فصاح عمر بمن يليه: مزقوا عليه جبته (الطبري:2/586). لكن متى كان عمر يجراً قبل خلافة أبي بكر أن يقول ذلك لابن أبي أحيحة؟

وقد نقضتها رواية أخرى (الطبقات:4/99) قالت: «إن خالد بن سعيد بن العاص وهو من المهاجرين ، قتل رجلاً من المشركين ثم لبس سلبه ديباجاً أو حريراً ، فنظر الناس إليه وهو مع عمر ، فقال عمر: ما تنظرون! من شاء فليعمل مثل عمل خالد ، ثم يتلبس لباس خالد!»!

وقالت رواية (الطبري:2/586) إن خالداً قال لعلي (عليه السلام) وعثمان أيام السقيفة: «يا أبا الحسن يا بنى عبد مناف أغلبتم عليها؟ فقال علي (عليه السلام): أمغالبة ترى أم خلافة؟ قال: لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم يا بنى عبد مناف. وقال عمر لخالد: فض الله فاك والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت! ثم لا يضر إلا نفسه».

وقالت أخرى عن لسان ابنته (الطبقات:4/97) «وكان رأى أبي بكر فيه حسناً ، وكان معظماً له ، فلما بعث أبو بكر الجنود على الشام عقد له على المسلمين وجاء باللواء إلى بيته ، فكلم عمر أبا بكر وقال: تولى خالداً وهو القائل ما قال... فما شعرت إلا بأبي بكر داخل على أبي يعتذر إليه ، ويعزم عليه ألا يذكر عمر بحرف ، فوالله ما زال أبي يترحم على عمر حتى مات».

ومعنى هذا الكلام على لسان ابنة خالد وهي زوجة الزبير ، أن عداوته مع أبي بكر وعمر كانت معروفة ، فأرادت ابنته أو من وضع الرواية على لسانها ، أن يغطوا هذه الحقيقة المضرة لهم . وزادوا في تغطية موقف خالد بوضع حديث نبوي على لسانه يمدح ابا بكر وعمر ، فقد زعموا ان خالد قال إن النبي (صلى الله عليه وآله)

خطب فقال: «أيها الناس: إني راض عن أبي بكر فاعرفوا ذلك له . إني راض عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ، والمهاجرين الأولين فاعرفوا ذلك لهم . أيها الناس: إن الله قد غفر لأهل بدر والحديبية .

أيها الناس: إحتفظوني في أصهاري وأصحابي وأحبابي ، لا يطلبنكم أحد منهم بمظلمة ، فإنها مظلمة لا توهب في القيامة . أيها الناس: إرفعوا ألسنتكم عن الناس، وإذا مات المؤمن فلا تقولوا فيه إلا خيراً ثم نزل .»

(الرياض النضرة للمحب الطبري:1/40، و:3/55، وتاريخ دمشق:30/132، والشفاء:2/55)

وقد ضعف الحديث بعض علمائهم كالعقيلي(4/148) ولكنهم لا يهتمون بالتضعيف .

والنتيجة: أن رواياتهم في ذم خالد بن سعيد ، تدور كلها حول تبرئة أبي بكر وعمر أمام بني أمية ، من ظلم زعيمهم وابن زعيمهم خالد بن سعيد ، وإثبات أنهما خدماه وأمّراه مع أنه أساء اليهما ، لكنه لم يكن أهلاً للقيادة فعزلاه !

لكن هذا الدفاع يؤكد التهمة التي تملك عشرات القرائن ، ولا يدفعها !

23. وإخوة خالد أبان وعمرو وابنه سعيد قصص تشبه قصصه مع السلطة! قابل الواقدي في فتوح الشام:1/13: « خرج بهم سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاماً نجيباً ، وذلك أن سعيد بن خالد أتى إلى الصديق فقال: يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنك أردت أن تعقد لأبي خالد راية ويكون قائداً من قواد جيشك، فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين رجع من بعثك ، وقد حبس نفسه في سبيل الله عز وجل ، ولم أزل مجيباً دعوتك في بعثك ، فهل لك أن تقدمني على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانياً أبداً ، ولا عاجزاً عن الحرب .

ص: 455

قال: وكان سعيد بن خالد نجيباً أنجب من أبيه وأفرس ، فعقد له أبو بكر راية ودفعها إليه ، وأمره على ألفين من العرب . قال: فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد وأنه خير من أن يكون أميراً كره لك ذلك ، وأقبل على الصديق وقال: يا خليفة رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ، ولقد سمعته يقول عندما عقدتها على رغم الأعداء . والله لتعلم أنه ما يريد بالقول غيري ، والله ما تكلمت في أبيه !

قال الواقدي: فنقل ذلك على أبي بكر ، وكره أن لا يعقد له ، وكره أيضاً أن يخالف عمر لمحبهته له ونصحه ومنزلته عند النبي (صلى الله عليه وآله) ، ووثب قائماً ودخل على عائشة وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب ، وما كان من كلامه فقالت عائشة: قد علمت أن عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين ، وما في قلب عمر بغض للمسلمين . قال: فقبل قول عائشة ، ثم دعا بأزد الدوسي ، وقال له: إمض إلى سعيد بن خالد وقل له: رد علينا رايته . قال: فردها وقال: والله لأقتلن تحت راية أبي بكر حيث كان ، فإني قد حبست نفسي في سبيل الله...

ثم إن أبا بكر دعا عمرو بن العاص فسلم إليه الراية وقال: قد وليتكم على هذا الجيش يعني أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب ، فانصرف إلى أرض فلسطين وكاتب أبا عبيدة وأنجده إذا أرادك..

قال أبو الدرداء: كنت مع عمرو بن العاص في جيشه ، فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه... وابعث عيونك يأتونك بأخبار أبي عبيدة ، فإن كان ظافراً بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين ، وإن كان يريد عسكراً ، فأنفذ إليه جيشاً في أثر

جيش ، وقدم سهل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام وسعيد بن خالد...» .

أقول: تقدم أن أبا بكر أرسل ابن العاص الى فلسطين بثلاثة آلاف ، وأن أبا عبيدة استدعاه الى أجنادين، ولم يكن له مشاركة قتالية ، فاخترع قصة الأربطون وكان سعيد بن خالد في ذلك الوقت مع أبيه وأعمامه عمرو وأبان.

ولاحاجة الى الإفاضة في مكذوباتهم عن خالد بن سعيد وابنه سعيد وإخوته ، رضي الله عنهم ، فهي من نوع مكذوباتهم عن خالد بن سعيد .

24. بَحَل رِوَاةِ السُّلْطَنَةِ بِأَخْبَارِ جِهَادِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ وَإِخْوَتِهِ أَبَانَ وَعَمْرُو ، مَعَ أَنَّهُمْ بِمَوَازِينِ السُّلْطَنَةِ أَهَمُّ مِنْ آلِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَقَدْ خَاضُوا كُلَّ حُرُوبِ فَتْحِ فَلسَطِينِ وَالشَّامِ ، وَكَانُوا قَادَةَ فِيهَا ، وَكَانَ خَالِدُ الْقَائِدِ الْعَامِ لِمَعْرَكَةِ مَرَجِ الصُّفْرِ وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ مَعَارِكِهَا ، وَقَدْ تَكُونُ الْأَهَمُّ .

ونذكر فيما يلي بعض أخبار بني سعيد بن العاص «أبي أحيحة»:

كان أبان على خيل المشركين في أيام الحديبية ، وعندما أرسل النبي (صلى الله عليه وآله) عثمان بن عفان الى مكة ، أجاره أبان فدخل ، وقال له كما في تاريخ دمشق: 6/134:

أسبل وأقبل لا تخف أحداً \*\*\* بنو سعيد أعزة الحرم».

أي أسبل إزارك ولا تشمره فأنت في جوار بني سعيد ، لأن القرشيين كانوا يُسبِلُونُ أزرهم ، ويأمرون من يدخل مكة أن يشمر إزاره الى نصف ساقه .

وقد أسلم أبان بعد الحديبية وجاء الى خيبر، قال أبو هريرة إن أباناً قال للنبي (صلى الله عليه وآله): إقسم لنا. «قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله لا تقسم لهم. قال أبان: وأنت بهذا يا وبرُّ تحدر من رأس ضأن»! (صحيح البخاري: 5/82).

وفي معجم الطبراني الأوسط: 3/307: تحدر من رأس الجبل). وهو مثل لعدم قيمة المتكلم!

وفي معجم السيد الخوئي: 28/ 8 و: 1/141: «خالد بن سعيد بن العاص: من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) .. من الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر، وكان أول من تكلم يوم الجمعة .. أبان بن سعيد بن العاص.. من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وإخوته: خالد، وعتبة، وعمرو.. أبوا عن بيعة أبي بكر، وتبعوا أهل البيت (عليهم السلام)، وبعدهما بايع أهل البيت (عليهم السلام) بايعوا» .

وفي الإستيعاب: 3/1178: «واستعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمرو بن سعيد على قرى عربية منها تبوك وخيبر وفدك . وقُتل عمرو بن سعيد مع أخيه أبان بن سعيد بأجنادين سنة ثلاث عشرة، هكذا قال الواقدي وأكثر أهل السير. وقال ابن إسحاق: قتل عمرو بن سعيد بن العاص يوم اليرموك، ولم يتابع ابن إسحاق على ذلك، والأكثر على أنه قتل بأجنادين.. وكانت أجنادين ومرج الصفر في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة» .

وفي تاريخ دمشق: 6/126: «أبان بن سعيد.. له صحبة واستعمله النبي (صلى الله عليه وآله) على بعض سراياه، ثم ولاه البحرين، وقدم الشام مجاهداً فقتل يوم أجنادين، وقيل يوم اليرموك وقيل مات سنة تسع وعشرين... لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث أبو بكر أبان بن سعيد بن العاص إلى اليمن فكلمه فيروز في دم داذويه، فقال: إن



قيساً قتل عمي غدراً على عدائه ، وقد كان دخل في الإسلام وشرك في قتل الكذاب ، فأرسل أبان يعلى بن أمية إلى قيس فقال: إذهب فقل له أحب أبان بن سعيد ، وإن تردد فاضربه بسيفك . فقدم عليه يعلى فقال له: أحب الأمير أبان فقال له قيس: أنت ابن عمي ، فأخبرني لم أرسل إلي؟ فقال له: إن الديلمي كلمه فيك أنك قتلت عمه رجلاً مسلماً على عدائك! قال قيس: ما كان مسلماً لا أنا ولا هو ، وكنت طالب ذحل قد قتل أبي وقتل عمي عبيدة وقتل أخي الأسود ، فأقبل مع يعلى فقال أبان لقيس: أقتلت رجلاً قد دخل في الإسلام وشرك في قتل الكذاب؟ قال: قدرت أيها الأمير فاسمع مني ، أما الإسلام فلم يسلم لا هو ولا أنا ، وكنت رجلاً طالب ذحل وأما الإسلام فتقبل مني وأبايعك عليه ، وأما يميني فهذه هي لك بكل حدث يحدثه كل إنسان من مذحج . قال: قد قبلنا منك . فأمر أبان المؤذن أن ينادي بالصلاة وصلى أبان بالناس صلاة خفيفة ، ثم خطب فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد وضع كل دم كان في الجاهلية).

ومن الملفت في أخبار أبان أنه تزوج بنت عتبة بن ربيعة ، أخت هند ، وإسمها: أم أبان ، وقالوا إنها كانت في الشام مع أخيها ، وإن أباناً قتل بعد زواجه منها بليتين ، فكيف يكون قتل في أجنادين؟ «وقتل عنها يوم أجنادين . وقيل إنه لم يكن معها سوى ليلتين حتى قتل عنها». (تاريخ دمشق: 70/197).

وروا أن عمر بن الخطاب خطب أم أبان بعد مقتل زوجها ، فكرهته وقالت: « يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابساً ويخرج عابساً». (تاريخ الطبري: 3/270).



الفصل الرابع: أصحاب الأدوار المدعاة في الفتوحات

كثرة القادة الحقيقيين والمدعى لهم القيادة 3

هل اخترع رواة السلطة أبطالاً من خيالهم؟ 4

خالد بن الوليد والغدر ونبيل الفروسية !

1. أبوه الوليد بن المغيرة العتل الزنيم 6

2. نشأ خالد على بغض النبي (صلى الله عليه وآله) 8

3. كان عمر بن الخطاب يبغض خالداً ولا يطيقه 9

4. وكتب عمر الى خالد: بلغني أنك تدلكت بخمر. 11!

5. وعاش خالد معزولاً ومات في حمص 11

6. تقرأ الكثير عن فروسية خالد ولا تجدها في المعارك 11

7. أوصاه أبو بكر أن يياشر الحرب فلم يياشرها 13

8. لم تثبت له مبارزة في كل تاريخه العسكري 13

9. اشتهر غدر خالد بيني جذيمة رغم إعلانهم الإسلام! 14

10. ارتكب خالد جريمةً تصلح فيلماً لمأساة العاشق! 17

11. جعلوا جبن خالد في مؤتة بطولة! 18

12. اعترفوا بجبن خالد لسته أشهر في اليمن! 23

13. اخترعوا لخالد أبطالاً قتلهم لا وجود لهم! 26

14. اخترعوا لخالد معارك عديدة لا وجود لها! 28
15. ورووا أن خالداً حارب الفرس والروم في العراق! 31
16. تخصص في شن الغارات على العرب لا الفرس ولا الروم! 32
17. الصورة الحقيقية لعمل خالد في العراق 36
18. اتهم عمر خالداً بقتل النفس المحترمة والسرقة 41
19. تعمدت السلطة أن تصور خالداً على أنه بطل! 42
20. اخترع خالد صلاةً فتحير فيها فقهاء السلطة! 43
21. وزعم خالد أنه يحمل شعر النبي (صلى الله عليه وآله) فينتصر! 43
22. البطولة في حرب اليمامة لعدي بن حاتم والإسم لخالد! 44
23. من بطولة خالد غارته على بيت الزهراء (عليها السلام)! 44
24. ومن بطولته محاولته اغتيال أمير المؤمنين (عليه السلام) 47
25. برز من أولاد خالد ابنه عبد الرحمن وابنه المهاجر الشيعي 49
- سعد بن أبي وقاص قائد عيرته زوجته بالجبن
1. نسب سعد بن أبي وقاص الزهري 50
2. كان سعد قصيراً غليظاً أسمر أفطس 51
3. توجد أكثر من مشكلة في نسب سعد! 52
4. كان سعد يكره علياً (عليه السلام) مع شهادته بفضله 54
5. امتنع سعد عن بيعه علي (عليه السلام) ونصرته 55
6. أذان سعد سب معاوية لعلي (عليه السلام) 55
7. زعموا أن سعداً من المبشرين بالجنة ، ورد حديثهم علي (عليه السلام) 58
8. أسرة سعد بن أبي وقاص أسرة عجيبة 59

9. اعترف سعد بفراره يوم أحد وزعم أنه رجع! 61

ص: 462

10. سعد أحد: الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ..63

11. ادعى سعد لنفسه فضيلة أنه مستجاب الدعوة64

12. اقترض سعد من بيت المال وأبى أن يرده!65

13. سرق فاساً من حطاب وأبى أن يرجعها له!67

14. عينه عمر والياً على العراق 68

15. شهدوا عليه بأنه جبان وغير عادل 68

16. كان رأي عمر سلبياً فيه لكنه متمسك به!70

17. صادر عمر منه نصف ثرواته 71

18. كانت مشكلة سعد أنه رأى نفسه كبيراً 72

19. كان سعد جريئاً على معاوية 73

20. زعم سعد أنه أحق بالخلافة74

21. كان معاوية يرى أن عمر كبر سعاداً!75

22. كان سعد ضعيف الشخصية أمام معاوية77

23. اعترض سعد على بيعة يزيد فقتله معاوية 77

24. جلب سعد لأولاده معلماً نصرانياً 78

25. ورث سعد طموحه للخلافة الى أولاده! 78

26- هرب سعد من قيادة القادسية 79

جرير بن عبد الله البجلي مقاول حرب في سبيل الله

1. نسب جرير، بن عبد الله البجلي 87

2. أسلم قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بأربعين يوماً 87

3. وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) وصديقه الأشعث! 89

4. ذهاب الى العراق مع خالد بعد اليمامة 89

ص: 463

5. ساعد خالدًا قتال بني تغلب 90
6. زعموا أن جريراً قتل مرزبان المذار 91
7. كان جرير جندياً في جيش خالد بن سعيد 92
8. قال جرير عمر على «الجهاد» بقومه 94
9. شارك جرير مع بني بجيلة في معركة البويب 96
10. رأى جرير القائد مهران مقتولاً فقطع رأسه! 98
11. سكن جرير وقومه الكوفة 101
12. ملكه جريراً وقومه ربع الأرض المفتوحة وندم 102
13. كان جرير قائداً في معركة جلولاء 106
14. تقدم جرير داخل إيران وفتح بعض المدن 109
15. أمره عمار أن يمد أبا موسى الأشعري في تستر 110
16. أرسلوه إلى رامهرمز داعياً فسابهم ونهبهم 110
17. التحق جرير بجيش المسلمين إلى نهاوند 113
18. عينه عمر والياً على همدان 116
19. رروا أن جريراً كان يشرب الخمر 117
20. كان جرير تلميذ الأشعث في التحريش 118
21. عندما بايع المسلمون علياً (عليه السلام) بايعه جرير 119
22. بعته علي (عليه السلام) إلى معاوية يدعو إلى بيعته 120
23. كان جرير يبغض علياً (عليه السلام) ، وحرف حديث الغدير 125
24. مال جرير إلى معاوية فعزلته قبيلته! 126

عمرو بن العاص.. لا نبيل ولا شجاعة!



1. اختلف فيه أربعة فاختارت أمه العاص بن وائل! 127!

ص: 464

2. أمه النابغة ، أمةً لبني عنزة ذات علم!130
3. كان عمرو من طفولته يُبغض النبي (صلى الله عليه وآله) 132
4. وكان حريصاً على مظهر الفروسية 135
5. اعترف عمرو وخالدهما بأنهما أسلما طمعاً 137
6. ضخموا دوره وزميله خالد مع النبي (صلى الله عليه وآله) 137
7. وضخموا دوره في فتح فلسطين ومصر 137
8. وجعلوا له دور شرجيل وخالده بن سعيد 139
9. واخترع لنفسه بطولات في المكر والدهاء 145
10. وبلغ أوج كذبه في أسطورة الملكة أرماتوسة 148
11. نسبوا له قصة اليمامة التي باضت! 150
12. كذب لنفسه وكذبوا له معارك في فتح مصر 151
13. واستطاب عمرو طعام خراج مصر 153
14. وأحرق عمرو مكتبة الإسكندرية 155
15. نقض عمرو عهد الصلح مع أهل مصر 158
16. بطش بالإسكندرية بدون سبب ونهبها وهدم سورها 167
17. حكم عمرو مصر سبع سنين 168
18. جمع عمرو ثروة طائلة من الفتوحات 170
19. لم يشبع عمرو حتى أخذ خراج مصر طعمةً 171
19. أشار على معاوية بإعطاء الروم جزية 174
20. كان موقف علي (عليه السلام) من عمرو شديداً 177
21. كان عمرو في الثمانينات ومعاوية في الأربعينات 182

22. غزاعمر و مصر بجيش معاوية وقتل واليهها 187

ص: 465

23. نقلوا عنه اعترافه بالحق على نفسه 188

24. أشهر زوجاته بنت أبي معيط الخمار 188

25. أخذ لقب فاتح فلسطين ومصر 191

الفصل الخامس: الأبطال الشيعة قادة الفتوحات

فاتح العراق المثنى بن حارثة رضي الله عنه

1. المثنى بن حارثة بن سلمة من ذهل شيبان 193

2. كان بنو شيبان حلفاء مع بني عجل بن لجيم 193

3. وخاضت القبيلتان معركة ذي فار مع كسرى 195

4. وبدأ المثنى فعاليته بتحرير العراق زمن النبي (صلى الله عليه وآله) 195

5. ثلاثة عوامل ساعدت على فتح العراق 197

6. كان المثنى وعشيرته من شيعة علي (عليه السلام) 198

7. للمثنى عدة إخوة كلهم قادة شجعان 200

8. أرسل أبو بكر خالد بن الوليد مدداً للمثنى 201

9. معركة بابل أول معركة مع الجيش الفارسي 206

10. خير من أمدَّ بهم عمر المثنى أبو عبيد الثقفي 209

11. المعركة الثانية مع الجيش الفارسي معركة النمارق 211

12. وقاد أبو عبيد والمثنى معركة الجسر 217

13. واصل المثنى جهاده بعد معركة الجسر 223

14. قاد المثنى معركة البويب بجدارة 224

15. وأدار المثنى خلافه مع جرير وجره الى المشاركة 226

16. بعد معركة البويب، بسط المثنى غاراته 233



17. عزل عمر المثنى في أوج انتصاراته! 237

18. لكن المثنى لم ينزل لعمق جذوره 239

19. جاءت موجة فارسية مقدمة لمعركة القادسية 239

20. المثنى يموت فجأة بعد أن غضب عليه عمر! 241

21. ملاحظات على روايات موت المثنى 242

هاشم المرقال تقيض أبيه وعكس عمه

1. هاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه 248

2. مدح علماء السنة وأئمتهم هاشم المرقال 249

3. ومدحه علماء الشيعة، فوصفوه بأنه صحابي جليل 251

4. فضَّله أمير المؤمنين (عليه السلام) على محمد بن أبي بكر 252

5. بقي هاشم في الكوفة بعد أن تركها عمه سعد 253

6. كان هاشم بصيراً بمعاوية والمخالفين 255

7. كان صاحب راية علي (عليه السلام) في صفين 256

8. قاتل هاشم في صفين قتال الأبطال 256

9. كان من خاصة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) 261

10. وصفوا شجاعته في الفتوحات وصفين 262

11. خاض معارك الفتوح والتصحيح لمدة ربع قرن، 264

12. سارع بعد اليرموك إلى القادسية 267

13. وحاصر هاشم المدائن مدة طويلة 270

14. بعد فتح المدائن قاد معركة جلولاء 273

15. وقاد المرقال جيش المسلمين بعد جلولاء 275

16. انشغل سعد بخزائن كسرى، فاستحضره هاشم 276

ص: 467

17. بقي هاشم القائد العام من القادسية الى نهاوند 278

18. قام بالإعداد لمعركة نهاوند مع عمار 279

19. ذكر الواقدي مشاركته في فتح مصر 280

20. كان له إخوة قادة ، وكان أبناؤه أكثر شبيهاً به 284

سلمان الفارسي المحمدي رضي الله عنه

1. نشأ على المجوسية ، ثم أعجبته المسيحية فهاجر إلى الشام 288

2. كان في أعلى درجات الإيمان بعد المعصومين (عليهم السلام) 290

3. أكثر صحابي رووا له كرامات 291

4. كان أبيض اللون ، بهيئ الطلعة والشيبة ، قويّ البنية 292

5. كان يعمل في حفر الخندق فأصابوه بالعين 293

6. اشتهر تشيع سلمان رضي الله عنه 294

7. شهد جميع حروب النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أحد 296

8. أتقن العربية وبقيت لكنته الفارسية 297

ترجم للفرس من القرآن 299

10. أخفى رواة السلطة دوره في الفتوحات 299

11. رووا له كرامات في فتح المدائن ، 300

12. رووا نموذجاً من عمله في الفتوحات 302

13. اختاروه أمين غنائم قصور كسرى 304

14. وصار الفارسي المشرّد حاكماً لعاصمة كسرى 305

15. اختار سلمان مكان الكوفة منزلاً للمسلمين 307

16. قدم سلمان نموذج الحاكم المسلم 311



17. وكان يخرج من المدائن الى الجهاد 312

ص: 468

18. شارك سلمان في فتح إرمينيا والقفقاز 312
19. كان يزور الشام فيستقبلونه كالخليفة 314
20. أخى النبي (صلى الله عليه وآله) بينه وبين أبي ذر 315
21. مرّت علاقته بعمر في مراحل 316
22. ساءت علاقة سلمان بعمر في أواخر حياته 321
23. تزوج سلمان امرأة من كندة 323
24. علم سلمان بوفاته وصلى عليه (عليه السلام) 324
- حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه
1. كان فارساً قائداً في فتح العراق وإيران والشام 327
2. كان شجاعاً تقياً، وظهرت له كرامات 327
4. كان من كبار أصحاب علي (عليه السلام) 328
5. كان مع بعض أصحابه يشتمون أهل الشام 329
6. فضح تآمر الأشعث في قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) 329
7. كان حِجْرَ معتمد الإمام الحسن (عليه السلام) 330
8. قتله معاوية بدون أي حجة إلا تشييعه لعلي (عليه السلام) 330
9. غضب الإمام الحسين (عليه السلام) لقتل حجر 330
10. ذلت العرب بقتل حجر بن عدي! 331
11. كان يردد: الموت في حب علي (عليه السلام) شهادة! 332
12. قُتل مع حِجْر خمسة من أصحابه الأبطال 334
13. أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) بشهادة حجر 334
14. أرسل معاوية مجرماً كبيراً فقتل حجراً 335

15. أصيب معاوية بالهلوسة لقتل حجر 335

ص: 469

16 أراد معاوية أن يلعن حجراً علياً (عليه السلام) فأبى 336

17. وأوصى حجر أن يدفنوه بشيابه ودمائه 336

18. كان حجر رئيس قبائل كندة 336

حذيفة بن اليمان أمين سر رسول الله (صلى الله عليه وآله)

1. كان حذيفة أمين النبي (صلى الله عليه وآله) على سره 338

2. كان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين 339

3. حذيفة أحد أركان التشيع الأربعة 340

4. كان حذيفة يستعمل التقية مع الخلفاء 345

5. روى تحذير النبي (صلى الله عليه وآله) من أئمة الضلال وبشارته بأئمة الهدى 348

6. كان يخبر المسلمين بغرائب ستحدث! 349

7. رووا عنه مديحاً لبعض الخلفاء ولم يصح 351

8. شارك في حرب أحد وما بعدها 351

9. شارك في فتوح الشام 358

10. سكن الكوفة وشارك في فتح المدائن وجلولاء 358

11. ثم توغل جيش المسلمين داخل إيران 359

12. قاد حذيفة معركة نهاوند 361

13. ثم قاد حذيفة أغلب معارك فتح إيران 367

14. شارك في فتح أرمينيا وكان والياً عليها 374

15. كان حذيفة والي المدائن مع سلمان 374

16. وكان حذيفة بطل توحيد نسخة القرآن 376

17. يوجد حذيفة بن اليمان آخر 378



18. خَيْرُهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَهَاجِراً أَوْ أَنْصَارِيّاً 379

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان

1. وفد الى المدينة على عهد عمر 381

3. يضرب به المثل في الحلم والحكمة والنبيل 382

4. عندما وصلت عائشة الى البصرة دعت له لنصرتها 383

5. كان من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) 384

6. كان أول من أجاب دعوة أمير المؤمنين (عليه السلام) 384

7. اقترح على أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يكون مندوبه للتحكيم 385

8. جوابه لمعاوية في مقتل عثمان 386

9. لعن شاميّ علياً عند معاوية فأفحمه الأحنف 386

10. وصف الأحنف سفرة معاوية وذكر علياً (عليه السلام) 387

11. كان (رحمة الله) شجاعاً قائداً 388

خالد بن سعيد بن العاص بطل فتح فلسطين

1. أخرج الله مؤمنين من أبناء الفرعون أبي أحيحة 389

2. أكرم الله خالداً برؤيتين كانتا سبب هدايته 389

3. هرب من سجن أبيه وعاش هو وزجته 391

4. أسلم وأخوه عمرو وأقنعا بالمراسلة أخاهما أباناً 393

5. هاجر خالد إلى الحبشة فكان مع جعفر 394

6. شارك سعيد بفعالية في حروب النبي (صلى الله عليه وآله) 395

7. عندما توفي النبي (صلى الله عليه وآله) جاء الى المدينة 396

8. ونصر علياً (عليه السلام) أيام السقيفة 404



9. عرض عليه أبو بكر وعلى إخوته أن يرسلهم ولاية 405

10. استشار أبو بكر علياً (عليه السلام) في غزو الروم فشجعه 405

11. عَتَبَ خالد على أبي بكر ، فاعتذر منه 408

12. ظلموا خالد بن سعيد لأنه شيعي 413

13. قاد معركة أجنادين فنسبوا قيادتها الى بن الوليد! 417

14. ونسبوا الى عمرو العاص! 424

15. واعترفوا بقيادة خالد لمعركة مرج الصُّفَر 430

16. كان عدد الروم في أجنادين نحو سبعين ألفاً 432

17. افتتح معركة أجنادين حفيدان لعبد المطلب 434

18. وقاد خالد بن سعيد أجنادين ومَرَج الصُّفَر وفحل 437

19. غَضِبَ عمر على خالد بن سعيد فعزله ثم قتله 439

20. روايتهم تشير الى أن خالد بن سعيد مات مقتولاً 442

21. اضطربت السلطة ورواتها وتناقضوا في سبب موته 447

22. كذب رواة السلطة على خالد بن سعيد كثيراً 448

23. وظلموا معه إخوته أباناً وعمرواً وابنه سعيداً 455

24. بَخِلَ رواة السلطة بأخباره خالد بن سعيد وأقاربه 457

(تم الكتاب والحمد لله رب العالمين)



## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
الغمامة  
اصبحان  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

